٣٥ درس

التفسير المحرر
للقرآن الكريم

سورة المائدة

إعداد

القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية

مراجعة وتدقيق

الشيخ الدكتور خالد بن عثمان السبت
أستاذ التفسير وعلوم القرآن في جامعة الدمام

الشيخ الدكتور أحمد سعد الخطيب
أستاذ التفسير وعلوم القرآن في جامعة الأزهر سابقًا

الإشراف العام

الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف

المجلد الرابع

الدرر السنية
www.dorar.net

التَّفْسيرُ المُحَرَّرُ

للقُرآنِ الكَريمِ

(سورة المائدة)

ح مؤسسة الدرر السنية للنشر ـ ١٤٣٧هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية
التفسير المحرر للقرآن الكريم (سورة المائدة) المجلد الرابع/ القسم العلمي
بمؤسسة الدرر السنية - الظهران، ١٤٣٧هـ
ص، ١٧ سم × ٢٤ سم
ردمك: ٨-٣٢-٨١٥٤-٦٠٣-٩٧٨
١- القرآن - سورة المائدة - تفسير ٢- القرآن - التفسير الحديث
أ- العنوان
ديوي ٢٢٧,٦ ١٤٣٧/٥٥٠

رقم الإيداع: ١٤٣٧/٥٥٠
ردمك: ٨-٣٢-٨١٥٤-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

الدرر السنية
www.dorar.net

مؤسسة الدرر السنية - المملكة العربية السعودية
ص. ب ٣٩٣٦٤ الظهران ٣١٩٤٢ - جوال: ٠٥٥٦٩٨٠٢٨٠
ت:٠١٣٨٦٨٠١٢٣/فاكس:٠١٣٨٦٨٢٨٤٨-بريدإلكتروني nashr@dorar.net

التَّفْسِيرُ المُحَرَّرُ

لِلقُرآنِ الكَرِيمِ

(سورة المائدة)

إعداد

القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية

مراجعة وتدقيق

الشيخ الدكتور خالد بن عثمان السَّبت
أستاذ التفسير وعلوم القرآن في جامعة الدمام

الشيخ الدكتور أحمد سعد الخطيب
أستاذ التفسير وعلوم القرآن في جامعة الأزهر - قنا

الإشراف العام

الشيخ علوي بن عبد القادر السَّقَّاف

المجلد الرابع

الدُّرَرُ السَّنِيَّة
www.dorar.net

بسم الله الرحمن الرحيم

تَفْسِيرُ

سُورَةِ المائِدَةِ







سُورةُ المائِدَةِ

أَسماءُ السُّورةِ:

سُمِّيَتْ هذه السُّورةُ الكريمةُ، سُورةَ المَائدة[1].

فعَن جُبَيرِ بنِ نُفَيرٍ، قال: (حَجَجتُ فدخلتُ على عائشةَ رضِي اللهُ عنها، فقالَت لي: يا جُبَيرُ، تقرأُ المائدةَ؟ فقُلتُ: نَعم، فقالَت: أمَا إنَّها آخِرُ سُورةٍ نزَلَتْ...)[2].

فَضائِلُ السُّورةِ وخَصائِصُها:

١- سُورةُ المَائدةِ مِن السَّبعِ الطِّوالِ التي أُوتِيَها النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مكانَ التَّوراةِ:

فعَن واثلةَ بنِ الأَسقَعِ رضِي اللهُ عنه، قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ((أُعطِيتُ مَكانَ التَّوراةِ السَّبعَ الطِّوالَ، وأُعطيتُ مَكانَ الزَّبورِ المِئِينَ، وأُعطيتُ مَكانَ الإنجيلِ المثانيَ، وفُضِّلتُ بالمفَصَّلِ))[3].

---

(١) سُمِّيَتْ هذه السورةُ بهذا الاسمِ؛ لوُرودِ ذِكرِ المائدةِ فيها؛ حيث طلَب الحواريُّون مِن عيسى عليه السلام آيةً تدلُّ على صِدق نُبوَّته، وتكون لهم عِيدًا، وقد اختصَّتْ هذه السُّورة بذِكرها.
قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ * قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ * قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٢- ١١٥]. يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٦٩).

(٢) أخرجَه أحمدُ (٢٥٥٤٧)، والنَّسائي في ((السنن الكبرى)) (١١٠٧٣)، والحاكم في ((المستدرك)) (٣٢١٠).

قال الحاكم (٣٢١٠): صحيحٌ على شرْطِ الشَّيخين. وقال الشوكانيُّ في ((نيل الأوطار)) (٩/ ٢٠٤): رجاله رجالُ الصَّحيح.

(٣) أخرجه أحمدُ (١٦٩٨٢)، والطَّيالسيُّ في ((المسند)) (١١٠٥)، والطبرانيُّ في ((المعجم الكبير)) (٢٢/ ٧٦) (١٨٧)، والبيهقيُّ في ((شعب الإيمان)) (٢٢٥٥)، وأبو نعيم في ((معرفة

٢- مِن خَصائصِ هذِه السُّورةِ: أنَّها مِن آخِرِ ما نزَلَ مِنَ القُرآنِ[١]:

فعَن عبدِ اللَّهِ بنِ عَمرٍو رضِي اللهُ عنهما، قالَ: (آخِرُ سُورةٍ أُنزِلَت سورَةُ المائدةِ)[٢].

وعن جُبَيرِ بنِ نُفَيرٍ، أن عائشةَ رضِي اللهُ عنها، قالت له: (يا جُبَيرُ، تَقرَأُ المائدةَ؟ فقال: نَعَم، قالتْ: أمَا إنَّها آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَت)[٣].

٣- مِن خَصائِصِها: أنَّها أجمعُ سُورةٍ في القُرآنِ لفُروعِ الشَّرائعِ، وذُكِر فيها مِن التَّحليلِ والتحريمِ والإيجابِ ما لم يُذكَرْ في غيرِها[٤].

بيانُ المَكِّيِّ والمَدنيِّ:

سُورةُ المَائدةِ سُورةٌ مدَنيَّة، نزلَتْ بعدَ الهِجرةِ، ونقَل الإجماعَ على ذلِك عددٌ

الصحابة)) (٦٤٨٥).

قال الهيثميُّ في ((مجمع الزوائد)) (٧/ ٤٩): فيه عِمران القطَّان، وبقيَّةُ رِجاله ثقاتٌ. وحسَّنه السيوطيُّ في ((الجامع الصغير)) (١١٧١)، وصحَّحه الألباني في ((صحيح الجامع)) (١٠٥٩).

(١) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٥٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٣٢١).

وقيل: إنَّ سورة المائدة مُحكَمةٌ ليس فيها منسوخٌ، وقد وردَ هذا عن ابنِ عبَّاس وعائشةَ وعمرِو ابنِ شُرَحبيلَ وجمعٍ من السَّلفِ.

قال ابنُ حجر: (حتَّى صحَّ عن ابنِ عبَّاسٍ وعائشةَ وعمرِو بنِ شُرَحبيلَ وجمْعٍ مِن السَّلف: أنَّ سورةَ المائدة مُحكَمةٌ) ((فتح الباري)) (٥/ ٤١٢).

(٢) رواه الترمذيُّ (٣٠٦٣)، والحاكم في ((المستدرك)) (٣٢١١)، والبيهقيُّ في ((السنن الكبرى)) (١٣٩٧٩)

قال الترمذيُّ: حسنٌ غريبٌ. وحسَّن إسنادَه الألباني في ((صحيح الترمذي)) (٣٠٦٣).

(٣) تقدم تخريجه

(٤) قال أبو حيَّان: (قد تَضمَّنت هذه السورةُ ثمانيَ عَشْرةَ فريضةً لم يُبيِّنْها في غيرِها) ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ١٥٧). وقال ابنُ عاشور: (احتوتْ هذه السورةُ على تشريعاتٍ كثيرةٍ تُنْبِئُ بأنَّها أُنزلت لاستكمالِ شرائعِ الإسلام) ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٧٢)، ويُنظر: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (١٤/ ٤٤٨).

من المفسِّرينَ[١].

مَقاصِدُ السُّورةِ:

مِن أَهمِّ المقاصدِ التي تَضمَّنَتْها سورةُ المائدةِ:

١- التَّأكيدُ على حِفظِ العُهودِ والمواثيقِ والوفاءِ بها[٢].

٢- بيانُ الكَثيرِ من الأحكامِ الشَّرعيَّةِ[٣].

٣- تَنظيمُ العَلاقاتِ بينَ المسلمينَ وغَيرِهم[٤].

مَوضوعاتُ السُّورةِ:

مِن أَبرزِ الموضوعاتِ التي تناولَتْها سورةُ المائدةِ:

١- تقريرُ العَقيدةِ الصَّحيحةِ، والاهتمامُ بأمورِ التَّوحيدِ، وتَصحيحُ الكثيرِ مِن المعتقَداتِ الباطلةِ، والتذكيرُ بيومِ القيامةِ.

٢- تقريرُ أنَّ الحُكمَ للهِ تعالى وحدَه، وأنَّه لا حُكمَ أحسنُ مِن حُكمِ الله تعالى، مع بيانِ وجوبِ الحُكمِ بما أَنزلَ اللهُ تعالى، وإلغاءِ حُكْمِ الجاهليَّة وتقبيحِه.

٣- التأكيدُ على عقيدةِ الولاءِ والبراء، والتشديدُ على تولِّي المؤمنين، مع التحذيرِ غايةَ التحذيرِ من تولِّي أهلِ الكُفر، وبيانِ أنَّ الذين في قلوبِهم مرضٌ هم المسارِعونَ في تَوَلِّيهم.

---

(١) وممَّن نقَل الإجماعَ على ذلك: ابنُ عطية في ((تفسيره)) (٢/ ١٤٣)، والقرطبيُّ في ((تفسيره)) (٦/ ٣٠)، وابنُ عاشور في ((تفسيره)) (٦/ ٦٩).

(٢) يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (١/ ١٧٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٧٣).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

٤- تنظيمُ علاقاتِ المُسلمينَ مع غيرِهم، خاصَّةً اليهودَ والنَّصارى.

٥- بيانُ كثيرٍ من الأحكامِ الشَّرعيَّة وتوضيحُها؛ فمِن ذلك: الأحكامُ الشَّرعيَّة المتعلِّقة بالعباداتِ والمعاملاتِ؛ كأحكامِ العُقود، والذَّبائح، والصَّيد، والإِحرام، ونِكاح الكتابيَّات، والرِّدَّة، وأحكامِ الطَّهارة، وحَدِّ السَّرِقة، وحدِّ البَغي والإفسادِ في الأرضِ (الحِرابة)، وتحريمِ الخَمْر والميسرِ، وكَفَّارة اليَمين، والنَّهي عن قَتْلِ الصَّيدِ في الإِحرام، والوَصيَّةِ عندَ الموتِ؛ إلى غيرِ ذلك.

٦- اشتملتْ سورةُ المائدةِ على بعضِ القِصصِ، ومِن ذلك قِصَّةُ بني إِسرائيلَ مع موسى عليه السلامُ، وقِصَّة ابنَيْ آدَم، وقِصة المائدة.

٧- بيانُ أحوالِ أهلِ الكتابِ، ونقضِهم للعهودِ وتحريفِهم للكتبِ المنزَّلةِ، ومناقشةُ بعضِ عقائدِهم الزَّائفةِ؛ من نسبةِ الولدِ إلى الله، وإنكار رِسالةَ محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، إلى غير ذلِك من عقائدِهم الباطِلة.



الآيتان (١ - ٢)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾.

غريبُ الكَلِمات:

﴿أَوۡفُواْ﴾: أدُّوا مع التَّمامِ، وأصلُ الوفاء: تمامُ الشَّيءِ، وإتمامُ العَهدِ، والقيامُ بمقتضاه، وإكمالُ الشَّرط[١].

﴿بِٱلۡعُقُودِ﴾: بالعُهودِ الموثَّقةِ، وأصل (عقد) يدلُّ على: شَدٍّ، وشِدَّةِ وُثوقٍ[٢].

﴿بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾: الإبلُ والبَقَر والغَنَم، والبَهيمَةُ: كلُّ ما استَبْهَم عن الجَوابِ، أي: استَغلَق، وما لا نُطْقَ له؛ وإنما قيل للأنعامِ: بَهيمة؛ لأنَّها أبهمتْ عن أن تُميِّزَ، والأنعامُ: أصلُها الإبل، ثم استُعمِلَتْ للبقرِ والغَنَم، وأصل كلمة (نعم): يدلُّ على ترَفُّهٍ، وطِيبِ عَيشٍ، وصلاحٍ[٣].

﴿ٱلصَّيۡدِ﴾: أي: الاصطياد، والصَّيد: هو تناولُ ما يُظفَر به، أو ما كان مُمتنِعًا

---

(١) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦/ ١٢٩)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٧٨)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٧٠)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٢٠٩).

(٢) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٨٦)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٨)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٦).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٣٨)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١١٩)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٤٤٧)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٤٩)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٨)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٦).

ولم يكُن له مالكٌ، وكان حلالًا أكْلُه، وأصلُه: ركوبُ الشَّيءِ رأسَه، ومُضيُّه غيرَ ملتفِتٍ ولا مائلٍ(١).

﴿حُرُمٌ﴾: مُحرِمونَ، جمْع حَرامٍ، وهو بمَعْنَى مُحرِم، مِن: أَحْرم الرَّجلُ بالحجِّ؛ لأنَّه يَحرُم عليه ما كان حلالًا له من الصَّيدِ والنِّساءِ، وغير ذلك، وأصل (حرم): المنْع والتَّشديد(٢).

﴿شَعَآئِرَ﴾: وَاحِدُها شَعيرَة، وهي مَا جعَله الله تعالى عَلَمًا لطاعَتِه، والشَّعائِر: أعلامُ الحجِّ وأَعمالُه، ومشاعِرُ الحجِّ: مواضِعُ المناسِك(٣).

﴿ٱلْهَدْىَ﴾: مُختصٌّ- في هذا الموضِع- بما يُهْدَى إلى البَيتِ من الأنعامِ؛ قربةً إلى الله، والهَديَّة: كلُّ ما يُهدَى إلى ذِي مَوَدَّةٍ(٤).

﴿ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾: ما قُلِّد من الهَدْي، وكانوا يقلِّدونَ البعيرَ من لِحاءِ شَجرِ الحرمِ، فيأمنُ بذلك حيث سلَك، وأصل (قلد): الفَتْل، ويدلُّ على تعليقِ شيءٍ على شيءٍ، وَلَيِّه به(٥).

---

(١) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٣٢٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٩٦)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٨)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٥٣).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٣٨)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٤٥)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٨).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (١ / ٢٨٦)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣ / ١٩٤)، ((المفردات)) للراغب (١ / ٤٥٦)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (١ / ٢٤)، ((التبيان)) لابن الهائم (١ / ٩٨).

(٤) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦/ ٤٣)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٣٩)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٠٤).

(٥) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٣٩)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٢٨٦)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ١٩)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٨)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٧).

﴿ءَآمِّينَ﴾: قَاصِدينَ وعامِدِين إليه، جمْع آمٍّ، وأصل الأَمِّ: القصدُ المستقيم، أو التوجُّه نحو مقصودٍ(١).

﴿فَضۡلٗا﴾: عطاءً زائدًا؛ فأصلُ الفَضلِ الزِّيادةُ؛ وكلُّ عطيَّةٍ لا تلزَمُ مَن يُعطي يُقال لها: فضلٌ، والإفضال: الإحسان(٢).

﴿حَلَلۡتُمۡ﴾: خَرجتُم من إحرامِكم، أو خرجتُم مِن الحرَمِ، وأصل الحَلِّ: حَلُّ العُقدةِ، وفَتْح الشَّيءِ(٣).

﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ﴾: ولَا يَحمِلنَّكم، أو لا يَكْسِبنَّكم، وجَرَم أَيْ: كَسَبَ؛ لأنَّ الَّذي يَحوزُه فكأنَّه اقْتَطَعه، ويقال: جَرَمَ: إذا أَذْنَبَ وَاكْتَسَبَ الإِثْمَ، ولا يكادُ يُقالُ في عامَّةِ كلامِهم للكسْبِ المحمودِ، وأصل (جرم) يدلُّ على القَطعِ(٤).

﴿شَنَـَٔانُ﴾: بَغضاءُ، أو شِدَّةُ البُغض والعداوة؛ يُقال: شَنِئْتُه، أي: تَقذَّرْتُه بُغضًا له(٥).

---

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٣٩)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٥٥)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٢١، ٣٠)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٧)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٧).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٩)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٥٠٨)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٣٩)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٧٢).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٣٩)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٢٠)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٢٥١).

(٤) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٥٠٦)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٤٤٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٩٢)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٨)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٧)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٩٧٧).

(٥) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٠)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٢٨٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٦٥)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٨)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٧)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٥٤١).

مُشْكِلُ الإعراب:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ﴾.

﴿غَيۡرَ﴾: منصوبٌ على أنَّه حالٌ، واختُلِف في صاحبِ الحال؛ فقيل: هو الضمير المجرور في ﴿لَكُم﴾، وهذا قولُ الجمهورِ، وهو مِثْلُ قولِك: أُحِلَّ لك هذا الشَّيءُ لا مُفَرِّطًا فيه ولا مُتَعَدِّيًا، والمعنى: أُحِلَّت لكم بهيمةُ الأنعامِ إلَّا أن تُحِلُّوا الصَّيدَ في حالِ الإحرامِ؛ فإنَّه لا يحِلُّ لكم ذلك إذا كنتم مُحْرمينَ. وقيل: الضَّميرُ المجرورُ في ﴿عَلَيۡكُمۡ﴾، أي: إلَّا ما يُتْلى عليكم حالَ انتفاءِ كونكم مُحِلِّين الصَّيدَ. وقيل: هو ضميرُ الجمعِ في ﴿أَوۡفُواْ﴾، والتقديرُ: أوْفُوا بالعقودِ في حالِ انتفاءِ كونِكم مُحِلِّينَ الصيدَ وأنتم حُرُم[١].

﴿ٱلصَّيۡدِ﴾: مجرورٌ لفظًا، منصوبٌ محلًّا من إضافةِ اسمِ الفاعِلِ إلى مفعولِه، وهو مَصدرٌ بمعنى المفعول، أي: الـمَصِيد، ويجوزُ أنْ يكون على بابِه هاهنا؛ أي: غَيرَ مُحلِّين الاصطيادَ في حالِ الإحرامِ[٢].

---

(١) يُنظر: ((معاني القرآن)) للفراء (١/ ٢٩٨)، ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (١/ ٢١٧)، ((التبيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/ ٤١٥)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ١٧٨- ١٨٥)، ((تفسير الرازي)) (١١/ ٢٧٩).

وقد أورد السَّمين الحلبي مناقشاتٍ كثيرةً في هذه الآية، ثم قال: (وقديمًا وحديثًا استشكل النَّاسُ هذه الآية؛ قال ابنُ عطيَّة: «وقد خلَط النَّاسُ في هذا الموضع في نصب (غير) وقدَّروا تقديماتٍ وتأخيرات، وذلك كله غيرُ مُرضٍ؛ لأنَّ الكلام على اطراده فيُمكن استثناء بعد استثناء»، وهذه الآية ممَّا اتضح للفصحاء البُلغاء فصاحتُها وبلاغتها، حتى يُحكَى أنَّه قيل للكندي: أيُّها الحكيم، اعملْ لنا مثل هذا القرآن، فقال: نعَمْ أعملُ لكم مِثلَ بعضه، فاحتجب أيَّامًا كثيرة، ثم خرج فقال: واللهِ لا يَقدِر أحدٌ على ذلك؛ إنَّني فتحتُ المصحف فخرجتْ سورة المائدة؛ فإذا هو قدْ نَطَق بالوفاء، ونَهَى عن النَّكث، وحلَّل تحليلًا عامًّا، ثم استثنى استثناءً بعدَ استثناءٍ، ثم أَخبَر عن قُدرته وحِكمته في سَطرين!). ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ١٨٤- ١٨٥)، وينظر: ((تفسير ابن عطية)) (٢/ ١٤٥).

(٢) يُنظر: ((التبيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/ ٤١٥)، ((إعراب القرآن)) للدعاس (١/ ٢٤١).

قوله: ﴿وَأَنتُمۡ حُرُمٌ﴾: مبتدأٌ وخبر، والجملةُ في محلِّ نصبٍ حالٌ من الضَّميرِ المُسْتكِنِّ في ﴿مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ﴾، كأنَّه قيل: أَحْلَلْنا لكم بعضَ الأنعام في حالِ امتناعِكم من الصيدِ وأنتم مُحْرِمون؛ لئلَّا تُحرجَ عليكم(١).

المعنى الإجماليُّ:

أَمَرَ اللهُ تعالى المؤمنينَ أنْ يُتمُّوا العُهودَ التي بَيْنه وبَيْنهم، والعهودَ التي بينهم وبين الخَلقِ، والتي لا تُخالِف شَرْعَه، وأخبَرَهم تعالى أنَّه أحلَّ لهم الإبلَ والبقَرَ والغَنَمَ، إلَّا ما سيُقرأ عليهم تحريمُه منها، وهو ما بيَّنه في قولِه سبحانه: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ ...﴾، كما يُستثنى أيضًا صَيدُ البَرِّ فيما لو كانوا داخلَ حدودِ الحرَمِ، أو كانوا مُحرِمينَ بحجٍّ أو عُمرةٍ، إنَّه سبحانه وتعالى يَحكُم بما شاءَ، ويَقضي بما أرادَ.

ثمَّ نَهى سبحانه وتعالى عِبادَه المؤمنين أنْ يَتعدَّوا حُدودَه بتحليلِهم حُرُماتِه التي أُمِروا بتعظيمِها، والتي منها شعائرُ الحجِّ، ولا يَنتهِكوا حُرمةَ الأشهُرِ الحُرُم بابتداءِ القِتال فيها، أو التلبُّسِ فيها بظُلمٍ أو ارتكابِ مُحرَّماتٍ، كما نهاهم عن انتهاكِ ما يُهدَى إلى الحَرَمِ من الأنعامِ؛ بأنْ يَذبَحوها قبلَ بلوغِها مَحِلَّها، أو يَمنعوها من الوصولِ إلى محِلِّها، أو يَنتهكوا الهَديَ التي تُجعَلُ القلائدُ في أعناقِها، ونَهاهم أنْ يستحِلُّوا قِتالَ مَن قصَد البيتَ الحرامَ طلبًا لفَضْلِ اللهِ ورِضوانِه، ثم أباح لهم الصَّيدَ بعد الانتهاءِ من إحرامِهم، وإذا خرجوا مِن الحرَمِ، ثم نهاهم جلَّ وعلا أنْ يَحمِلَهم بُغضُهم وكراهيتُهم لأقوامٍ منعوهم من الوُصولِ للمسجدِ الحرامِ، على أنْ يَعْتدوا عليهم، ويقتصُّوا منهم ظلْمًا وعدوانًا، وأمَرَهم أنْ يتعاونوا على البِرِّ والتقوى، وألَّا يتعاوَنوا على الإثمِ والعُدوان، وأمَرَهم بتقوى الله؛ فإنَّه شديدُ العقابِ.

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٠١)، ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (١/ ٢١٧)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ١٨٥ - ١٨٦).

تَفسيرُ الآيتين:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾.

أي: يا أيُّها المؤمنونَ، قوموا بإتمامِ وإكمالِ جميعِ العُهودِ التي بينكم وبين الخالِقِ سبحانه، وجميعِ العهودِ التي بينكم وبين المخلوقينَ؛ ما لم تُخالِفْ شَرْعَ اللهِ تعالى[(١)].

﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾.

أي: قد أحلَّ اللهُ تعالى لأجْلِكم- أيُّها المؤمنون- الإبلَ والبَقر والغنَم؛ فضلًا منه ورحمةً[(٢)].

﴿إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾.

أي: إلَّا ما سيُتلَى عليكم تحريمُه منها في قولِه سبحانه: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ ...﴾[(٣)] [المائدة: ٣].

﴿غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌ﴾.

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ١١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢١٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٧).
قال ابنُ جريرٍ: (اختلَف أهلُ التأويلِ في العقودِ التي أمَر الله جلَّ ثناؤُه بالوفاءِ بها بهذه الآيةِ، بعدَ إجماعِ جميعِهم على أنَّ معنى العقودِ: العهودُ) ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ١٤-١٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢١٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٧-٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ١٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢١٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٨).

أي: ويُستثنى أيضًا مِن حِلِّ بهيمة الأنعامِ لكم صيدُها وأنتم في الحَرَم، أو وأنتم مُحرِمون بحَجٍّ أو عُمرةٍ[١].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾.

أي: إنَّ الله تعالى يَقضي في خَلْقِه ما يشاءُ، ومن ذلك تحليلُ وتحريمُ ما يشاءُ، وهو الحكيمُ في جميعِ ما يُقدِّره ويَشْرَعُه من أحكامٍ[٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِمَا قَبلَها:

أنَّ الله تعالى لَمَّا حرَّم الصيدَ على المُحرِمِ في الآيةِ الأولى، أكَّدَ ذلك بالنهيِ في هذه الآيةِ عن مخالفَةِ تكاليفِ الله تعالى[٣]، فقال:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾.

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢١٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٨-٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢١)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢١٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٩-١٠).

قال القرطبيُّ: (وهذه الآيةُ مما تلوحُ فصاحتُها وكثرةُ معانيها، على قلَّة ألفاظِها، لكلِّ ذي بصيرةٍ بالكلامِ؛ فإنَّها تضمَّنت خمسةَ أحكامٍ: الأولُ: الأمرُ بالوفاءِ بالعقود. الثاني: تحليلُ بهيمةِ الأنعامِ. الثالثُ: استثناءُ ما يلي بعدَ ذلك. الرابعُ: استثناءُ حالِ الإحرامِ فيما يُصادُ. الخامسُ: ما تقتضيه الآيةُ مِن إباحةِ الصَّيد لمَن ليس بمُحرمٍ). ((تفسير القرطبي)) (٦/ ٣١).

(٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٢٧٩).

أي: يا أيُّها المؤمنون، لا تَنتهِكوا ما حرَّمَ الله تعالى عليكم، ولا تُضَيِّعوا فرائضَه، ومِن ذلك مناسِكُ الحجِّ[1].

﴿وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾.

أي: ولا تَنتهِكوا حُرمةَ الأشهُرِ الحُرُم بابتداءِ القِتالِ فيها، وبغيرِ ذلك من أنواعِ الظُّلْم والمحرَّماتِ[2].

قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: ٣٦].

وعن نُفَيعِ بنِ الحارثِ رَضِيَ الله عنه، أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ قال: ((إنَّ الزمانَ قد استدارَ كهيئَتِه يومَ خلَقَ اللهُ السَّمواتِ والأرضَ؛ السَّنةُ اثنا عشرَ شهرًا، منها أربعةٌ حُرمٌ؛ ثلاثٌ متوالياتٌ: ذو القَعدةِ وذو الحِجةِ والمحَرَّمُ،

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢١٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢١٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٨).

قال ابنُ كثير: (وقد ذهب الجمهور إلى أنَّ ذلك منسوخ، وأنه يجوزُ ابتداء القتال في الأشهر الحرم، واحتجُّوا بقوله: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة: ٥]، قالوا: والمراد أشهرُ التسييرِ الأربعة، ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾، قالوا: فلم يَستثنِ شهرًا حرامًا من غيره) ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٩). ويُنظر: ((تفسير السعدي)) (١/ ٢١٨-٢١٩).

وقال ابن عثيمين: (أمَّا القتالُ في الشهر الحرام، فاختلَفَ فيه العلماء: فمنهم مَن يقول: إنَّه منسوخٌ، ومنهم مَن يقول: إنَّه مُحكَم وليس بمنسوخ؛ فالقائلون بأنَّه منسوخٌ يقولون: إنَّ الرسولَ عليه الصلاة والسلامُ قاتَلَ في الشَّهر الحرام؛ فإنَّه بعدَ فَتْح مكَّة- أي: في رمضان- خرَج إلى هوازنَ وثقيفٍ وقاتَلَهم في ذي القَعدة، وكذلك كانت غزوةُ تبوك في الشهر الحرام في مُحرَّم، وهذا يدلُّ على أنَّ القتالَ في الشهر الحرام نُسِخ تحريمُه، ولكنَّ الصَّحيحَ أنه باقٍ، وأنَّه لا يجوزُ القتالُ في الشَّهر الحرام ابتداءً، أمَّا إذا كان دفاعًا أو امتدادًا لغزوةٍ سابقةٍ؛ فإنَّ ذلك جائزٌ، وعليه تُحمَلُ قِصَّة هوازن وتبوك؛ لأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ إنَّما غزاهم لأنَّه قيل له: إنَّهم قد جمَعوا له، فلا بدَّ من الدِّفاعِ) ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٥).

ورجبُ مُضَرَ[١]، الذي بين جُمادى وشعبانَ))[٢].

﴿وَلَا ٱلْهَدْىَ﴾.

أي: ولا تَنتهِكوا ما يُهدَى إلى الحَرَم من إبلٍ أو بقرٍ أو غنمٍ تقرُّبًا إلى الله تعالى، فلا تذبحوه قبلَ بلوغِه مَحِلَّه، ولا تَحُولوا بينه وبين الوصولِ إلى محِلِّه، بل عَظِّموه[٣].

﴿وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾.

أي: ولا تَنتهِكوا أيضًا الهَدْيَ الذي تُجعَل له قلائدُ في عُنقِه؛ وكانت الهدْيُ تُقلَّدُ إظهارًا لشعائرِ الله تعالى، وحملًا للنَّاسِ على الاقتداءِ، فتَبعَث مَن يراه على الإتيانِ بمثلِه، وتعليمًا لهم للسُّنَّة، وليُعْرَفَ أنه هديٌ فيُحْتَرَم[٤].

﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا﴾.

أي: ولا تستحلُّوا قِتالَ القاصدين إلى بيتِ الله تعالى الحرامِ، الذي مَن دخَلَه

---

(١) ورجبُ مُضرَ: رجَب: هو اسم الشهر الذي بين جُمادى وشَعبان، من رَجِبْتُه، أي: هِبْتُه وعظَّمْتُه، فهو مرجوبٌ؛ ومنه سمِّيَ رجب؛ لأنَّهم كانوا يُعظِّمونه في الجاهليَّة ولا يستحلُّون فيه القِتال، ومضر: اسم قَبيلة، وإنَّما أضيف لهم فقيل: رجَبُ مُضَرَ؛ لأنَّه كان بين بني مُضَر وبين ربيعةَ اختلافٌ في رجب؛ فكانت مُضر تجعَلُ رجبًا هذا الشَّهرَ المعروف الآن، وهو الذي بين جُمادَى وشعبان، وكانوا مُتمسِّكين بتعظيمِه، وكانتْ ربيعةُ تجعلُه رمضانَ؛ فأُضيفَ إلى مُضرَ مبالغةً في إيضاحِه وإزالةً للَبْسْ عنه. وقيل: لأنَّهم كانوا أَشدَّ تَعظيمًا له مِن غيرِهم، فكأنَّهم اختُصُّوا به. ينظر: ((الصحاح)) للجوهري (١/ ١٣٣)، ((النهاية)) لابن الأثير (٢/ ١٩٧)، ((شرح النووي على مسلم)) (١١/ ١٦٨)، ((فتح الباري)) لابن حجر (٨/ ٣٢٥).

(٢) رواه البخاري (٤٦٦٢) واللفظ له، ومسلم (١٦٧٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٦-٣٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ١٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢١٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٩).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢١٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٩).

كان آمنًا، والحالُ أنَّهم طالبونَ فَضلَ الله تعالى بالتِّجارةِ والمكاسِبِ المباحَةِ، أو راغبونَ في رِضوانِه بالحجِّ والعُمرةِ والطَّواف بالبيت، والصَّلاة وغيرِها من أنواعِ العباداتِ، فلا تَصدُّوهم ولا تتعرَّضوا لهم بسوءٍ، ولا تُهينوهم، بل عظِّموا الزَّائرينَ لبيتِ الله عزَّ وجلَّ[١].

﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟﴾.

أي: وإذا فرَغْتُم مِن إحرامِكم بالحجِّ أو العُمرةِ وأحللتُم منه، وخرجتُم من الحَرَم، فلا حَرَج عليكم في اصطيادِ ما كان محرَّمًا عليكم صيدُه[٢].

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟﴾

القِراءاتُ ذاتُ الأثَر في التَّفسيرِ:

في قوله تعالى: ﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾ قِراءتان[٣]:

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ١٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢١٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٩-٢٠).

قال السعديُّ: (هذه الآية الكريمة مخصوصةٌ بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾؛ فالمشرك لا يُمَكَّن من الدُّخول إلى الحرم) ((تفسير السعدي)) (ص: ٢١٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٢-٤٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ١٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢١٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٠-٢١).

قال ابنُ جريرٍ: (يعني بذلك جلَّ ثناؤه: ﴿وإذا حللتم فاصطادوا﴾ الصيد الذي نهيتُكم أن تحلُّوه وأنتم حرمٌ، يقول: فلا حرجَ عليكم في اصطيادِه واصطادوا إن شئتُم حينئذٍ؛ لأنَّ المعنى الذي مِن أجلِه كنتُ حرَّمته عليكم في حالِ إحرامِكم قد زال، وبما قلنا في ذلك قال جميعُ أهلِ التأويلِ) ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٢-٤٣).

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (إِنْ صَدُّوكُمْ) بكَسْر الهمزة، وقرأ الباقون (أَنْ صَدُّوكُمْ) بفتحها. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٣).

ويُنظر لمعنى القراءتين: ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: ٢٢٠)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ١٩٢).

١- قِراءة ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ﴾ بالفتْح على أنَّها عِلَّة للشَّنَآنِ، والمعنى: لا يَحْمِلَنَّكم بغضُكم لقومٍ على الاعتداءِ عليهم؛ لأجْلِ صَدِّهم إيَّاكم عن المسجدِ الحرامِ.

٢- قِراءة ﴿إِنْ صَدُّوكُمْ﴾ بـ (إن) الشرطيَّة، والمعنى: لا يحملنَّكم بُغضُ قومٍ على الاعتداءِ عليهم، إنْ صدُّوكم عن المسجدِ الحرام.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾.

أي: ولا يَحملنَّكم- أيُّها المؤمنون- بُغضُ قومٍ على أن تَعْتَدوا عليهم فتقتَصُّوا منهم ظلمًا؛ طلبًا للاشتفاءِ منهم؛ لأجْل أنْ منعوكم من الوصولِ إلى المسجِدِ الحرام؛ فإنَّ العبدَ عليه أن يلتزمَ أمْرَ الله تعالى، ويَسلُكَ طريقَ العَدْلِ، ولو اعتُدِيَ عليه[1].

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾.

أي: ولْيُعِنْ بعضُكم بعضًا- أيُّها المؤمنون- على فِعْل الطَّاعاتِ، وتَرْكِ المحرَّمات[2].

﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾.

أي: ولا يُعِنْ بعضُكم بعضًا- أيها المؤمنونَ- على اقترافِ المعاصي، وارْتِكابِ الظُّلم، والاعتداءِ على حقوقِ الخَلْق[3].

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٤-٥١)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ١٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢١٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢١-٢٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ١٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢١٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ١٢-١٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢١٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٣).

أي: وامْتَثِلوا ما أمَرَكم اللهُ تعالى به واجتنِبوا ما نهاكم عنه؛ فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ ذو عِقابٍ شديدٍ على مَن عصاه، وتجرَّأَ على محارمِه[١].

الفوائِد التربويَّة:

١- تصدير الآية بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ يدلُّ على فضيلةِ الإيمانِ، وأهميَّة ما يُذكر بعدَ هذا النِّداء، وأنَّه مِن مُقتَضياتِ الإيمانِ؛ تصديقًا به إنْ كان خبرًا، وعملًا به إنْ كان طَلبًا، وأنَّ مخالفةَ ذلك نقصٌ في الإيمانِ، وامتثاله يَزيد به الإيمانُ، وفيه إغراءٌ للمخاطَبِ ؛ لأنَّ قولَه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ كأنَّه يخاطِبُهم بقوله: إنَّ إيمانَكم يحمِلُكم على أنْ تفعلوا كذا وكذا، وأن تتركوا كذا وكذا، حسَبَ السِّياقِ[٢].

٢- وُجوبُ الوفاءِ بالعقود؛ لقوله: ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾؛ لأنَّ الأصلَ في الأمرِ أنَّه للوجوبِ لا سيَّما إذا كان متعلِّقًا بحقِّ الآخَرينَ، والعَقْدُ متعلِّقٌ بحقِّ الآخرين؛ لأنَّه إبرامُ شيءٍ بينك وبين الآخر[٣].

٣- قولُ الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ فيه التنبيهُ على الانقيادِ لله تعالى في جميعِ تكاليفِه وأوامِرِه ونواهيه، فلا يُسألُ عن تَخصيصٍ ولا عن تفضيلٍ، ولا غيرِه[٤].

٤- الإشارةُ إلى أنَّه لا يحلُّ للإنسانِ أن يعترِضَ على الأحكامِ الشرعيَّةِ؛ وجهُ ذلك: أنَّ الله تعالى ختَمَها بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾، وذلك بعدَ أنْ ذكَرَ

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢١٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين – سورة المائدة)) (١/ ٦، ١٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين – سورة المائدة)) (١/ ١١).

(٤) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٧)، ((تفسير الشربيني)) (١/ ٣٥١).

أنواعًا من الأحكامِ[١].

٥- الإرشادُ إلى احترامِ أعظمِ المكانِ: الحَرَمِ، وأكْرَمِ الزَّمان: الشَّهرِ الحرامِ، وما لابَسَهما؛ قال الله تعالى: ﴿لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾[٢].

٦- تعظيمُ الشَّعائرِ؛ لأنَّ اللهَ أضافها إلى نفْسِه، في قوله: ﴿لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾، والمضافُ يَشرُف ويَعظُمُ بحسَبِ المضافِ إليه[٣].

٧- جمَع بين التَّحْليَةِ والتَّخلِيَة في قوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾؛ إذ إنَّ التَّعاوُنَ على البِرِّ والتقوى مِن أركانِ الهدايةِ الاجتماعيَّةِ في القرآن؛ لأنَّه يُوجِبُ على النَّاسِ إيجابًا دِينيًّا أن يُعِينَ بعضُهم بعضًا على كلِّ عملٍ من أعمالِ البرِّ التي تنفَعُ النَّاسَ أفرادًا وأقوامًا في دِينهم ودُنياهم، وكلِّ عَملٍ من أعمالِ التقوى التي يدفعونَ بها المفاسِدَ والمضارَّ عن أنفُسِهم، فجَمَعَ بذلك بين التحلِيَة والتخْلِيَة، ولكنَّه قدَّم التحليَة بالبرِّ، وأكَّدَ هذا الأمْرَ بالنَّهيِ عن ضدِّه؛ وهو التعاونُ على الإثمِ بالمعاصي وكلِّ ما يعوقُ عن البِرِّ والخيرِ، وعلى العُدوانِ الذي يُغْري الناسَ بعضَهم ببعضٍ، ويجعلُهم أعداءً متباغِضينَ يتربَّصُ بعضُهم الدوائِرَ ببعضٍ[٤].

٨- نَدَبَ اللهُ سبحانَه إلى التَّعاونِ على البِرِّ، وقَرَنَه بالتَّقوى له، فقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾؛ لأنَّ في التَّقوى رِضا اللهِ تعالى، وفي البِرِّ رِضا النَّاسِ، ومَن جَمَعَ بين رِضا الله تعالى ورِضا النَّاسِ؛ فقد تمَّتْ سَعادَتُه، وعَمَّتْ نِعمَتُه[٥].

---

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٧).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٦/ ١١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين – سورة المائدة)) (١/ ٢٥).

(٤) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ١٠٨).

(٥) ينظر: ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي، ((تفسير القرطبي)) (٦/ ٤٧).

الفوائِد العِلميَّة واللَّطائفُ:

١- وجوبُ الوفاءِ بالشُّروطِ المشترَطَةِ في العقدِ، فإذا عقَدَ رجلانِ بينهما عقدَ بيعٍ أو غيره، واشترطَا شروطًا، فالأصلُ وجوبُ الوفاءِ بالشُّروط؛ وذلك لأنَّ قولَه: ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ يشمَلُ الوفاءَ بالعقدِ نفْسِه، وبأوصافِه التي هي شروطُه، فإذا اشترَطَ المتعاقدانِ شرطًا، وحصَل نِزاعٌ في هذا الشَّرطِ، فالصوابُ أنَّ هذا الشرطَ يصحُّ حتى يُقيمَ المانِعُ دليلًا على المنع(١).

٢- يُستفاد مِنْ قَوْلِه: ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ أنَّ جميعَ العقودِ حلالٌ؛ وجهُ ذلك: أنَّ اللهَ أمَرَ بالوفاءِ بها، واللهُ تعالى لا يأمُرُ بالوفاءِ بالفحشاءِ أبدًا، ولكنَّ هذا ليس على عمومِه؛ إذ يُستثْنَى منها ما حَرَّمه الشَّرعُ؛ كبيعِ الغَرَر، والبيعِ بالرِّبا، والقِمارِ، وما أشْبَهَ ذلك(٢).

٣- يُستفاد مِنْ قَوْلِه: ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ أنَّ العقودَ تنعقِدُ بما دلَّ عليها مِن قولٍ أو فِعلٍ، بلفظٍ أو إشارةٍ أو كتابةٍ؛ وجْهُ ذلك أنَّ الله جلَّ وعلا أطلَقَ العقدَ، فكلُّ ما كان عقْدًا بين النَّاسِ فهو عقْدٌ(٣).

٤- قوله: ﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ مُجمَلٌ؛ لأنَّ الإحْلالَ إنَّما يُضافُ إلى الأفعالِ، وهاهنا أُضيفَ إلى الذَّاتِ، فتعذَّر إجراؤُه على ظاهِرِه؛ فلا بُدَّ من إضمارِ فِعلٍ، وليس إضمارُ الأفعالِ أَوْلى من بعضٍ، فيَحتمِل أن يكون المرادُ إحلالَ الانتفاعِ بجِلْدِها، أو بعَظْمِها، أو صُوفِها، أو لَحْمِها، أو المرادُ إحلالَ الانتفاعِ بالأكْلِ، فصارتِ الآيةُ مُجملةً، إلَّا أنَّ قولَه تعالى: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾ [النحل: ٥] دلَّ على أنَّ المرادَ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين – سورة المائدة)) (١/ ١٢).
(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ١١).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين – سورة المائدة)) (١/ ١١-١٢).

بِقَوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ إباحةُ الانتفاعِ مِن كلِّ هذه الوجوهِ، والله أعلم[١].

٥- قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ فيه تعظيمُ الإحرامِ، وأنَّه يحرُمُ على المُحْرِمِ الصَّيدُ[٢].

٦- تحريُم إحلالِ الشَّهرِ الحرامِ بالقتالِ، وكذلك أيضًا بالمعاصي؛ فإنَّها في هذه الأشهرِ الحُرُم أعظمُ من المعاصي في غيرها، قال تعالى: ﴿لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾[٣].

٧- احترامُ الهَديِ وتحريمُ إحلالِه؛ لقوله: ﴿وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾[٤].

٨- في قوله: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ حثٌّ على احترامِ الحُجَّاجِ والعُمَّارِ، وهذا يُفيدُ أنَّ العُدوانَ عليهم أشدُّ مِنَ العُدوانِ على غَيرِهم[٥].

٩- الإشارةُ إلى مِنَّةِ اللهِ عزَّ وجلَّ على هؤلاءِ الذين قَصَدوا البيتَ الحرامَ؛ وجْهُ ذلك أنَّ إضافةَ الربوبيَّةِ إليهم في قوله: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا﴾ دليلٌ على عنايَتِه تبارك وتعالى بهم، ومن ذلك أنْ وفَّقَهم للحضورِ إلى المسجِدِ الحرامِ، فالربوبيَّة نوعان: عامَّة، وخاصَّة، وإليهما الإشارةُ في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢١- ١٢٢]، فقوله: ﴿بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ربوبيَّة عامَّة، وقوله: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ ربوبيَّة خاصَّة[٦].

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ١٦٦).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين – سورة المائدة)) (١/ ١٧).
(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٥).
(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).
(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٧).
(٦) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين – سورة المائدة)) (١/ ٢٨).

١٠- إثباتُ حُرْمة المسجِدِ الحرام؛ لقوله: ﴿أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، أي: ذي الحرمةِ والتعظيمِ، وهو أوَّلُ بيتٍ وُضِع للنَّاس ليتعبَّدوا الله فيه[١].

بلاغَةُ الآيتين:

١- قَوْلُه تعالى: ﴿أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾: فيه تعريفُ (العقود) تعريفَ الجِنس؛ للاستغراقِ؛ فشَمِلَ العقودَ التي عاقَد المسلمونَ عليها ربَّهم، وشَمِل العقودَ التي عاقد المسلمون عليها المشركينَ، ويشمَلُ العقودَ التي يتعاقَدُها المسلمونَ بينهم[٢].

٢- قوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ تمهيدٌ لِمَا سَيرِدُ بَعدَها من المنهيَّات: كقولِه: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾، وفي الابتداءِ بذِكرِ بَعضِ المباحِ امتنانٌ وتأنيسٌ للمُسلِمين؛ ليتلقَّوا التكاليفَ بنفوسٍ مُطمئِنَّةٍ؛ فهي جملةٌ مستأنفةٌ استئنافًا ابتدائيًّا؛ لأنَّها تصديرٌ للكلام بعد عنوانِه، وهو قوله تعالى: ﴿أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾[٣].

- وإضافة البهيمة إلى الأنعامِ للبيانِ مِن إضافةِ العامِّ للخاصِّ، وهي الإضافةُ التي بمعنى «مِن»، ومعناه: البَهيمةُ مِن الأنعام، وفائدتُها: الإشعارُ بعِلَّة الحُكم المشترَكة بين المضافينِ؛ كأنَّه قيل: أُحلَّت لكم البهيمةُ الشَّبيهةُ بالأنعامِ التي بُيِّن إحلالُها فيما سبَق، المماثِلَةُ لها في مَناطِ الحُكم[٤].

- وفي آية أخرى: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [الحج: ٣٠]، فالفائدةُ في زِيادة لفظ (البهيمة) في هذه الآية: التأكيدُ؛ إذ المرادُ بالبهيمة وبالأنعام شيءٌ واحد[٥].

---

(١) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٢، ٣٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٧٤).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٦/ ٧٧- ٧٨).

(٤) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٠٠)، ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١١٢)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٧٨).

(٥) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٢٧٧).

- وتقديم الجارِّ والمجرور ﴿لَكُم﴾ على القائمِ مقام الفاعلِ ﴿بَهِيمَةُ﴾؛ لإظهارِ العناية بالمقدَّم؛ لِمَا فيه من تَعجيلِ المسرَّةِ والتَّشويقِ إلى المؤخَّرِ، فإنَّ ما حقُّه التقديمُ إذا أُخِّرَ تبقى النَّفسُ مترَقِّبةً إلى ورودِه، فيتمكَّن عندها تَمكُّنًا زائدًا(١).

٣- قوله: ﴿لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ فيه: النَّهيُ عن إحلالِها؛ مبالغةً في النهيِ عن التعرُّضِ للهَدْي(٢)، فلمَّا حرَّم الصيدَ على المُحرِمِ في الآيةِ الأولى أكَّد ذلك بالنَّهيِ في هذه الآيةِ عن مخالفةِ تكاليفِ اللهِ تعالى(٣).

- وإضافة قوله: ﴿شَعَٰٓئِرَ﴾ إلى الله عزَّ وجلَّ؛ لتشريفِها، وتهويلِ الخَطْب في إحلالِها(٤).

- وقوله: ﴿وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾: عُطِفَت ذواتُ القلائِد مِن الهَدْي على الهَدْيِ؛ مبالغةً في التوصيةِ بها؛ لأنَّها أشرفُ الهَدْيِ، ويُحتَمَل أن يكون النَّهيُ عن التعرُّضِ لنفْسِ قَلائِدِ الهَدي؛ مبالغةً في النَّهيِ عن التعرُّضِ للهَدْي، على معنى: لا تُحِلُّوا قلائِدَها، فضلًا عن أن تُحِلُّوها(٥).

٤- قوله: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا﴾ فيه: تنكيرُ قوله: ﴿فَضْلًا﴾، و﴿وَرِضْوَٰنًا﴾؛ للتفخيمِ، وإضافةُ الربِّ إلى ضميرِ الآمِّينَ في قوله: ﴿رَّبِّهِمْ﴾؛ للإيماءِ إلى اقتصارِ التشريف عليهم، وحرمانِ المخاطَبين عنه، وعن نَيْلِ

(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٢).
(٢) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١١٢).
(٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٢٧).
(٤) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٣).
(٥) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٢٨٠)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ١٦٦)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٨٢).

المبتغَى، وفي ذلك من تعليلِ النَّهيِ وتأكيدِه، والمبالغةِ في استنكارِ المنهيِّ عنه؛ ما لا يَخفَى[١].

٥- **قوله:** ﴿وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْ﴾ **فيه**: تصريحٌ بمفهومِ قولِه: ﴿غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌ﴾ لقَصْدِ تأكيدِ الإباحةِ[٢].

٦- قوله: ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ فيه: تأكيدٌ لمضمون قوله: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾؛ لأنَّ الأمرَ بالشيءِ وإنْ كان يتضمَّن النهيَ عن ضدِّه، فالاهتمامُ بحُكم الضدِّ يَقتضي النهيَ عنه بخصوصِه[٣].

٧- قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ كرَّر الأمْر بالتقوى مُطلقةً فيه، وإنْ كان قد أمَر بها في قوله: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾؛ تأكيدًا لأمْرِها، وإشارةً إلى أنَّها الحاملةُ على كلِّ خيرٍ[٤].

٨- قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ فيه: تعريضٌ بالتَّهديدِ والوعيدِ[٥]، مع ما فيه من تأكيدِ الخبرِ بـ (إنَّ)، واسميَّةِ الجملةِ.



(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٤).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٨٥).
(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٦/ ٨٨).
(٤) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ١٧٠)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ١٠).
(٥) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٢٨٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٨٨).

الآية (٣)

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣)﴾.

غريبُ الكَلِمات:

﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾: أي: رُفِع فيه الصَّوتُ بتسميَةِ غيرِ الله، أو ما ذُبِحَ لغيرِ الله، وأصْل (هلل): يَدلُّ على رفْعِ صوتٍ، ومنه قولهم: أهلَّ بالحجِّ: رفَع صوتَه بالتَّلبيَةِ[(١)].

﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾: التي تموتُ خنقًا، وهو حبسُ النَّفَس، سواءٌ فعَل بها ذلك آدميٌّ، أو اتَّفق لها ذلك في حَجَرٍ أو شجرةٍ أو بحبلٍ أو نحوه، وأصل (خنق): يدلُّ على ضِيق[(٢)].

﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾: المقتولةُ بالضَّربِ، والوَقْذ: الإيلامُ بالضَّرْب، وأصْل (وقذ): يدلُّ على ضربٍ بخَشَب[(٣)].

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٦٩)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦/ ١١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٤٣)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٢٦)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٠٠)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٢١١).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٠)، ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٦)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٢٢٤)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٣٠٠)، ((تفسير ابن عطية)) (٢/ ١٥٠).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٠)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦/ ١٣٢)،

﴿وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ﴾: الواقعةُ من جَبَلٍ أو حائطٍ، أو في بِئر؛ يُقال: تردَّى: إذا سقَط، وأصله يدلُّ على رمْيٍ أو ترامٍ، وما أشبهَ ذلك[(١)].

﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾: المنطوحةُ التي نطحتْها شاةٌ أو بقرةٌ فماتتْ[(٢)].

﴿ذَكَّيۡتُمۡ﴾: ذبَحتُم، فقطعْتُم أوداجَه، وأنهَرْتم دمَه، وذكرتُم اسمَ الله تعالى إذا ذبَحْتُموه، وأصلُ الذَّكاة: تمامُ الشَّيْء[(٣)].

﴿ٱلنُّصُبِ﴾: الحَجَر، أو الصَّنَم الذي يَذبحونَ عنده، أو يُنصَب للعبادةِ، وجمْعُه أنصابٌ، وقيل: النُّصُب جمعٌ مفردُه نَصِيبٌ، وأصلُ (نصب): يدلُّ على إقامةِ شيءٍ، وإهدافٍ في استواءٍ[(٤)].

﴿تَسۡتَقۡسِمُواْ﴾: تطلُبوا عِلمَ ما قُسِمَ لكم، والاستقسامُ بها: أن يُضربَ بها، ثم يُعمَلَ بما يَخْرُجُ فيها من أمْرٍ أو نهيٍ، وأُخِذ الاستقسامُ من القَسْم، وهو النَّصيبُ، كأنَّه طَلَبُ النَّصيبِ[(٥)].

((المفردات)) للراغب (ص: ٨٧٩)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٨)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٧)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٨٧٧).

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٠)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٥٠٦)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٨)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٧)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٨٧٧).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٠)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٤٤٢)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨١١)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٨)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٧)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٨٧٧).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٠)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٢٢٨)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٨)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٧)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٤٦٤).

(٤) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٠) و(ص: ٤٨٦)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٤٣٤)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٨)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٧).

(٥) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٧٠)، ((تذكرة

﴿بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾: جمْعُ زَلَم وزُلَم، وهي القِداحُ التي كانوا يَضربونَ بها على المَيسرِ ويَستَقْسِمون بها، أو هي سِهامُ العربِ، وأصل (زلم): يدلُّ على نحافةٍ ودِقَّةٍ في مَلاسةٍ[1].

﴿فِسْقٌ﴾: خروجٌ عن حدودِ الشَّرع؛ من قولهم: فَسَق الرُّطَب، إذا خرَج عن قِشْرِه، والفُسُوق: الخروجُ من الطاعة إلى المعصِيَة، والخروجُ من الإيمانِ إلى الكُفرِ[2].

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾: فلا تَخافوهم، والخَشْيةُ: أكثرُ ما تكونُ عن عِلمٍ بما يُخشَى منه، وقيل: هي خوفٌ يشوبُه تعظيمٌ، وأصل خَشِيَ: فواتٌ بالكليَّةِ يدلُّ على خوفٍ وذُعْرٍ[3].

﴿مَخْمَصَةٍ﴾: أي: مجاعةٍ؛ مُشتقَّةٌ من خَمْصِ البَطن، أي: ضُمورِه، وأصلُ (خمص): يدلُّ على الضُّمْرِ والتَّطامُنِ[4].

﴿مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾: مُنحرِفٍ، مائلٍ إلى ذلك متعمِّدًا، بأنْ يأكُلَ بعدَ زوالِ الضَّرورة، أو يأكُلَ فوقَ الشِّبَع، وأصلُ الجنف: الميلُ ميلًا ظاهِرًا، والعدولُ عن

الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٩).

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤١)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٥٥)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ١٨)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٩)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٨)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٨٢).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٣٦٨)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٣٦، ٨١٩)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١١٧)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٦٩٣).

(٣) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ١٨٤)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٢٨٣)، ((مدارج السالكين)) لابن القيم (١/ ٥٠٨)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٨٢)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٤٢٨).

(٤) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٤١٤)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٢١٩)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٢٩٩)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ١٤٩)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٨)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٨٧٧).

الحقِّ[١].

المعنى الإجماليُّ:

يُبيِّن اللهُ تعالى لعبادِه المؤمنين أنَّه حرَّم عليهم أكْلَ ما مات من الحيوانِ دون ذَكاةٍ ولا اصطيادٍ، وحرَّم عليهم أكْلَ الدَّمِ المسفوحِ، ولحمِ الخنزيرِ، وأكْلَ ما ذُكِرَ عليه غيرُ اسمِ الله عند ذَبْحه، ثم ذَكَر سبحانه أنواعًا أُخرى مِن المحرَّمات: وهي ما يموت بالاختناقِ من البَهائم، وما ضُرِبَ بشيءٍ ثقيلٍ غيرِ محدَّدٍ حتى مات، والبهيمةُ التي تتردَّى من مكانٍ عالٍ فتموت نتيجةَ سقوطِها، والتي ماتتْ بسبب نطْحِ غيرِها لها، والتي عدَا عليها سَبُعٌ- كأسدٍ أو ذئبٍ وغيرهما- فماتتْ بذلك، إلَّا ما أمكَنَ تدارُكُه بالذَّكاةِ مِن هذه الأنواعِ، وكانت فيه حياةٌ، فإنَّه يجوز أكْلُه، كما حَرَّم عليهم سبحانه وتعالى ما ذُبِحَ عند الأوثان تقرُّبًا لها، وحرَّم عليهم أن يَطلُبوا عِلمَ ما قُسِمَ لهم، باستخدامِ الأقداحِ؛ كما يَفعل أهلُ الجاهليَّة، فإنَّ كلَّ ما سبق ممَّا حرَّمه الله خروجٌ عن طاعة الله إلى معصيته، ثم أخبَرَ تعالى أنَّ الكفَّار انقطعَ طمعُهم من أن يرتدَّ المؤمنونَ عن دِينهم يوم عرفةَ في حجَّةِ الوداعِ؛ يومَ نَزَلَت هذه الآيةُ؛ فلا يَنبغي للمسلمينَ أن يخافوهم، بل عليهم أن يخافوا اللهَ تعالى؛ فهو في هذا اليومِ أكْمَلَ للمؤمنين دِينَهم، وأَتَمَّ عليهم نِعمتَه، ورَضِيَ لهم دِينَ الإسلام دينًا يتقرَّبون به إلى الله، فمْن ألجأتْه الضرورةُ إلى أكْل شيءٍ من المحرَّماتِ التي ذَكَرَها الله في الآية، غيرَ مُريدٍ للحرامِ، فله تناوُلُ ما يدفع حاجتَه، واللهُ غفورٌ رحيمٌ.

تفسيرُ الآيةِ:

﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤١)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٤٣٦)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١ / ٤٨٦)، ((المفردات)) للراغب (١ / ٢٠٧)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٩)، ((التبيان)) لابن الهائم (١ / ١٠٢، ١٤٨).

وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣﴾﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِمَا قَبلَها:

لَمَّا قال تعالى في أوَّل السُّورةِ: ﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ ثم ذكَر فيه استثناءَ أشياءَ تُتلَى عليهم في قَوْلِه: ﴿إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾- ذَكَر هنا تلك الصُّوَرَ المستثناةَ من ذلك العمومِ(١)، فقال:

﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾.

أي: حرَّم اللهُ تعالى عليكم- أيُّها المؤمنونَ- أكْلَ المَيْتَة، وهي: ما مات مِن الحيوان حتْفَ أنفِه، من غير ذكاةٍ شرعيَّة، ولا اصطيادٍ(٢).

﴿وَٱلدَّمُ﴾.

أي: وحرَّم عليكم أيضًا أكلَ الدَّمِ المسفوحِ(٣)، كالذي يخرُج عند الذَّكاةِ، أو

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٢٨٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٣-٥٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ١٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢١٩-٢٢٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٥).
ويُستثنى من الميتات الجراد والسمك. يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ١٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ١٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٧).
قال ابن جرير: (فأمَّا ما كان قد صارَ في معنى اللَّحْمِ كالكَبِدِ والطِّحال، وما كان في اللَّحمِ غير مُنسفِح؛ فإنَّ ذلك غيرُ حرامٍ؛ لإجماعِ الجميعِ على ذلك) ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٤).

يخرج عند فصْد العِرْقِ، وما أشبهَ ذلك(١).

قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥].

﴿وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾.

أي: وحرَّم عليكم أكْلَ الخِنزيرِ؛ إنسيِّه ووحشيِّه، وظاهِرِه وباطِنِه؛ فجميعُ أجزائِه مُحرَّمٌ أكْلُها(٢).

﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾.

أي: وحرَّم عليكم أيضًا أكْلَ ما ذُبِحَ فذُكر عليه غيرُ اسمِ الله عزَّ وجلَّ(٣).

﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾.

أي: وحرَّم عليكم أيضًا أكْلَ ما يموتُ بالخَنقِ، سواءٌ بنفسها؛ كإدخالِها رأسَها في شيءٍ ضيِّقٍ، فتعجِز عن إخراجِه حتى تموتَ، أو بخنْقِ غيرِها لها(٤).

﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾.

أي: وحرَّم عليكم أيضًا أكْلَ الموقوذةِ، وهي التي تُضرَب بشَيءٍ ثقيلٍ غير

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ١٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٤-٥٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ١٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٧-٣٨).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ١٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٨).

قال ابنُ عطية: (قوله تعالى: ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ معناه التي تموتُ خَنقًا، وهو حَبسُ النَّفَس، سواءٌ فَعَل بها ذلِك آدميٌّ، أو اتَّفق لها ذلك في حجرٍ أو شجرةٍ، أو بحبلٍ أو نحوِه، وهذا إجماعٌ) ((تفسير ابن عطية)) (٢/ ١٥٠).

محدَّدٍ حتى تموتَ، كالتي تُضرَب بعصًا، أو حصًى، أو خَشبةٍ[(١)].

عن عَديِّ بن حاتمٍ الطائيِّ رضي الله عنه، قال: ((قلتُ: يا رسولَ اللهِ، إني أُرسِلُ الكِلابَ المُعلَّمَةَ، فيُمْسِكْنَ عليَّ، وأذكرُ اسمَ اللهِ عليه؟ فقال: إذا أرسلتَ كلبَكَ المُعلَّمَ، وذكَرْتَ اسمَ اللهِ عليه، فكُلْ، قلتُ: وإنْ قتلْنَ؟ قال: وإنْ قتلْنَ! ما لم يَشرَكْها كلبٌ ليس معها، قلتُ له: فإنِّي أَرْمي بالمِعراضِ[(٢)] الصَّيدَ، فأصيبُ؟ فقال: إذا رَميتَ بالمعراضِ فخَرَق، فكُلْهُ، وإنْ أصابَه بعَرْضِه، فلا تأكُلْه))[(٣)].

﴿وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ﴾.

أي: وحرَّم عليكم أيضًا أكْلَ المتردِّيَة، وهي التي تَسقُط من موضعٍ عالٍ فتموتُ بذلك[(٤)].

﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾.

أي: وحرَّم عليكم أيضًا أكْلَ المنطوحةِ، وهي التي ماتتْ بسبب نَطْحِ غيرِها لها[(٥)].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ١٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٨).

(٢) المِعْراض- بكسر الميم-: سهمٌ بلا رِيش ولا نَصْل، وإنَّما يُصيب بعَرضِه دون حَدِّه. يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (٣/ ٢١٥).

(٣) رواه مسلم (١٩٢٩).

قال ابنُ كثير: (ففرَّق بين ما أصابه بالسَّهم، أو بالْمِزْراق [الرمح الصَّغير] ونحوِه بحَدِّه فأحلَّه، وما أصابَه بعُرْضِه فجعله وقيذًا فلم يُحلَّه، وقد أجمعَ الفقهاءُ على هذا الحُكم هاهنا) ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٨).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٢١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٨).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٩-٦٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٢٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٨-٣٩).

﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾.

أي: وحرَّم عليكم أيضًا أكْلَ التي عَدَا عليها سَبُعٌ، كالأسدِ أو الفهد أو النَّمِر وغيرها، فأكَلَ بعضَها فماتتْ بذلك[١].

﴿إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ﴾.

أي: إنَ أمكنَ تَداركُ المُنخَنِقةِ والموقوذةِ والمتردِّيةِ والنَّطيحةِ وما أكَلَ السَّبعُ- إنْ أمكن تَداركُها بذَكاةٍ شرعيَّة، وفيها حياةٌ مستقرَّة؛ فإنَّه يحِلُّ أكلُها[٢].

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾.

أي: وحرَّم عليكم أيضًا أكلَ ما ذُبِحَ عند الأوثانِ تقربًا لها[٣].

﴿وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِ﴾.

أي: وحرَّم عليكم- أيُّها المؤمنون- الاستقسامَ بالأزلامِ، وقد كانتِ العربُ في جاهليَّتِها يَتعاطَون ذلك، وهي عبارةٌ عن قِداحٍ ثلاثة، مكتوبٌ على أحدها: «افْعَلْ»، وعلى الآخر: «لا تفعَلْ»، والثالث ليس عليه شيءٌ. وقِيل: كان يُكتَب على الواحِدِ منها: «أَمَرني ربِّي»، وعلى الآخر: «نَهاني ربي»، والثالث ليس عليه شيء، فإذا أجالَها فطَلَع السَّهمُ الآمِرُ فَعَلَه، أو الناهي ترَكه، وإنْ طلع الفارغُ أعاد الاستقسامَ، حتى يخرجَ أحدُ القَدَحين الآخَرين فيعمل به[٤].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٢٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٧-٦٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٢٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٩-٤٠).

وأَدْخَل ابنُ جرير فيها: ما أُهلَّ لغير الله تعالى به. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٧-٦٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٢٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٩-٤٠).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٧٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٢٤)، ((تفسير السعدي)) (ص:

﴿ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ﴾.

أي: إنَّ سائرَ الأمورِ التي حرَّمها الله تعالى في هذه الآية- كأكْلِ المَيْتَة والدَّمِ ولحمِ الخنزير، والاستقسامِ بالأزلام، وغيرِ ذلك- خروجٌ عن طاعةِ الله تعالى إلى مَعصِيَته[١].

﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ﴾.

أي: الآنَ (والمرادُ باليومِ يومُ عَرفَةَ في حَجَّةِ الوداعِ) انقطَع طمَعُ الكفَّار والمشركينَ من أن ترتدُّوا عن دِينِكم- أيُّها المؤمنون[٢].

﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ﴾.

أي: فلا تَخافُوا من المشركين، وخافوني[٣].

﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾.

أي: اليومَ (وهو يومُ عَرفةَ في حَجَّةِ الوداعِ) أكملتُ لكم دِينَ الإسلامِ- أيُّها المؤمنونَ[٤].

---

٢٢٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤١-٤٢).

قال ابنُ كثير: (قد أمَرَ الله المؤمنين إذا تردَّدوا في أمورهم أن يستخيروه بأنْ يَعبُدوه، ثم يسألوه الخِيرَةَ في الأمْر الذي يُريدونه) ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٢٥).

وقال السعديُّ: (فحرَّمه الله عليهم، الذي في هذه الصورة وما يُشبهه، وعوَّضهم عنه بالاستخارة لربِّهم في جميع أمورهم) ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٠).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٧٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٧٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٢٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٢-٤٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٧٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٢٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٣).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٨٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٢٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٠).

﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾.

أي: وأتممْتُ عليكم نِعمتي - أيُّها المؤمنون - بإظهارِكم على المشركينَ، ونفْيِي إيَّاهم عن بلادِكم، وقطعي طمَعَهم في عودِكم إلى الشِّركِ، وإكمالِ دِينِكم[1].

قال ابنُ جريرٍ: (وأَوْلى الأقوالِ في ذلك بالصَّوابِ أن يُقالَ: إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ أخبرَ نبيَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم والمؤمنينَ به؛ أنَّه أكمَلُ لهم - يومَ أنزَلَ هذه الآيةَ على نبيِّه - دينَهم، بإفرادِهم بالبَلَدِ الحَرامِ، وإجلائِه عنه المشركينَ، حتى حجَّه المسلمونَ دونهم، لا يُخالِطُهم المشركونَ، فأمَّا الفرائِضُ والأحكامُ، فإنَّه قد اختُلِفَ فيها، هل كانت أُكمِلَت ذلك اليومَ أم لا؟ ... ولا يدفَعُ ذو عِلمٍ أنَّ الوَحيَ لم ينقطِعْ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إلى أن قُبِضَ، بل كان الوحيُ قبل وفاتِه أكثَرَ ما كان تتابُعًا، فإذا كان ذلك كذلك، وكان قولُه: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] آخِرَها نزولًا، وكان ذلك من الأحكامِ والفرائِضِ - كان معلومًا أنَّ معنى قولِه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] على خلافِ الوَجهِ الذي تأوَّلَه مَن تأوَّلَه؛ أعني: كمالَ العباداتِ والأحكامِ والفرائِضِ) ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٨٢).

وقال ابنُ عَطيَّة: (وهذا الإكمالُ عندَ الجمهورِ، هو الإظهارُ واستيعابُ عُظْمِ الفرائض والتَّحليلِ والتَّحريم. قالوا: وقد نزَل بعدَ ذلك قرآنٌ كثيرٌ، ونزلتْ آية الرِّبا، ونزلت آيةُ الكلالة إلى غير ذلك، وإنَّما كَمَّل عُظْمَ الدِّين، وأمْرَ الحجِّ أنْ حجُّوا وليس معهم مشركٌ) ((تفسير ابن عطية)) (٢/ ١٥٤).

وقال ابنُ رجب: (إكمال الدِّين في ذلك اليومِ حَصَل من وجوه؛ منها: أنَّ المسلمين لم يكونوا حجُّوا حَجَّةَ الإسلام بعد فَرْض الحجِّ قبل ذلك، ولا أحدٌ منهم، هذا قول أكثرِ العلماء أو كثيرٍ منهم، فكمَّل بذلك دِينَهم؛ لاستكمالهم عملَ أركان الإسلام كلها. ومنها: أنَّ الله تعالى أعاد الحجَّ على قواعد إبراهيم عليه السلام، ونفَى الشركَ وأهلَه، فلم يختلطْ بالمسلمين في ذلك الموقفِ منهم أحدٌ) ((لطائف المعارف)) (ص: ٢٧٩). ويُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٠٣-١٠٥).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٨٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٢٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٤).

قال ابنُ رجب: (وأمَّا إتمام النِّعمة فإنما حصَل بالمغفرة، فلا تتمُّ النعمة بدونها، كما قال لنبيِّه صلَّى الله عليه وسلَّمَ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢]، وقال تعالى في آية الوضوء: ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، ومن هنا استنبط مُحمَّدُ بن كعبٍ القرظيُّ بأنَّ الوضوء يُكفِّر الذنوب، كما وردتِ السُّنة بذلك صريحًا، ويشهد له أيضًا أنَّ النبي صلَّى الله عليه وسلَّمَ سمع رجلًا

﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.

أي: واخترتُ واصطفيتُ لكم الإسلامَ دينًا، فكما ارتضيتُه لكم؛ فارْضَوْه أنتم لأنفُسِكم، وقوموا به والْزموه، ولا تتَّخذوا دِينًا سواه[١].

عن طارِقِ بنِ شِهابٍ، قال: (جاء رجلٌ مِن اليهودِ إلى عُمرَ، فقال: يا أميرَ المُؤْمِنينَ؛ آيةٌ في كِتابِكم تَقْرؤونَها، لو علينا نَزَلتْ- مَعْشرَ اليهودِ- لَاتَّخَذْنا ذلك اليومَ عِيدًا، قال: وأيُّ آيةٍ؟ قَالَ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فقال عُمرُ: إنِّي لَأعْلَمُ اليومَ الَّذي نَزَلَتْ فيه، والمكانَ الَّذي نزلَتْ فيه، نزلَتْ على رسُولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسَلَّم بعَرفاتٍ في يومِ جُمُعَةٍ)[٢].

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ﴾.

أي: فمَن ألجأتْه الضرورةُ لأكْلِ شيءٍ من هذه المحرَّماتِ، التي ذَكَرها اللهُ تعالى في هذه الآيةِ[٣].

﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾.

أي: غيرَ مُريدٍ لهذه المحرَّماتِ؛ بألَّا يأكُلَ حتى يُضطَرَّ، ولا يَزيدَ في الأكْلِ

يدعو ويقول: اللهمَّ إنِّي أسالك تمامَ النِّعمة، فقال له: «تمامُ النِّعمة: النجاة من النار، ودخولُ الجنة»، فهذه الآية تَشهَد لِمَا رُوي في يوم عرفةَ أنَّه يوم المغفرة والعِتق من النار) ((لطائف المعارف)) (٢٧٩-٢٨٠).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٨٤-٨٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٢٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٥)، ومسلم (٣٠١٧) واللفظ له.

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٩١-٩٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٢٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٠-٢٢١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٤-٤٥).

على كِفايتِه[١].

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

أي: فله تناولُ ذلك، واللهُ غفورٌ له؛ لأنَّه تعالى يعلَمُ حاجةَ عبْدِه المضطرِّ، وافتقارَه إلى ذلك؛ فيتجاوزُ عن أكْلِ ما حرَّمَه، ورحيمٌ به حيثُ أباحَ له الأكْلَ في هذه الحالِ[٢].

الفوائِد التربويَّة:

١- عِظَم خطر الشِّرك، وأنَّه يؤثِّرُ حتى في الذبائح؛ لقوله: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾[٣].

٢- تأثيرُ النيَّة في العملِ؛ لقوله: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ أي: للأصنامِ؛ فإنَّه يكون حرامًا حتى ولو ذُكِرَ اسمُ الله عليه؛ وذلك لتأثير النيَّة، وأنَّ النيَّةَ تؤثِّرُ حتى في حِلِّ الشيءِ وتحريمِه، وكذلك في قوله: ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾[٤].

٣- تحريمُ خَشية الكفَّارِ التي يترتَّب عليها المُداهنةُ في دِينِ الله؛ لقوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾[٥].

٤- التَّحريضُ بأكملِ ما يكونُ على التمسُّكِ بما شرَعَ اللهُ تعالى، وذلك في قولِه سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾؛ لأنَّه قد حصَل لهم اليأسُ مِن دينِكم؛ فإذا صارَ الأمرُ كذلك فيجبُ عليكم ألَّا تَلْتَفِتوا إليهم وألَّا

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٩٣-٩٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٣١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٩٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٢٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٧).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٤٨، ٥٣).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٥٠).

تخافوهم، وأنْ تُقبِلوا على طاعةِ الله عزَّ وجلَّ، والعملِ بشَرائعِه[1].

الفوائِد العِلميَّة واللَّطائف:

١- قَدْ حرَّم الله الاستقسامَ بالأزلامِ في قوله: ﴿وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ﴾؛ لأنَّه من الخُرافاتِ والأوهامِ التي لا يَركَنُ إليها إلَّا مَن كان ضعيفَ العقل؛ يَفعلُ ما يَفعلُ من غير بيِّنةٍ ولا بصيرةٍ، ويترُك ما يترُك عن غير بيِّنةٍ ولا بصيرةٍ، ويَجعل نفْسَه أُلعوبةً للكَهَنَة والسَّدَنَة، ويتفاءل ويتشاءم بما لا فأْلَ فيه ولا شُؤْم، فلا غَرْوَ أنْ يُبطِلَ ذلك دِينُ العقْلِ والبصيرة والبرهان، كما أَبطَلَ التطيُّرَ[2]، والكِهانةَ[3]، والعِيافةَ[4]، والعِرافة[5]، وسائرَ خُرافات الجاهليَّة، ولا يَليق ذلك كلُّه إلَّا بجهلِ الوثنيَّةِ وأوهامِها[6].

٢- قوله: ﴿ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ﴾ المشارُ إليه كلُّ ما سبَق؛ لأنَّ القاعدةَ: أنَّه إذا أمكن

---

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٢٨٦).

(٢) التطيُّر: التشاؤم بالشَّيءِ، مِن الطِّيَرة- بكسر الطاء وفتح الياء، وقد تسكن-، وأصلُه: الشيءُ المكروه من قولٍ أو فعلٍ أو مرئيٍّ، وكانوا يَتطيَّرون فيُنفِّرون الظِّباء والطيور، فإنْ أخذت ذاتَ اليمين تبرَّكوا به ومضَوا في سفرهم وحوائجهم، وإنْ أخذت ذاتَ الشمال رجَعُوا عن حاجتهم وسفرهم وتشاءَموا به، فكانت تصدُّهم في كثيرٍ من الأوقات عن مصالحهم، فنَفَى الشرع ذلك وأبطَلَه، ونهى عنه، وأخبر أنه ليس له تأثيرٌ بنَفْعٍ ولا ضُرٍّ. ينظر: ((شرح النووي على مسلم)) (١٤/ ٢١٨)، ((النهاية)) لابن الأثير (٣/ ١٥٢).

(٣) الكَهَانة- بفَتْح الكاف، ويجوز كسرها-: ادِّعاءُ عِلم الغيب، كالإخبارِ بما سيقع في الأرض مع الاستنادِ إلى سببٍ. ينظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (١٠/ ٢١٦)، ((تاج العروس)) للزبيدي (٣٦/ ٨١).

(٤) العِيافة: زجْر الطير، والتَّفَاؤُل بأسْمائِها وأصْواتها ومَمرِّها. ينظر: ((النهاية)) لابن الأثير (٣/ ٣٣٠)، ((المصباح المنير)) للفيومي (٢/ ٤٤٠)، ((تاج العروس)) للزبيدي (٢٤/ ١٩٦).

(٥) العِرافة: مِهنة العرَّاف، وهو الذي يستدلُّ على الأمورِ بأسبابٍ ومُقدِّمات يَدَّعي معرفتَها بها، أو مَن يستخرجُ الوقوفَ على المغيَّبات بضربٍ مِن فعلٍ أو قول. ينظر: ((شرح النووي على مسلم)) (١٤/ ٢٢٣)، ((فتح الباري)) لابن حجر (١٠/ ٢١٧).

(٦) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ١٩٥)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ١٢٤).

أن يعودَ اسمُ الإشارةِ أو الضَّميرُ إلى كلِّ ما سبَق، حُمِلَ عليه[١].

٣- قوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾ الفرق بين الخَشْيَةِ والخوف: أنَّ الخشية تكون عن عِلمٍ، والخوف لا يلزم أن يكونَ عن عِلمٍ، كذلك الخشيةُ تكون مِن عِظَمِ الْمَخْشِيِّ، وإنْ كان الخاشي قويًّا، لكنَّ الْمَخْشِيَّ يكون أقوى منه، والخوف لا يدلُّ على عِظَمِ الْمَخُوفِ، وإنَّما يدلُّ على ضَعْف الخائِفِ أمامَ مَن يَخاف منه وإنْ لم يكن قويًّا، وهذا فرقٌ واضِحٌ؛ فالطِّفل الذي له أربعُ سَنواتٍ يَخاف من الطِّفلِ الذي له ثمانِي سنواتٍ، مع أنَّ الثاني ضعيفٌ، لكنَّ الذي يَخشى مِن مَلِك أو صاحبِ سلطانٍ قويٍّ، هذا يُقال: إنَّه خاشٍ[٢].

٤- قوْلُه تعالى: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ المرادُ من الدِّين دِينُ الإسلامِ، وإضافتُه إلى ضَميرِ المسلمين؛ لتشريفِهم بذلك[٣]، وليَفْخروا ويعتزُّوا بتمسُّكِهم به، ويُدافِعوا عنه[٤].

٥- بيانُ نِعمة الله على هذه الأمَّة- وله الحمدُ والمِنَّة- بإكمالِ الدِّين؛ لقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، فهذه أكبرُ نِعَمِ اللهِ عزَّ وجلَّ على هذه الأمَّةِ؛ حيث أكمَلَ تعالى لهم دينَهم، فلا يحتاجونَ إلى دينٍ غَيرِه، ولا إلى نبيٍّ غيرِ نَبيِّهم- صَلواتُ اللهِ وسلامُه عليه؛ ولهذا جَعَله اللهُ خاتَمَ الأنبياءِ، وبعَثَه إلى الإنسِ والجِنِّ، فلا حلالَ إلَّا ما أحَلَّه، ولا حرامَ إلا ما حَرَّمه، ولا دِينَ إلا ما شَرَعه. وفيه بيانُ شرَفِ ذلك اليوم الذي أُكمِلَ فيه الدِّينُ؛ لأنَّه لولا ذلك لم يكُن لقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فائدةٌ[٥].

(١) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ١٢٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٠٦).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٥١).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٥٠).

٦- في قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ بيانُ أنَّ الدِّين كاملٌ، فكل مُتكلِّف يزعُمُ أنَّه لا بدَّ للنَّاسِ- في مَعرفةِ عقائدِهم وأحكامِهم - مِن معرفةِ علومٍ غيرِ عِلم الكتابِ والسُّنة، من عِلم الكلامِ وغيره؛ فهو جاهلٌ، مُبطِلٌ في دعواه، قد زعَم أنَّ الدِّين لا يكمُل إلَّا بما قالَه ودعا إليه، وهذا من أعظمِ الظُّلم والتَّجهيلِ لله ولرسولِه[١]، قال الإمامُ مالِكُ بنُ أنسٍ: (مَن أحدَثَ في هذه الأمَّةِ شيئًا لم يكُنْ عليه سَلَفُها؛ فقد زعم أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم خان الرِّسالةَ؛ لأنَّ اللهَ يقول: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾، فما لم يكُنْ يومَئذٍ دِينًا؛ فلا يكونُ اليومَ دِينًا)[٢].

٧- قوْلُه تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ فيه إشارةٌ لى أنَّ نَسْخَ الأحكامِ قد انتهى، وأنَّ هذا الدِّين دينٌ أبديٌّ؛ لأنَّ الشيءَ المختار المدَّخر لا يكونُ إلَّا أَنْفَسَ ما أُظهِرَ من الأديانِ، والأَنفسُ لا يُبطِلُه شيءٌ؛ إذ ليس بعده غايةٌ[٣].

٨- أفاد قولُه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ بعد قوله: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ﴾ حُكمًا شرعيًّا، وهو أنَّه تعالى غفَر للمضطرِّ الذنبَ بتناوُلِ هذا المحرَّم، ورحِمه بإباحتِه له، فالأحكامِ تؤخَذُ من أسماء الله عزَّ وجلَّ؛ لا سيَّما المتعدِّيَة، فلا بدَّ أن يكونَ لها أثرٌ، كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة: ٣٤] يعني: إذا تاب قُطَّاعُ الطريق قبل القُدرةِ عليهم سقَطَ عنهم الحدُّ[٤].

(١) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٠).
(٢) ينظر: ((الإحكام)) لابن حزم (٦/ ٥٨)، ((الاعتصام)) للشاطبي (١/ ٤٩٤).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٠٨).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٥٤- ٥٥).

بلاغةُ الآية:

١- قوله: ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾: خصَّ المنخنقةَ وما عُطفِ عليها مِن الْمَيتاتِ بالذِّكر- مع كونِها داخلةً في عموم الْمَيتةِ بالمعنى الشَّرعي-؛ لأنَّ بعضَ العربِ في الجاهليَّةِ كانوا يأكلونَها، ولئلَّا يغترَّ أحدٌ باستباحةِ بعضِ أهلِ الجاهليَّةِ لها، ولئلَّا يشتبَهَ فيها بعضُ النَّاسِ؛ لأنَّ لِمَوتها سببًا معروفًا[١].

٢- قوْلُه تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ... وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ ما ذُبِح على النُّصُبِ جزءٌ مِمَّا أُهِلَّ به لغيرِ اللهِ، لكن خُصَّ بالذِّكر بَعدَ جِنسِه؛ لشُهرةِ الأَمْرِ، وتَعظيمِ النُّفوسِ له[٢]، ولإزالة وَهمِ مَن توهَّم أنه قد يَحِلُّ بقصْدِ تعظيمِ البيتِ الحرامِ إذا لم يُذكَرِ اسمُ غيرِ اللهِ عليه[٣].

٣- قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾: اعتراضٌ وقَعَ بين آيةِ المحرَّماتِ المتقدِّمة، وبين آية الرُّخصة الآتية: وهي قوله: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ﴾، وفائدتُه تأكيدُ معنى التحريمِ، وكذلك ما بعده ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ ...﴾؛ لأنَّ تحريمَ هذه الخبائِثِ من جُملة الدِّين الكامِلِ والنِّعمةِ التامَّة، والإسلامِ المنعوتِ بالرِّضا دونَ غيرِه من المِلَل[٤].

٤- قوْلُه تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾ أفاد مفادَ صِيغةِ الحصر، ولو قيل: (فإيَّاي فاخشون) لجرَى على الأكثر في مقامِ الحَصْر، ولكن عدَل إلى جُملتَي

---

(١) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ١١٤-١١٧-١٢٢).
وكانتِ العرب تعتقد أنَّ هذه الحوادثَ (الخنق والوقذ والتردي والنطح) على المأكول كالذَّكاة، وأنَّ الميتة ما ماتتْ بوجعٍ دون سببٍ يُعرف من هذه الأسباب. يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ١٧٢).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عطيَّة)) (٢/ ١٥٣)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ١٧٢).
(٣) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ١٢٢).
(٤) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٠٤)، ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١١٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٩٩).

نفيٍ وإثباتٍ؛ لأنَّ مفاد كِلتا الجملتينِ مقصودٌ، فلا يَحْسُن طيُّ إحداهما، وهذا من الدَّواعي الصَّارِفَة عن صيغةِ الحَصْر إلى الإتيان بصِيغتَيْ إثبات ونفي[١].



(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٠٢).

الآيتان (٤ - ٥)

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥﴾﴾.

غريبُ الكَلِمات:

﴿الْجَوَارِحِ﴾: أي: الصَّوائِدِ أو الكَواسِبِ- كالكِلابِ والفُهودِ، والصُّقورِ وأشباهِها- وهي ما صِيدَ به من سِباعِ البَهائِمِ والطَّير، أو كِلابِ الصَّيد، وأصلُ الاجتراح: الاكتسابُ[(١)].

﴿مُكَلِّبِينَ﴾: أي: أصحابَ ضَوارٍ وكلابٍ، وَالمُكَلِّبُ: الذي يعلِّم الكلبَ، ويُقال: رجلٌ مُكلِّبٌ وكَلَّابٌ، أي: صاحبُ صيدٍ بالكِلابِ[(٢)].

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾: ذواتُ الأزواجِ، والمحصناتُ أيضًا: الحرائرُ وإنْ لم يَكُنَّ مزوَّجاتٍ، والعفائفُ، فهي مُحْصَنَة، إما بعفَّتها، أو تزوُّجها، أو بمانعٍ مِن شَرَفِها وحُرِّيَّتِها، وأصلُ الحِصن: الحِفظُ والحياطةُ والحِرز[(٣)].

---

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٩١)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٩)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٨)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٣٥٧).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤١)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٤٣٧)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٧٢١)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٩)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٨)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٨٧٥).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٢٣، ١٢٤)، ((غريب القرآن)) للسجستاني

﴿ مُحۡصِنِينَ ﴾: أي: متزوِّجين وأعفَّاءَ بالنِّكاحِ، وأصلُ الحِصن: الحِفظُ والحِياطةُ والحِرز(١).

﴿ مُسَٰفِحِينَ ﴾: جمْعُ مسافِح، وهو الزَّاني، أو المجاهِر بالزِّنا، الذي يَصبُّ ماءَه حيث اتُّفِقَ، مِن سَفَحْتُ القِربةَ: إذا صَببْتَها، وسُمِّي الزِّنا سفاحًا؛ لأنَّه يُسافَحُ فيه، أي: يَصُبُّ الرَّجلُ النُّطفةَ وتَصُبُّ المرأةُ النُّطفةَ، وأصل (سفح): يدلُّ على إراقةِ شيءٍ(٢).

﴿ أَخۡدَانٖ ﴾: جمْع خِدْن، وهو الزَّاني سرًّا، أو مُصاحِبٌ وصَديق، أو خليلٌ في السِّرِّ، ويُطلَقُ كذلك على الحبيبِ والرَّفيق، وأكثرُ ذلك يُستعملُ فيمَن يصاحبُ بشهوةٍ؛ يُقال: خِدْنُ المرأةِ وخَدينُها، وأصل (خدن): المصاحَبة(٣).

﴿ حَبِطَ ﴾: أي: بطَلَ؛ فالحَبَط: البُطلانُ والألَم، وأصلُه: أن تُكثِرَ الدابَّةُ أكلًا حتى يَنتفخَ بطنُها فتموتَ(٤).

(١/ ٤٣٤)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٦٩)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٢٣٩)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (١/ ٦٢)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٣٧)، ((الكليات)) للكفوي (١/ ٥٥).

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٢٣)، (ص: ٨٧٧)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٦٩)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٦٢)، ((الكليات)) للكفوي (١/ ٥٥).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٢٣)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٨١)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٣٧)، ((الكليات)) للكفوي (١/ ٨٧٧).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٢٤)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (١/ ٥٤)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ١٦٣)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٢٧٧)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٣٨)، ((الكليات)) للكفوي (١/ ٦٥، ٤٣٤).

(٤) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٨٢)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١٨٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٢١٦)، ((النهاية)) لابن الأثير (١/ ٣٣١)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٠٦).

مُشْكِلُ الإعرابِ:

﴿ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ ﴾.

﴿ مُكَلِّبِينَ ﴾: منصوبةٌ، حالٌ مِن فاعل ﴿ عَلَّمْتُم ﴾، والتَّقدير: علَّمتُم الجَوارِحَ حالَ كونِكم مُؤدِّبينَ ومدرِّبين ومُعوِّدينَ لها على كيفيَّة الصَّيدِ.

﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ ﴾: فعلٌ وفاعلٌ ومفعولٌ، والجملةُ مستأنفة لا محلَّ لها من الإعراب، أو تكون في محلِّ نَصْبٍ، على أنها حالٌ ثانيةٌ من فاعِلِ ﴿ عَلَّمْتُم ﴾، أو حالٌ من الضَّميرِ المستترِ في ﴿ مُكَلِّبِينَ ﴾ فتكونُ حالًا من حالٍ، وتُسمَّى المتداخِلَةَ، وعلى كلا التقديرينِ فهي حالٌ مؤكِّدةٌ؛ لأنَّ معناها مفهومٌ مِن ﴿ عَلَّمْتُم ﴾ ومِن ﴿ مُكَلِّبِينَ ﴾[(١)].

المعنى الإجماليُّ:

يقولُ الله تعالى لنبيِّه محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّمَ: إنَّ أصحابَك يسألونَك عمَّا يُباحُ لهم أكْلُه من الأطعمةِ، ثم أمَرَه أن يُجيبَهم: أنَّ اللهَ أحلَّ لهم أكْلَ الطيِّباتِ، وأباحَ لهم أكْلَ ما اصطادوه عن طريقِ ما يَصيدُ بِنابِه أو مِخلَبِه من السِّباعِ والطُّيورِ، كالكِلاب والصُّقورِ، إذا عَلَّموها ودَرَّبوها على طريقةِ الصَّيد، يُعلِّمونها ممَّا امتنَّ اللهُ عليهم من العِلم بآدابِ الصَّيد، فلْيَأكلوا ممَّا أمسكْنَه لأجْلِهم؛ ولْيَذكروا اسمَ الله عليها عندَ إرسالها للصَّيد، ولْيتَّقوا اللهَ؛ فإنَّه سريعُ الحسابِ.

ثم أخبَرَ تعالى عن بعضِ مظاهرِ إسباغِ نِعمِه وإكمالِ دِينه، وتيسيرِ شَرعِه، ومن ذلك أنَّه سبحانه أحلَّ لهم التمتُّعَ بالطيِّباتِ، وأحلَّ لهم أكْلَ ذبائِحِ أهلِ

(١) يُنظر: ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (١/ ٢١٩)، ((التبيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/ ٤٢٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٣٤)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٢٠٢-٢٠٣)، ((إعراب القرآن الكريم)) للدعَّاس (١/ ٢٤٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٥٨).

الكِتاب من اليهودِ والنَّصارى، وأحلَّ لهم نِكاحَ الحرائرِ العفيفاتِ من المؤمناتِ، والحرائر العفيفاتِ من الكتابيَّات، إذا أعْطَوهُنَّ مُهورَهنَّ، في حالِ كون الأزواجِ مُحصِنين لهنَّ، غير مُعلِنين بالزِّنا، ولا متَّخذين عشيقاتٍ يُعاشرونهنَّ زِنًا في السرِّ، وأَخْبَر الله تعالى أنَّ مَن كفر به، وكَفَر بما يجبُ الإيمانُ به؛ فقد حَبِطَ عمَلُه، وتوعَّده بأنَّه في الآخِرة من الهالِكين.

تَفسيرُ الآيتين:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾.

مُناسبةُ الآية لِمَا قَبلَها:

لَمَّا ذكَر تعالى ما حرَّمه في الآيةِ المتقدِّمةِ من الخبائثِ الضارَّة لمُتناوِلها- إمَّا في بدَنِه، أو في دِينه، أو فيهما- واستثنى ما استَثْناه في حالةِ الضرورةِ[1]- شرَعَ في بيانِ ما أحلَّه لهم[2]، فقال تعالى:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾.

أي: يسألُكَ أصحابُك- يا محمَّد- ما الذي أُبيحَ لهم أكْلُه من الأطعِمَةِ[3]؟

﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾.

أي: قلْ يا محمَّدُ: أُبيحَ لكم أكْلُ الطيِّباتِ، وهي الحلالُ الذي أَذِنَ لكم ربُّكم

(١) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٣١).
(٢) يُنظر: ((تفسير الشوكاني)) (٢/ ١٦).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٩٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٥٥).

في أكْلِه من كلِّ ما فيه نفعٌ أو لذَّة، من غيرِ ضَررٍ بالبدنِ ولا بالعَقلِ(١).

﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾.

أي: وأُبيحَ لكم أيضًا أكْلُ ما اصطادَه لكم سِباعُ البَهائِم والطَّيرِ-كالكِلاب والصُّقور وغيرها- التي علَّمتموها؛ مُؤدِّبينَ لها ومُدرِّبين إيَّاها على كيفيَّةِ اقتناصِ الصَّيدِ(٢).

﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾.

أي: تُؤدِّبون الجوارحَ، وتُدَرِّبونَهنَّ على طلبِ الصَّيدِ لكم، ممَّا منَّ الله تعالى به عليكم من العِلم بآدابِ الصَّيدِ، وذلك كأنْ يسترْسِلَ الجارحُ إذا أُرْسِلَ، ويَنزجرَ إذا زُجِرَ(٣).

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾.

أي: فكُلوا- أيُّها الناس- ممَّا أمسكتْ جوارحُكم من الصَّيدِ لأجلِكم(٤).

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٩٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٣٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٩٩، ١٠٠، ١٠٦)، ((تفسير الواحدي)) (٢/ ١٥٦)، ((تفسير ابن عطية)) (٢/ ١٥٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٣٢-٣٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢١)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١١٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٥٧-٥٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ١٠٧، ١٢٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٣٢-٣٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢١)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١١٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٥٨).

قال القرطبيُّ: (لا خِلافَ بين العلماء في شَرطينِ في التَّعليم، وهما: أن يأتمرَ إذا أُمِر، ويَنزجِر إذا زُجر، لا خلافَ في هذين الشرطين في الكلاب وما في معناها من سِباع الوحوش، واختُلِفَ فيما يُصادُ به من الطَّير، فالمشهور أنَّ ذلك مَشترَطٌ فيها عند الجمهور) ((تفسير القرطبي)) (٦/ ٦٩).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ١٢٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٣٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٥٨).

قال ابنُ كثيرٍ: (تلك الآيةُ: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ ليستْ على عمومِها بالإجماعِ، بل

﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾.

أي: واذكُروا اسمَ الله عندَ إرسالِ الجارِحِ[(١)].

عن عَدِيِّ بن حاتمٍ الطائيِّ رضي لله عنه، أنه قال: ((يا رسولَ اللهِ، إنِّي أُرسِلُ كَلبي وأُسَمِّي، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ: إذا أَرْسَلْتَ كلَبَك وسمَّيتَ، فأخَذ فقتَل فأكَل فلا تأكُلْ، فإنَّما أمسَك على نَفْسِه، قُلتُ: إني أُرسِلُ كلبي فأجِدُ معَه كلبًا آخَرَ، لا أدري أيُّهما أخَذَه؟ فقال: لا تأكُلْ؛ فإنَّما سمَّيْتَ على كلبِكَ ولم تُسَمِّ على غيرِه))[(٢)].

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾.

مخصوصةٌ بما صِدْن من الحيوانِ المأكولِ، وخرَج مِن عمومِ لفظِها الحيوانُ غيرُ المأكولِ بالاتِّفاقِ) ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٠).

قال ابنُ عاشور: (وحرفُ (على) في قوله: ﴿مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ﴾ بمعنى لام التعليل، كما تقول: سُجن على الاعتداء، وضُرب الصبيُّ على الكذبِ) ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١١٦).

(١) يُنظر: ((تفسير الواحدي)) (٢/ ١٥٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٣٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢١)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١١٨).

الهاء في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ فيها ثلاثةُ أوجهٍ:

أحدُها: أنَّها تعودُ على (مَا عَلَّمْتُمْ)، أي: اذكروا اسمَ الله على الجوارحِ عندَ إرسالِها على الصَّيدِ، ودلَّت عليه السُّنَّة.

والثاني: أنَّها عائدةٌ على المصدرِ المفهومِ من الفعلِ، وهو الأكلُ، كأنَّه قيل: واذكروا اسمَ الله على الأكلِ.

والثالثُ: أنَّها تعودُ على (ما أَمْسَكْنَ) أي: اذكروا اسم الله على ما أدركتم ذكاته مما أمسكته عليكم الجوارح.

يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٢٠٩)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ١٤٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١١٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٦١).

(٢) رواه البخاري (٥٤٨٦) واللفظ له، ومسلم (١٩٢٩).

أي: امتثِلوا ما أمَرَكم اللهُ تعالى به، واجتنِبوا ما نهاكم عنه[١].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾.

أي: إنَّ الله سبحانه سريعُ الإحْصاءِ لأعمالِ عبادِه، سريعُ المجازاةِ لهم، يُحاسِبُ الخلائقَ يومَ القيامةِ على أعمالِهم في مدَّةٍ وجيزةٍ جدًّا، وإن حسابَه عزَّ وجلَّ قريبٌ؛ لسرعةِ انقضاءِ الدُّنيا[٢].

﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٥﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِمَا قَبلَها:

لَمَّا أخبَرَ الله تعالى في الآيَةِ المتقدِّمةِ أنَّه أحلَّ الطيِّباتِ، وكان المقصودُ من ذِكره الإخبارَ عن هذا الحُكم، ثم أعاد ذِكرَه في هذه الآيةِ، والغَرَضُ من ذِكره أنَّه قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ فبَيَّن أنَّه كما أكملَ الدِّين وأتَمَّ النِّعمةَ في كلِّ ما يَتعلَّق بالدِّين، فكذلك أتمَّ النِّعمةَ في كلِّ ما يتعلَّق بالدُّنيا[٣].

وأيضًا لَمَّا كان أهلُ الكتابِ في الأصل أهلَ توحيدٍ، ثم سَرَتْ إليهم نزَغَاتُ الشِّركِ ممَّن دخَل في دِينهم من المشركين، ولم يُشدِّدوا في الفصلِ بينهم وبين

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ١٢٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٥٩).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ١٢٩)، ((تفسير ابن عطية)) (٢/ ١٥٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٥٩).
(٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٢٩٣).

ماضيهم، وكان هذا مَظِنَّةَ التشديدِ في مُؤاكلةِ أهلِ الكتابِ ومُناكَحَتِهم، كما شدَّد في أكْلِ ذَبائحِ مشركي العربِ ونِكاح نسائِهم- بيَّن اللهُ في هذه الآيةِ ألَّا نُعامِلَ أهلَ الكتابِ معاملةَ المشركينَ في ذلك، فأحلَّ لنا مؤاكلتَهم، ونِكاحَ نسائِهم[1]، فقال:

﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾.

أي: اليومَ أباح اللهُ تعالى لكم- أيُّها المؤمنون- الحلالَ من الذَّبائِحِ والأطعمةِ ممَّا ليس بضارٍّ ولا مُستقذَرٍ، دون الخبيثِ منها[2].

﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾.

أي: وذبائحُ أهلِ الكتابِ من اليهودِ والنَّصارى حلالٌ لكم- أيُّها المؤمنون- أكْلُها[3].

﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾.

أي: وذبائِحُكم- أيُّها المؤمنونَ- حلالٌ لليهودِ والنَّصارى؛ فلكم أنْ تُطْعِموهم مِن ذبائحِكم[4].

---

(١) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ١٤٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ١٢٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢١)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١١٢-١١٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٦٥-٦٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ١٢٩، ١٣٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٤٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٦٦-٦٧).
قال ابنُ جزي: (وأما الطعامُ، فهو على ثلاثةِ أقسامٍ أحدُها: الذبائحُ، وقد اتَّفق العلماءُ على أنها مرادةٌ في الآيةِ) ((تفسير ابن جزي)) (١/ ٢٢٣).
والدليلُ على أنَّ المرادَ بطعامِهم ذبائحُهم، أنَّ الطعامَ الذي ليس مِن الذَّبائحِ كالحبوبِ والثِّمارِ ليس لأهلِ الكتابِ فيه خصوصيَّة، بل يُباحُ ذلك ولو كان من طعامِ غيرِهم، وأيضًا فإنَّه أضافَ الطعامَ إليهم. يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢١).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ١٣٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٤١)، ((تفسير السعدي))

﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾.

أي: وأحلَّ لكم -أيُّها المؤمنون- نِكاحَ الحرائرِ العفيفاتِ من النِّساءِ المؤمناتِ[1].

﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾.

أي: وأحلَّ لكم- أيُّها المؤمنون- أيضًا نِكاحَ الحرائرِ العفيفاتِ من نِساء اليهودِ والنَّصارى[2].

﴿إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾.

أي: إذا أعطيتُم مَن نكحتُم- من مُحصناتِكم ومُحصناتِهم- مُهورَهنَّ[3].

﴿مُحۡصِنِينَ﴾.

أي: حالةَ كونِكم مُحْصِنِينَ لِنسائكم؛ بسببِ حفِظكم لفروجِكم عن غَيرِهنَّ، وعفَّتِكم عن الزِّنا[4].

﴿غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ﴾.

أي: ولستُم كذلك بالزُّناة المُعلِنين بالزِّنا، الذين يَزنون بأيِّ امرأةٍ كانت، ولا

(ص: ٢٢١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٦٧).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ١٣٨)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٣٢/ ١٢١-١٢٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٤٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ١٣٨-١٣٩، ١٤٦-١٤٧)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٣٢/ ١٢١-١٢٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٤٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢١-٢٢٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ١٣٩، ١٤٧-١٤٨)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٣٢/ ١٢١ - ١٢٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٤٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٢).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ١٤٨)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٣٢/ ١٢٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٤٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٦٨).

يردُّون أنفُسَهم عمَّن جاءَهم[١].

﴿وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ﴾.

أي: ولا مِن ذوي العَشيقاتِ الذين لا يَفعلون الفاحشةَ إلَّا خُفيَةً معهنَّ[٢].

﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾.

أي: ومَن كفَر بالله تعالى وما يجبُ الإيمانُ به، فقد بطَل ثوابُ عملِه الذي كان يَعملُه في الدُّنيا، إنْ مات على كُفرِه[٣].

كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

﴿وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

أي: وهو في الآخِرةِ من الهالِكين، الذين خَسِروا أنفُسَهم وأموالَهم وأهليهم يومَ القيامَةِ، وحصَلوا على الشَّقاوةِ الأبديَّة[٤].

الفوائِد التربويَّة:

١- حِرصُ الصَّحابة رضي الله عنهم على العِلم؛ لقوله: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ١٤٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٤٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٦٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٤٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٦٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ١٤٨-١٥٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٤٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦٣/ ١٢٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٦٩).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ١٤٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٧٠).

أُحِلَّ لَهُمْ ﴾، ومِن هنا نَعرفُ أنَّ ما لم يَسألِ الصحابةُ عنه ممَّا يرِدُ السؤال عنه في عصرِنا من أمورِ الغيبِ، فالسؤال عنه بدعةٌ؛ لأنَّنا نعلم أنه لو كان هناك خيرٌ في العلم به لألْهَم الله الصحابةَ أن يسألوا عنه؛ حتى يَتبيَّنَ الأمرُ(١).

٢- قولُ الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ ﴾ (تعلمونهنَّ) المقصود منه المبالغةُ في اشتراطِ التَّعليمِ، أي: أن يكون مَن يُعلِّم الجوارحَ نِحريرًا في عِلمه، مُدرَّبًا فيه، فقيهًا عالِمًا بالشَّرائط المعتبرَة في الشَّرع لحِلِّ الصيد، ففيه فائدةٌ جليلةٌ، وهي أنَّ على كلِّ طالبٍ لشيءٍ ألَّا يأخذَه إلَّا مِن أجَلِّ العلماءِ به، وأشدِّهم درايةً له، وأغوصِهم على لَطائِفِه(٢).

الفوائِد العِلميَّة واللَّطائف:

١- يُستفاد مِنْ قَوْلِه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ﴾ أنَّ التَّحليلَ والتحريمَ ليس إلى العِباد، بل هو إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، وقد حذَّرَنا اللهُ عزَّ وجلَّ من أن نُحلِّل أو نحرِّم بأهوائِنا، فقال: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ [النحل: ١١٦]، وأنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يستقلُّ بالتحليلِ أو التَّحريمِ، وجه ذلك: أنَّ الرسولَ لم يُجِبْهم، ولكنَّ الله تعالى أجابَهم، فقال: ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾(٣).

٢- أنَّ كلَّ ما أحلَّه اللهُ تعالى فهو طيِّب؛ نافعٌ للبَدَن ونافعٌ للقلب، ونافعٌ للفَرْد ونافعٌ للمجتمع؛ لقوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾ وأيضًا نأخذ من المفهومِ

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٥٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٢٩٢)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ١٨١)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٢٢)، ((تفسير الشربيني)) (١/ ٣٥٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٦٠-٧٠).

أنَّ كلَّ ما حرَّمه الله تعالى فهو خبيثٌ[١].

٣- قول الله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ نصَّ في هذه الآيةِ ونظائِرِها على إباحةِ المستلذَّات والطيِّبات، فصار هذا أصلًا كبيرًا، وقانونًا مرجوعًا إليه في معرفةِ ما يَحِلُّ ويَحرُم من الأطعمةِ؛ فالطيِّباتُ وصفٌ للأطعمة قُرِن به حُكمُ التحليلِ؛ فدلَّ على أنَّ الطيِّبَ علَّةُ التحليلِ، وأفاد أنَّ الحرامَ ضدُّه، وهو الخبائثُ[٢].

٤- في قوله تعالى: ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ لُطْفُ اللهِ بعباده ورَحمتُه بهم؛ حيث وسَّعَ عليهم طُرُقَ الحلالِ[٣].

٥- جوازُ اقتناءِ كَلب الصَّيدِ، مع أنَّ اقتناءَ الكلب مُحرَّمٌ؛ لأنَّ مِن لازِمِ إباحةِ صَيده وتَعليمِه جوازَ اقتنائِه، وطهارةَ ما أصابه فمُ الكلْبِ من الصَّيد؛ لأنَّ الله أباحه ولم يذكُرْ له غَسلًا؛ فدلَّ على طهارَتِه؛ قال تعالى: ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾[٤].

٦- في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ فضيلةُ العِلم، وأنَّ الجارِحَ المـُعلَّم- بسبب العِلم- يُباحُ صيدُه، والجاهل بالتَّعليمِ لا يُباح صيدُه[٥].

٧- أنَّ الاشتغالَ بتعليمِ الكلبِ أو الطَّيرِ أو نحوهما، ليس مذمومًا، وليس من العبَثِ والباطِلِ، بل هو أمرٌ مقصودٌ؛ لأنَّه وسيلةٌ لحِلِّ صيدِه والانتفاعِ به، يُؤخَذ ذلك

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٢٠٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٦٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٢٩٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١١١).

(٣) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢١).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٥) يُنظر: ((مفتاح دار السعادة)) لابن القيم (١/ ٥٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢١).

مِنْ قَوْلِه تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾[(١)].

٨- قوله: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ الجوارحُ يَدخُل فيها كلُّ ما يُمكنُ الاصطيادُ به، كالفهدِ والسِّباعِ والعُقابِ والصَّقرِ وغيرِها؛ فهذه كلُّها جوارحُ، وإنَّما عبَّر بقوله: ﴿مُكَلِّبِينَ﴾؛ لأنَّ المكلِّبَ هو مُؤدِّبُ الجوارحِ ومُعلِّمُها أنْ تصطادَ لصاحبِها، وأصلُ (كلب) يدلُّ على تَعلُّقِ الشَّيءِ بالشَّيءِ في شِدَّةٍ وشِدَّةِ جَذْبٍ، ومِن ذلك: الكَلْبُ. وإنما اشتُقَّ اسمُ (مُكلِّبين) مِن الكَلْبِ؛ لأنَّ التأديبَ أكثرُ ما يكونُ في الكِلابِ؛ فاشتُقَّ منه هذا اللفظُ لكثرتِه في جِنسِه. وأيضًا لأنَّ كلَّ سَبُعٍ فإنَّه يُسمَّى كلبًا. أو يكون قوله: ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ مأخوذًا مِن الكَلَبِ الذي هو بمعنى الضَّراوةِ والحِرص على الشيء، ولو فُرِض أنَّ المذكور في هذه الآية إباحةُ الصيدِ بالكلْبِ فقط؛ فتخصيصُه بالذِّكرِ لا يَنفي حِلَّ غيره؛ بدليلِ أنَّ الاصطيادَ بالرَّمْي ووضْعِ الشَّبكةِ جائزٌ، وهو غيرُ مذكورٍ في الآيةِ[(٢)].

٩- قطعُ ما يُوجِبُ الإعجابَ بالنَّفْس؛ لأنَّ قوله: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ فيه إسنادُ التعليمِ إلى البَشرِ، فقدْ يُزهَى الإنسانُ بنفْسِه ويغترُّ ويُعجَب؛ فلهذا قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾؛ إشارةً إلى أنَّ عِلمَك الذي تُعلِّمه إيَّاهنَّ مَصدُره مِن عندِ الله عزَّ وجلَّ[(٣)].

١٠- قوله: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾، فيه توسعةُ الله عزَّ وجلَّ على عبادِه في أسبابِ الرِّزقِ، فقد رَخَّص في الصيد بالجارحةِ؛ لأنَّه يشقُّ على الإنسانِ أن

---

(١) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢١).

(٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٢٩١)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٢٠٢- ٢٠٣)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٢٠٥)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ١٤١). وينظر أيضًا: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ١٣٣- ١٣٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٦٢).

يصطادَ الصيدَ بنفسِه في كلِّ وقتٍ وحينٍ؛ لأنَّ المصيدَ ربَّما يكون مَثلًا في جبالٍ أو في سهولٍ أو في أوديةٍ، ولا يستطيعُ أن يَصيدَه بنفسِه(١).

١١- أنَّه يجوزُ أكْلُ ما صادَه الجارحُ، سواء قتَلَه الجارحُ أم لا، قال سبحانه: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾، وإنْ أدركَه صاحِبُه، وفيه حياةٌ مستقرَّة، فإنَّه لا يُباحُ إلَّا بتذكيتِه(٢).

١٢- يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ أنَّ الأصلَ في الأطعمَةِ الحِلُّ، ومن الأدلَّة أيضًا قولُه تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، فالأصلُ الحِلُّ، ومَن ادَّعى في شيءٍ التحريمَ لزِمَه الدليلُ على ذلك(٣).

١٣- أنَّ مَن سِوى اليهودِ والنَّصارى لا تَحِلُّ ذَبيحتُهم؛ كالمجوسِ والوثنيِّين والشيوعيِّين والمشركينَ ومَن أشبَهَهم؛ يُؤخَذُ ذلِك من مفهومِ قولِه: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾(٤).

١٤- حِلُّ المحصَنات من أهلِ الكتابِ كحِلِّ المحصَناتِ من المؤمنات؛ لأنَّ الله قال: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾؛ فالله يُبيِّن أنَّ المحْصَناتِ من المؤمناتِ والمحصناتِ من الذين أُوتُوا الكتابَ سواءٌ في الحِلِّ، ولكنْ لا يلزَمْ من تساويهنَّ في الحِلِّ أن يتساوَيْنَ في الإقدامِ عليهنَّ، قد يكون الشيءُ حلالًا، ولكن نقول:

(١) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٦٣).
(٢) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢١).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٦٦).
(٤) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ١٥٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٧١).

الأفضلُ ألَّا تُقْدِمَ عليه[١].

١٥- أنَّ المهرَ بمنزلةِ الأُجرةِ؛ لقوله: ﴿إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾[٢]، وتقييدُ الحِلِّ بإيتاءِ الأُجورِ؛ لتأكيدِ وُجوبها، والحثِّ على ما هُوَ الأَوْلى[٣].

١٦- أنَّ المقصودَ الأعظمَ من النِّكاح هو الإحصانُ؛ لقوله: ﴿مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ﴾[٤].

١٧- الإشارةُ إلى أنَّه يَنبغي إعلانُ النِّكاحِ؛ لأنَّه قال: ﴿غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖ﴾، والأَخدانُ الأخلَّاءُ في السِّرِّ[٥].

١٨- أنَّ الاستمتاعَ بالنِّساءِ ينقسِمُ إلى أقسامٍ في قوله: ﴿مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖ﴾: تحصين، وسِفاح، واتِّخاذ أخدان، والفرقُ بينها: أنَّ الأوَّل: عَقْد شرعيٌّ، والثاني: زِنًا مُعلَن، والثالث: زِنًا سِرِّيٌّ[٦].

١٩- يُستَفاد مِنْ قَوْلِه: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ﴾، ومِنْ قَوْلِه: ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ طهارةُ بدَنِ الكافرِ؛ لأنَّه لا بدَّ أن يلامسَ الطَّعامَ، وأيضًا في النِّكاحِ لا بدَّ أن يكونَ مِنَ الزَّوجِ مع زوجته الكتابيَّة ما يَقتضي

(١) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ١٥٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٧٧).
والإحصانُ قيدٌ لازمٌ، وتحقُّقه لاسيَّما في المجتمعاتِ الغربيةِ الكافرةِ عسيرٌ؛ لما عُلم مِن حالِهم، وشيوعِ الفاحشةِ فيهم.
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٨٠).
(٣) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١١٥)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٩).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٨١).
(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٨١).
(٦) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٢١٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٨١).

التنجيسَ لو كانت نجِسةً، وفي الآيةِ أيضًا دليلٌ على أنَّ آنيتَهم طاهرةٌ، إلَّا ما عُلِم نجاستُه منها؛ كأواني المسلمينَ[1].

٢٠- أنَّ الإماءَ مِن أهل الكتابِ لا يُبَاح للمسلمِ الزواجُ بهنَّ ولو خاف العنَتَ؛ دليله: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾، أمَّا الإماءُ من المؤمنات فيحلُّ للمسلمِ الزواجُ بهنَّ عند الضَّرورةِ على حسَب ما ورد في سورة النساءِ مِنْ قَوْلِه: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[2] [النساء: ٢٥].

٢١- قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ جملةٌ معترِضَةٌ بين الجُمل، والمقصود التنبيهُ على أنَّ إباحةَ تزوُّجِ نِساءِ أهلِ الكتابِ لا يَقتضي تزكيةً لحالِهم[3].

٢٢- قولُ الله تعالى: ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ تسميةُ المهرِ بالأجْرِ يدلُّ على أنَّ الصَّداقَ لا يَتقدَّرُ، كما أنَّ أقلَّ الأجرِ لا يتقدَّر في الإجاراتِ[4].

٢٣- ذكَر الله تعالى حِلَّ المُحصَنات من المؤمناتِ في أثناءِ إباحةِ طعامِ أهلِ الكتاب وإباحةِ تزوُّجِ نسائهم فقال: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾؛ إيماءً إلى أنهنَّ أَوْلى بالمؤمنينَ من مُحصَناتِ أهلِ الكِتاب[5].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٨٢).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٢١٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٨٣).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٢٤).
(٤) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٢٩٥)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ١٨٦).
(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٢٣).

بلاغةُ الآيتين:

١- **قوله:** ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾: عبَّر بالمضارِعِ في قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾؛ للدَّلالةِ على تجدُّد السُّؤالِ، أي: تكرُّره، أو توقُّع تكرُّره[1].

٢- **قوله:** ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾:

- تذييلٌ عامٌّ خُتمت به آية الصَّيد، وهو عامُّ المناسَبةِ[2].

- وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ جملة خبريَّة مؤكَّدة بـ﴿إِنَّ﴾، والغرضُ منها التخويفُ من اجتنابِ التقوى، وأنَّ مَن لم يتَّقِ الله، فـ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ أي: إنَّ الله تعالى سيُحاسِبكم على أعمالِكم، وقوله: ﴿سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ يتضمَّن سُرعةَ التنفيذِ من وجهٍ، وسرعةَ الوقتِ من وجهٍ آخَرَ[3].

- وإظهارُ الاسمِ الجليلِ (الله) في موقعِ الإضمار؛ لتربيةِ المهابة، وتعليلِ الحُكمِ[4].

٣- **قوله:** ﴿ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾: فيه تَكرارُ (اليوم) للتأكيدِ، وهذا بناءً على أنَّ المرادَ بالأيَّامِ الثلاثةِ وقتٌ واحدٌ[5]، وفائدةُ إعادةِ ذِكر إحلالِ الطيِّباتِ: التنبيهُ بإتمامِ النِّعمةِ فيما يَتعلَّق بالدُّنيا[6].

---

(١) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٦/ ١١٠).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٦/ ١١٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ١٤٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٥٩).

(٤) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٨).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٣/ ٩)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ١٨٢).

(٦) يُنظر: ((المصدران السابقان)).

الآية (٦)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾.

غريبُ الكَلِمات:

﴿ٱلۡمَرَافِقِ﴾: جمْع مِرْفَق، وهو مَوْصِلُ الذِّراعِ في العَضُد، وسُمِّي مِرفقًا؛ لأنَّه يُستراحُ في الاتِّكاءِ عليه؛ يُقال: ارتفق الرَّجُل: إذا اتَّكأ على مِرفقِه في جُلوسِه[1].

﴿جُنُبٗا﴾: أي: إنْ أصابتْكم الجَنابة؛ سُمِّيت الجنابةُ بذلك؛ لكونِها سببًا لتجنُّب الصلاةِ في حُكم الشَّرعِ، وأصل (جنب): البُعد[2].

﴿ٱلۡغَآئِطِ﴾: هو كنايةٌ عن قَضاءِ الحاجةِ؛ والغائطُ المطمئِنُّ من الأرضِ، وجُعِلَ كنايةً عن قضاءِ الحاجةِ؛ لأنَّهم كانوا إذا أرادوا قَضاءَ الحاجةِ أتَوْا غائطًا من الأرضِ، ففَعلوا ذلِك فيه؛ فقِيل لكلِّ مَن قضَى حاجتَه: مُتغوِّط، وأُطْلِقَ الغائطُ على العَذِرَة نفْسِها. وأصْل (غوط): يدلُّ على اطمئنانٍ وغورٍ[3].

﴿فَتَيَمَّمُواْ﴾: اقصِدوا وتَعمَّدوا، وأصلُ التيمُّم: قَصْدُ الشيء وتعمُّده[4].

(١) يُنظر: ((الصحاح)) للجوهري (٤/ ١٤٨٢)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٤١٨).
(٢) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٤٨٣)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٢٠٦).
(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٢٧)، ((تفسير ابن جرير)) (٧/ ٦٢)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (١/ ٣٤٩)، ((الصحاح)) للجوهري (٣/ ١١٤٧)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٤٠٢).
(٤) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٢٧)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٣٠)

﴿صَعِيدًا﴾: ترابًا، والصَّعيد: الغُبار الذي يَصعَد؛ من الصُّعود، ويُطلق أيضًا على وجْه الأرض[١].

﴿حَرَجٍ﴾: أي: ضِيق وإثم، وأصل الحرَج: تجمُّع الشيء وضيقُه[٢].

مُشْكِلُ الإعراب:

قوله: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾: قُرِئ بالنَّصب والجرِّ؛ فعلى قِراءةِ النَّصْب تكون معطوفةً على الوجوه والأيدي في ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾؛ أي: فاغْسلوا وجوهَكم وأيديَكم وأرجلَكم. وقيل: هي معطوفةٌ على موضِع ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾، والأوَّل أقوى؛ لأنَّ العطفَ على اللفظ أقوى من العَطف على الموضِع. وأمَّا على قِراءة الجرِّ- وهي مشهورةٌ كشهرة النَّصب- فإنَّها تُعرَب على الجوارِ؛ فتكون معطوفةً على ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾ في الإعرابِ، والحُكم مختلفٌ؛ فالرؤوسُ ممسوحةٌ، والأرجلُ مغسولةٌ، ويُمكِنُ أنْ تكونَ مَعطوفةً على ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾ لفظًا ومعنًى، أي: إعرابًا وحُكمًا، ويُحمَل مَسْحُ الأَرْجُلِ على بَعضِ الأحوالِ، وهو لُبْسُ الخُفِّ، وقيل غيرُ ذلك[٣].

المعنى الإجماليُّ:

يَأمُر اللهُ تعالى عِبادَه المؤمنين إذا أرادوا القيامَ إلى الصَّلاةِ أن يَغسِلوا

(٦/ ١٥٢)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٩٣)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٣٩).

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٢٧)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (١/ ٢٩٨)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٤٣٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٨٤)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٣٩).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٣٠)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٥٠)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٢٢٦)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (١/ ٦٧).

(٣) يُنظر: ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (١/ ٢١٩)، ((التبيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/ ٤٢٢)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٢٠٩ : ٢١٦)، ((إعراب القرآن الكريم)) للدعاس (١/ ٢٤٤).

وجوهَهم، وأيديَهم من أطرافِ الأصابعِ إلى المِرفقينِ، وأن يَمْسحوا جميعَ الرأسِ، ويَغسِلوا أرجلَهم مِن أطرافِ الأصابعِ إلى الكَعبينِ، ويأمُرهم سبحانه- إنْ أصابتْهم جَنابةٌ- أن يَغتسِلوا إذا ما أرادوا القيامَ إلى الصَّلاة، وإنْ كانوا مَرْضَى يتعذَّرُ عليهم استعمالُ الماء، أو مُسافرين، أو قَضَى أحدهم حاجتَه من بولٍ أو غائط، أو لامَس النِّساءَ، ولم يجدْ ماءً لِيتطهَّرَ به، فلْيقصدْ وجهَ الأرضِ الطاهرَ النَّظيفَ، ولْيَمْسح منه وجهَه وكفَّيه، ثم أخبر تعالى أنَّه شرَع هذه الأحكامَ حتى لا يجعلَ الناسَ في عُسرٍ وحَرَجٍ، فالله سبحانه يُريد أن يُطهِّر عبادَه ظاهرًا بما شرَعه من الوضوءِ والغُسل والتيمُّم، وباطنًا بتكفيرِ السيِّئات، ويُريدُ سبحانه أن يُتِمَّ نِعمتَه على عبادِه بإكمالِ الشَّرائعِ، وتسهيلها عليهم؛ لعلَّهم يَشْكُرونَه على ذلِك.

تفسير الآية:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِمَا قَبلَها:

لَمَّا افتتَح اللهُ تعالى السُّورةَ بالأمرِ بإيفاءِ العهودِ، وذكَر تحليلًا وتحريمًا في المطعَمِ والمنكَحِ، واستقصى ذلك، وكان النوعانِ معاملاتٍ دُنيويَّةً بين النَّاس بعضِهم من بعضٍ، استطرَد منها إلى المعاملاتِ الأُخرويَّة التي هي بين العبدِ وربِّه سبحانه وتعالى، ولَمَّا كان أفضلُ الطاعاتِ بعد الإيمانِ الصَّلاةَ، والصلاةُ

لا تُمكن إلَّا بالطَّهارةِ، بدأ بالطَّهارةِ[١].

وأيضًا قد افتتَحَ الله سبحانه السورةَ بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾؛ والعهد نوعان: عهدُ الربوبيَّةِ من الله، وعهد العبوديَّة من العباد، فقدَّم الوفاءَ بعهد الربوبيَّة والكَرَم، ولَمَّا كانت منافِعُ الدُّنيا محصورةً في نوعينِ: لذَّات المطعم، ولذات المنكَح، فاستقصى سبحانَه في بيان ما يَحِلُّ ويَحرُم من المطاعِم والمناكِحِ، ولَمَّا كانت الحاجةُ إلى المطعومِ فوقَ الحاجَةِ إلى المنكوحِ، لا جرَم قدَّمَ بيانَ المطعوم على المنكوح، وعندَ تمام البيان كأنَّه يقول: قد وفيتُ بعهدِ الربوبيَّة فيما يُطلَب في الدُّنيا من المنافِعِ واللذَّات، فاشتغِلْ أنت في الدُّنيا بالوفاءِ بعهدِ العبوديَّة، فلمَّا كان أعظمُ الطَّاعاتِ بعد الإيمان الصلاةَ، ولا يمكن إقامتُها إلَّا بالطَّهارةِ لا جرَم بدأ الله تعالى بذِكر شرائِطِ الوضوء[٢].

وأيضًا لَمَّا ذَكَرَ ما يتعلَّق بالمطعَم والمنكَحِ، وكان الحَدَثان (الأصغر والأكبر) اللَّذان هما سببُ الطَّهارتين هما أثَرُ الطَّعامِ والنِّكاحِ، فلولا الطعامُ لَمَا كان الغائطُ الموجِبُ للوضوء، ولولا النكاحُ لَمَا كانت ملامسةُ النِّساءِ الموجِبة للغُسل[٣]؛ لذا قال سبحانه:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾.

أي: يا أيُّها المؤمنونَ، إذا أردتُم القيامَ إلى الصَّلاةِ[٤].

---

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٢٩٦)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ١٨٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٢٩٦)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ١٨٢)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٢١٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ١٨٢).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ١٥٢)، ((تفسير ابن كثير)) ٢/ ٤٣-٤٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٨٥).

قال ابنُ كثير: (قال آخَرون:... الآية آمرةٌ بالوضوء عند القيام إلى الصَّلاة، ولكن هو في حقِّ المُحدِث على سبيل الإيجاب، وفي حقِّ المتطهِّر على سبيل النَّدبِ والاستحباب) ((تفسير

﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾.

أي: فاغْسلوا الوجهَ، وهو ما تحصُلُ به المواجهةُ، من مَنابِتِ شَعرِ الرَّأس المعتاد، إلى ما انحدَر من اللَّحيينِ والذَّقن طولًا، ومِن الأُذنِ إلى الأُذُن عَرضًا(١).

﴿وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾.

أي: واغْسِلوا اليدَ كاملةً مِن أطرافِ الأصابعِ إلى المِرفَقِ- وهو مِفْصلُ العَضُد مِن الذِّراع- مع غَسْلِه(٢).

﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾.

أي: وامْسَحوا جميعَ الرأسِ(٣).

عن عبدِ اللهِ بنِ زيدٍ رضي الله عنه، أنَّه قال في وصْفِ وُضوءِ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ: ((... ثم مَسَحَ رأسَه بيدَيه، فأَقبلَ بهما وأَدْبرَ، بدَأ بمُقَدَّمِ رأسِه حتى

ابن كثير)) (٢/ ٤٣).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ١٨١)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٤٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٨٧-٨٨).

قال السعديُّ: (ويَدخُل فيه المضمضةُ والاستنشاقُ، بالسُّنَّة، ويدخل فيه الشعورُ التي فيه، لكن إنْ كانت خفيفةً فلا بدَّ من إيصال الماءِ إلى البَشَرة، وإنْ كانت كثيفةً اكتُفي بظاهرها) ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) ٢/ ٤٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٨٨-٨٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) ٢/ ٤٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٨٩).

قال ابن عثيمين: (يدخل في ذلك الأُذنان؛ أولًا: لأنَّ الاشتقاق يدلُّ على دخولهما، وثانيًا: أنه ثبَت عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ أنَّه كان يمسح بأُذنيه) ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٩٠).

ذهبَ بهما إلى قَفاه، ثم ردَّهُما إلى المكانِ الذي بدَأَ منه...))[١].

﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾.

القِراءاتُ ذاتُ الأَثَرِ في التَّفسيرِ:

في قوله تعالى: ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ﴾ قراءتان:

١- قِراءةُ ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بالنَّصب عطفًا على الوُجُوهِ والأيدي في قولِه تعالى: ﴿اغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾؛ فالواجبُ غَسلُها إذا كانت مكشوفةً[٢].

٢- قراءة ﴿وَأَرْجُلِكُمْ﴾ بالجَرِّ عطفًا على (رُؤُوسِكم) في قوله تعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ﴾، والمسحُ في كلامِ العَرَبِ يكون غسلًا، ويكون مَسحًا باليَدِ، والأَخْبارُ جاءت بغَسْلِ الأَرْجُلِ ومَسْحِ الرُّؤُوسِ، أو يكون الخفضُ حَمْلًا على العَامِلِ الأَقْرَبِ للجِوَارِ، ومِن أهْلِ العِلْمِ مَن حَمَلَ قراءةَ الجرِّ على مَسْحِ القَدَمينِ إذا كان عليهما الخُفَّانِ[٣].

﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾.

أي: واغْسِلوا الرِّجلَ كاملةً من أطرافِ الأصابعِ إلى الكَعب- وهو العَظْمُ الناتئُ

---

(١) رواه البخاري (١٨٥) واللفظ له، ومسلم (٢٣٥).

(٢) قرأ بها: نافعٌ، وابن عامر، والكسائيُّ وحفص ويعقوب. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٣).
ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((معاني القراءات)) للأزهري (١/ ٣٢٦)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: ٢٢١، ٢٢٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٥٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٩١).

(٣) قرأ بها الباقون. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٣).
ويُنظر لمعنى هذه القِراءة: ((معاني القراءات)) للأزهري (١/ ٣٢٦)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: ٢٢١، ٢٢٣)، ((النشر)) لابن الجزري (ص: ٢٩)، ((الفتاوى الكبرى)) لابن تيمية (٥/ ٣٠٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٥٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٩١).

عند مِفصَل السَّاق والقَدَم- مع غَسْله، إذا كانت مكشوفةً، وامسحوا على الخُفِّ إذا كانت مستورةً به(١).

﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾.

أي: وإنْ أصابتْكم جنابةٌ فاغتسلوا قبل أن تَقوموا إلى الصَّلاةِ(٢).

﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ﴾.

أي: وإنْ كُنتم ذَوي مَرَضٍ، يتعذَّرُ معه استعمالُ الماءِ(٣).

﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾.

أي: وإنْ كُنتم مسافرينَ(٤).

﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾.

أي: أو كنتُم مُحْدِثينَ؛ الحدَثَ الأصغرَ(٥).

﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٥١-٥٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٩٠-٩١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢١٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٩١-٩٢).

قال ابن عثيمين: (الجنب من أنزل مَنيًّا، وألحقت السُّنة به مَن جامع وإن لم يُنزِل) ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٩٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢١٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٩٣).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢١٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٩٣).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢١٣)، ((فتح الباري)) لابن رجب (٢/ ١٤)، ((تفسير القاسمي)) (٣/ ١٢٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٩٣-٩٤).

أي: أو جامعتُم النِّساءَ[١].

﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾.

أي: إنْ حصَلَتْ إحدى الحالاتِ السَّابقِ ذِكرُها- كالسَّفرِ- ففقدتُم الماءَ، فعليكم بقَصدِ وجهِ الأرضِ الطَّاهرِ النَّظيفِ[٢].

﴿فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾.

أي: فامْسَحوا مِن هذا الصَّعيدِ الطيِّبِ الوجهَ والكفَّينِ[٣].

﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾.

أي: لا يُريدُ الله تعالى بما فرَض عليكم من هذه الأحكامِ أن تَقَعُوا في الضِّيقِ والعُسرِ[٤].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٥٩)، (٢/ ٣١٤-٣١٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٣).
ومِمَّن اختار أنَّه الجماع: ابن جرير في ((تفسيره)) (٨/ ٢١٣).
ومِمَّن قال بهذا القولِ من السَّلف وهو أنَّه الجِماع: ابن عباس، وعليٌّ، وأُبيُّ بن كعب، ومجاهد، وطاوس، والحسن، وعُبَيد بن عُمَير، وسعيد بن جُبَير، والشَّعبي، وقَتادة، ومقاتل بن حيَّان. ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٧/ ٦٤)، ((تفسير ابن أبي حاتم)) (٣/ ٩٦١).
وقيل المراد بقوله: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾: كُلُّ لَمسٍ باليدِ أو بغيرِها
ومِمَّن اختار أنَّه اللمس باليدِ: الواحديُّ في ((التفسير الوسيط)) (٢/ ٥٨).
ومِمَّن قال بهذا القول من السَّلف أنه ما دون الجماع: عبد الله بن مسعود، وابن عمر، وعَبِيدة، وأبو عُثمان النَّهدي، وأبو عُبَيدة، والشَّعبي، وثابت بن الحجَّاج، وإبراهيم النخعي، وزيد بن أسلم، وعطاء، والحَكَم، وحمَّاد. ينظر:((تفسير ابن جرير)) (٣/ ٩٦١)، ((تفسير ابن أبي حاتم)) (٣/ ٩٦١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢١٤-٢١٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٣-٢٢٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٩٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢١٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٩٥-٩٦).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢١٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٦٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٩٦-٩٧).

﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾.

أي: ولكنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُريد أن يُطهِّركم بما فَرَض عليكم من وضوءٍ أو غُسلٍ أو تيمُّمٍ، فتتطهَّروا ظاهرًا طهارةً حسيَّة لأبدانِكم، وتتطهَّروا طهارةً معنويَّةً بتكفيرِ سيِّئاتِكم، ومَحوِ خطيئاتِكم[1].

﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾.

أي: ويُريد ربُّكم سبحانه أيضًا إتمامَ نِعمَتِه عليكم ببيانِ شرائعِ دِينه، وتيسيرها لعِبادِه[2].

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

أي: كي تَشكُروا الله تعالى- بقلوبِكم وألسنتِكم وجوارحِكم- على نِعَمِه عليكم[3].

الفوائِد التربويَّة:

١- أنَّ الطَّهارةَ من مُقتضياتِ الإيمانِ؛ كأنَّه قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ لإيمانِكم افعلوا كذا وكذا؛ ومِن ثَمَّ فإنَّ الإيمانَ يَزيد بالطَّهارةِ، وضوءًا كانتْ أو غُسلًا أو تيمُّمًا؛ لأنَّها إذا كانت من مُقتضياتِه لَزِم أن يَزيدَ بزيادتِها، ويَنقُصَ بنُقصانها، وأنَّ الإخلالَ بها منافٍ لكمالِ الإيمانِ[4].

٢- التَّكنِيَة عمَّا يُستقبحُ ذِكرُه؛ لقولِه: ﴿مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ وقوله: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢١٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٩٧).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢١٨-٢١٩)، ((تفسير الواحدي)) (٢/ ١٦٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٣٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٩٧).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢١٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٦٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٩٧).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٩٩).

ٱلنِّسَآءَ ﴾(١).

٣- الإشارةُ إلى أنَّه يَنبغي لقاضي الحاجةِ أن يَستترَ حتى يتوارى عن النَّاسِ؛ وجهُه قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾، فالغائط هو المكان المطمَئِنُّ الهابطُ من الأرض، كانوا ينتابونه لقضاءِ الحاجة، ليستتروا به عن النَّاس(٢).

٤- يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ وفي قراءةٍ أخرى ﴿وَأَرْجُلِكُمْ﴾ بالكسرِ، أنَّها جُرَّتْ مُنبِّهَةً على عدمِ الإسرافِ باستعمالِ الماء؛ لأنَّها مظنَّةٌ لصبِّ الماءِ كثيرًا، فعُطِفَتْ على الممسوح؛ لا لتُمْسَحَ، ولكِنْ لِيُنَبَّهَ على وجوبِ الاقتصادِ في صبِّ الماءِ عليها؛ وأنَّ مِن سُنَنِ الوضوءِ الاقتصادَ في الماء(٣).

٥- التَّرغيبُ في التَّزكيةِ والتطهيرِ؛ يُرشِدُ إلى ذلك قولُه تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾، أي: يُكْمِل نِعمةَ الإسلام بزِيادَةِ أحكامِه الرَّاجِعَة إلى التَّزكيةِ والتَّطهيرِ(٤).

الفوائِد العِلميَّة واللَّطائف:

١- وجوبُ استيعابِ الوَجْهِ بالغسْلِ؛ لقوله: ﴿فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾(٥).

٢- وجوب غَسلِ الأيدي من أطرافِ الأصابعِ إلى المرافِقِ؛ لقوله: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ

(١) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٢٠٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٢٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٢٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦١١)، ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١١٧)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ١١)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ١٩١).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٣٢).

(٥) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ١٨٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٠٧).

﴿إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾[(١)].

٣- وجوبُ غَسلِ الرِّجل إلى الكَعبينِ، والكعبانِ داخلانِ في الغَسْل؛ لقوله: ﴿إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾[(٢)].

٤- قولُ الله تعالى: ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾ الفصلُ بالمسحِ بين المغسولاتِ مُعْلِمٌ بوجوبِ الترتيبِ[(٣)].

٥- التَّثليثُ في أعمالِ الوضوءِ سُنَّةٌ لا واجب، إنَّما الواجب هو المرَّة الواحدةُ، والدَّليلُ عليه أنَّه تعالى أَمَر بالغَسْل، فقال: ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ﴾ وماهيَّةُ الغسل تَدخُل في الوجودِ بالمرَّةِ الواحدةِ[(٤)].

٦- حِكمةُ الشَّرع في التَّطهيرِ؛ حيث كان الاقتصارُ على أربعةِ أعضاءٍ في الحدَثِ الأصغَرِ؛ لأنَّ هذه الأعضاءَ هي غالبًا أدواتُ العَمَل وآلاتُ العمل، فالبَطشُ باليد، والمشيُ بالرِّجْل، والبَصرُ والشمُّ والكلامُ في الوجه، والسَّمعُ والتخيُّل والتفكيرُ في الرَّأس، فشُرِع تطهيرُ هذه الأعضاء الأربعة؛ أمَّا في الجنابة فشُرِعَ للإنسانَ أنْ يُطهِّرَ جميعَ بدنه؛ وذلك لأنَّ الجَنابة تُخلخِلُ البدنَ كلَّه، ولهذا يَضعُف الإنسانُ إذا حصَلت منه الجَنابةُ، ويُؤمَرُ إذا أراد أن يعودَ أن يغتسلَ فإنْ لم يُمْكِنْه فليتوضَّأ[(٥)].

---

(١) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ١٨٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٠٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ١٨٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١١٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٣٠٠)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٣٣).

(٤) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٣٠٢).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٢٨).

٧- في قوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ﴾: جاء المخاطَب جماعة، والخبر بصِيغة الإفراد؛ حيث لم يقُل: (إن كنتم جُنُبين)، بل قال: ﴿جُنُبًا﴾؛ لأنَّ كلمة (جنب) في اللُّغة الفصحى يستوي فيها المفردُ والاثنان والجَماعةُ[١].

٨- في قوله تعالى: ﴿فَٱطَّهَّرُواْ﴾ أنَّ الغُسْلَ لجميعِ البَدن؛ لأنَّه أطْلَقَ ولم يخصَّ الأعضاءَ كما في الوضوء[٢].

٩- أنَّه لا يُشتَرَط في الغُسل ترتيبٌ، وأنَّ المغتَسِل لو بدأَ مِن أسفلِ بدنِه أو مِن وَسَط بَدَنِه أو من أعلى بَدَنِه وعمَّه بالماءِ؛ كان ذلك مُجزئًا؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فَٱطَّهَّرُواْ﴾ ولم يُفَصِّلْ[٣].

١٠- أنَّ غُسْلَ الجَنابة تُستباحُ به الصَّلاة، وأنَّه لا يجبُ الوضوءُ معه؛ وجهُ الدَّلالة: أنَّ الله قال: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ﴾، ولم يذكر وضوءًا حتى لو لم يَنوِ إلَّا رَفْعَ الحدَث الأكبرِ، فإنَّه يُجزِئه؛ لعمومِ الآية[٤].

١١- أنَّ التيمُّم جائزٌ في الحدَثِ الأصغر وفي الحَدَثِ الأكبر؛ لأنَّ الآيَةَ واضحةٌ؛ قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ﴾، ثم قال: ﴿عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ﴾ ذكَرَ الله تعالى التيمُّمَ بعد الوضوءِ وبعد الغُسْلِ من الجنابَةِ، فيكون في ذلك دليلٌ على أنَّ مَن عليه غُسلُ الجنابةِ إذا لم يَجِدِ الماءَ، فإنَّه يتيمَّمُ ويُصلِّي[٥].

١٢- أنَّه لا يجب التطهُّرُ بغيرِ الماء، يعني: لو كان مع الإنسانِ نبيذٌ أو شايٌ

(١) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٩١).
(٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٣٠٨)، ((تفسير الشربيني)) (١/ ٣٥٨).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١١٥).
(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ١١٧).
(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ١٢٦).

أو لَبن، فإنَّه لا يتطهَّر به؛ لأنَّ اللهَ جَعَل آلةَ الطَّهارةِ هي الماءُ؛ فقال تعالى: ﴿فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ﴾[(١)].

١٣- قولُ الله تعالى: ﴿فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ﴾ يدلُّ على أنَّه كلَّما بقِيَ اسمُ الماءِ المطلَق كان طاهرًا طَهورًا[(٢)].

١٤- أنَّ الماءَ ما دام يُطلَق عليه اسمُ الماءِ، فإنَّه مُطهِّرٌ ولو تغيَّر بشيءٍ طاهرٍ؛ لعمومِ الآية: ﴿فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ﴾ و﴿مَآءٗ﴾ نَكِرةٌ في سِياقِ النَّفي؛ فما دام اسمُ الماءِ باقيًا، فإنَّه يجبُ التطهُّرُ به، ولو مع التغيُّرِ[(٣)].

١٥- وجوبُ طَلَبِ الماءَ؛ لقوله: ﴿فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ﴾، أي: في الأماكِنِ القريبةِ منه التي لا يَلحَقُه حرَجٌ بطلب الماءِ فيها، وإذا تيقَّنَ عَدَمَ وجود الماءِ حَوْلَه، فلا يجِبُ عليه البحثُ عند كلِّ صلاةٍ؛ لأنَّ هذا عبَثٌ ومنافٍ للحِكمة، ومنافٍ للشَّرْع[(٤)].

١٦- قوله: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ﴾ فيه أنَّ الدينَ يسرٌ، سواء كان مِن أصلِ المشروعاتِ، أو إذا وُجِد سببٌ للرُّخصةِ؛ لأنَّ المشقَّةَ تجلبُ التيسيرَ، لكنها لا تُسقطُ الواجبَ إلا في حدودِ الشَّرع[(٥)].

١٧- قوْلُه تعالى: ﴿فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا﴾ فيه أنَّه لا بدَّ في

(١) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٢١٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١١٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٣١٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١١٩).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ١١٨).

التيمُّمِ من النيَّة؛ فقوله: ﴿فَتَيَمَّمُواْ﴾ أي: اقْصِدوا، فالتيمُّم عبارةٌ عن القَصْدِ[(١)].

١٨- استُدِلَّ بقولِه: ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا﴾ على جوازِ التيمُّمِ من الصَّعيدِ الذي على ظَهْرِ الأرض أيًّا كان، سواءٌ كان هذا الصَّعيدُ رمليًّا أو حجريًّا أو سبخةً، أو يابسًا أو رطبًا، يعني: نديًّا، المهمُّ أنَّه يُسمَّى صعيدًا[(٢)].

١٩- يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ أنَّه لا بدَّ أن يكونَ الصَّعيدُ الذي يُتيمَّم منه طيِّبًا وهو الطَّاهِرُ، وضِدُّه النَّجس، وعلى هذا فلا يصحُّ التيمُّمُ على أرض متنجِّسةٍ[(٣)].

٢٠- وجوبُ استيعابِ الوَجهِ بالمسْحِ في التيمُّمِ؛ لقوله: ﴿بِوُجُوهِكُمْ﴾ وهو شاملٌ لجميع الوجه، ومِن ثَمَّ يجبُ أن نُنبِّهَ بعضَ العامَّة الذين إذا تيمَّموا مَسَحوا الأنفَ وما حوله، وتركوا الباقِيَ؛ فيُقال: هذا لا شكَّ أنَّه لا يُجزِئُ؛ لأنَّ الآية صريحةٌ؛ فقد قال تعالى: ﴿بِوُجُوهِكُمْ﴾ أي: كلِّها[(٤)].

٢١- قوله: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ فيه رفْعُ الحرَجِ عن هذه الأمَّةِ، وهو تارةً يكون برفْعِ المشروعِ بالكليَّةِ، وتارةً بتخفيفِه، وتارةً بفِعل بدَلِه[(٥)].

---

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٣١٣)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٢٣٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٢٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٢٣٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٢٩).

(٤) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٢٩).

(٥) أمَّا رفعه بالكلية فمِثل: كفَّارة القتل؛ إذا عجَز الإنسانُ عن صِيام شهرين متتابعين تَسقُط عنه، أي: تُرفَع عنه بالكليَّة. وأمَّا تخفيفه فمِثل: القِيام في الصلاة؛ إذا عجزَ الإنسان عنه، يُخفَّف فيُصلي قاعدًا إذا لم يستطعْ أن يُصلِّي قائمًا. وأمَّا فعل بدله فمثل: أن يكون إلى بدلٍ؛ فالإنسان العاجز

٢٢- قولُ الله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ﴾ أصلٌ كبيرٌ في الشَّرعِ، وهو أنَّ الأصْلَ في المضارِّ ألَّا تكونَ مشروعةً[(١)].

٢٣- إثباتُ الحِكمةِ في شَرْعِ الله؛ وجهُ ذلك: التعليلُ في قوله تعالى: ﴿وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ﴾، وهذا الذي دلَّ عليه الكتابُ والسُّنة من وجوهٍ لا تُحصَى- أنَّ الله سبحانه وتعالى حكيمٌ في كلِّ ما يَخلُق، وفي كلِّ ما يَشرَع؛ ومِن ثَمَّ فيجبُ الاستسلامُ لقضاءِ الله الشرعيِّ والكونيِّ[(٢)].

٢٤- أنَّ الطَّهارةَ بأقسامِها الثلاثة- الغُسل والوضوء والتيمُّم- نعمةٌ من الله عزَّ وجلَّ على العبادِ؛ لقوله: ﴿وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ﴾، ولا شكَّ أنَّها نِعمةٌ، ومَن رأى فضائِلَ الوضوءِ وما يُكفِّر من الذُّنوب، عَرَف نِعمةَ الله عزَّ وجلَّ بهذا، وكذلك الغُسْلُ من الجَنابة، ولا سيَّما في أيَّام الشِّتاءِ وأيَّامِ المشقَّةِ[(٣)].

٢٥- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ﴾ قال فيه بعضُهم: دلَّت هذه الآيةُ على سَبعةِ أصولٍ، كُلُّها مَثْنَى: طهارتانِ: الوُضوءُ والغُسل، ومُطَهِّران: الماءُ والتُّراب، وحُكْمان:

عن الصيام عجزًا مستمرًّا لا يلزمه أن يصومَ، لكن عليه البَدَل، وهو: إطعامُ مِسكين عن كلِّ يوم، فصار الأمر والحمد لله واسعًا، وبناءً على هذه القاعدة فمن عجَز عن الكفَّارات أيًّا كانتِ الكفارة وقتَ الوجوب، فإنَّها تسقط عنه. ينظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ١٣١).

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٣١٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٣٥).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ١٣٦).

المسحُ والغَسل، وموجِبان: الحَدَثُ والجَنابةُ، ومُبيحانِ: المَرَضُ والسَّفَرُ، وكنايتان: الغائِطُ والمُلامَسةُ، وكَرامتان: تطهيرُ الذُّنوبِ، وإتمامُ النِّعمةِ[(١)].

٢٦- قولُه: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (لعلَّ) هنا للتَّعليلِ، وليست للترجِّي؛ لأنَّ الرجاءَ طلبُ ما فيه عُسر، والله عزَّ وجلَّ لا يتأتَّى في حقِّه ذلك؛ لأنَّ كلَّ شيءٍ سهْلٌ عليه، فتكون (لعلَّ) هنا للتعليلِ[(٢)].

بلاغَةُ الآيةِ:

١- **قوله:** ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾، أي: إذا أردْتُم القيامَ إلى الصَّلاةِ؛ ففيه: جوازُ التَّعبيرِ عن إرادةِ الفِعل بالفِعل؛ لأنَّ الفعلَ يوجدُ بقُدرةِ الفاعِلِ عليه وإرادَتِه له، وهو قَصْدُه إليه وميلُه وخُلوصُه؛ وذلك لأنَّ الفِعْلَ مسبَّبٌ عن القُدرةِ والإرادة، فأُقيمَ المسبَّبُ مقامَ السَّبَب؛ للملابسةِ بينهما، ولإيجازِ الكلامِ ونحوه، والتَّنبيهِ على أنَّ مَن أراد العبادةَ ينبغي أن يبادِرَ إليها، بحيث لا ينفكُّ الفعلُ عن الإرادةِ، ويَجوزُ أنْ يكونَ المرادُ: إذا قَصَدْتم الصَّلاةَ؛ لأنَّ التوجُّهَ إلى الشَّيءِ والقيامَ إليه قَصْدٌ له[(٣)].

٢- **قوله:** ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ فيه كنايةٌ حَسَنَةٌ؛ فالمجيءُ من الغائِط- وهو المطمئنُّ أو المنخفِض من الأرض- كنايةٌ عن الحدَثِ[(٤)].

٣- **قوله:** ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾: فيه التعبيرُ عن نفْي الفِعلِ بنفي الإرادةِ له؛ فالإرادةُ هنا كنايةٌ عن نفْي الجَعْلِ؛ لأنَّ المريدَ الذي لا

---

(١) ينظر: ((حاشية البجيرمي على الخطيب)) (١/ ١٤١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٩٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١١٥)، ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٠٨)، ((تفسير الرازي)) (١١/ ٢٩٧)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ١٠)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ١٨٧).

(٤) يُنظر ما تقدم في غريب الكلمات.

غالبَ له لا يَحُولُ دون إرادَتِه عائِقٌ[١].



(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٣١).

الآيات (٧ - ١١)

﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا
وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ
قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ
ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝٨ وَعَدَ
ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ۝٩ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ۝١٠ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ
أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١١﴾.

غريبُ الكَلِمات:

﴿وَمِيثَٰقَهُ﴾: الميثاقُ هو العقدُ المؤكَّدُ بيمينٍ وعهدٍ، أو العهدُ المُحكَم، وأَصْلُ (وثق): العقدُ والإحكامُ[١].

﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ﴾: ﴿قَوَّٰمِينَ﴾ جمعٌ، مفردُه (قوَّام)، بناءُ مبالغةٍ مِن (قائمٍ)، أي: ليتكررْ منكم القيامُ، وأصلُ (قوم): مراعاةُ الشيءِ وحِفظُه[٢].

﴿شُهَدَآءَ﴾: جمع شهيد، والشَّهادة قولٌ صادرٌ عن عِلمٍ حصَل بمشاهدةِ بصيرةٍ أو بصَرٍ[٣].

﴿بِٱلۡقِسۡطِ﴾: بالعدلِ، وأصلُ (قسط) يدلُّ على مَعنيينِ متضادَّينِ: العدلِ،

---

(١) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦/ ٨٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٥٣).

(٢) يُنظر: ((التفسير الوسيط)) للواحدي (٢/ ١٢٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٩٠)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (١/ ٦٣)، ((تفسير ابن عطية)) (٢/ ١٢٢)، ((الكليات)) للكفوي (١/ ٧٣٧).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (١/ ٦٥)، ((المفردات)) للراغب (١/ ٤٦٥).

والجَوْرِ؛ يُقال: أَقسَط: إذا عدَل. وقَسَط: إذا جارَ وظَلَم(١).

﴿شَنَـَٔانُ﴾: شِدَّةُ البُغض والعداوة؛ يُقال: شَنِئتُه، أي: تَقذَّرْتُه بغضًا له(٢).

﴿ٱلْجَحِيمِ﴾: النَّار، وأصْل (جحم): عِظَم الحرارة وشِدَّتها(٣).

﴿يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾: يَمدُّوا إليكم أيديَهم بالصَّوْلةِ والضَّرب، وأصل (بسط): امتدادُ الشَّيءِ، في عَرْض أو غير عَرْض(٤).

مُشكِلُ الإعراب:

قولُه تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَعَدَ﴾: فِعلٌ يَتعدَّى لمفعولَينِ؛ أولهما ﴿ٱلَّذِينَ﴾، والثَّاني مَحذوفٌ، وجملةُ ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ جملةٌ اسميَّةٌ وقعَتْ بيانًا للوعدِ، كأنَّه قال: قَدَّم لهم وعْدًا، فقيل: أيَّ شيءٍ وَعَدَه لهم؟ فقال: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾؛ وعليه فهي مُفسِّرةٌ لمفعولِ ﴿وَعَدَ﴾ الثاني المحذوفِ، لا محلَّ لها من الإعرابِ. وقيل: إنَّ جملةَ ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ منصوبةٌ بقولٍ محذوفٍ؛ كأنَّه قيل: وَعَدَهم وقال: لهم مَغفِرةٌ. وقيل: الوعدُ جارٍ مجرَى القولِ؛ لأنَّه ضَرْبٌ منه، وهو واقعٌ على الجملةِ ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾؛ فهي منصوبةٌ به؛ كأنَّه قيل: وعَدَهم هذا

---

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٠٣)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٨٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٧٠).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٠)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٢٨٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٦٥)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٨)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٧)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٥٤١).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٣٧٢)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٤٢٩).

(٤) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٢٤٧)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٢٣)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨٠)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٩٨٨).

القَولَ[١].

المعنى الإجماليُّ:

يَأمُر اللهُ المؤمنينَ أن يَذكُروا نعمتَه عليهم، والعهْدَ الذي أخَذَه عليهم بمبايعةِ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ على متابعَتِه، ونُصْرَتِه، والقيامِ بدِينه والدَّعوةِ إليه؛ حيث الْتَزموا بذلك العهدِ حينها، وقالوا: سمِعْنا وأطَعْنا، ثم أمَرَهم بتقواه عزَّ وجلَّ؛ فإنَّه عليمٌ بكلِّ ما تُكِنُّه الصُّدورُ.

ويأمُر اللهُ المؤمنينَ كذلِك بأنْ يقوموا بحقِّ اللهِ تعالى في كلِّ ما يَلْزَمُهم القيامُ به مخلِصينَ له، وأنْ يُلازِموا العدلَ في شَهادَتِهم، ولا يَحمِلَنَّهم بُغضُهم وكراهِيَتُهم لقوم على ألَّا يَعدِلوا، بل عليهم مُلازمةُ العدلِ؛ فإنَّه أقربُ لتحقيقِ كمالِ التَّقوى، ولْيتَّقوا الله؛ فإنَّ الله خبيرٌ بما يعملونَ.

ثم يُخبر تعالى أنَّه وعَدَ المؤمنين الذين يَعملون الأعمالَ الصالحةَ بأنَّ لهم مغفرةً لذنوبهم، وثوابًا كبيرًا، وهو الجنَّة، وأمَّا الذين كَفروا وكذَّبوا بآياتِه فهمْ أصحابُ النارِ المُلازِمون لها.

ثم أَمَر اللهُ المؤمنينَ أن يَذكُروا نِعمتَه عليهم، حين هَمَّ بعضُ أعدائِهم بالبَطْشِ بهم، فصرَفَهم اللهُ عنهم، وحالَ بينهم وبين ما يُريدونَه بهم من سوءٍ، وختَمَ الآيةَ بالأمرِ بتقواه، وأن يَعتَمِدوا عليه وحْدَه سبحانه وتعالى.

تَفسيرُ الآياتِ:

﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧﴾

---

(١) يُنظر: ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (١/ ٢٢١)، ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦١٢)، ((التبيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/ ٤٢٥)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٢١٨).

مُناسَبةُ الآيةِ لِمَا قَبلَها:

لَمَّا ذكَر التَّكاليفَ في الآياتِ السَّابِقةِ من بدايةِ السُّورةِ، أرْدَفَه بما يُوجِبُ عليهم القَبولَ والانقيادَ، وذلك من وجهينِ: الأوَّل: كَثرةُ نِعَمِ الله عليهم؛ لأنَّ كثرةَ النِّعَمِ تُوجِبَ على المُنعَمِ عليه الاشتغالَ بخدمةِ المُنعِم، والانقيادَ لأوامِرِه ونواهيه. والوجه الثاني: في السَّببِ الموجِبِ للانقيادِ للتَّكاليفِ، وهو الميثاقُ الذي واثقَكم به[١]، فقال:

﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾.

أي: واذْكروا- أيُّها المؤمنونَ- نِعمَ اللهِ تعالى عليكم، فتَذكَّروها بقُلوبِكم وألسِنَتِكم، ومنها نِعمةُ الهدايةِ للإسلامِ[٢].

﴿وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾.

أي: واذكُروا أيضًا- أيُّها المؤمنونَ- عَهدَه الذي عاهَدَكم به بمبايعةِ نبيِّه صلَّى الله عليه وسلَّمَ على مُتابعتِه ومُناصَرتِه ومُؤازَرَتِه، والقيامِ بدِينه، وتبليغِه[٣].

قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ لِتُؤۡمِنُواْ بِرَبِّكُمۡ وَقَدۡ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [الحديد: ٨].

﴿إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا﴾.

---

(١) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ١٨٢)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٢٤٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢١٩، ٢٢١)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٦١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٣٨).

قال ابنُ عثيمين: (قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ إنما أمَرَ الله تعالى أن نَذكُر النِّعمةَ؛ من أجْلِ أن نَعرِفَ فضلَه علينا؛ حتى يسهُلَ علينا الانقيادُ لطاعته؛ لأنَّ الإنسان بمقتضى فِطرته وطبيعتِه لا بدَّ أن يَنقادَ لِمَن أحسن إليه) ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٣٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢١٩، ٢٢١)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٦١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٣٨-١٣٩).

أي: حيث التَزَمْتُم بهذا العَهْدِ بإعلانِ السَّمعِ والطَّاعة، فقلتم: سَمِعْنا ما دَعوتَنا به- أيُّها الرسولُ الكريمُ- من الآياتِ القرآنيَّةِ والكونيَّةِ، سَمْعَ فَهمٍ وإذعانٍ وانقيادٍ، وأطَعْنا ما أمَرْتَنا به، واجتَنَبْنا ما نهيتَنا عنه[(١)].

عن جُنادَةَ بنِ أبي أُميَّةَ، قال: دَخَلْنا على عُبادةَ بنِ الصَّامتِ وهو مريضٌ، قُلنا: أصلحَك اللهُ، حَدِّثْ بحديثٍ ينفعُك اللهُ به، سَمِعْتَه مِن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ، قال: ((دَعانا النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ فبَايعْناه، فقال فيما أَخَذَ علينا: أنْ بايَعَنا على السَّمْعِ والطَّاعةِ، في مَنْشَطِنا[(٢)] ومَكْرَهِنا[(٣)]، وعُسْرِنا ويُسْرِنا، وأَثَرةٍ علينا[(٤)]، وأنْ لا نُنازِعَ الأمرَ أهلَه، إلَّا أنْ تَرَوْا كُفرًا بَواحًا عندكم من اللهِ فيه برهانٌ))[(٥)].

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾.

أي: وامتَثِلوا ما أَمَرَكم اللهُ تعالى به، واجتَنِبوا ما نهاكم عنه في جميعِ أَحْوالِكم[(٦)].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٢١)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٦١-٦٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٣٩).

(٢) مَنشَطنا: المنشَط مَفعَل من النَّشاط، أي: حِين نَشاطِنا. ينظر: ((النهاية)) لابن الأثير (٥/ ٥٧)، ((التوضيح لشرح الجامع الصحيح)) لابن الملقِّن (٣٢/ ٢٨٤).

(٣) ومَكْرَهِنا: المَكْرَهُ: وهو ما يَكْرَهُه الإنسانُ ويشقُّ عليه؛ أراد في وقتِ الكَسَلِ والمشقَّةِ في الخروج. ينظر: ((النهاية)) لابن الأثير (٤/ ١٦٨)، ((التوضيح لشرح الجامع الصحيح)) لابن الملقِّن (٣٢/ ٢٨٤)، ((فتح الباري)) لابن حجر (١٣/ ٧).

(٤) وأَثَرَة عَلَينا: الأَثَرَة الاسمُ من: آثَر يُؤثِر إيثارًا: إذا أعطى، والاستئثار: الانفرادُ بالشيء، والمراد أنَّ طواعِيَتَهم لمن يتولَّى عليهم لا تتوقَّف على إيصالِهم حقوقَهم، بل عليهم الطاعةُ ولو منعَهم حقَّهم. ينظر: ((النهاية)) لابن الأثير (١/ ٢٢)، ((فتح الباري)) لابن حجر (١٣/ ٨).

(٥) رواه البخاري (٧٠٥٥) واللفظ له، ومسلم (١٨٤٠).

(٦) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٢٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٦٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٣٩).

أي: إنَّه يعلمُ ما يتخالَجُ في الضَّمائِرِ والسَّرائِرِ، وما تَنطوي عليه القُلوبُ من الأَفْكارِ والخواطِرِ؛ فاحذروا أن يَطَّلِعَ من قُلوبِكم على أمرٍ لا يرضاه، كأنْ تُضْمِروا عدَمَ الوفاءِ بميثاقِ اللهِ(١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٨﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِمَا قَبلَها:

أنَّ اللهَ تعالى لَمَّا حَثَّ على الانقيادِ للتَّكاليفِ، وهي مع كَثْرَتِها محصورةٌ في نوعينِ: التَّعظيم لأمْرِ الله، وهذا ذَكَرَه في قوله: ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، ثم أعْقَبَه بذِكْرِ النَّوعِ الثَّاني وهو الشَّفقَةُ على خَلْقِ الله(٢)، فقال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ﴾.

أي: يا أيُّها المؤمنونَ، كونوا بمُقتَضَى إيمانِكم ذَوي قِيامٍ بالحقِّ للهِ تعالى وَحْدَه، لا رِياءً ولا سُمْعةً، ولا لنيلِ غَرَضٍ من أغراضِ الدُّنْيا(٣).

﴿شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾.

أي: وكونوا أيضًا شُهَدَاءَ بالعَدْلِ، ولا تَجُوروا في أَحْكامِكم على القَريبِ والبَعيدِ، والصَّدِيقِ والعَدُوِّ(٤).

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٢٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٦٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٣٩-١٤٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٢٤٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٢٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٦٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٤).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٢٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٦٢)، ((تفسير السعدي))

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾.

أي: ولا يَحْمِلنَّكم عداوةُ قومٍ وبُغضُهم على ألَّا تَعْدِلوا في حُكْمِكم فيهم، فتَجورُوا عليهم[١].

﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾.

أي: عليكم بالعَدْلِ- أيُّها المؤمنونَ- مع كلِّ أحدٍ، فاستعمالُ العَدْلِ أقرَبُ إلى التَّقْوى الكاملةِ[٢].

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾.

أي: امتَثِلوا ما أمَرَكم اللهُ تعالى به، واجتَنِبوا ما نهاكم عنه، ومِن ذلك القيامُ بالعَدْلِ، وترْكُ الجَورِ[٣].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

أي: إنَّ اللهَ تعالى هو وَحْدَه العالِمُ ببواطنِ ما تَعمَلونَه- أيُّها المؤمنونَ- مِن خَيْرٍ أو شرٍّ ومُجازيكم بها[٤].

(ص: ٢٢٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٤٥).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٢٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٦٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٤٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٢٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٦٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٤).

قال السعديُّ: (﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أي: كلَّما حرَصْتُم على العدل، واجتهدتم في العمل به، كان ذلك أقربَ لتقوى قلوبِكم؛ فإنْ تمَّ العدلُ كمَلَتِ التَّقوى) ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٤).

وقال ابنُ عاشور: (ومعنى ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾، أي: للتقوى الكاملة التي لا يَشُذُّ معها شيءٌ من الخير؛ وذلك أنَّ العدل هو ملاكُ كبْح النَّفْس عن الشهوة، وذلك ملاكُ التقوى) ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٣٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٢٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٤٦-١٤٧).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٢٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٦٢)، ((تفسير السعدي))

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ٩﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِمَا قَبلَها:

أنَّ اللهَ تعالى لَمَّا ذكَرَ أوامِرَ ونواهيَ، ذكَر وعْدَه مَن اتَّبَعَ أوامرَه واجتَنَبَ نواهيَه[1].

وأيضا لَمَّا كان الأَمْرُ بالتَّقْوى ممَّا حُتِمَ على الإطلاقِ، بعدَ بيانِ أنَّ العدْلَ هو أقربُ ما يُتَّقَى به عقابُ اللهِ في الدُّنيا والآخِرَة؛ لأنَّه قِوامُ الصَّلاحِ للأفرادِ، والإصلاحِ في الأقوامِ، ولَمَّا عُلِّل هذا الأمرُ المطلَقُ بأنَّ الله خبيرٌ بدقائِقِ الأعمالِ وخَفاياها، وكان هذا التعليلُ يُشيرُ إلى جزاءِ العاملينَ المُتَّقينَ وغَيْرِ المتَّقينَ- قال عزَّ وجلَّ في بيانِ الجزاءِ العامِّ[2]:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾.

أي: وعَدَ اللهُ عزَّ وجلَّ- الذي لا يُخلِفُ الميعاد- المؤمنينَ الذين عَمِلوا الأَعْمالَ الصَّالِحات مخلصين للهِ تعالى فيها، ومُتابعين شريعَتَه، وَعَدَهم بسَتْرِ ذُنُوبِهم، والتَّجاوُزِ عن مؤاخَذَتِهم بها[3].

﴿وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾.

أي: ولهم ثوابٌ كبيرٌ، وعطاءٌ جزيلٌ غيرُ محدودٍ، وهو الجَنَّةُ[4].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١٠﴾.

(ص: ٢٢٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٤٧).

(١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ١٩٧)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٤٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٢٢٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٢٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٦٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٥٢-١٥٣).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٢٥-٢٢٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٦٢-٦٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٤).

مُناسَبةُ الآيةِ لِمَا قَبلَها:

لَمَّا ذكَرَ اللهُ تعالى ثوابَ المؤمنينَ العاملينَ للصَّالحاتِ، ثنَّى بذِكر مَن يُقابِلُهم وما لهم من العقابِ[1]؛ فقال:

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ۝١٠﴾.

أي: وأمَّا الكُفَّارُ المكذِّبونَ بالأدلَّةِ الدالَّةِ على الحقِّ، فهُم أهلُ نارِ الجحيمِ الملازِمونَ لها، لا يَخرجُون منها أبدًا[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١١﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾.

أي: يا مَعْشَرَ المؤمنينَ، تذكَّروا ما أنعمَ اللهُ تعالى به عليكم بقُلوبِكم وألْسِنَتِكم؛ لأجْلِ القيامِ بواجِبِ شُكْرِ اللهِ عزَّ وجلَّ على ذلك[3].

﴿إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ﴾.

أي: حيث أنعمَ اللهُ تعالى عليكم، بأنْ ردَّ كيدَ أعدائِكم الذين همَّوا بالبَطْشِ بكم، فصَرَفهم وحَجزَهم عنكم، وحالَ بينهم وبين ما أرادُوه بكم؛ فلم يَسْتطيعوا

---

(١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ١٩٧)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٤٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٥٩)

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٢٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٢/ ٦٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٥٩-١٦٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٢٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٦٤).

أن يَنالُوكم بسُوءٍ[(١)].

كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤].

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾.

أي: وافْعلوا ما أمرَكَم اللهُ تعالى به، واجتَنِبوا ما نَهاكم عنه[(٢)].

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

مُناسَبَتُها لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تعالى إنعامَه عليهم بكفِّ أَيدِي أعدائِهم عنهم، وردِّ كَيْدِهم في نُحورِهم- أَمَرَهم بما يَستعينونَ به على الانْتِصارِ على عَدُوِّهم، وعلى جميعِ أُمُورِهم[(٣)]، فقال:

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

أي: وعلى اللهِ تعالى وحْدَه دونَ غيره، فلْيعتمِدِ المؤمنونَ الَّذين آمنوا باللهِ تعالى وبكلِّ ما يَجِبُ عليهم الإيمانُ به، فليعتمدوا عليه في جَلْبِ منافِعِهم ودَفْعِ مَضَارِّهم، ممَّا يتعلَّقُ بِشُؤونِ الدُّنيا والآخِرَةِ؛ ثِقةً به عزَّ وجلَّ، وتفويضًا إليه[(٤)].

الفوائِدُ التربويَّةُ:

١- الحثُّ على التأمُّلِ في نِعَمِ الله تعالى؛ نبَّه على ذلك قولُه: ﴿وَٱذْكُرُواْ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٢٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٦٤-١٦٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٣٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٦٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٥).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٦٥-١٦٦).

﴿نِعۡمَةَ ٱللَّهِ﴾(١).

٢- تهديدُ مَن خَرَجَ عن التَّقوى، بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾، يعني أنَّه لا بدَّ أن تكونَ التَّقوى مبنيَّةً على صَلاحِ القَلْبِ، وليست مُجرَّدَ قَوْلٍ باللِّسانِ، ويُكرِّرُ اللهُ عزَّ وجلَّ التَّقوى في آياتٍ كثيرة؛ لأنَّها في الحقيقَةِ عليها مدارُ الإِسلامِ، فإذا اتَّقى الإنسانُ ربَّه فسوف يقومُ بدِينِ الله تعالى على ما يُريدُ اللهُ جلَّ وعلا(٢).

٣- وجوبُ الإخلاصِ لله عزَّ وجلَّ في الشَّهادَةِ؛ لقولِه: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾، وقال في آيةٍ أخرى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق: ٢]، ومِن ثَمَّ فلا يكونُ هناك محاباةٌ لقريبٍ أو صَدِيقٍ، ولن يَحمِلَك بُغضُك لشَخْصٍ على أنْ لا تشْهَد له ما دُمتَ مُخلِصًا لله تعالى بالشَّهادَةِ(٣).

٤- وجوبُ الشَّهادَةِ بالقِسْطِ ولو كنتَ كارهًا؛ دلَّ على ذلِك قولُه تعالى: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾؛ لأنَّ بعضَ النَّاسِ قد تحمِلُه كراهةُ أن يتَضَرَّرَ الشَّخصُ على كِتمانِ الشَّهادَةِ(٤).

٥- أمَرَ اللهُ تعالى جميعَ الخَلْقِ بأنْ لا يُعامِلُوا أحدًا إلَّا على سَبيلِ العَدْلِ والإنصافِ، وترْكِ المَيْلِ والظُّلْمِ والاعتِسافِ؛ قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾(٥).

---

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٣١٩).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٣٩، ١٤٢، ١٥٠).
(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ١٤٧).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٢٤٢)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٢٢٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٤٨).
(٥) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٣٢٠)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٤٢).

٦- يُستَفاد مِنْ قَوْلِه: ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ أنَّ الأعمالَ الصَّالحةَ منها ما يَبعُدُ عن التَّقوى، ومنها ما يَقرُبُ، ويَنبني على تفاضُلِ الأَعمالِ، وتفاضُلُ الأعمالِ قد دلَّ عليه الكتابُ والسُّنَّةُ والعَقْلُ، وأنَّ الأعمالَ تَتَفاوتُ، والعُمَّال يتفاوَتون أيضًا، ويُستَفادُ أيضًا أنَّ الإيمانَ يَزيدُ وكذلك ينقُصُ(١).

٧- أنَّ الإيمان وحْدَه لا يَكفي، بل لا بدَّ مِن عَمَلٍ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ ولهذا فالَّذينَ يُركِّزون على العقيدةِ، فيقولون: عَقِيدتُنا سليمةٌ والحمدُ لله، ولا يَتعرَّضون للعَمَلِ؛ عندهم قُصورٌ، بل لا بدَّ مع العقيدَةِ مِن عَمَلٍ صالحٍ(٢).

٨- وُجوبُ تقوى الله عزَّ وجلَّ عند ذِكْرِ النِّعَمِ؛ حتى لا يَطغى الإنسانُ، ويرتفعَ ويَرْبأَ بنفْسِه؛ لقوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾(٣).

٩- وجوبُ التوكُّلِ على الله عزَّ وجلَّ، وأنَّه من الإيمانِ؛ لقوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، فوجَّه الأمرَ إلى المؤمنينَ؛ لأنَّهم هم أَهْلُ التوكُّلِ، ولأنَّ ترْكَ التوكُّلِ على الله نَقْصٌ في الإيمانِ(٤).

الفوائِد العِلْميَّةُ واللَّطائفُ:

١- قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ ولم يقُل: (نعم الله)؛ لأنَّه ليس المقصودُ منه التأمُّلَ في أعدادِ نِعَم الله، بل المقصودُ منه التأمُّلُ في جِنْسِ نِعَمِ الله؛ لأنَّ هذا الجِنْسَ جنسٌ لا يَقْدِرُ غيرُ اللهِ عليه(٥).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٤٢، ١٤٩).
(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ١٥٨).
(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ١٦٧).
(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).
(٥) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٣١٩)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٣٩).

٢- أنَّه يجبُ على الإنْسانِ أنْ يَذكرَ الميثاقَ الذي واثَقَ اللهَ عليه، وهو العَهْدُ بالسَّمْعِ والطَّاعَةِ المذكورُ في قوله: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا﴾، ويُستفادُ مِنَ الآيةِ أنَّ السَّمْعَ المجرَّدَ لا يُغني شيئًا، فلا بدَّ أن يكونَ سمعًا واستجابَةً، فأمَّا مجرَّدُ السَّمْعِ فلا؛ وذلك لِقَوْلِه: ﴿سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا﴾[١].

٣- في قوله تعالى: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ﴾ إشارةٌ إلى التَّعظيمِ لأَمْرِ اللهِ[٢].

٤- ممَّا يُستفادُ مِن قَوْلِه سبحانَه: ﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾: أنَّ هناك فَرْقًا بين المساواةِ والعَدْلِ، وأكثَرُ ما ورد في القرآنِ هو نفْيُ المساواةِ، مع إثباتِ العَدْلِ؛ قال تعالى: ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ * مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥ - ٣٦]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[٣] [الزمر: ٩].

٥- تأكيدُ الأَمْرِ بالعَدْلِ مع الأعداءِ، والشَّهادةُ لهم به في قَوْلِه تعالى: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ يُفيدُ وجوبَه مع غَيْرِهم من الأَولياءِ بالأَوْلى[٤].

٦- من اللَّطائِفِ في قولِه تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ...﴾ وقولِه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ في المؤمنينَ جاءتِ الجملةُ فِعليَّةً متضمِّنةً الوعدَ بالماضي الذي هو دليلٌ على الوُقوعِ، فأنْفُسُهم متشوِّقةٌ لِمَا وُعِدُوا به، مُتشوِّفةٌ إليه، مبتهجةٌ طولَ الحياةِ بهذا الوَعْدِ الصَّادِقِ. وفي الكافرينَ جاءت الجملةُ اسميَّةً دالَّةً على ثُبوتِ هذا الحُكْمِ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٤١).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٢٤٢).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٤٨).
(٤) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٢٢٧)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٢٤٣).

لهم، وأنَّهم أصحابُ النَّارِ؛ فهم دائمونَ في عذابٍ؛ إذ حَتَّمَ لهم أنَّهم أصحابُ الجحيمِ، ولم يأتِ بصورةِ الوعيدِ، فكان يكونُ الرجاءُ لهم في ذلك(١).

٧- قولُه: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: فيه: تقديرُ محذوفٍ، أي: عَمِلُوا الأعمالَ الصَّالحات، ويكون العملُ صالحًا إذا تَضمَّن أمرينِ؛ الأوَّل: الإخلاصُ للهِ كما في قوله: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، والثاني: المتابعةُ لشريعةِ اللهِ؛ لأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: ((مَن عَمِلَ عَمَلًا ليس عليه أمْرُنا؛ فهو رَدٌّ))(٢).

٨- يُستَفاد مِنْ قَوْلِه: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ تفضُّلُ اللهِ عزَّ وجلَّ على عبادِه؛ حيث جعَل الثوابَ بمنزلَةِ الأَجْر، كأنَّ العامِلَ أجيرٌ إذا وَفَّى العَمَلَ أُعْطِيَ أَجْرَه، مع أنَّ المِنَّةَ لله عزَّ وجلَّ أولًا وآخِرًا(٣).

٩- يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ عِظَمُ ثَوابِ المؤمنينَ العاملينَ الصَّالحاتِ؛ حيث عظَّمَه الله عزَّ وجلَّ، وتعظيمُ العَظيمِ للشَّيءِ يدلُّ على أنَّه عَظيمٌ عَظَمةً لا يتخيَّلُها الإنسانُ ولا يتصوَّرها، وهو كذلك(٤).

١٠- أنَّ القرآنَ الكريمَ مَثانٍ؛ إذا ذَكَر أهْلَ العَمَلِ الصَّالح ذكَرَ أهلَ العَمَلِ السيِّئِ؛ كما قال سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ثم ثَنَّى بعدها بقولِه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾، وفائدَةُ ذلك: أنْ لا يَغلِبَ جانبُ الرَّجاءِ أو

(١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ١٩٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٥٣).
والحديث أخرجه مسلم (١٧١٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٢٢٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٥٨).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٥٩).

جانبُ الخَوْفِ(١).

١١- يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ أنَّ الكُفْرَ قد يَصحَبُه التَّكذيبُ، وقد لا يَصحَبُه؛ ولهذا أحيانًا يَذكُرُ اللهُ الكُفْرَ فقط؛ مثل قولِه تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، وأحيانًا يَذكُرُ التَّكذيبَ فقط؛ قال تعالى: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدۡقِ إِذۡ جَآءَهُۥٓ﴾ [الزمر: ٣٢]، وأحيانًا يَقْرِن بينهما؛ وذلك لأنَّ كلًّا منهما قد يكونُ وَحْده مُوجِبًا للخُلُودِ في النَّارِ، فإذا اجتمعَا جميعًا، صار ذلك أشدَّ وأعظمَ، والعياذُ باللهِ(٢).

١٢- قوله: ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: المرادُ بالآياتِ هنا الآياتُ الشرعيَّةُ(٣) والكونيَّة(٤)؛ فمَن أنكرَ ربوبيَّةَ الله وخَلْقَه للمَخلوقاتِ، وتصرُّفَه في الكَوْنِ، فهذا مكذِّبٌ بالآياتِ الكونيَّةِ، وقد يُقِرُّ بذلك، لكنَّه يكْفُرُ، ويُكَذِّبُ بالآياتِ الشرعيَّةِ، ويُعْرِضُ عن طاعَةِ اللهِ(٥).

١٣- أنَّ الخلودَ في النَّارِ ليس إلَّا للكُفَّارِ؛ فقَوْلُه تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ يُفيدُ الحصرَ، والمصاحَبةُ تقتضي الملازَمَة، كما يُقال: أصحابُ الصَّحراءِ، أي: الملازِمونَ لها(٦).

١٤- قال تعالى: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ﴾ الآية، أمَرَ الله

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٦٠).
(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ١٦٢).
(٣) الآيات الشرعيَّة: هي ما جاءتْ به الرُّسل، وكانتْ آياتٍ دالَّةً على الله عزَّ وجلَّ؛ لأنَّ البشرَ لا يُمكن أن يأتوا بمِثلها. يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٥٩).
(٤) الآيات الكونيَّة: وهي هذا الكونُ بما فيه من الشَّمْسِ والقَمَرِ والنُّجوم، والليلِ والنَّهار، والبحارِ والأنهارِ، وغير ذلك مِن المخلوقاتِ العظيمةِ. يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٥٩).
(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٥٩).
(٦) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٣٢١)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٢٤٤).

تعالى أن نَذكُرَ نِعْمَتَه، لا مِن أجْلِ مجرَّدِ الذِّكْرِ والخَبَر، ولكن للقيامِ بشُكْرِ هذه النِّعمَةِ؛ لأنَّه لا يَكفي مجرَّدُ أن أقولَ: إنَّ اللهَ سلَّمَني من العدوِّ، أو إنَّ اللهَ نصَرني على العَدُوِّ، هذا لا يَكفي، لا بدَّ أن يكونَ ذلك شُكرًا لله عزَّ وجلَّ، فإنْ كان شكرًا بأنْ كان الإنسانُ يتحدَّثُ بنِعمةِ اللهِ ثناءً على الله، فهذا من الشُّكر[١].

١٥- أنَّه يجِبُ على الإنسانِ أن يَذكُرَ نِعمَةَ اللهِ عليه في جَلْبِ المنافِعِ ودَفْعِ المضارِّ؛ وَجْهُ ذلك: أمْرُ اللهِ جلَّ وعلا بذِكْرِ نِعَمِه بكفِّ أيدي الأعداءِ عنَّا في قوله: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ﴾[٢].

١٦- يُستَفاد مِنْ قَوْلِه: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ﴾ أنَّ كفَّ الأذى والضَّرَر من النِّعَم، وهو كذلك، وكثيرٌ من النَّاسِ يظنُّونَ أنَّ النِّعَمَ هي الإيجادُ، وهذا قصورٌ؛ النِّعمَةُ: إمَّا إيجادُ معدومٍ، وإمَّا كفُّ موجودٍ؛ ولهذا يُشْكَرُ اللهُ عزَّ وجلَّ على هذا وهذا[٣].

١٧- من فوائِدِ هذا التذكيرِ للمتأخِّرينَ في قَوْلِه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ ترغيبُهم في التأسِّي بسلَفِهم في القيامِ بما جاء به الدِّينُ؛ من الحقِّ والعَدْلِ، والبرِّ والإحسانِ، واحتمالِ الجُهدِ، والصَّبرِ على المشاقِّ في هذه السَّبيلِ، وهي سبيلُ اللهِ، وهذا هو المعنى العامُّ للجِهادِ في سبيلِ اللهِ[٤].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٦٣).
(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ١٦٦).
(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ١٦٧).
(٤) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٢٣١).

بلاغةُ الآياتِ:

١- قوله: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا﴾ ﴿إِذۡ﴾ في قولِه: ﴿إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا﴾ ظرفٌ لـ ﴿وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾، أو ظرفٌ لمحذوفٍ وقَع حالًا منَ الضَّميرِ المجرورِ في ﴿بِهِۦٓ﴾ أو مِنْ ﴿مِيثَاقَهُ﴾، أي: كائنًا وقتَ قولِكم: سَمِعْنا وأطَعْنا، وفائدةُ التقييدِ به تأكيدُ وجوبِ مراعاتِه بتذكيرِ قَبُولهم، والتزامِهم بالمحافَظةِ عليه[١].

٢- قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: جملةُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ اعتراضٌ تذييليٌّ للتَّحذيرِ مِن إضمارِ المعاصي، ومِن تَوهُّمِ أنَّ اللهَ لا يَعلَمُ إلَّا ما يبدو منهم، وتعليلٌ للأمْرِ بالاتِّقاءِ؛ فحرف (إنَّ) أفاد أنَّ الجملة عِلَّةٌ لِمَا قَبْلَها على الأُسلُوبِ المقرَّرِ في البلاغَةِ[٢].

- وإظهارُ الاسْمِ الجليلِ ﴿ٱللَّهَ﴾ في موقِعِ الإضمارِ؛ لتربيةِ المهابَةِ، وتعليلِ الحُكم، وتقويَةِ استقلالِ الجُملة[٣].

٣- قوله: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾: فيه تأكيدٌ شديدٌ على أمْرِ العَدْلِ؛ فقولُه: ﴿ٱعۡدِلُواْ﴾ تأكيدٌ ثانٍ؛ حيث قد نَهاهم أولًا أنْ تحمِلَهم الضَّغائِنُ على ترْك العَدْلِ، ثم أمَرهم بقَوْلِه: ﴿ٱعۡدِلُواْ﴾؛ فصرَّحَ لهم بالأَمْرِ بالعَدْلِ؛ تأكيدًا وتشديدًا، ثم استأنَفَ فذَكَرَ لهم وجْهَ الأمْرِ بالعَدْلِ، وهو قَوْلُه: ﴿هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾، أي: العَدْلُ أقربُ إلى التقوى، وأَدْخَلُ في مناسَبَتِها. أو أقربُ إلى التَّقوى؛ لكونِه لُطفًا فيها، وفيه تنبيهٌ عظيمٌ على أنَّ وجودَ العَدْلِ مع الكفَّارِ الذين هم أعداءُ اللهِ إذا كان بهذه الصِّفَةِ

(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ١١).
(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٣/ ١٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٣٤).
(٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ١٢).

من القُوَّةِ؛ فما الظنُّ بوجوبِه مع المؤمنينَ الذين هم أولياؤُه وأحِبَّاؤُه[١]؟!

٤- **قوله:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ جملةٌ تتضَمَّنُ التهديدَ بمخالفَةِ التَّقوى، وقولُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ﴾ الخبيرُ أدقُّ من العليمِ؛ لأنَّ الخبيرَ من الخُبْر وهو العِلْمُ ببواطنِ الأَمْرِ؛ ولذلك سُمِّيَتِ المزارعةُ مخابرةً؛ وسُمِّي الزَّارِعُ خبيرًا؛ لأنَّه يدسُّ الحَبَّ في الأَرْضِ فيَختفي، فالخبيرُ هو العليمُ بخفايا الأُمورِ[٢].

٥- **قوله:** ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾: فيه بيانٌ للوعْدِ بعدَ تمامِ الكلامِ قبْلَه، كأنَّه قال: قدَّمَ لهم وعْدًا، فقِيل: أيُّ شَيءٍ وعَدَه لهم؟ فقيل: ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾؛ فجُملةُ ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ مُبيِّنةٌ لجُملةِ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ فاستُغْنِيَ بالبَيانِ عن المفعولِ الثَّاني، فصارَ التَّقديرُ: وعَدَ اللهُ الذين آمنوا وعَمِلوا الصَّالحاتِ مَغفرةً وأجرًا عَظيمًا لهم، وإنَّما عدَلَ عن هذا النَّظْمِ لِمَا في إثباتِ المغفرةِ لهم بطَريقِ الجُملةِ الاسميَّةِ من الدَّلالةِ على الثَّباتِ والتقرُّرِ[٣].

٦- **قوله:** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾: فيه قصرٌ: وهو إمَّا قَصْرٌ ادِّعائيٌّ؛ لأنهم لَمَّا كانوا أحقَّ النَّاسِ بالجحيمِ، وكانوا خالدينَ فيه، جُعِلوا كالمنفردينَ به، أو هو قصرٌ حقيقيٌّ إذا كانت إضافةُ ﴿أَصۡحَٰبُ﴾ مُؤذِنةً بمزيدِ الاختصاصِ

---

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦١١)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ١٩٦)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحيي الدين درويش (٢/ ٤٢٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٤٧، ١٥١).

(٣) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦١١)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٣٦).

وهذا الوجهُ بناءً على القَوْلِ بأنَّ جملةَ ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ تَفْسيريَّة لا محلَّ لها من الإعرابِ، مُفسِّرة للمفعولِ الثاني لـ ﴿وَعَدَ﴾، وأمَّا على بقيَّةِ أوجه الإعرابِ فليس فيها هذا الوَجْهُ.

بالشَّيءِ كما في مُرادفِها، وهو ذُو كذا، كما في قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤]؛ فيكون وجهُ هذا الاختصاصِ أنَّهم الباقونَ في الجحيمِ أبدًا[١].

٧- **قوله:** ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ إظهارُ ﴿أَيْدِيَهُمْ﴾ في موقِعِ الإضْمارِ؛ لزِيادةِ التَّقريرِ، أي: مَنَعَ أيديَهم أنْ تُمَدَّ إليكم عَقِيبَ همِّهم بذلك، لا أنَّه كفَّها عنكم بعدَما مدُّوها إليكم[٢].

٨- **قوله:** ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾:

جملةُ ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ تذييلٌ مقرِّرٌ لمَا قَبْلَهُ[٣].

- وفيه تقديمُ المتعلِّقِ ﴿عَلَى اللهِ﴾ على المتعلَّقِ به: ﴿فَلۡيَتَوَكَّلِ﴾؛ لإفادةِ الحَصْرِ، أي: ينبغي أن يتوكَّل المؤمنونَ على اللهِ فقط، لا على غَيْرِه[٤].

- وإظهارُ الاسْمِ الجليلِ ﴿ٱللَّهِ﴾ في مَوْقِعِ الإضمارِ؛ لتعليلِ الحُكْمِ، وتقويَةِ استقلالِ الجُملَةِ التذييليَّةِ[٥].

- وإيثارُ صيغَةِ أمْرِ الغائبِ وإسنادُها إلى المؤمنينَ- حيثُ جاء الأَمْرُ بالتوكُّلِ بصِيغَةِ الغائبِ ﴿فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾، وليس بصِيغَةِ الخِطابِ، فلم يقُلْ: (توكَّلوا) بعد قولِه: ﴿وَٱتَّقُواْ﴾- لإيجابِ التوكُّلِ على المُخاطَبينَ بالطَّريقِ البُرْهانيِّ، وللإيذانِ بأنَّ ما وُصِفُوا به عند الخِطابِ مِن وَصْفِ الإيمان داعٍ إلى مَا أُمِرُوا بِهِ من التَّوكُّلِ والتَّقْوى؛ وازعٌ عن الإخلالِ بهما، ولأجلِ الفاصِلَةِ،

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٣٧).
(٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ١٣).
(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٦٤).
(٥) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ١٤).

وإشعارًا بالغَلبةِ، وإفادةً لعُمومِ وصْفِ الإيمانِ[١]. وهذا أيضًا التفاتٌ من الخِطابِ إلى الغَيبةِ.



(١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ١٩٨)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ١٣- ١٤).

الآيات (١٢ - ١٤)

﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

غريبُ الكَلِمات:

﴿نَقِيبًا﴾: ضَمينًا وأمينًا، وشاهدًا، أو كفيلًا، وسُمِّيَ نقيبًا؛ لأنَّه يَعْلَمُ دخيلةَ أمرِ القَوْمِ، ويَعْلَم مناقِبَهم[(١)].

﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾: أي: نَصَرْتُموهم وأَعَنْتُموهم وقوَّيتُموهم، أو عَظَّمْتُموهم، والتَّعزيرُ: النُّصْرةُ معَ التَّعظيمِ[(٢)].

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤١)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٤٦٠)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٢٠)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٨)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٩١٤).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤١)، ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٤٤)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٣٣٢)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٣١١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٥٦٤)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٩)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٦٦١).

﴿وَأَقْرَضْتُمُ﴾: أي: أنْفَقْتُم في سبيلِ الله، والقَرْضُ: ما يُدفَعُ من المالِ بشَرْط ردِّ بَدلِه، وأَصْلُ القَرْضِ: القَطْعُ؛ ومنه سُمِّيَ القَرْض؛ فكأنَّه شيءٌ قد قَطَعْتَه مِن مالِكَ(١).

﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾: أي: قَصْدَ الطَّريقِ ووَسَطه، والسَّواء: الوَسَطُ، والسَّبيلُ الطَّريق(٢).

﴿نَقْضِهِم﴾: أي: نَبْذِهم إيَّاه بعدَ القَبولِ به، وتَرْكِهم العَمَلَ به، وأَصْلُ النَّقْضِ ضِدُّ الإبرامِ: وهو فكُّ تركيبِ الشَّيءِ وردُّه إلى ما كان عليه أوَّلًا؛ فنَقْضُ البِناءِ: هَدْمُه، ونَقْضُ المبرَم: حلُّه(٣).

﴿لَعَنَّٰهُمْ﴾: طَرَدْناهم وأَبْعَدْناهم مِن رَحْمَتِنا، واللَّعْنُ: الطَّرْدُ والإبعادُ على سبيلِ السَّخَطِ(٤).

﴿خَآئِنَةٍ﴾: خِيانةٍ، أو جماعةٍ خائنةٍ منهم، أو خائنة بمعنى خائِن، كما يقال: رَجُلٌ طاغِيَة(٥).

﴿نَصَٰرَىٰٓ﴾: جمْع نصرانٍ ونصرانة، قيل: هو منسوبٌ إلى قريةِ نَصرة أو نصرانة، وهي قريةٌ نَزَلها عيسى عليه السَّلامُ، وقيل: كلمة النَّصارى في الأصل

---

(١) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٧١، ٧٢)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٦٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٥٩).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤١)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٢٥٨)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٨٩، ١٤٩).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٤٤)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٢١).

(٤) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٤٠٠)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٢٥٢)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٧٤١).

(٥) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٢)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٢٠٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٠٩، ٨٤٧)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨٠)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٩).

مأخوذةٌ مِنْ قَوْلِه: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾، ثم صار لازِمًا لهم بعدَ نَسْخِ شَريعَتِهم، وأصل (نصر): يدلُّ على إتيانِ خَيْرٍ وإيتائِه[١].

﴿حَظًّا﴾: نصيبًا مقدَّرًا، وَأصل (حظظ): النَّصِيبُ وَالْجَدُّ[٢].

﴿فَأَغْرَيْنَا﴾: هيَّجْنَا، أو أَلْزَمْنا، مِن غَرِيَ بكذا، أي: لَهِجَ به ولَصِقَ، وأصلُ ذلك من الغِراء، وهو ما يُلْصَقُ به[٣].

المعنى الإجماليُّ:

يُخبِر تعالى أنَّه أخَذَ على مَن تقدَّمَ مِن أَسْلافِ اليَهودِ عهدًا مؤكَّدًا، وأقام عليهم اثْنَي عَشَرَ رئيسًا، يَتلقَّى كلُّ رئيسٍ ممَّن تحتَه المبايعةَ على السَّمْعِ والطَّاعةِ والوفاءِ بعَهْدِ الله تعالى، ويتولَّى توجيهَهم وحثَّهم على القِيامِ به، ومُطالَبَتَهم بذلك، ويُخْبِر تعالى أنَّه قال لبني إسرائيلَ: إنَّه معهم، لَئِنْ قاموا بما واثقَهم عليه، وذلك بأداءِ الصَّلاةِ كما ينبغي، ودَفْعِ الزَّكاة لمن يستحِقُّها، والإيمانِ برُسُلِ الله، ونَصْرِهم على أعدائِهم، والإنفاقِ في سبيلِ اللهِ تعالى ابتغاءَ رِضاه، فإنْ قاموا بذلك، فسيعفو اللهُ عن ذُنُوبِهم، وسيُدْخِلُهم جنَّاتٍ تَجْري الأنهارُ تحت أَشْجارِها وقُصورِها، ومَن كفَر وخالَفَ ذلك الميثاقَ، فقد ضلَّ وغَوَى عن الطَّرِيقِ القَويمِ.

ثم أَخْبَرَ تعالى أنَّه- بسببِ عَدَمِ وفائِهم بِعَهْدِهم، ونَقْضِهم الميثاقَ- طَرَدَهم مِن رَحْمَتِه، وجعَلَ قُلُوبَهم قاسيةً غليظةً لا تتأثَّرُ بالمواعِظِ، ولا خيرَ فيها؛ يُبدِّلونَ

---

(١) يُنظر: ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٤٧)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٧٨، ٧٩).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (١ / ١٨٦)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢ / ١٤)، ((المفردات)) للراغب (١ / ٢٤٣)، ((التبيان)) لابن الهائم (١ / ١٣٦).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٥٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٠٦)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨٠)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٩)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ١٥٣).

كلامَ الله في التَّوارة، وتركوا قَدْرًا كبيرًا مما ذُكِّرُوا به من الوَحْيِ متعمِّدينَ، ثم خاطَبَ اللهُ نبيَّه محمدًا صلَّى الله عليه وسلَّمَ أنَّه لا يزالُ يَكْتَشِفُ من اليهودِ المكرَ والخديعةَ، والغَدْرَ والخيانَةَ، إلَّا قليلًا منهم؛ يُوفون بِعُهودِهم التي يُبْرِمونها، ثم أَمرَه أن يَعْفوَ عن إساءَةِ هؤلاءِ القَوْمِ، وأنْ يُعْرِضَ عنهم؛ إنَّ الله يُحِبُّ المحسنينَ.

ثم بيَّن تعالى أنَّه أَخَذَ أيضًا العَهْدَ والميثاقَ مِن الذين ادَّعَوْا أنَّهم نَصارى بأنْ يُطِيعُوا اللهَ، ويتَّبِعوا رُسلَه، فترَكوا قَدْرًا كبيرًا مما ذُكِّروا به مِنَ الوَحْيِ متعمِّدينَ، فعاقبَهم الله أنْ جعَل بينهم التباغُضَ والكراهيةَ والشِّقاقَ إلى يوم القيامَةِ، وسوف يُخْبِرهم سبحانه في ذلك اليَوْمِ بما كانوا يَفْعَلونه في الدُّنيا، وسيُعاقِبُهم عليه.

تَفسيرُ الآياتِ:

﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةًۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.

مُناسَبَةُ الآياتِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا أمَرَ اللهُ تعالى عِبادَه المؤمنينَ بالوَفاءِ بعَهْدِه ومِيثاقِه، الذي أَخَذَه عليهم على لِسانِ عَبْدِه ورسولِه محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّمَ، وأَمَرَهم بالقيامِ بالحقِّ والشَّهادَةِ بالعَدْلِ، وذكَّرَهم نِعَمَه عليهم الظَّاهِرةَ والباطِنَةَ، فيما هداهم له من الحقِّ والهُدى؛ شرَعَ يُبَيِّنُ لهم كيف أخَذَ العُهودَ والمواثيقَ على مَن كان قَبْلَهم مِن أَهْلِ الكِتابينِ: اليهودِ والنَّصارى[١]، فقال تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

أي: قد أَخَذْنا على مَن تَقَدَّمَ مِن أَسْلافِ اليهودِ عَهدًا ثقيلًا مؤكَّدًا وغليظًا[٢].

﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾.

أي: وأقَمْنا عليهم اثْنَي عَشَرَ رئيسًا، موكولًا إليهم مُهِمَّةُ تَلقِّي مبايعةِ مَن تَحْتَهم على السَّمْعِ والطَّاعَةِ؛ وفاءً بعهد الله تعالى، ومُهِمَّةُ تَوجيهِهم وحثِّهم على القيامِ به، ومُطالَبَتِهم به[٣].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٦٤)، ويُنظر أيضًا: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٣٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٣٤-٢٣٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٦٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٣٥-٢٣٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٦٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٣٩-١٤١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٦٩-١٧٠).

قال ابنُ عَطيَّة: (اختلَف المفسِّرون في كيفيَّة بَعْثة هؤلاءِ النقباءَ بعدَ الإجماع على أنَّ النقيب كبيرُ

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾.

أي: وقال اللهُ تعالى لبني إسرائيلَ: إنِّي مَعَكم بالحِفْظِ والعَوْنِ، والنَّصْرِ والتَّأييدِ(١).

ثم ذَكَر اللهُ عزَّ وجلَّ ما وَاثَقهم عليه(٢)، فقال:

﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

أي: واللهِ إنْ أدَّيتُم- يا مَعْشَرَ بني إسرائيلَ- الصَّلاةَ على نحوٍ مُستقيمٍ ظاهرًا وباطنًا، ودَفَعْتُم الزكاةَ إلى مُستحِقِّيها كما أَمرْتُكم(٣).

﴿وَءَامَنتُم بِرُسُلِي﴾.

أي: وإنْ صَدَّقْتُم رُسُلي فيما جَاؤُوكُمْ به مِنَ الوَحْيِ، وأَقررْتُم وأَذْعَنْتُم وانْقَدْتُم لهم، دونَ تفريقٍ بينهم، ومنهم محمَّدٌ صلَّى الله عليه وسلَّمَ(٤).

﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾.

القوم القائم بأُمورهم، الذي يُنقِّب عنها وعن مصالِحهم فيها) ((تفسير ابن عطية)) (٢/ ١٦٧).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٤٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٦٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٧٠، ١٧٧).

قال ابن عاشور: (والظاهرُ أنَّ هذا القولَ وقَعَ وعدًا بالجزاء على الوفاء بالميثاق) ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٤١).

(٢) يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٢٨/ ٦٤٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٤٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٧٠-١٧١).

قال ابنُ عاشور: (وجملة ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ ...﴾ الآية، استئنافٌ محض ليس منها شيءٌ يتعلَّق ببعض ألفاظ الجملة التي قَبلها، وإنَّما جمعهما العامل، وهو فِعل القول، فكِلتاهما مقول؛ ولذلك يَحسُنُ الوقفُ على قوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾، ثم يستأنف قوله: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ إلى آخِره) ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٤١). ويُنظر: ((تفسير القرطبي)) ٦/ ١١٣).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٤٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٦٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٧١).

أي: وإنْ نَصَرْتُموهم على أَعْدائِهم[(١)].

كما قال اللهُ تعالى لنبيِّه صلَّى الله عليه وسلَّمَ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٨-٩].

(١) اختار هذا القَوْلَ: ابنُ جرير في ((تفسيره)) (٨/ ٢٤٤-٢٤٥)، وابن كثير في ((تفسيره)) (٣/ ٦٦)، وابن عاشور في ((تفسيره)) (٦/ ١٤٢).

وممَّن قال بهذا القول من السَّلف: مجاهدٌ، والسُّدِّي. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٤٣).

قال ابنُ جرير: (وأَوْلى هذه الأقوال- عندي في ذلك- بالصَّواب قولُ مَن قال: معنى ذلك: نصرتموهم، وذلك أنَّ الله جلَّ ثناؤه قال في سورة الفتح: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٨-٩] فالتوقيرُ: هو التعظيمُ، وإذا كان ذلك كذلك، كان القولُ في ذلك إنَّما هو بعضُ ما ذكَرْنا من الأقوال التي حَكيناها عمَّن حَكَيْنا عنه، وإذا فسَد أن يكونَ معناه التعظيمَ، وكان النصرُ قد يكون باليدِ واللِّسان؛ فأمَّا باليد فالذبُّ بها عنه بالسيف وغيرِه، وأمَّا باللِّسان فحُسن الثَّناء، والذَّبُّ عن العِرض- صحَّ أنَّه النصرُ؛ إذ كان النصرُ يحوي معنَى كلِّ قائلٍ قال فيه قولًا ممَّا حكينا عنه) ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٤٤-٢٤٥).

وقال ابنُ عاشور: (والتعزير: النَّصر؛ يُقال: عزَره مُخفَّفًا، وعزَّره مشدَّدًا، وهو مبالغةٌ في عزَره عزرًا إذا نَصَره، وأصلُه المنع؛ لأنَّ الناصرَ يمنع المعتدي على منصور) ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٤٢).

قال الأزهري: (وقال أبو عبيدةَ في قولِه: ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ قال: عظَّمتُموهم. وقال غيرُه: ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾: نَصرتُموهم. وقال إبراهيمُ بن السَّريِّ: وهذا هو الحقُّ، والله أعلم؛ وذلك أنَّ العزْر في اللُّغة: الردُّ، وتأويل عزرت فلانًا، أي: أدَّبته، إنما تأويله: فعلتُ به ما يَرْدَعه عن القبيح؛ كما أنَّ نكَّلت به تأويله: فعلتُ به ما يجب أن يَنكُل معه عن المعاودة؛ فتأويل ﴿عَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ نَصرتموهم، بأنْ تردُّوا عنهم أعداءَهم، ولو كان التعزيرُ هو التوقيرَ لكان الأجودُ في اللُّغة الاستغناءَ به، والنصرة إذا وجبتْ، فالتعظيم داخلٌ فيها؛ لأنَّ نُصرةَ الأنبياء هي المدافعةُ عنهم، والذبُّ عن دِينهم وتعظيمهم وتوقيرهم) ((تهذيب اللغة)) (٢/ ٧٨).

واختار أنَّ التَّعزير هنا بمعنى: التَّعظيم والتوقير. الواحدي في ((الوجيز)) (ص: ٣١١)، والسعدي في ((تفسيره)) (ص: ٢٢٥).

واختار كِلَا المعنيَيْن: الواحديُّ في ((التفسير الوسيط)) (٢/ ١٦٦)، وابن عَطيَّة في ((تفسيره)) (٢/ ١٦٨)، وابنُ تيمية في ((مجموع الفتاوى)) (١/ ٦٧).

﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾.

أي: وإنْ أَنْفَقْتُم في سبيلِ الله تعالى عن إخلاصٍ وصِدْقٍ؛ ابتغاءَ مَرْضاةِ الكريمِ الوهَّابِ، واحتسابًا لجزيلِ الأَجْرِ والثَّوابِ(١).

﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾.

أي: لَئِنْ قُمْتُم بهذه الأُمُورِ التي افترَضْتُها عليكم، لأُغَطِّيَنَّ بعَفْوِي عنكم على ذُنوبَكم التي سَلَفَتْ منكم، ولا أُؤَاخِذُكم بها(٢).

﴿وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾.

أي: وسأُدخِلُكم يومَ القيامَةِ جنَّاتٍ تَجري فيها الأنهارُ مِن تحت أَشْجارِها وقُصُورِها(٣).

﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

أي: فمَن خالَف هذا الميثاقَ المؤكَّدَ وجَحَدَه، فقد عَدَلَ عن طَريقِ الحقِّ الواضِحِ، وتاهَ عن الصِّراطِ المُستقيم(٤).

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٦٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٧١-١٧٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٤٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٦٦).
قال ابنُ عُثيمين: (قوله: ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ أجعلُها مُكَفَّرةً بالحسنات التي فُعِلَت، من إقامة الصَّلاة وإيتاء الزكاة، والإيمان بالرُّسل وتعزيرهم، وإقراض الله قرضًا حسنًا؛ فالسيِّئات تُكَفَّر بهذه الحسنات) ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٧٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٤٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٧٤-١٧٥).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٤٧-٢٤٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٦٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٧٦).

مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾.

أي: فبِسَبَبِ عَدَمِ وفاءِ اليَهودِ بالعَهْدِ المؤكَّدِ الذي أُخِذَ عليهم؛ طَرَدْناهم مِنْ رَحْمَتِنا، وأَبْعَدْناهم عن الحقِّ والهُدى[1].

﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾.

القراءاتُ ذاتُ الأَثَرِ في التَّفْسيرِ:

في قَوْلِه تعالى: ﴿قَاسِيَةً﴾ قِراءتانِ[2]:

١- ﴿قَسِيَّةً﴾ بتَشْديدِ الياءِ من غير أَلِفٍ، على وَزْنِ (فعيل)؛ للمبالغَةِ، وقيل: لإفادَةِ معنى التَّكريرِ، وهذا أبلغُ في الذَّمِّ والمَدْحِ من (فاعل)، وقيل: (قَسِيَّة)، أي: رَدِيئة، فتكون القُلُوبُ القَسِيَّةُ هي التي لَيْسَتْ بخالصةِ الإيمانِ، أي قد خالَطَها كُفْرٌ، فهي فاسِدَةٌ[3].

٢- ﴿قَاسِيَةً﴾ بالأَلِف وتخفيفِ الياءِ، اسمُ فاعِلٍ مِن قَسَا يَقْسُو، والقلوبُ

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٤٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٦٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٨٨-١٨٩).

(٢) قال ابن عثيمين: (﴿قَاسِيَةً﴾ اسم فاعل، و(قَسِيَّة) صفة مُشبَّهة، والصفة المشبَّهة أغلظُ من اسْمِ الفاعِلِ؛ لأنَّها وصفٌ ملازِمٌ... فالصِّفَةُ المشبَّهة ملازِمَةٌ، إذَنْ [في] ﴿قَاسِيَةً﴾... قِراءتان، وإذا كان في الآية قِراءتان، فالمعنى أنَّ الأمرينِ كِلاهما حاصلٌ؛ فهي قسيَّةٌ وهذا وصفُها الملازِمُ، وقاسية عند وجودِ ما يُوجِبُ لينَ القَلْبِ تقسو، والعياذ بالله؛ فهي قسيَّة وَصْفًا، قاسيةٌ فعلًا) ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٨٩).

(٣) قرأ بها حمزةُ، والكسائيُّ. يُنظر: ((النشر في القراءات العشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٣). ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((الحجة في القراءات السبع)) لابن خالويه (ص: ١٢٩)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: ٢٢٤)، ((الكشف عن وجوه القراءات السبع)) لمكي (١/ ٤٠٨). ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٠٤).

القاسِيَةُ هي الغَلِيظةُ البائِنَةُ عن الإيمانِ، والتي نُزِعَت منها الرَّحمةُ والرَّأفة[١].

﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾.

أي: وبِسَبَب عَدَمِ وفائِهم بالعَهْدِ المؤكَّدِ الذي أُخِذَ عليهم، عاقَبْناهم أيضًا بأنْ جَعَلْنا قُلُوبَهم ملازِمةً لِصِفَةِ القَسْوَةِ والغِلْظَةِ، مَنزوعًا منها الخَيْرُ، وإذا ما اتَّعَظوا؛ فإنَّه لا تُجْدِي فيهم المواعِظُ، وإذا تُلِيَتْ عليهم الآياتُ؛ فإنَّهم لا يَنْتَفِعونَ بها، فلا يُرغِّبُهم تشويقٌ، ولا يُرَهِّبُهم تخويفٌ[٢].

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾.

أي: إنَّ قَسْوَةَ قُلوبِهم جَعَلَتْهم يُحرِّفونَ كلامَ ربِّهم في التَّوراةِ التي أَنْزَلَها على نبيِّهم مُوسى عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، فتأوَّلوا كلامَه على غَيْرِ ما أَنْزَلَه، وحَمَلُوه على غيرِ مُرادِه، وقالوا عليه ما لم يَقُلْه تعالى وتَقدَّسَ[٣].

﴿وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾.

أي: ونَسُوا نصيبًا مِن وَحْيِ الله تعالى، فضاعَ منهم، كما أنَّهم أَهْمَلوا- وتَركوا عن عَمْدٍ- نصيبًا منه، فلم يَعْمَلوا به؛ رَغبةً عنه، فضيَّعوا أمْرَ اللهِ عزَّ وجلَّ[٤].

---

(١) قرأ بها الباقون. يُنظر: ((النشر في القراءات العشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٣).
ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((الكشف عن وجوه القراءات السبع)) لمكي (١/ ٤٠٨)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٢٢٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٥١)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٦٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٨٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٥١)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٢٠/ ١١٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٦٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٨٩-١٩٠).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٥٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٦٦)، ((مجموع رسائل ابن رجب)) (٣/ ٣٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٩٠-١٩١).

﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾.

أي: ولا تزالُ- يا محمَّدُ- تكتَشِفُ وتشاهِدُ مِنَ اليَهودِ شيئًا ممَّا هم مُسْتَمِرُّونَ عليه مِنَ المَكْرِ والغَدْرِ، والخيانَةِ والخَديعةِ لك ولأصحابِك، إلَّا قليلًا من اليَهودِ قد سَلِموا من ذلك؛ فهم يُوفُونَ بِمَا عُوهِدُوا عليه(١).

﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ﴾.

أي: فتَجَاوَزْ- يا محمَّدُ- عن أولئك القَوْمِ، ولا تُؤاخِذْهم على ذلِك، وأَعْرِضْ عنهم(٢).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

أي: إنَّما أَمَرْناك بالعَفْوِ والصَّفْحِ عن أولئك القَوْمِ؛ لأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُحِبُّ عبادَه المُحسنينَ، الذين مِن إحْسَانِهم العفوُ والصَّفحُ عمَّن أَسَاءَ إليهم(٣).

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ١٤﴾.

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ﴾.

أي: وأَخَذْنا مِنَ الَّذينَ ادَّعَوْا أنَّهم نَصَارى يَنصرُون الحقَّ، ويتَّبِعُونَ المسيحَ عيسى ابنَ مريمَ عليه السلام؛ أَخَذْنا عليهم العُهُودَ والمواثيقَ على طاعَتِي واتِّباعِ

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٥٢-٢٥٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٦٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٥-٢٢٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٥٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٦٦-٦٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٥٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٦٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٩٥).

رُسُلِي[١].

﴿فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾.

أي: فنَسُوا نَصيبًا مِن وَحْيِ اللهِ تعالى، فضاع منهم، كما أنَّهم أهْمَلوا- وتَرَكوا عن عمدٍ- نصيبًا منه، فلمْ يعملوا به؛ رغبةً عنه، فضيَّعوا أمْرَ اللهِ سبحانه[٢].

﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

أي: لَمَّا ترَكَ هؤلاء النَّصارى الوَفَاءَ بعهْدِي، عاقَبْناهم بأنْ جَعَلْنا بينهم الشِّقاقَ والعَدَاءَ والتباغُضَ؛ بالأهواءِ التي حدَثَتْ بينهم، واختلافِهم في قَوْلِهم في المسيحِ، فتَسَلَّط بعضُهم على بعضٍ، فكَفَّرَ بَعْضُهم بعضًا، ولعَن بَعْضُهم بعضًا، ولا يزالونَ كذلك إلى قِيامِ السَّاعَةِ[٣].

﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

أي: وسوف يُخْبِرُهم اللهُ عزَّ وجلَّ -عند وُرودِهم عليه في مَعادِهم- بما كانوا يَعْمَلونه في الدُّنيا مِنْ نَقْضِهم ميثاقَه، ونَكْثِهم عَهْدَه، فيُعاقِبُهم على ذلك بحَسَبِ استحقاقِهم[٤].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٥٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٦٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٠١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٥٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٦٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٠٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٥٧-٢٦١)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (١/ ١٢٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٦٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٠٢-٢٠٣).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٦١)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٦٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٠٣-٢٠٤).

الفوائِدُ التربويَّةُ:

١- يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗا﴾ أنَّه ينبغي للنَّاسِ أن يتَّخِذوا نُقَبَاءَ يرجعونَ إليهم في أُمُورِهم؛ عند النِّزاع يكونونَ مُصلِحين، وعند الإِشكالِ يكونون مُوَضِّحينَ، وما أشبهَ ذلك(١).

٢- وُجوبُ نُصْرَةِ الرُّسُلِ؛ لقوله: ﴿وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ﴾، فنُصْرَتُهم في حياتهم أن يكونَوا معهم في الجهادِ والدِّفاعِ، وغير ذلك، ونُصْرَتُهم بعد وَفاتِهم أن يَنصُروا شَرَائِعَهم ويُقِيمُوها بين النَّاسِ، فواجِبٌ علينا نحن الآن أن نَنْصُرَ شريعةَ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّمَ(٢).

٣- أنَّه يُبْدَأُ بالنَّجاةِ مِنَ المرْهوبِ قبل بيانِ حُصُولِ المَطْلوبِ؛ لِقَوْلِه: ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ﴾، وهو شاهدٌ لِمَا اشْتَهَرَ عند العُلماءِ أنَّ التَّخْلِيَةَ قَبل التَّحْلِيَة، أي: إزالةُ الشَّوائِبِ والعوائِقِ قبل أن يَحصُلَ المَطْلوبُ(٣).

٤- قَوْله: ﴿فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ فيه أنَّ المؤمِنَ اهتدى إلى سواءِ السَّبيلِ؛ أي: وَسَطَها دُونَ حافَتَيْها، وجهُ ذلك: أنَّه إذا ثَبَتَ في حُكم الكافِرِ ضلالُ سواءِ السَّبيلِ، فَيَثْبُتُ ضدُّ حُكْمِه للمُؤْمِنِ؛ وذلك لأنَّه إذا تضادَّتِ الأَعْمالُ تضادَّتِ الجزاءاتُ(٤).

٥- يُستَفادُ من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗ﴾ أنَّ للقُلوبِ أحوالًا: قسوةً ولينًا، وأنَّه كلَّما عصى الإنسانُ ربَّه قَسَا قلبُه، وعلى العكس: كلَّما أطاعَ الإنسانُ ربَّه لانَ قلبُه، وما أكثرَ الذين يَطلُبون أن تلينَ قلوبُهم، ويسألونَ ما

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٧٧).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٨٤).
(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ١٨٥).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٨٦).

هو الدواءُ لقَسْوَةِ القَلْبِ؟ فالجوابُ أنَّ الدَّواءَ لقَسْوَةِ القلب: كثرةُ طاعَةِ الله عزَّ وجلَّ[١]، والإكثارُ مِن الذِّكْرِ، وقراءةُ القرآنِ بتدبُّر.

٦- أنَّ المعاصِيَ سببٌ لقلَّة فَهْم كلام الله عزَّ وجلَّ، أو للعُدْوانِ في فَهمِه؛ لقوله: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾، وتحريف الكَلِم عن مواضعه: إمَّا أن يكون سببُه الجهلَ وفَقْدَ العِلم، وإمَّا أن يكون سببُه الاستكبارَ والعدوان، فالمعاصِي سببٌ لعَدَمِ الأَخْذِ بالنُّصوصِ، وسببٌ لتَحْريفِها[٢].

٧- يُستفادُ مِنْ قَوْلِه تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةًۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ أنَّ قسوةَ القلبِ، وتحريفَ الكَلِمِ عن مواضعه، ونِسيانَ ما ذُكِّرَ به الإنسانُ؛ مِن خصالِ اليهودِ، وإذا كانتْ من خِصالِهم، فالواجبُ على الإنسانِ أن يبتَعِدَ عنها، وأن يَفِرَّ منها فِرارَه مِنَ الأَسَدِ[٣].

٨- يُستفاد مِنْ قَوْلِه: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ حُسْنُ معامَلَةِ الإسلام لعدوِّه، وذلك حين أَمَرَ اللهُ بالعفو عنهم والصَّفْحِ، ولا سيَّما إذا ظَهَرَ النَّصْرُ لنا، فحينئذٍ يأتي دورُ العَفْوِ؛ لأنَّ العَفْوَ الحقيقيَّ الذي يُمدَحُ عليه صاحِبُه، هو: العَفْوُ مع القُدْرَةِ، أمَّا العَفْوُ مع العَجْزِ، فهذا ليس بِعَفْوٍ، ولا يُحمَدُ عليه الإنسانُ[٤].

٩- قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ هذا كالتَّعليلِ لِمَا سبَق مِنْ قَوْلِه: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ﴾، أي: إنَّما أَمَرْناك بالعَفْوِ والصَّفْحِ؛ لأنَّ اللهَ تعالى يحبُّ

(١) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ١٩٧).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ١٩٨).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٩٩).

المحسنينَ، وفيه أيضًا أنَّه إذا كان اللهُ يُحِبُّ ذلك فلا ينبغي التأخُّرُ في العَمَلِ به، وفيه الحثُّ على الإِحْسانِ ومَكارِمِ الأخلاقِ الجالبِةِ لحبِّ الله تعالى(١).

١٠- أنَّ عدمَ المؤاخَذةِ على الذَّنبِ من الإحسانِ؛ لقوله: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾(٢).

١١- أنَّ إضاعةَ حقِّ اللهِ مِن أسبابِ إلْقاءِ العَداوةِ والبَغْضِاءِ بين الناس، بمعنى أنَّك متى وجدْتَ عداوةً وبَغْضاءَ بين النَّاس، فهذا بسببِ إعراضِهم عن دِين اللهِ؛ لقوله: ﴿فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا﴾، فالفاءُ في ﴿فَأَغۡرَيۡنَا﴾ للسَّبَبيَّةِ، والعكْسُ يكون بالعَكْسِ، بمعنى أنَّ النَّاسَ إذا قاموا بِطاعَةِ اللهِ واتَّفَقوا عليها، فإنَّ اللهَ يُلقي بينهم المودَّةَ والمحبَّةَ والولايةَ(٣).

الفوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِفُ:

١- أنَّ الصَّلاةَ والزَّكاةَ مفروضةٌ على الأُمَمِ السَّابقة؛ لِقَوْلِه: ﴿لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، فالصَّلواتُ والزَّكوات مفروضةٌ، لكن لا يَلْزَمُ مِن كَوْنِها مفروضةً أن تكونَ مماثِلَةً لِمَا وجَبَ علينا في الكيفيَّةِ والوَقْتِ والمقدار(٤).

٢- بيانُ فَضْلِ اللهِ عزَّ وجلَّ على العِبادِ؛ حيث إنَّه يُعْطِيهم الرِّزْقَ، ثمَّ يقولُ تعالى: ﴿وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾، وهو المُعطي أولًا، والمثيبُ ثانيًا؛ لقوله: ﴿وَأَقۡرَضۡتُمُ﴾، والحكمةُ في التَّعبيرِ عن الإنْفاقِ في سبيلِ الله بالقَرْضِ، أنَّ اللهَ جعَلَ الإنفاقَ في سبيلِه بمنزلَةِ القَرْضِ الذي يَلْزَم المُستَقرِضَ أنْ يُوَفِّيَه(٥).

---

(١) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ١٩٥، ٢٠٠).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ١٩٩).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٠٥).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٨٣).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٨٤).

٣- قوْلُه تعالى: ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ﴾ إشارةٌ إلى إزالةِ العِقابِ، وقولُه: ﴿وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ﴾ إشارةٌ إلى إيصالِ الثَّوابِ؛ فجَمَعَ لهم بين حصولِ المحبوبِ بالجَنَّةِ وما فيها من النَّعيمِ، واندفاعِ المكروهِ بتكفيرِ السيِّئاتِ، ودفْعِ ما يترتَّبُ عليها من العُقوباتِ(١).

٤- أنَّ نعيمَ الجنَّة نعيمٌ للنَّفْسِ والقَلْب، والسَّمْعِ والبصر، وكلِّ شيءٍ، وذلك حينما ذكَر أنَّ هذه الجَنَّاتِ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، وهذا لا شَكَّ أنه يُطْرِبُ السَّمْعَ، فحفيفُ جَريانِ النَّهْرِ يُطْرِبُ السَّمع؛ ولهذا تَجِدُ الإنسانَ يقِفُ عند الشلَّالاتِ متمتِّعًا بالاستماعِ إليها، وكذلك النَّظَر أيضًا، وكذلك القَلْبُ، والنَّفْسُ تستريحُ(٢).

٥- في هذه الآيةِ ﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ لطيفةٌ جليلةٌ، وهي أنَّ الضلالَ بعدَ الإيمانِ أظهَرُ وأعظَمُ؛ لأنَّ الكُفْرَ إنَّما عَظُم قُبْحُه لِعِظم النِّعْمَةِ المكفورةِ، فإذا زادتِ النعمةُ زاد قُبحُ الكُفرِ، وبلَغ النِّهايةَ القُصْوى(٣).

٦- يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ التَّنبيهُ على أنَّ الغالِبَ أنَّ وَسَطَ السَّبيلِ والطَّريقِ هو الحقُّ؛ لأنَّ ﴿سَوَآءَ﴾ بمعنى وَسَط؛ كَقَوْله تعالى: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥]، أي: في وسَطِها ومستَقَرِّها، وهذا هو الغالِبُ؛ أنَّ ما تَطرَّفَ عن الوَسَطِ، فهو ضلالٌ(٤).

٧- قوْلُه تعالى: ﴿وَنَسُواْ حَظًّا﴾: عبَّر بالماضي ﴿نَسُوا﴾؛ لأنَّ النِّسيانَ لا يتجَدَّدُ، فإذا حَصَلَ مضى، حتى يذكِّرَه مذكِّرٌ(٥).

---

(١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٠٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٥).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٨٥).
(٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٣٢٤).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٨٧).
(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٤٤).

٨- يُستَفاد مِنْ قَوْلِه: ﴿وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ﴾ أنَّ النِّسيانَ يأتي لمعنيينِ: الأوَّل: النِّسيان العَمليُّ، ومعناه التَّرْك، والثَّاني: النسيانُ العِلميُّ، وهو النسيان بعدَ الذِّكْر، والمرادُ مِنَ الآيَةِ كِلاهما[١].

٩- أنَّ هؤلاء قد أُقيمَتْ عليهم الحُجَّة، ولكنَّهم تركوا العَمَلَ بعد إقامَةِ الحُجَّةُ؛ لقوله: ﴿مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾[٢].

١٠- أنَّ خِيانَةَ اليَهودِ لا تزالُ باقيةً؛ لِقَوْلِه: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾، وفي ذلك تسليةٌ له صلَّى الله عليه وسلَّمَ[٣]، وإرشادٌ للمُسلمين في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ألَّا يَنخْدِعوا بهم.

١١- إثباتُ المحبَّةِ لله تعالى؛ لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، ومحبَّةُ الله عزَّ وجلَّ ثابتةٌ بالكِتابِ والسُّنة وإجماعِ السَّلَفِ[٤].

١٢- يُستَفاد مِنْ قَوْلِه: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ﴾ وكذلك من قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، وقَوْلِه: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾، أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى لم يُغْفِل أُمَّةً من الميثاقِ الذي أخَذَه عليهم؛ فأخَذَ الميثاقَ على اليهودِ، وأخَذَه على النَّصارى، وأخَذَه على هذه الأُمَّة؛ بل أخَذَه على جميعِ بني آدمَ[٥].

١٣- يُستَفاد مِنْ قَوْلِه: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ التفريقُ بين العَداوَةِ والبَغضاءِ، العداوة: ضِدُّها الوَلاية، والبَغضاء: ضدُّها المحبَّةُ، وهناك

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٩١).
(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٥٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٩٨).
(٣) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٥٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٩٩).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٩٩).
(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٠٤).

فرقٌ بين حبيبٍ ليس وليًّا وبين حبيبٍ هو وَلِيٌّ، وبين بغيضٍ ليس عدوًّا، وبغيضٍ هو عدوٌّ؛ لأنَّ البَغيضَ قد يَعتدي عليك فيكون بذلك بَغيضًا عدوًّا، وقد لا يَعتدي عليك، ولكن يَكْرَهُك فقط، فلا يكون عدوًّا[١].

١٤- الردُّ على الجبريَّة؛ لقوله: ﴿يَصْنَعُونَ﴾، فأضافَ الفعلَ إليهم، والأَصْلُ أنَّ الفِعْلَ إذا أُضيف إلى أحدٍ، فإنَّه قائمٌ به، مختار له، والجَبْرية يقولون: إنَّ الإنسانَ مجبَرٌ على عَمَلِه، حتى في الحرَكاتِ الإراديَّةِ، يقولون: هو مُجبَر، حتى لو أراد الإنسانُ أن يأكلَ أو يشربَ، يقولون: هو مُجبَرٌ على ذلك، ولا شكَّ أنَّ قَوْلَهم هذا يُخالِفُ المحسوسَ والمعقولَ والمنقولَ[٢].

بلاغَةُ الآياتِ:

١- **قوله:** ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ ...﴾

- قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ فيه تأكيدُ الخَبَرِ الفِعلي والاهتمامُ به؛ فـ (قَدْ)؛ للاهتمام به، والقَسَمُ الذي دلَّت عليه هذه اللَّامُ الموطِّئة يُفيدُ أنَّ اللهَ تعالى قد أخَذ العهد الموثَّقَ على بني إسرائيلَ لَيَعْمَلُنَّ بالتَّوراةِ التي شرَعها لهم؛ لإفادةِ تأكيدِ هذا الأَمْرِ وتحقيقِه، والاهتمامِ بما رُتِّب عليه؛ لأنَّ الرَّسولَ قد عُلِّمَه بالوَحْيِ الإلهيِّ، وإنْ لم يَطَّلِعْ على تَوْراتِهم، ولا على شَيءٍ من تاريخِهم[٣].

- ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ﴾: ذكَر الله سبحانه نَفْسَه بالغَيبة؛ تعظيمًا وتكبيرًا له جلَّ وعلا، وَجْهُه أنَّه لم يقُل: (وَلَقَدْ أَخَذْنَا)، وهذا كما يقول الملكُ لجنوده:

(١) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٠٥).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٠٥).
(٣) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٢٣٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٣٩).

إنَّ المَلِك يأمرُكم أن تَفْعلوا كذا، لا يقول: إنِّي آمُرُكم، فإظهارُ الاسْمِ الجليل (ٱللَّهُ)؛ لتربيةِ المهابة، وتفخيمِ الميثاقِ، وتهويلِ الخَطْبِ في نَقْضِه، مع ما فيه من رِعاية حقِّ الاستئنافِ المُستدعِي للانقطاعِ عمَّا قَبْلَه[١].

٢- **وقوله:** ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾: فيه التفاتٌ، حيث عبَّر بقوله: ﴿بَعَثْنَا﴾ بعد ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ﴾، ولم يقل: (وأَخَذْتُ)؛ للجَريِ على سَنَنِ الكِبْرياءِ، وقيل: لأنَّ البَعْثَ كان بواسِطَة موسى عليه السَّلام[٢]، فمِن أساليبِ البلاغة الانتقالُ من أسلوبٍ إلى آخَرَ؛ لتنبيهِ المخاطَب، ولا شكَّ أنَّ تغيُّر الأسلوبِ يُوجِبُ الانتباهَ[٣].

- وفيه: تقديمُ الجارِّ والمجرورِ ﴿مِنْهُمُ﴾ على المفعولِ الصَّريحِ ﴿ٱثْنَىْ عَشَرَ﴾؛ للاهتمامِ بالمقدَّم، والتَّشويقِ إلى المُؤَخَّر[٤].

٣- وقوله: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ﴾ **فيه:** التفاتٌ أيضًا؛ حيث لم يقُل: (وقُلْنا) كما قال ﴿وَبَعَثْنَا﴾، وفائدتُه: تربيةُ المهابةِ، وتأكيدُ ما يتضمَّنُه الكلامُ مِنَ الوَعْدِ[٥].

٤- قوله: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى﴾ **فيه:** تقديمُ الصَّلاةِ والزَّكاةِ على الإيمانِ؛ تشريفًا لهما، وقد عُلِمَ وتَقرَّر أنَّه لا ينفعُ عَمَلٌ إلَّا بالإيمانِ[٦]، وأخَّرَ الإيمانَ بالرُّسُلِ عن إقامِ الصَّلاة وإيتاءِ الزكاة، مع أنَّه مقدَّمٌ عليهما؛ لأنَّ اليهودَ كانوا مُقرِّينَ بأنَّه لا بدَّ في حُصولِ النَّجاة من إقامِ الصَّلاةِ وإيتاء الزكاة، إلَّا أنَّهم كانوا مُصِرِّين على تكذيبِ بعضِ الرُّسُل، فذَكَر

(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ١٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٧٦).
(٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ١٤).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٧٦).
(٤) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ١٤).
(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٣/ ١٥).
(٦) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٠٣).

أنَّ بعدَ إقام الصلاة وإيتاء الزكاة لا بدَّ من الإيمانِ بجميعِ الرُّسُل؛ حتى يحصُلَ المقصودُ، وإلَّا لم يكُن لإقامِ الصَّلاةِ وإيتاءِ الزكاة تأثيرٌ في حُصولِ النَّجاة بدونِ الإيمانِ بجميع الرُّسُل(١).

٥- قوله: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ فيه: تخصيصُ الإنفاقِ (الإقراض) بالذِّكْرِ؛ تنبيهًا على شَرفِه وعُلُوِّ مَرتبَتِه(٢).

- وفائدةُ إعادةِ قَوْلِه: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بالرَّغمِ من أنَّه داخلٌ تحتَ إيتاءِ الزَّكاة؛ لأنَّ المرادَ بالزكاةِ الواجبةُ وبالقرضِ الصَّدقةُ المندوبةُ، وخصَّها تنبيهًا على شَرفِها، وقد نبَّه على الصَّدقاتِ المَندوبَةِ بذِكْرها فيما يترتَّبُ على المجموعِ تشريفًا وتعظيمًا لمَوْقِعِها من النَّفْعِ المتعدِّي(٣).

٦- **قوله:** ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾: فيه إيجازٌ بديعٌ، وبيانُ ذلِك: أنَّ العَداوةَ والبغضاءَ اسمانِ لمعنَيينِ مِن جِنسِ الكَراهيةِ الشَّديدةِ؛ فهُمَا ضِدَّانِ للمحبَّةِ، وظاهِرُ عطفِ أَحدِ الاسمينِ على الآخَرِ في القُرآنِ أنَّهما ليسَا من الأسماءِ المترادِفةِ؛ لأنَّ التزامَ العَطفِ بهذا الترتيبِ يَبعُد أنْ يكونَ لمجرَّدِ التأكيد؛ فإذا كان كذلك لم يَصِحَّ اجتماعُ مَعنيي العَداوةِ والبغضاءِ في موصوفٍ واحدٍ في وقتٍ واحدٍ؛ فيتعيَّن أنَ يكونَ إلقاؤُهما بينهما على معنى التَّوزيعِ، أي: أغْرَينا العداوةَ بين بعضٍ منهم والبغضاءَ بين بعضٍ آخَرَ؛ فوقَع في هذا النظم إيجازٌ بديعٌ؛ لأنَّه يرجِع إلى الاعتمادِ على عِلْمِ المخاطَبين بعدَم استقامةِ اجتماعِ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٢٥٠)، ((تفسير الشربيني)) (١/ ٣٦١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ١٨٤).
(٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٣٢٤).
(٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٠٣)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٢٥٠)، ((تفسير الشربيني)) (١/ ٣٦١).

المعْنَيَيْنِ في موصوفٍ واحدٍ؛ إذ إنَّ بين مَعْنَيَي العداوة والبغضاءِ التضادَّ والتبايُنَ؛ فالعداوةُ كراهيةٌ تَصدُر عن صاحِبِها: معاملةٌ بجَفاء، أو قطيعةٌ، أو إضرارٌ؛ لأنَّ العداوةَ مشتقَّةٌ من العَدْوِ، وهو التجاوُز والتباعُدُ. وأمَّا البغضاءُ فهي شدَّةُ البُغْضِ والكراهية، غيرَ مصحوبةٍ بعَدْوٍ، فهي مُضْمَرَةٌ في النَّفْسِ[١].

٧- **قوله:** ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾: خبرٌ فيه توبيخٌ لهم وزجرٌ عمَّا ادَّعَوْه مِن أنَّهم ناصِرو دِينِ الله وأنبيائِه؛ إذ جَعَل ذلك منهم مُجرَّدَ دَعوى لا حقيقة[٢].

- وفيه تعريضٌ؛ حيث يُفيدُ لفظُ ﴿قَالُوٓاْ﴾ بطريقِ التَّعريضِ الكِنائيِّ أنَّ هذا القولَ غيرُ مُوَفًّى به، وأنَّه يَجِبُ أن يُوفَّى به[٣].

٨- قوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾: فيه تأكيدُ الكلامِ وتمكينُه في النَّفْسِ بذِكر (مَا)[٤].

٩- قوله: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ التعبيرُ بصِيغة المضارِعِ في قوله: ﴿يُحَرِّفُونَ﴾؛ للدَّلالة على التجدُّدِ والاستِمْرارِ[٥].

- والجملةُ استئنافٌ لِبيانِ قَسْوةِ قلوبِهم؛ فإنَّه لا قسوةَ أشدُّ من تغييرِ كلامِ الله سبحانه وتعالى والافتراءِ عليه[٦]، وقيل: حالٌ من مفعول ﴿لَعَنَّاهُمْ﴾، أي: لعنَّاهم حالَ كونِهم محرِّفين الكَلِم[٧].

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٤٧، ١٤٨).
(٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٠٧).
(٣) يُنظر: ((المصدر السابق))، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٤٦).
(٤) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ١٦).
(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)).
(٦) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١١٨)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ١٦).
(٧) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ١٦).

١٠- قوله: ﴿وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾: فيه تأكيدُ الوعيدِ بذِكْرِ كلمةِ (سَوْفَ). والالتفاتُ إلى ذِكر الاسمِ الجليلِ (الله)؛ لتربيةِ المهابَةِ، وإدخالِ الرَّوعةِ؛ لتشديدِ الوعيدِ بعذابِ الآخِرَةِ[1].



(١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٠٨)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ١٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٥٠).

الآيتان (١٥ - ١٦)

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾.

غريبُ الكَلِمات:

﴿سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾: طُرُقَ السَّلامَة، أو طُرُقَ الجَنَّة، أو طُرُقَ الله، وهي دِينُه[1].

المعنى الإجماليُّ:

يُوجِّه اللهُ الخِطابَ إلى أهْلِ الكتابِ منَ اليهودِ والنصارى مُبيِّنًا لهم أنَّه قد بعَث إليهم رَسُولَه محمدًا صلَّى الله عليه وسلَّم الذي يَعرِفونَ أوصافَه في كتُبِهم، يُظْهِرُ كثيرًا ممَّا كانوا يُخْفُونه عن النَّاسِ، ويوضِّحُ ما حرَّفوا وبدَّلوا مِن كلامِ الله، ويَتْرُكُ كثيرًا ممَّا غيَّروه وكَتَموه ممَّا لا فائدةَ مِن بيانه وذِكْرِه، ثم ذَكَّرَهم تعالى بأنَّه قد جاءَهم من اللهِ كتابٌ عظيمٌ، وهو القرآنُ الكريمُ، وهو نورٌ يُستضاءُ به في ظُلُماتِ الجَهْلِ والغَواية، ويبيِّن للخَلْقِ كلَّ ما يحتاجونَه من أمورِ دِينِهم ودُنياهم، ويُرشِدُ اللهُ به مَن أرادَ الوصولَ إلى رِضاه جلَّ وعلا، فيوفِّقُهم لسُلُوكِ طُرُقِ النَّجاةِ والأمْن والسَّلامَةِ في الدُّنيا والآخِرَةِ، حتى يَبلُغوا الجَنَّةَ؛ دارَ السَّلامِ، ويُخرِجُهم من ظُلُماتِ الكُفْرِ والمعاصي إلى نورِ الإيمانِ والطَّاعة بمشيئَتِه سبحانه، ويَهديهم إلى الطَّريقِ القَويمِ، وهو دِينُه الحَنيفُ.

---

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٢٧٥)، ((المفردات)) للرغب (ص: ٣٩٦)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨٠)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٩).

تَفسيرُ الآيتين:

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ ﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِمَا قَبلَها:

لَمَّا ذَكَر اللهُ تعالى عن اليَهُودِ والنَّصارى نقْضَ العَهْدِ، ودَحَضَ حُجَّتَهم، ووَضَّحَ أُكْذُوبَتَهم من ادِّعائِهم أنَّهم ﴿أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ اقتضى ذلك الالتفاتَ إلى وعْظِهم على وَجْهِ الامتنانِ عليهم، وإبطالِ ما عساهم يَظنُّونه حُجَّةً، فدَعاهم إلى الإيمانِ بمحمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّمَ[١]، فقال:

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا ﴾.

أي: يا أيُّها اليهودُ والنَّصارى- يا من تَعلمونَ مِن التَّوراةِ والإنجيلِ صِفاتِ محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّمَ وثُبوتَ بَعْثتِه- ها قد أتاكم مُحمَّدٌ صلَّى الله عليه وسلَّمَ[٢].

﴿يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾.

أي: جاءَكم يُظْهِرُ كثيرًا ممَّا كنتم تَكتُمونَه عن النَّاسِ، ويُوضِّحُ ما بدَّلْتُموه وحرَّفْتُموه وأوَّلْتُموه على غيرِ وَجْهِه المُرادِ.

وممَّا كانوا يُخفونَ مِنْ أَحْكامِ التَّوراةِ: رجْمُ الزَّاني المحصَن، ومِن ذلك: ما أخفاه اليهودُ من صِفاتِ الرَّسولِ صلَّى الله عليه وسلَّمَ في كتابِهم، وإنكارُهم أنَّهم يَعرفونَ أنَّه هو الرسولُ المُنتظَرُ، ومن ذلك: كتْمُ النَّصارى بِشارةَ عيسى ابنِ

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٢٥٨)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٦٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٦١-٢٦٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٠٦).

مريمَ لهم بمحمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّمَ[(١)].

﴿وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾.

أي: ويَترُك ذِكرَ كثيرٍ ممَّا كَتَمْتموه وغيَّرْتُموه ممَّا لا فائدةَ في بيانِه، ولا ذِكْره[(٢)].

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١].

﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾.

أي: قد جاءَكم- يا أهلَ التَّوراةِ والإنجيلِ- مِنَ اللهِ تعالى القرآنُ العظيمُ، الذي نزَل على محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّمَ؛ نورٌ يُستضاءُ به في ظُلماتِ الجَهالة، وعَمَايَةِ الضَّلالة، ويُنيرُ لكم به معالمَ الهِدايَةِ، وهو نورٌ في قلوبِ أَهْلِه المتَّبِعينَ له، ونورٌ في وُجُوههم، ونورٌ في قُبُورِهم، ونورٌ لهم يومَ القيامَةِ، وهو كتابٌ يُبيِّنُ للخَلْقِ كلَّ ما يحتاجونَ إليه من أُمُورِ دِينِهم ودُنياهم[(٣)].

﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾.

﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾.

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٦٢)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٥/ ٧٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٦٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٦)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (١/ ٣٧٠-٣٧١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٠٦-٢٠٧).

(٢) يُنظر: ((التفسير الوسيط)) للواحدي (٢/ ١٦٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٦٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٥٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٠٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٦٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٠٧-٢٠٨، ٢١٢-٢١٣).

وذهَب ابنُ جريرٍ إلى أنَّ المرادَ بقوله: ﴿نُورٌ﴾ محمدٌ صلَّى الله عليه وسلَّم، وقال به قتادةُ. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٦١)، ((زاد المسير)) لابن الجوزي (١/ ٥٢٩).

أي: يُرشِدُ اللهُ عزَّ وجلَّ ويُسدِّدُ بهذا القرآنِ العظيمِ، مَن ابتغى بلوغَ مَرْضاةِ الله تعالى فأَقْبَل عليه، وأسلمَ وآمَنَ بالله ربًّا، وبمحمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّمَ نبيًّا، فيُرْشِدُه ويوفِّقُه إلى اتِّباع شرائعِ الإسلامِ، التي فيها النَّجاةُ والأمنُ والسَّلامةُ في الدُّنيا والآخِرة، حتى يَستقرَّ في الجَنَّةِ؛ دارِ السَّلامِ، المنزَّهةِ عن كلِّ آفةٍ، والمُؤمَّنَةِ مِن كلِّ مَخافةٍ[١].

﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾.

أي: ويُخْرِجُ مَن اتَّبَعَ رِضوانَه، وهَدَاه سُبُلَ السَّلامِ، مِن ظُلُماتِ الكُفرِ والشِّركِ والمعاصِي، إلى نورِ الإيمانِ واليقينِ والطَّاعَةِ بمشيئةِ الله عزَّ وجلَّ[٢].

﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

أي: ويُرشِدُهم ويُسدِّدُهم إلى طريقٍ لا اعوجاجَ فيه، وهو دِينُ اللهِ القَويمُ[٣].

الفوائِد التربويَّةُ:

١- أنَّه كلَّما اتَّبَعَ الإنسانُ ما يُرْضي اللهَ، ازدادَ معرفةً بشريعةِ اللهِ؛ لِقَوْلِه: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾، وعلى العَكْسِ؛ فمَن أعْرَضَ عن رِضوانِ الله، فإنَّه لا يُهدَى سُبُلَ الله؛ لأنَّه ليس أهلًا للهِدايةِ[٤].

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٦٤-٢٦٥)، ((التفسير الوسيط)) للواحدي (٢/ ١٦٩)، ((تفسير ابن عطية)) (٢/ ١٧١)، ((تفسير القرطبي)) (٦/ ١١٨-١١٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٦٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٦)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (١/ ٣٧٠-٣٧١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٠٨-٢٠٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٦٥)، ((التفسير الوسيط)) للواحدي (٢/ ١٦٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٦٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٠٩-٢١٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٦٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٦٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢١٠).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢١٥).

٢- يُستَفاد مِن قَوْلِه سبحانه: ﴿سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ أنَّ مَن سلك سَبيلَ الشريعةِ فقد سَلِم سلامةً مُطلَقةً؛ في عقيدَتِه، وأعمالِه، وجزائِه؛ لأنَّ هذا المسلكَ سيؤدِّي به إلى دارِ السَّلامِ التي يدعو اللهُ تعالى إليها؛ كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[١] [يونس: ٢٥].

٣- أنَّه كلَّما تمسَّكَ الإنسانُ بشريعةِ الله هداه اللهُ تعالى؛ لقوله: ﴿وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾؛ فالمعاصي سببٌ للزَّيْغِ، والطَّاعةُ والامتثالُ سببٌ للهِدايَةِ والرَّشَد، وهذا له أمثلةٌ كثيرة في القرآنِ[٢].

الفوائِد العِلميَّة واللَّطائف:

١- قوله: ﴿يُبَيِّنُ لَكُمۡ﴾ عبَّر بالمضارِعِ في ﴿يُبَيِّنُ﴾ إشارةً إلى أنَّ دِينَه وبيانَه لا ينقَطِعُ أصلًا بحِفْظِ كِتابِه، فكلَّما دَرَسَتْ سُنَّةٌ قيَّضَ الله عالِمًا يردُّ النَّاسَ إليها بالكِتابِ المعْجِز القائِمِ أبدًا؛ فلذلك لا يحتاجُ الأمْرُ إلى نبيٍّ مجدِّدٍ إلَّا عند الفِتنَةِ التي لا يُطيقُها العلماءُ، وهي فتنةُ الدَّجَّالِ ويأجوجَ ومَأْجوجَ[٣]، وينزلُ عيسى عليه السَّلامُ حاكمًا بشريعةِ الإسلامِ، لا نبيًّا برسالةٍ مستقلةٍ، وشريعةٍ ناسخةٍ[٤].

٢- قوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: هم اليهودُ والنَّصارى، أضافَهم اللهُ تعالى إلى الكِتابِ، وسمَّاهم أهلًا له؛ لإقامةِ الحُجَّةِ عليهم ونَفْيِ العُذْرِ؛ فعندهم علمُ معرفةٍ؛ ويعرِفونَ الرسولَ صلَّى الله عليه وسلَّم كما يعرِفون أبناءَهم[٥].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢١٨).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٢١).
(٣) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٧٠).
(٤) ينظر: ((طرح التثريب)) للعراقي (٧/ ٢٦٥).
(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٠٦).

٣- رِفْعةُ شأنِ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ؛ وذلك لِقَوْلِه: ﴿رَسُولُنَا﴾، فإنَّ إضافةَ رِسالَتِه إلى الله لا شكَّ أنَّها شَرَفٌ، وكلُّ ما يُضافُ إلى الله فهو شَرَفٌ[١].

٤- أنَّ محمَّدًا رسولُ اللهِ مُرسَلٌ إلى أهلِ الكتابِ؛ لِقَوْلِه: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾، وهو كذلك، فهو مُرْسَلٌ إليهم بالقرآنِ والسُّنَّةِ وإجماعِ المسلمين[٢].

٥- أنَّ أهلَ الكتابِ أهلُ كِتمانٍ للعِلمِ؛ لقوله: ﴿كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾، وأنَّ مَن كتَم العِلْمَ مِن هذه الأمَّة ففيه شَبَهٌ باليهودِ والنَّصارى؛ لأنَّ هذا هو دَأْبُهم؛ فمَن كتَم فقد شابَههم في أَقْبَحِ خَصلة- والعياذُ بالله- وهي كتمانُ ما جاءَهم مِنَ العِلْم[٣].

٦- قوْلُه تعالى: ﴿مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ ...﴾ في هذه الآيَةِ دلالةٌ على صِحَّةِ نُبوَّةِ محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم؛ لأنَّ إعلامَه بما يُخفونَ مِن كِتابِهم- وقد أخْفَى النَّصارى التوحيدَ، وأخفى اليهودُ كثيرًا من أحكامِ الشَّريعةِ كرَجْمِ الزَّاني، وتحريمِ الرِّبا كافَّةً، كما أَخْفَوا جميعًا خبرَ بَعْثةِ النبيِّ الأميِّ- وهو أُمِّيٌّ لا يقرأ ولا يَكتُب ولا يَصْحَبُ القرَّاءَ؛ دلالةٌ على أنَّه إنما يُعلِّمُه اللهُ تعالى[٤].

٧- قوله: ﴿سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ﴾ لم يَقُلْ: (سَبِيلَ السَّلام)، مع أنَّ التعبيرَ الغالب أنه يُعبَّر عن طَريقِ الإسلامِ بالإفراد، وعن طُرُقِ الضلال بالجَمْع، لكن هنا لَمَّا قال: ﴿ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ تعيَّن أن يكونَ المرادُ بالسُّبُل هنا شرائعَ الإسلامِ؛ لأنَّه إذا كان متَّبِعًا لرضوان الله فقدِ اهتدى وأسلَمَ وآمَن، لكنَّ الإسلامَ له شرائعُ وله سُبلٌ؛ فلهذا قال: ﴿سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ﴾، وإضافةُ السُّبل إلى السَّلام من بابِ إضافةِ

---

(١) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢١١).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢١٢).

(٤) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٠٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٦).

الشيءِ إلى مُسبَّبِه؛ أي: السُّبلُ التي يَحصُل بها السَّلامُ، فالسَّلام مِن كل شيءٍ، والسَّلامُ من النَّار، والسَّلام من الزيغ، والسَّلام من الشُّبهات، يعني تشمَلُ كلَّ معنًى تحتمِلُه كلمة السَّلام، أمَّا الإسلامُ جملةً فهو سبيلٌ واحد(١).

٨- إثباتُ الرِّضا لله تعالى؛ لقوله: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾، فالرِّضوانُ بمعنى الرِّضا أو الرِّضا الكثيرِ، والرِّضا: صِفةٌ فعليَّة من صِفاتِ الله عزَّ وجلَّ، تتعلَّق بمشيئته ولها سببٌ، وسببُها عملُ العبدِ بتوفيقِ الله(٢).

٩- قوله تعالى: ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ فيه الردُّ على القَدَريَّة الذين يقولون: إنَّ اللهَ لا علاقةَ له بفِعل العَبْدِ(٣).

١٠- يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ أنَّ الشَّريعةَ نورٌ، وهي كذلك؛ هي نورٌ لا شكَّ، ولا يُحِسُّ بذلك إلَّا مَن آتاه الله تعالى إيمانًا ويقينًا كاملًا، وكلَّما كَمُل الإيمانُ ازدادَ الإنسانُ نورًا، وتَبيَّنَ له نورُ الشَّريعة(٤).

١١- قوْلُه تعالى: ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ لفظة ﴿صِرَاطٍ﴾ مُفرَدةٌ؛ لأنَّ الحقَّ واحدٌ لِذَاتِه، ومُتَّفِقٌ من جميعِ جِهاتِه، وأمَّا الباطِلُ ففيه كثرةٌ، وكلُّها مُعْوَجَّة(٥).

بلاغةُ الآيتين:

١- قوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾: فيه التفاتٌ إلى خِطابِ الفَريقينِ- اليهودِ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٠٨، ٢١٨).
(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢١٥).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢١٩).
(٤) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٦٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٢٠).
(٥) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٣٢٧).

والنَّصارى[(١)]، ووحَّد الكِتاب مع أنَّ لكلِّ فريقٍ كِتابًا؛ لأنَّه أراد جِنسَ الكِتابِ[(٢)].

٢- **قوله:** ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ﴾: جملة مُستأنَفةٌ مسوقةٌ لبيانِ أنَّ فائدةَ مجيءِ الرَّسولِ ليستْ منحصرةً فيما ذُكِرَ[(٣)].

- وتقديمُ الجارِّ والمجرورِ ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ على الفاعِلِ ﴿نُورٌ﴾ للمُسارَعَةِ إلى بيانِ كَوْنِ المجيءِ من جِهته العاليةِ، والتَّشويق إلى الجائي، ولأنَّ فيه نَوعَ تطويلٍ يُخِلُّ تقديمُه بتجاوُبِ أطرافِ النَّظْم الكريمِ، وتنكيرُ ﴿نُورٌ﴾؛ للتَّفْخيمِ[(٤)].

- وجملة ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ بدلٌ مِن جملة ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ بدل اشتمالٍ؛ لأنَّ مَجيءَ الرسولِ اشتمَل على مجيءِ الهُدى والقرآنِ؛ ولذلك فُصِلتْ عنها-أي: لم تُعطَفْ عليها بالواو- وأُعيدَ حرفُ ﴿قَدْ﴾ الدَّاخِلِ على الجُملةِ المبدَلِ منها؛ زيادةً في تحقيقِ مَضْمونِ جُملةِ البَدل؛ لأنَّ تعلُّقَ بَدَلِ الاشتمالِ بالمُبْدَل منه أضْعَفُ من تَعَلُّقِ البَدَلِ المطابِق[(٥)].

٣- قوله: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ﴾ فيه: توحيدُ الضَّميرِ في قوله: ﴿بِهِ﴾ مع أنه عائِدٌ على ﴿نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾؛ لأنَّ المرادَ بالنُّورِ والكِتابِ المبينِ واحدٌ: (القرآنُ)، أو لأنَّهما كواحدٍ في الحُكم؛ إذا كان النورُ غيرَ الكِتابِ المُبينِ[(٦)].

- وتقديمُ الجارِّ والمجرور (بِه)؛ للاهتمامِ، وإظهارِ لفظ الجلالةِ (الله) في

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٢٧١)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ١٧).
(٢) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١١٨).
(٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ١٨).
(٤) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ١٨)، ((تفسير الألوسي)) (٣/ ٢٦٩).
(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٥١).
(٦) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١١٩).

موضِع الإضمارِ؛ لإظهارِ كمالِ الاعتناءِ بأمْرِ الهِدايةِ(١).



(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ١٨).

الآيات (١٧ - ١٩)

﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن
يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ
وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ
يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ (١٧) وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ
ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ
وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ (١٨)
يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا
مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ (١٩)﴾.

غريبُ الكَلِمات:

﴿عَلَىٰ فَتۡرَةٖ﴾: على حِين فُتورٍ من الإرسالِ، وانقطاعِ الوَحْيِ، وأصل الفُتور: السكون بعد الحِدَّة، واللِّينُ بعدَ الشِّدَّة، والضَّعْف بعد القُوَّة(١).

﴿بَشِيرٖ﴾: مُبشِّرٌ مَن أطاعَه، وأصلُ البُشرى: ظهورُ الشيءِ مع حُسنٍ وجمالٍ(٢).

﴿نَذِيرٖ﴾: مُنذِرٌ مَن عصاه، وأصْلُ النِّذارةِ: التخويفُ(٣).

المعنى الإجماليُّ:

يُخبر تعالى مُقْسِمًا أنَّ النَّصارى - القائلين بأنَّ الله هو عيسى ابنُ مريمَ - قد

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٣٦٠)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٤٧٠)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٢٢)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٩)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٦٩٩).

(٢) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٢٥١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٢٦)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٦٩)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٢٣٩).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٤٦٣)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٤١٤)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٧٩٨)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٢٣٢).

كَفروا، وأمَرَ نبيَّه محمَّدًا صلَّى الله عليه وسلَّمَ أن يقولَ لهؤلاء النَّصارى على سبيلِ الإنْكارِ والتَّوبيخ: من ذا الذي يملِكُ مِنْ أَمْرِ الله وإرادته شيئًا يَدْفَعُ به الهلاكَ عن المسيحِ وعن أمِّه وعن سائرِ أهلِ الأرضِ، إن أرادَ الله أن يُهْلِكَهم ويُبِيدَهم، لا أحدَ يَستطيع أنْ يدفع عن نفسِه الهلاكَ، فالجميعُ تحتَ قدرةِ اللهِ وإرادتِه وقهرِه، والمسيحُ وأمُّه في ذلك كسائرِ المخلوقاتِ، فدلَّ ذلك على بُطلانِ أُلُوهيَّة مَن سِوَى اللهِ تعالى، ولله وَحْدَه مُلكُ السَّمواتِ والأَرْضِ وما بينهما؛ يَخلُقُ ما يشاء، وهو على كلِّ شيءٍ قادرٌ، لا يُعْجِزُه شيءٌ.

ثم يُخبر تعالى أنَّ كلًّا مِنَ اليَهُودِ والنَّصارى ادَّعَوْا أنَّهم في القُرْبِ من اللهِ بمنزلَةِ أبنائِه، وأحِبَّائِه، وأمَر نبيَّه مُحمَّدًا صلَّى الله عليه وسلَّمَ أن يقولَ لهم: إنْ كنتم حقًّا كما تَدَّعُونَ مِن كَوْنِكم أبناءَ اللهِ وأحباءَه، فلِمَ يُعذِّبُكم بذُنُوبِكم التي تَقْتَرِفونها؟! فالأمْرُ ليس كما تَدَّعُونَ، بل أنتم بشرٌ ممَّن خَلَقَ الله، يَغفِرُ لِمَن يشاءُ، ويُعذِّبُ مَن يشاءُ سبحانه، فله مُلْكُ السَّمواتِ والأرض وما بينهما، وإليه سبحانه المرجِعُ والمصيرُ في الآخِرَةِ.

ثم وجَّه الله الخطابَ إلى أَهْلِ الكتابِ مِنَ اليَهودِ والنَّصارى، أنَّه قد جاءَهم رَسولُه محمَّدٌ صلَّى الله عليه وسلَّمَ يُوضِّحُ لهم الطريقَ القويمَ، والدِّين الحقَّ، في وقتٍ اشتدَّت الحاجةُ إليه بعد انقطاعٍ من الرُّسُلِ؛ أَرْسَلَه اللهُ تعالى حتى لا يكونَ لهم حُجَّةٌ فيقولوا: ما جاءَنا من بشيرٍ ولا نَذيرٍ، فقد جاءهم بشيرٌ ونذيرٌ هو محمَّدٌ صلَّى الله عليه وسلَّم، واللهُ على كلِّ شيء قادرٌ، لا يُعْجِزُه شيءٌ، ومن ذلك قُدرتُه على خَلْقِ عيسى عليه السَّلامُ من أمٍّ بلا أبٍ، وقدرتُه على إهلاكِه وأُمَّه وجميعَ مَن في الأرضِ.

تَفسيرُ الآياتِ:

﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن

يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًاۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِمَا قَبلَها:

لَمَّا ذكَر تعالى أخْذَ الميثاقِ على أهلِ الكِتابينِ، وأنَّهم لم يَقوموا به، بل نَقَضُوه، ذكَر أقوالَهم الشَّنيعةَ، فذكَر قول النَّصارى وردَّ عليهم[١]، فقال:

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾.

أي: أُقْسِمُ على أنَّ الذين ادَّعَوا أنَّ عيسى ابنَ مريمَ هو الله، قد كَفروا[٢].

﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾.

أي: قُلْ- يا مُحمَّدُ- لهؤلاءِ النَّصارى الجَهَلَةِ الذين افترَوْا عليَّ، وضلُّوا عن سواءِ السَّبيلِ بقَوْلِهم: إنَّ اللهَ هو المسيحُ ابنُ مريمَ، قل لهم: فمَن الذي يُطيقُ إذَنْ أن يَدْفَعَ مِن أَمْرِ اللهِ جلَّ وعزَّ شيئًا، فيردَّه إذا قَضَاه؟! فلو أراد أن يُهلِكَ المسيحَ ابنَ مريمَ بإعدامِه من الأَرْضِ وإعدامِ أمِّهِ مريمَ، وإعدامِ جميعِ مَن في الأَرْضِ من الخَلْقِ جميعًا؛ فمَن الذي يَقدِرُ على مَنْعِه وصَرفِه عن ذلك؟! وإذا كان المذكورونَ لا امتناعَ عندهم يمنَعُهم لو أرادَ اللهُ أن يُهْلِكَهم، ولا قُدْرَةَ لهم على ذلك- دلَّ على بُطلان إلهيَّةِ مَن لا يمتَنِعُ من الإهلاكِ، ولا في قوَّتِه شيءٌ من الفَكاكِ[٣].

(١) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٦٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٦٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٦٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٢١-٢٢٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٦٦-٢٦٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٦٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٦-٢٢٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٢٣-٢٢٥).

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾.

أي: ولله عزَّ وجلَّ وَحْدَه أمرُ تدبيرِ جميعِ ما في السَّمواتِ وما في الأَرْضِ وما بينهما وتصريفِها؛ فهُم خَلقُه، مملوكونَ له مُدَبَّرون بأمْرِه، فيُهْلِك منهم ما يشاءُ، ويُبْقِي منهم ما يَشاء، ويُوجِدُ ما أراد حتى لو كان من أمٍّ بلا أبٍ، ويُعْدِمُ ما أراد، لا يمنَعُه من ذلك مانِعٌ، ولا يَدفَعُه عنه دافعٌ؛ يُنْفِذُ فيهم حُكْمَه، ويُمْضِي فيهم قضاءَه، ولن يقدِرَ على ذلك أحدٌ غيرُ الله الواحِدِ القهَّار؛ فكيف زَعَمْتُم- أيُّها النَّصارى- أنَّ المسيحَ إلهٌ، وهو لا يُطيقُ شيئًا من ذلك؟! وكيف يكونُ المملوكُ العبدُ إلهًا معبودًا؟! فهذا من أعظمِ المُحالِ[1].

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

أي: إنَّ المعبودَ الحقَّ جلَّ جلالُه هو القادرُ على كلِّ شيء؛ فلا يُعْجِزُه شيءٌ أرادَه، ولا يَغْلِبه شيءٌ طلبَه، ومن ذلك قُدْرَتُه على خَلْقِ عيسى عليه السَّلامُ من أمٍّ بلا أبٍ، وهو القادِرُ أيضًا على إهلاكِ المسيحِ وأمِّه ومن في الأرض جميعًا سبحانه وتعالى[2].

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ١٨﴾.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾.

أي: قال كلٌّ من اليهودِ والنَّصارى: نحن أبناءُ اللهِ وأحبَّاؤه، في مَودَّته وإكرامِه

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٦٧-٢٦٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٦٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٢٥-٢٢٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٦٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٦٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٢٧).

وإعزازِه لنا، وحُنوِّه وعَطْفِه علينا(١).

﴿قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾.

أي: قلْ لهم- يا محمَّدُ- إنْ كان الأمرُ كما تَدَّعونَ مِن أنَّكم أبناءُ اللهِ تعالى وأحبَّاؤُه، فأخْبِروني- إذنْ- لِمَ أَعَدَّ اللهُ لكم نارَ جهنَّم على كُفرِكم وافترائِكم وذُنُوبِكم؛ فإنَّ الحبيبَ لا يُعذِّب حَبيبَه، وأنتم مُقرُّون أنَّه مُعذِّبُكم؟!

كما قال تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾(٢) [البقرة: ٨٠].

﴿بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَ﴾.

أي: ليس الأمرُ كما زعمتُم أنَّكم أبناءُ اللهِ وأحباؤُه، بل أنتم خَلقٌ خَلَقَكم اللهُ مثلَما خَلَقَ سائرَ بني آدمَ(٣).

﴿يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾.

أي: يُعامِلُكم كما يعامِلُ سائرَ البَشَرِ، فتجري عليكم بحِكْمَتِه أحكامُه الدَّائرةُ بينَ عَدْلِه وفَضْلِه، ولا تغترُّوا بتلك الأمانيِّ، وبمنازلِ أنبيائِكم وصالحي آبائِكم عندَ الباري؛ فإنَّهم إنما نالوا القُرْبَ منه بطاعتِه، واجتنابِ مَعْصِيَتِه، فجِدُّوا أنتم أيضًا في ذلك(٤).

﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٦٩-٢٧٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٦٨-٦٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٣٧).
وينظر أيضًا: ((التفسير الوجيز)) للواحدي (ص: ٣١٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٥٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٧٠-٢٧١)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٦٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٣٧-٢٣٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٧١)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٦٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٣٨).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٧١-٢٧٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٣٩).

أي: وللهِ عزَّ وجلَّ وحدَه أَمْرُ تدبيرِ جميعِ ما في السَّمواتِ وما في الأرضِ وما بينهما وتَصريفِه، فهم خلقُه ومُلكُه، وإليه وحده سبحانه المرجعُ والمنقلَبُ في الآخرة، فأيُّ شيءٍ خصَّكم بهذه الفضيلةِ التي تَزْعُمونها، وأنتم مِن جُملةِ المماليك، ومِن جُملةِ مَن يرجِعُ إلى اللهِ في الدَّارِ الآخِرَةِ، فيُجازيكم بأعمالِكم، واعلموا- يا مَن تدَّعونَ أنَّكم أبناءُ الله وأحبَّاؤه- أنَّه إنْ عذَّبكم بذُنُوبِكم، لم يكُن لكم منه مانِعٌ، ولا لكم عنه دافِعٌ؛ لأنه لا نسَبَ بينه وبين أحدٍ فيُحابِيَه، فاتَّقوا غَضَبَه وعِقابَه، ولا تغترُّوا بالأمانيِّ وفَضائِلِ الآباءِ[١].

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩﴾.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا﴾.

أي: يا أيُّها اليهودُ والنَّصارى- الذين أنعمَ اللهُ عليكم بالتوراةِ والإنجيلِ، وتَعلمونَ منهما بَعثةَ محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّمَ- ها قدْ أتاكم محمَّدٌ صلَّى الله عليه وسلَّمَ[٢].

﴿يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾.

أي: جاءَ يُوضِّحُ لكم الحقَّ، ويُبيِّنُ كلَّ ما تحتاجون إليه من المطالِبِ الإلهيَّةِ، والأحكامِ الشَّرعيَّة، وذلك بعدَ شِدَّةِ حاجةٍ إليه، ومُضِيِّ زمنٍ طويلٍ بين إرسالِ عيسى عليه السَّلام وبَعثةِ محمَّدٍ خيرِ الأنامِ[٣].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٧٢-٢٧٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٣٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٧٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٥٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٤٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٧٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٧٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٤٤-٢٤٥).

عن أبي هُرَيرةَ رضي الله عنه، أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ قال: ((أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بابنِ مريمَ؛ الأنبياءُ أولادُ عَلَّاتٍ[(١)]، وليس بَيني وبينَه نبيٌّ))[(٢)].

وعن عِياضِ بنِ حِمار المُجاشعيِّ، أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّمَ قال ذاتَ يومٍ في خُطْبَتِه: ((ألَا إنَّ ربِّي أمَرَني أنْ أُعلِّمَكم ما جَهِلتُم ممَّا عَلَّمني يَومِي هذا: كلُّ مالٍ نَحَلْتُه عبدًا حَلالٌ، وإنِّي خلقتُ عِبادي حُنفاءَ كلَّهم، وإنَّهم أَتَتْهم الشياطينُ فاجْتالَتْهم[(٣)] عن دِينِهم، وحَرَّمَتْ عليهم ما أَحللْتُ لهم، وأَمَرَتْهم أن يُشرِكوا بي ما لم أُنَزِّلْ به سُلْطانًا، وإنَّ اللهَ نظرَ إلى أهلِ الأرضِ، فمَقَتَهم عرَبَهم وعَجَمَهم، إلَّا بَقايَا من أهلِ الكتابِ، وقال: إنَّما بَعثْتُك لأَبتلِيَكَ وَأبتليَ بك، وأنزلتُ عليكَ كتابًا لا يَغسِلُه الماءُ، تَقرؤُه نائمًا ويَقْظانَ، وإنَّ اللهَ أمَرَني أنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا، فقلتُ: رَبِّ إذًا يَثْلَغُوا رَأْسِي[(٤)] فيَدَعُوه خُبْزَةً، قال: اسْتَخْرِجْهم كما اسْتَخرَجوكَ، واغْزُهم نُغْزِكَ[(٥)]، وأَنفِقْ فسنُنفِقُ عليك، وابعثْ جَيشًا نَبعثْ

قال الألوسي: (الفترةُ فعلةٌ مِن: فتَر عن عملِه، يفترُ فتورًا. إذا سكَن، والأصلُ فيها الانقطاعُ عمَّا كان عليه مِن الجدِّ في العملِ، وهي عندَ جميعِ المفسِّرين انقطاعُ ما بينَ الرَّسولين) ((تفسير الألوسي)) (٣/ ٢٧٤).

(١) أولاد عَلَّات: العَلاَّت- بفتح العين، وتشديدِ اللاَّم-: الضَّرائر، وأصله أنَّ مَن تزوَّج امرأةً ثم تزوَّج أخرى كأنَّه عَلَّ منها، والعَلَل الشُّرْب بعدَ الشُّرب، وأولاد العَلَّات الإخوةُ من الأبِ وأُمَّهاتهم شتَّى. ينظر: ((فتح الباري))لابن حجر (٦/ ٤٨٩)، ((شرح النووي على مسلم)) (١٥/ ١١٩).

(٢) رواه البخاري (٣٤٤٢)، ومسلم (٢٣٦٥) واللفظ له.

(٣) فاجْتَالَتْهم: أي: استخفَّتْهم فجالوا معهم في الضَّلال؛ يُقال: جالَ واجتالَ: إذا ذهَب وجاءَ، ومنه الجولانُ في الحَربِ، واجتالَ الشَّيءَ إذا ذَهَب به وساقَه، والجائلُ: الزائلُ عن مَكانِه. ينظر: ((النهاية)) لابن الأثير (١/ ٣١٧).

(٤) يَثْلَغوا رأسي: أي: يَشدَخُوه ويشجُّوه، والثَّلغ: الشَّدخ، وقيل: هو ضَربُك الشيءَ الرَّطبَ بالشيءِ اليابسِ حتى يَنشدِخَ. ينظر: ((النهاية)) لابن الأثير (١/ ٢٢٠)، ((شرح النووي على مسلم)) (١٧/ ١٩٨).

(٥) نُغْزِكَ: نُعِنْكَ؛ مِن أغزَيتَه: إذا جَهَّزْتَه للغَزْوِ، وهيَّأْتَ له أسبابَه. يُنظر: ((شرح النووي على

خَمسةً مِثلَه، وقاتِلْ بمَن أطاعَكَ مَن عَصاكَ...)) الحديث[١].

﴿أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖ﴾.

أي: أَرْسلناه إليكم؛ قَطْعًا لعُذركم؛ كي لا تَحتجُّوا قائلين بأنَّه لم يأتِنا رسولٌ منذ عهدٍ طويلٍ، يُبشِّر بالخيرِ مَن آمَن به وأطاعَه، ويُنذرُ بالشرِّ مَن كذَّبَ به وعَصاه[٢].

﴿فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞ﴾.

أي: فها قد جاءَكم هذا البَشيرُ والنَّذيرُ؛ محمَّدٌ صلَّى الله عليه وسلَّمَ، فالآن لا حُجَّةَ لكم، ولا عُذرَ بَقِيَ لديكم[٣].

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

أي: لا يُعجِزُ اللهَ تعالى شيءٌ أرادَه، ولا يفوتُه شيءٌ طَلَبَه، ومن ذلك قُدْرَتُه على بَعْثِ الرُّسل وإنزال الكتُبِ، وإثابةِ المؤمنينَ المُطيعينَ، ومعاقبَةِ المكذِّبين العاصينَ[٤].

الفوائِد التربويَّة:

١- أنَّه ينبغي أن يُنادَى المخاطَب بالوَصْفِ الذي يَقتضي أن يقومَ بما وُجِّه إليه؛ لقوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ وهذا موجودٌ في اللُّغة العربيَّة، فإذا كنتَ تُخاطِب مؤمنًا تقول: يا أيُّها المؤمِنُ، وإذا كنت تُخاطِب رجلًا تقول: يا أيها الرَّجُلُ، ومن فوائد

مسلم)) (١٧/ ١٩٨) ((مرقاة المفاتيح)) للمُلا الهروي (٨/ ٣٣٦٩).

(١) رواه مسلم (٢٨٦٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٧٥-٢٧٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٧٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٤٥-٢٤٧، ٢٥١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٧٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٧٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٤٧).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٧٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٤٧).

ذلك: أولًا: توبيخُ هذا الرَّجُلِ إذا خالف؛ لأنَّه لا يَنبغي أن يُخالِفَ وهو متَّصِفٌ بهذه الصِّفة. ثانيًا: حثُّه على الموافقَةِ باعتباره هذا الوصفَ الذي اتَّصف به[١].

الفوائِد العِلميَّة واللَّطائف:

١- قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ﴾ فيه فائدة لُغويَّة؛ إذ إنَّ (هو) ضميرُ فَصْل، وضميرُ الفَصل يُفيد ثلاثةَ أشياءَ: الأوَّل: الحَصْر، والثاني: التوكيد، والثالث: التمييزُ بين الصِّفة والخَبَر، وهذا الأخيرُ أحيانًا يُستغنَى عنه، ويُعرَفُ الخبر بدونه، لكن يُؤتى به، كقوله تعالى: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ [الشعراء: ٤٠]، وقوله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ أكَّدوا تأكيدًا بهذا الضميرِ أنَّ الله هو المسيحُ ابنُ مريم[٢].

٢- جوازُ انتسابِ الإنسانِ إلى أُمِّه إذا لم يكُن له أبٌ؛ لقوله: ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[٣].

٣- شِدَّة الردِّ على النَّصارى؛ حيث قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾؛ إذ إنَّ اللهَ إذا أراد شيئًا فإنَّ الشَّرَفَ والجاه والرِّئاسة ولو في الدِّينِ لا تمنع ممَّا أرادَ الله؛ لأنَّ المسيحَ ابنَ مريمَ عليه الصَّلاة والسَّلام مِن أُولي العَزمِ من الرُّسُلِ[٤].

٤- قوله: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٤٧).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٢٢).
(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٣١).
(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٣٣).

﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ...﴾ فيه الردُّ على أهلِ الباطِلِ بالأدلَّة السمعيَّة والعقليَّة(١).

٥- أنَّه عند المناظرة يَنبغي أنْ تَبدأَ بأوَّل مَا يَحتجُّ به المناظِرُ، وتُبيِّن أنَّه على خِلاف ما ناظَرَ عليه؛ ووجهُ ذلك: أنَّ الله بدَأَ بذِكر إهلاكِ المسيحِ وأُمِّه، الذي يعتقِدُ هؤلاءِ أنه إلهٌ، قال تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾(٢).

٦- يَنبغي في المُناظَرةِ إبطالُ حُجَّةِ الخَصْمِ، ثم الإتيان بما يُثْبِتُ خلافَ قَوْلِه، فالله عز وجل قال: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾، فنقَض سبحانه دعواهم أن يكونوا أحِبَّةً وأبناءً بأمرين: الأمرُ الأوَّل: أنَّهم أذنبوا. والأمرُ الثاني: أنَّهم عُذِّبوا. فكيف يقولون أنَّهم أبناءُ الله وأحباؤُه، وهم يعْصونه ويُذنبون؟! ثم كيف يكونُ حبيبًا لهم وهو يعذِّبُهم؟! ثم احتجَّ الله عليهم بعدَ أن أَبْطَلَ حُجَّتهم، فقال: ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾، أي: كسائرِ البَشَرِ(٣).

٧- لَمَّا بطَل مُدَّعى النَّصارى أُلوهيَّةَ عيسى عليه السَّلام على أتْقَنِ منهاجٍ وأخْصَرِه، وذلك في قولِه تعالى: ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ حيث وصَفه بما هو في غايةِ الوضوحِ في بطلانِ قولِهم؛ لبعدِه عن رتبةِ الألوهيَّة في الحاجةِ إلى امرأة فقال: ﴿ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ فهو محتاجٌ إلى كفالتِها بما لها مِن الأمومةِ، وكان ربما دقَّ على بعضِ الأفهام ذلك- أَوضَحه بِقَوْلِه: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ

(١) يُنظر: ((المصدر السابق)).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٣٤).
(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٣٧).

﴿قَدِيرٌ﴾ دالًّا على أنَّ المسيحَ عليه السَّلامُ عبدٌ مملوكٌ للهِ(١).

٨- أنَّ عذابَ اللهِ لبني إسرائيلَ- أي: لليهودِ والنَّصارى- لم ينقطعْ ولن ينقَطِعَ؛ لقوله: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾، فلم يقُل: فلِمَ عذَّبَكم؛ ليُستَفاد بذلك أنَّ تَعذيبَ اللهِ تعالى لهم مستمرٌّ؛ لأنَّ الفِعل المضارِعَ يُفيد الاستمرارَ(٢).

٩- الاحترازُ عمَّا يُوهِمُ باطِلًا؛ حيث قال: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾، ولم يقُلْ: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم﴾ فقط؛ لأنَّه لو قالَها بدون أنْ يَقْرِنَها بقوله: ﴿بِذُنُوبِكُم﴾ لأَوْهَم أنَّ اللهَ تعالى يُعذِّب بغيرِ ذنبٍ(٣).

١٠- قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ فيه الإشارةُ إلى أنَّ ما بين السَّماءِ والأَرْضِ هو خَلقٌ عظيمٌ، حتى جعَلَه اللهُ عزَّ وجلَّ عديلًا، أو قَسيمًا للسَّمواتِ والأَرْضِ(٤).

١١- قوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾، وقبْلَها قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ فاختَلَفَ ختْمُ الآيتينِ، فقال في السَّابقَةِ: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ لأنَّ المقام مقامُ ردٍّ على الذين قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾، أمَّا هنا فالمقامُ مقامُ تهديدٍ ووعيدٍ، فقال: ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: إليه وحْدَه المرجعُ لا إلى غيرِه؛ فقد تقدَّمَ الخبر ﴿وَإِلَيْهِ﴾، وتقديمُ الخبرِ يُفيد الحَصْرَ، إذَن: فليست المسألَةُ مسألةَ دَعْوى أنَّكم أبناءُ اللهِ وأحبَّاؤه، وإنَّما

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٦٤).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٤١).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٤٢).
(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٣٥).

المسألَةُ مسألةُ عملٍ؛ إمَّا سيِّئ وإمَّا حَسَن[١].

١٢- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا ﴾ فيه إقامةُ الحُجَّة على الأمَّةِ؛ حيث إنَّ محمدًا رسولُ الله، فهو حُجَّةٌ عليه الصَّلاة والسَّلام، فبمُجرَّد أنْ شَهِد اللهُ أنَّه رسولُه، كان ذلك حُجَّةً، وقد قال الله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَ ﴾[٢] [النساء: ١٦٦].

١٣- أنه لا حظَّ للرَّسولِ عليه الصَّلاة والسَّلام في شيءٍ من الرُّبوبيَّة؛ لقَوْلِه: ﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا ﴾، ووجه ذلك: أنَّه رسولٌ، والرَّسولُ لا يُمكن أن يكون شريكًا للمُرسِلِ فيما يختصُّ به[٣].

١٤- أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ مُبيِّنٌ للخَلْقِ، وأنَّه ليس فيما جاء به شيءٌ من الغُموضِ والإلغازِ؛ لقوله: ﴿يُبَيِّنُ لَكُمۡ ﴾، أمَّا غيرُ العربِ من أهل الكتاب فبيانُه يكونُ عن طريق التَّرجمة؛ ولهذا لم يَنتشرِ الإسلامُ في البلادِ الأعجميَّة إلا بواسِطَةِ التَّرجمة، وأنَّه إذا احتجْنا إلى معرفة اللُّغاتِ الأجنبيَّة لبيانِ الشريعة، كان ذلك ممَّا يُثابُ عليه؛ لأنَّ مِن صفاتِ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ أنَّه يُبيِّنُ للنَّاسِ بأيِّ وسيلةٍ، وعلى هذا فمَن تعلَّمَ اللُّغةَ غيرَ العربيَّة مِن أجلِ الدَّعوة إلى الله، كان مُثابًا على ذلك؛ لأنَّها وسيلةٌ لتبيينِ الشَّريعةِ ونَشْرِها[٤].

١٥- رِسالةُ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ كانتْ على فترةٍ من الرُّسُلِ؛ ليس بينه وبين عيسى رسولٌ؛ لقوله: ﴿عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾، وكلَّما طال زمنُ الرِّسالةِ صار النَّاسُ أشدَّ حاجةً إلى الرَّسولِ؛ ولهذا جعَل اللهُ ذلك مِنَّةً عُظمى على أهلِ الكتابِ؛ حيث جاءَهم على فترةٍ، ومِثْل هذا يكونُ أيضًا في الواقعِ المَحْسُوس،

(١) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ١٣٩- ٢٤٠).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٤٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٤٩).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

فالإنسانُ الذي يَشرَبُ الماءَ على عطشٍ أشدُّ شوقًا إلى الماءِ والحاجةِ إليه مِن إنسانٍ يَشْرَبُه على رِيٍّ[(١)].

١٦- إثباتُ الرِّسالاتِ السابقة للرَّسولِ عليه الصَّلاةُ والسَّلام؛ لقوله: ﴿عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ والظَّاهِرُ أنَّ هذا يُشيرُ إلى أنَّ الرَّسولَ صلَّى الله عليه وسلَّمَ هو آخِرُ الأنبياءِ؛ لقوله: ﴿مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ يعني ليس بعدَه رسولٌ، وهذا هو الذي صرَّحَ الله به في كتابِه في قوله: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقد قال: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ ولم يقُل: (وخاتم المُرسَلين) مع أنَّه قال: ﴿رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾؛ لأنَّه قد يكون نبيًّا ولا يكون رسولًا، ومحمَّدٌ رسولُ الله صَلَواتُ اللهِ وسلامُه عليه خاتَمُ الأنبياءِ والمُرسَلينَ[(٢)].

١٧- رحمةُ الله تعالى بالخَلْقِ؛ حيث أَرْسَلَ الرُّسلَ؛ لئلَّا يكونَ لأحدٍ حجَّةٌ عليه سبحانه؛ لقوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖ﴾، ومِن ثَمَّ فمَن لم تَبْلُغْه الرسالةُ فإنَّه معذورٌ[(٣)].

١٨- أنَّه لا حُجَّةَ للإنسان بالقَدَرِ على مخالفةِ الرُّسُلِ؛ لقوله تعالى: ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ وَجْهُ الدَّلالة: لو كان لهم حقٌّ لم يرتفعْ بإرسالِ الرُّسل، وهو كذلك[(٤)].

١٩- أنَّه متى احْتِيجَ إلى التوكيدِ، فلا عيبَ في التَّكرارِ؛ لقوله: ﴿فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞ﴾ بعد قوله: ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖ﴾، ولهذا كان مِن آدابِ الخُطبةِ أنَّ الإنسانَ يُكرِّر في المواضع المهمَّة، وأنَّ هذا لا يُعَدُّ عِيًّا ولا يُعدُّ زيادةً[(٥)].

---

(١) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٥٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٥١).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٥٢).

٢٠- ختَم الله عزَّ وجلَّ هذه الآيَةَ بالقُدرَةِ في قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ إشارةً إلى أنَّه تبارك وتعالى قادِرٌ على بَعْثِ الرُّسلِ، وقادرٌ على ألَّا يَبْعَثَهم، وأنَّ الأَمْرَ كلَّه بيدِه تبارك وتعالى[(١)].

بلاغَةُ الآياتِ:

١- **قوله:** ﴿فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾: ﴿فَمَن﴾ استفهامٌ للإنكارِ والتَّوبيخِ، أي: لا يُوجَدُ أحدٌ يستطيعُ أن يردَّ إرادتَه؛ لأنَّه هو المالكُ لأمرِ الوجودِ كلِّه، ولا يملكُ أحدٌ مِن أمْرِه شيئًا يستطيعُ به أن يَصرِفَه عن عملٍ يُريدُه، أو يَحمِلَه على أمرٍ لا يُريدُه، أو يَستقِلَّ بعملٍ دونَه[(٢)]، والفاءُ عاطفةٌ للاستفهامِ الإنكاريِّ على قَوْلِهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ﴾؛ للدَّلالَةِ على أنَّ الإنكارَ ترتَّب على هذا القَوْلِ الشَّنيعِ؛ فهي للتَّعقيبِ الذِّكْرِيِّ[(٣)].

- وتنكيرُ ﴿شَيْـًٔا﴾ للتَّقليلِ والتَّحقيرِ، ولَمَّا كان الاستفهامُ في قوله: ﴿فَمَن يَمْلِكُ﴾ بمعنى النَّفْيِ، كان نفيُ الشَّيءِ القليل مقتضيًا نفيَ الكثيرِ بطريق الأَوْلى[(٤)].

٢- قوله: ﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ فيه: عَطْفُ العامِّ ﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ على الخاصِّ ﴿ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ﴾؛ ليكونَا قد ذُكِرَا مرَّتين: مرَّةً بالنصِّ عليهما، ومرَّة بالاندراجِ في العامِّ، وذلك على سبيلِ التَّوكيدِ والمبالَغَةِ في تعلُّق نَفاذِ الإرادةِ فيهما، وكذلك تأكيدُ عَجْزِ المسيحِ[(٥)].

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٧١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٤٧).
(٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ١٩)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٢٥٦- ٢٥٧).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٥٣).
(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٦/ ١٥٤).
(٥) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢١٠)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٢٠).

٣- **قوله:** ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: تذييلٌ فيه تعظيمُ شأنِ اللهِ تعالى، وردٌّ آخَرُ عليهم بأنَّ الله هو الذي خلَقَ السَّمَواتِ والأرضَ، وملَكَ ما فيها من قَبْلِ أن يظهرَ المسيحُ؛ فالله هو الإلهُ حقًّا، وأنَّه يَخلُقُ ما يشاء، فهو الذي خَلَقَ المسيحَ خلقًا غيرَ معتادٍ؛ فكان مُوجِبَ ضلالِ مَن نَسَبَ له الألُوهيَّةَ[1].

- وجملة: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ جملةٌ مؤكِّدةٌ لِقَوْلِه: ﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ﴾ ودالَّة على أنَّه إذا أراد فعَلَ؛ لأنَّ مَن له ذلك المُلْك يَفعلُ في مُلْكِه ما يشاءُ[2].

٤- **قوله:** ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ **فيه إيجازٌ:** حيثُ إنَّ ظاهِرَ اللَّفظ: أنَّ جميعَ اليهودِ والنَّصارى قالوا عن جميعِهم ذلك، وليس كذلك، بل في الكلامِ لفٌّ وإيجازٌ. والمعنى: وقالت كلُّ فِرقةٍ من اليهودِ والنَّصارى عن نفْسها خاصَّةً: نحن أبناءُ الله وأحبَّاؤُه[3].

٥- قوله: ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ فيه: تعريضٌ أيضًا بأنَّ المسيحَ عليه السَّلام بَشَرٌ[4].

٦- **قوله:** ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾: فيه احتراسٌ؛ لأنَّه لَمَّا رتَّبَ على نَوَالِ العذاب إيَّاهم أنَّهم بشرٌ، دفَع توهُّمَ النَّصارى أنَّ البشريَّة مقتضيةٌ استحقاقَ العذابِ بوراثةِ تبعةِ خَطيئة آدَم، فقال: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾، أي: مِن

---

(١) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٦/ ١٥٥).
(٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢١١).
(٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢١١).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٥٦).

البَشَرِ، ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾[١].

٧- **قوله:** ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾: فيه إيثارُ الجملةِ الفعليَّة على غيرها؛ للدَّلالةِ على تجدُّدِ البيانِ[٢].

٨- قوله: ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾: زِيادَةُ ذِكْرِ ﴿مِنۢ﴾ في الفاعِلِ؛ للمبالغةِ في نفْيِ المجيء، وتَنكير ﴿بَشِيرٍ﴾ و﴿نَذِيرٍ﴾؛ للتَّقْليلِ[٣].

٩- قوله: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ التنوين في ﴿بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾؛ للتَّفخيمِ، أي: لا تَعتذِروا بذلك؛ فقد جاءَكم بشيرٌ أيُّ بشيرٍ، ونذيرٌ أيُّ نذيرٍ[٤].

- قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: اعتراضٌ تذييليٌّ مُقرِّرٌ لمضمونِ ما قَبْلَه، وإظهارُ الاسْمِ الجليلِ﴿وَٱللَّهُ﴾ للتَّعليلِ، وتقويةِ استقلالِ الجُملةِ[٥].



(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٥٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ١٨).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٣/ ٢٢).

(٤) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٢٢).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٣/ ٢٠).

الآيات (٢٠ - ٢٦)

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ
أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟
ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾
قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن
يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ
عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟
إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ
أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى
وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ
أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

غريبُ الكَلِمات:

﴿ ٱلْمُقَدَّسَةَ ﴾: أي: المطهَّرةَ المُعظَّمة؛ فالتَّقديسُ: هو التَّطهيرُ والتَّعظيمُ[1].

﴿ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ ﴾: ولا تَرجِعوا مُدبِرين، والردُّ: صرْفُ الشيءِ بذاتِه، أو بحالةٍ من أحوالِه؛ يُقال: رَددتُه فارتدَّ، والارتدادُ والرِّدَّة: الرُّجوعُ في الطَّريقِ الذي جاء مِنه، ومنه قيل للكافرِ بعدَ إسلامِه: مُرتدٌّ. وأصْل الدُّبُر: آخِرُ الشَّيءِ وخَلفُه، وهو ضِدُّ القُبُل[2].

﴿ فَتَنقَلِبُوا۟ ﴾: أي: فتَرْجِعوا، والانقلابُ: الانصرافُ؛ يُقال لِمَن كانَ على شيءٍ

(١) ينظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٨، ١٤٢)، ((تفسير ابن جرير)) (١/ ٥٠٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٦٠).
(٢) ينظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٣٢٤)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٣٤٨، ٣٤٩)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٤٧٦، ٩٧٧).

ثُمَّ رجَع عنه: قدِ انقلَب على عَقِبه، وأَصْلُ (قلب): صرْفُ الشَّيءِ عن وجهٍ إلى وجهٍ، أو ردُّه من جِهةٍ إلى جِهةٍ[1].

﴿جَبَّارِينَ﴾: أقوياءَ عِظامَ الأجسامِ، وقيل: طوالًا؛ وُصِفوا بذلك لكثرتِهم وقُوَّتِهم، وعِظَم خَلْقِهم، وطولِ جُثَثِهم، وجبَّارون جمْع جبَّار، وهو القَهَّار، ويُطلَقُ على المتكبِّر المتعالي عن قَبولِ الحقِّ، والمتسلِّطِ، والقَتَّال، وأصلُ (جبر): جِنسٌ مِن العَظمةِ والعُلوِّ[2].

﴿فَٱفۡرُقۡ﴾: فافصِل، مِن فرقتُ بين الشَّيئين: إذا فَصلْتَ بينهما، سواءٌ كان ذلك بفَصْلٍ يُدركُه البصرُ، أو بفَصْلٍ تُدركُه البصيرةُ، والفَرْق يُقاربُ الفَلْقَ، لكنَّ الفَلْقَ انشقاقٌ، والفَرْقَ انفصالٌ، وأصْل الفَرْق: الفصلُ والتمييزُ، والتَّزييلُ بين الشَّيئينِ[3].

﴿ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾: جمْعُ فاسِق، وهو الخارجُ مِنَ الشَّرعِ، والفاسقُ أعمُّ مِن الكافِر، والفُسوقُ: خروجٌ مِنَ الطَّاعةِ إلى المعصيةِ، وخروجٌ مِنَ الإيمانِ إلى الكُفرِ؛ فأصْلُ الفسوق: الخُروجُ، ومنه قولهم: فَسَقَتِ الرُّطبةُ، إذا خرَجتْ عن قِشْرتها[4].

﴿يَتِيهُونَ﴾: يَحارُونَ ويَضلُّونَ، ويَذهبون مُتحيِّرين؛ مِن تاه يَتيه: إذا تَحيَّرَ[5].

---

(١) ينظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١١٣)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ١٧)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٨١).

(٢) ينظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١٧٤)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٥٠١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٨٣)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٩)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٣٥٣).

(٣) ينظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (١/ ٣٥٩)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٤٩٣)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٣٢، ٦٣٣)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٧٤).

(٤) ينظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٣٦٨)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٣٦، ٨١٩)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١١٧)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٦٩٣).

(٥) ينظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٥٠٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٦٩)،

﴿فَلَا تَأْسَ﴾: فلا تَحْزنْ؛ يُقال: أَسِيتُ على كذا، أي: حَزِنْتُ، والأسى: الحُزن[1].

مُشكِلُ الإعرابِ:

قوله: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾: جارٌّ ومجرور في مَحلِّ رفْعٍ، صِفةٌ لـ﴿رَجُلَانِ﴾.

وجُملة ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾: في محل رَفْعٍ، صِفةٌ ثانيةٌ لـ ﴿رَجُلَانِ﴾، وجِيء هنا بأَفصحِ الاستعمالينِ من كونِه قَدَّم الوصفَ بالجارِّ على الوَصفِ بالجُملةِ؛ لقُربه من المفردِ. وقيل: إنَّها جملة مُعترِضةٌ. وقيل: هي حالٌ من الضَّمير في ﴿يَخَافُونَ﴾، أو حالٌ مِن ﴿رَجُلَانِ﴾ وجاءتِ الحالُ مِن النَّكرةِ؛ لتخصُّصِها بالوَصْفِ. أو حالٌ من الضَّميرِ المستترِ في الجارِّ والمجرورِ ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾؛ لوقوعِه صِفةً لموصوفٍ، وعلى أنَّها حالٌ، فلا بُدَّ مِن إضمارِ (قَدْ)، أي: قدْ أَنعمَ اللهُ عليهما[2].

المَعنَى الإجْماليُّ:

يقول اللهُ تعالى لنَبيِّه مُحمَّد صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: واذكرْ- يا محمدُ- توجيهَ موسى عليه السَّلام لبني إسرائيلَ- على سبيلِ النُّصْحِ والإرشادِ- أنْ يتذكَّروا نِعمةَ اللهِ التي أنعمَ بها عليهم، بأنْ جعَلَ فيهم أنبياءَ، وجعَلَهم مُلوكًا، وآتاهم مِن النِّعمِ الدِّينيَّة والدُّنيويَّة ما لم يُعْطِه أحدًا مِن أهلِ زمانِهم.

((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٥٠)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٩٩٤).

(١) ينظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٢)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ١٠٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٧٧)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٥٠)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٩٧٥).

(٢) ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (١/ ٢٢٢)، ((التبيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/ ٤٣٠)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٢٣٣)، ((إعراب القرآن الكريم)) للدعاس (١/ ٢٥٠).

وبعدَ هذا التذكيرِ بالنِّعَم نادَى موسى عليه السَّلامُ قومَه بني إسرائيل، وطَلَب منهم أنْ يَدخُلوا الأرضَ المقدَّسة، التي هي بيتُ المقدِسِ التي كتبَها الله لهم، وأنْ يأخذوها من يدِ أعدائِهم، ونهاهُم عن التَّراجُعِ عن القِتالِ، والنُّكولِ عن الجِهاد؛ فإنَّ ذلك يؤدِّي إلى الخسرانِ في الدُّنيا والآخرةِ، فردُّوا عليه أنَّ في هذه البلدةِ قومًا أشداءَ أقوياءَ ضِخامًا؛ وأنَّه لا طاقةَ لهم بقِتالهم، وأنَّهم لن يَدخلوها ما دامَ هؤلاءِ موجودينَ فيها، وعلى تقديرِ خروجِهم منها فيمكنُ لهم أن يدخلُوها؛ ثم بيَّن الله تعالى أنَّ رجلَيْنِ منهم مؤمنَيْنِ يَخافانِ اللهَ، قدْ أنعم اللهُ عليهما بأنْ وفَّقهم لطاعتِه والخوفِ منه وحْدَه، وأنعَمَ عليهما أيضًا بالصَّبرِ واليقينِ، والرأيِ القويمِ، قد استنكَرا إحجامَ قومِهما عن الجهادِ، فقالَا لبني إسرائيل: إنَّه لا يحولُ بينكم وبينَ غَلَبةِ هؤلاءِ والنَّصرِ عليهم سوى دُخولِكم بابَ الأَرْضِ المقدَّسةِ، فإنْ دَخَلْتُموها انتصرتُم عليهم؛ فتوكَّلوا على اللهِ، واعتمِدوا عليه إنْ كنتُم مُؤمنينَ.

لكنَّ هذه النصيحةَ لم تَلْقَ قَبولًا من بني إسرائيلَ، وكرَّروا لنبيِّهم نفيَهم دخُولَ الأرضِ المقدَّسةِ أبدًا ما دام هؤلاءِ القومُ فيها، وقالوا لموسى عليه السَّلامُ: إذا كان دخولُ هذه الأرضِ يهمُّك أمرُه، فاذهبْ أنت وربُّك لقتالِ سكَّانِها الجبابرةِ، وأَخْرِجاهم منها.

عندَ ذلك توجَّه موسى عليه السَّلامُ إلى ربِّه يبثُّ إليه الشَّكوى، معتذرًا مِن عصيانِ قَوْمِه، وأنَّه لا يَستطيعُ أن يحمِلَ أحدًا على القِتالِ إلَّا نفْسَه وأخاه هارونَ، ودَعا اللهَ أن يَفصِلَ بينه وبين هؤلاءِ القومِ الفاسقينَ؛ فاستجابَ اللهُ دُعاءَه، وعاقبَهم بأنْ حرَّم عليهم دخولَ الأرضِ المقدَّسةِ أربعينَ سَنةً، يظلُّون ضائعينَ حائرينَ في الأرضِ، لا يَهتدون لطريقٍ، ولا يستقرُّونَ في مكانٍ، ونهى موسى عليه السَّلامُ أنْ يحزنَ عليهم جرَّاءَ تلك العقوبةِ التي استحقُّوها لخروجِهم عن

طاعةِ اللهِ سبحانه.

تَفْسيرُ الآياتِ:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

مناسَبَةُ الآيةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا أقام اللهُ تعالى الحُججَ على بني إسرائيلَ، وأثبتَ لهم رسالةَ نبيِّه محمدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ودحَض شُبُهاتِهم، وأبطَلَ دعاويهم، ثمَّ لَمَّا لم يَزِدْهم ذلك كلُّه إلا كُفرًا وعنادًا- بيَّن اللهُ تعالى في هذه الآياتِ واقعةً مِن وقائعِ أسلافِهم مع موسَى عليه السلامُ، وتمرُّدَهم عليه، وعِصيانَهم له، مع تذكيرِه إيَّاهم نِعمَ اللهِ عليهم؛ ليعلمَ الرَّسولُ بهذا أنَّ مكابرةَ الحقِّ ومعاندةَ الرُّسلِ خُلقٌ مِن أخلاقِهم الموروثةِ عن سلفِهم، وأنَّ هؤلاءِ الذين هم بحَضرةِ الرسولِ هم جارُونَ مجرَى أسلافِهم مع موسى عليه السَّلامُ؛ فيكونَ ذلك تسليةً له صلَّى الله عليه وسلم(١).

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾.

أي: واذْكر- يا محمَّدُ- حينَ خاطَبَ موسى عليه السَّلامُ بَنِي إسرائيل، أنْ اذكُروا- يا قومي- بقُلوبِكم وألسِنَتِكم نِعمَ اللهِ تعالى عليكُم؛ فإنَّ ذِكرَها داعٍ إلى القيامِ بشُكرِه عليها، وداعٍ إلى محبَّتِه عزَّ وجلَّ، ومُعِينٌ على عِبادتِه سُبحانَه وتعالى(٢).

---

(١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢١٤)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٢٦٥)، وينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٧٦- ٢٧٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٧٦- ٢٧٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٧٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٥٤).

وقال ابنُ عُثَيمين: (هنا هل نقول: إنَّ متعلق «إذ»، «اذكُر»، فيكون هنا الخطابُ موجَّهًا إلى الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم، أو أنَّ المراد: اذكُروا، أي: يا أهلَ الكتاب؟ نقول: يحتمل هذا أو هذا) ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٥٤).

ثمَّ بيَّن تعالى هذه النِّعمَ، فقال[(١)]:

﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ﴾.

أي: فاذْكُروا إنعامَ اللهِ تعالى عليكم بأنْ جعَلَ فيكم أنبياءَ يأتونكم بوَحيِه، ويُخبرونَكم بآياتِه، كلَّما هلَكَ نبيٌّ قامَ فيكم نبيٌّ آخَرُ، مِن لَدُن إبراهيمَ عليه السَّلامُ وإلى مَن بَعدَه، حتَّى خُتِمُوا بعيسى عليه السَّلامُ[(٢)].

﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾.

قيلَ المعنى: جعَل لكم مِن غيرِكم خَدمًا وحَشَمًا، سَخَّرَهم ليَخدموكم[(٣)].

وقيلَ المرادُ: مُلْكُ مَن مَلَك مِن بني إسرائيل؛ لأنَّ الملوكَ شرفٌ في الدُّنيا[(٤)].

وقيل المعنى: صَيَّركم أحرارًا تَملِكون أمْرَكم ولا تُملَكونَ، بعدَ زوالِ استعبادِ عدوِّكم لكم، الذي كان يَقهَرُكم ويَستخْدِمُكم[(٥)]، ....

وقال ابنُ عَطيَّة: (المعنى: واذكُرْ لهم- يا محمَّدُ- على جهة إعلامِهم بغير كُتبهم؛ ليتحقَّقوا نبوَّتك، وينتظمَ في ذلك نِعمُ الله عليهم، وتلقِّيهم تلك النِّعم بالكفرِ، وقِلَّة الطاعة والإنابة) ((تفسير ابن عطية)) (٢/ ١٧٣).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (٢/ ١٧٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٥٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٧٧- ٢٧٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٧٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٥٤- ٢٥٥).

قال ابنُ عُثَيمين: (هل المرادُ هنا بالأنبياءِ الرَّسل، أو الأنبياء الذين دونَ الرُّسل؟ يحتملُ هذا وهذا؛ لأنَّ فيهم رسلًا، وفيهم أنبياءُ بلا رسالةٍ) ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٥٥).

(٣) وهذا اختيارُ ابنِ جريرٍ في ((تفسيره)) (٨/ ٢٧٨)، والواحدي في ((الوجيز)) (ص: ٣١٤). وممن روي عنه من السَّلف مثل هذا القولِ قتادةُ. ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٧٨).

(٤) ذكره ابنُ عطيةَ في ((تفسيره)) (٢/ ١٧٣)، وجعَله ابنُ عاشورٍ وابنُ عثيمينَ مما يشملُه معنى الآية. يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) ٦/ ١٦١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٥٥).

(٥) وهذا اختيارُ القرطبيِّ في ((تفسيره)) (٦/ ١٢٣)، والسعديِّ في ((تفسيره)) (ص: ٢٢٧)، وجعله ابنُ عاشورٍ وابنُ عثيمينَ مما يشملُه معنى الآية. يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) ٦/ ١٦١)، و((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٥٥).

وقيلَ غيرُ ذلِك[١].

﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

أي: ومَنَحكم اللهُ- يا معشرَ اليهودِ- مِن نِعَمِه الدِّينيَّة والدُّنيويَّة، وكراماتِه العَليَّة، ما لم يُعطِه لأحدٍ سواكم مِن أهلِ زَمانِكم، ففُقتُموهم شرفًا وفضلًا[٢].

كما قال سُبحانَه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الجاثية: ١٦].

وكما قال عزَّ وجلَّ إخبارًا عن موسى لَمَّا قال قومُه: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ * قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٨-١٤٠].

﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾.

مناسَبةُ الآيةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا ذَكَّر موسى عليه السَّلامُ بني إسرائيلَ بنِعَم اللهِ تعالى عليهم، وكان في طِيَّاتِ ذلك الحثُّ على الوفاءِ بما عاقَدوا اللهَ عليه من الطَّاعة- كان هذا كالتَّمهيد لطلبِ امتثالِهم للأمْرِ الذي تَضمَّنتْه هذه الآيةُ، بقِتال الجبَّارين؛ ليهيِّئَ نُفوسَهم

ومِمن روي عنه من السَّلف نحو هذا القول السُّدِّي. ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٨١).

(١) قال جماعةٌ مِن السَّلف: إنَّ كلَّ مَن له امرأةٌ وخادم ومَسكن، فهو مَلِك.

وممَّن رُوي عنه من السَّلف نحوُ هذا القولِ: ابنُ عبَّاس، وعبد الله بنُ عمرِو بن العاصِ، ومجاهدٌ، والحسن، والحَكَم. ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٧٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٨٣- ٢٨٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٧٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٥٥- ٢٥٦).

قال ابنُ كَثيرٍ: (والجمهورُ على أنَّه خِطابٌ من موسى لقومِه، وهو محمولٌ على عالَمِي زمانِهم) ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٧٤).

إلى قَبولِ هذا الأمرِ العَظيمِ عليهم، وليوثِّقَهم بالنَّصرِ إنْ قاتلوا أعداءَهم[١].

﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾.

أي: نادَى موسى عليه السَّلامُ بَني إسرائيل؛ أنْ جاهِدُوا- يا قومي- عَدُوَّكم حتَّى تدخُلوا الأرضَ المطهَّرةَ المعظَّمة- بيتَ المقدِس[٢]- وتُصبِحَ في مُلْكِكم؛ فقد قضَى اللهُ وقدَّرَ أنْ تكونَ لكم بعدَ أنْ تستنقِذوها مِن أيدي أعدائِكم[٣].

﴿وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾.

أي: ولا تَنكُلوا عن الجِهادِ، وتَرجِعوا القَهْقَرى؛ فتَخْسَروا دُنياكم بما يَفوتُكم مِن نَصرٍ على الأعداءِ وفَتحٍ لبلادِكم، وتَخْسَروا آخرتَكم بما يفوتُكم مِن ثوابٍ، وما تَستحقُّونه مِن عقابٍ[٤].

﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٦١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٧).

(٢) وهذا اختيارُ ابنِ كثيرٍ في ((تفسيره)) (٧٤- ٧٥)، والسعديِّ في ((تفسيره)) (ص: ٢٧٧)، والشِّنقيطيِّ في ((العذب النمير)) (١/ ١١١).

ومِمَّن رُوي عنه هذا القول من السَّلف: ابنُ عبَّاس، والسُّديُّ، وابنُ زيد، والضحَّاك. ينظر: ((زاد المسير)) لابن الجوزي (١/ ٥٣٢).

واختار الواحديُّ أنَّها الشَّام. يُنظر: ((الوجيز)) (ص: ٣١٤).

واختار ابنُ عاشورٍ أنَّها أرضُ فلسطينَ. يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٦٢).

وقيلَ غير ذلك. يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (٢/ ١٧٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٨٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٧٤- ٧٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٥٥- ٢٥٦).

واختار الواحديُّ أنَّها سُمِّيت أرضًا مقدَّسةً، أي: مُطهَّرة؛ لأنَّها طُهِّرتْ من الشِّركِ. يُنظر: ((التفسير الوسيط)) (٢/ ١٧٢)، ويُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٥٩).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٨٧- ٢٨٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٧٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٧- ٢٢٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٥٩- ٢٦٠).

﴿ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾.

أي: قالوا- جوابًا لطَلَبِه مُنادِين له باسمِه مُجرَّدًا مِن كلِّ ما يدلُّ على تقديرِه وإجلالِه-: يا موسى، في هذه البَلدةِ التي أمَرْتَنا بدخولها، وقِتالِ أهلِها أُناسٌ عَمالقةٌ، ذَوُو خِلقةٍ ضَخمةٍ، وأجسامٍ طويلةٍ، وقَوَّةٍ شديدةٍ؛ فلن نقدِرَ على مقاوَمَتِهم، ولا طاقةَ لنا بحربِهم؛ وهذا مِن ضَعْفِ قلوبِهم، وخَوَرِ نُفوسِهم، وعدمِ اهتمامهم بأمْرِ ربِّهم ورسولِهم[1].

﴿ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا ﴾.

أي: ونحن نُؤكِّد جازِمينَ لك- يا موسى- بأنَّنا مُمتنِعونَ عن الدُّخولِ إليها مُطلقًا، ما دام يَسكُنها أولئك الجبَّارونَ، ولم يَخرجُوا منها[2].

﴿ فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴾.

أي: فأمَّا إنِ افترَضْنا خروجَهم منها، ففي هذه الحالِ يُمكِنُنا الدخولُ إليها[3].

﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾.

﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴾.

أي: لَمَّا نَكَل بنو إسرائيلَ عن طاعةِ اللهِ تعالى ومُتابعةِ رسولِه موسى عليه السَّلامُ، قال لهم رجلانِ ممَّن يَخافونَ اللهَ تعالى، قدْ أنعَمَ عليهما بالتوفيقِ لطاعتِه،

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٨٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٧٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٦٠- ٢٦١، ٢٧٤).

(٢) ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٩٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٧٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٦٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٩٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٧٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٦٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٦١).

والخوفِ منه وحْدَه سُبحانَه، فيقولانِ كلمةَ الحقِّ دون أنْ يخافَا في اللهِ تعالى لومةَ لائمٍ، وأنعمَ عليهما أيضًا بالصَّبرِ واليقينِ، والشَّجاعةِ وحَصافةِ الرَّأي[١].

﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَ﴾.

أي: قالَا لقومِهم- استنهاضًا لهِمَمِهم، وتشجيعًا لهم على قِتال عدوِّهم-: ليس بَينكم وبينَ نصْرِكم عليهم إلَّا مجرَّدُ دخولِ بابِ الأرضِ المقدَّسة التي يَستوطِنونها؛ فإنَّكم إنْ فعلتُم ذلك كانتِ الغلبةُ لكم عليهم[٢].

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

مُناسَبتُها لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا أمَرَ هذانِ الرجلانِ قَومَهما بالأَخْذِ بـالأسبابِ النَّافعةِ، أرْشدَاهُم إلى ألَّا يَعتمِدوا على أنفُسِهم[٣]، فقالاَ:

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٢٩٣، ٢٩٧، ٢٩٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٧٦- ٧٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٨)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٦٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٦٣- ٢٦٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٠٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٨)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٦٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٦٥).

قال ابن عاشور: (و﴿ٱلۡبَابَ﴾ يجوزُ أن يُراد به مدخلُ الأرض المقدَّسة، أي: المسالك التي يُسلَك منها إلى أرض كنعان، وهو الثَّغر والمضيق الذي يُسلَك منه إلى منزل القبيلة يكون بين جَبلَين وَعرَين؛ إذ ليس في الأرض المأمورين بدخولها مدينةٌ، بل أرض؛ لقوله: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ﴾، فأرادَا: فإذا اجتزتم الثغر ووطِئْتُم أرضَ الأعداء، غَلبتُموهم في قِتالهم في دِيارهم، وقد يُسمَّى الثغر البحري بابًا أيضًا... وحمَل المفسِّرون البابَ على المشهورِ المتعارَف، وهو باب البلد الذي في سُورِه، فقالوا: أرادَا بابَ قريتهم، أي: لأنَّ فتْحَ مدينة الأرض يُعدُّ ملكًا لجميع تلك الأرض...) ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٦٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٦٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٦٥).

أي: فَوِّضُوا جميعَ أمورِكم إلى اللهِ تعالى وحْدَه، ومنها قِتالُ أعدائِكم، واعتمِدوا عليه اعتِمادًا تامًّا صادقًا، إنْ كان لديكُم إيمانٌ باللهِ تعالى وبصِدقِ وعْدِه[1].

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَاۖ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤﴾.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا﴾.

أي: قال اليهودُ: إنَّا نرفُض - يا موسى - رفْضًا باتًّا ودائمًا، دخولَ تِلك المدينةِ التي يَسْكُنُها الجبَّارونَ ما داموا باقينَ فيها[2].

﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾.

أي: ولكنِ امضِ - يا موسى - أنتَ وربُّك لِقتالِهم، أمَّا نحنُ فماكِثونَ في هذا المكانِ، ولنْ نَبرحَه معكَ للمضيِّ إليهم[3].

فلمَّا نَكَلَ بَنو إسرائيل عنِ القِتالِ غَضِبَ عليهم موسى عليه السَّلامُ، فدعا عليهم، قال اللهُ تعالى عنه[4]:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥﴾.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِي﴾.

أي: قال موسى عليه السَّلامُ: يا ربِّ، لا أقدِرُ أنْ أحمِلَ أحدًا على طاعتِكَ إلَّا

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٠٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٧٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٦٥- ٢٦٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٠٢- ٣٠٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٦٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٠٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٦٧).

(٤) ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٧٩).

نفْسي وأخِي هارونَ[1].

﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾.

أي: فافْصِلْ بَينَنا وبينَ هؤلاءِ القومِ الخارجينَ عن طاعتِك، بحُكمٍ وقَضاءٍ مِنكَ تَقضيه فينا وفيهم، فتُبعِدَهم عنَّا[2].

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾.

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾.

أي: فأجاب اللهُ تعالى دُعاءَ موسى عليه السَّلامُ فقال: إنَّ عُقوبتَهم أنْ يُحرَّمَ عليهم دُخولُ الأرضِ المقدَّسةِ التي نَكَصوا عن دُخولِها، مُدَّةَ أربعين سَنةً يَظلُّون فيها ضائعينَ وحائرينَ في الأرضِ، لا يَهتدُونَ إلى طريقٍ، ولا يَبقَوْنَ مُطمئنِّينَ[3].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٠٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٦٨).
فإنْ قيل: لم قال: ﴿لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ﴾، وكان معه الرجلانِ المذكوران؟
قيل: كأنَّه لم يثِقْ بهما كلَّ الوثوقِ؛ لِمَا رأى من إطباقِ الأكثرين على التمرُّد، وقيل غير ذلك.
يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٣٣٥)، ((تفسير الشربيني)) (١/ ٣٦٧)، ((تفسير القاسمي)) (٤/ ١٠٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٦٦- ١٦٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٠٥- ٣٠٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٦٨).

(٣) وهذا اختيارُ ابنِ جَرير في ((تفسيره)) (٨/ ٣١٤-٣١٥)، وابنِ عطيةَ في ((تفسيره)) (٢/ ١٧٦)، وابنِ كثيرٍ في ((تفسيره)) (٣/ ٧٩)، والسعديِّ في ((تفسيره)) (ص: ٢٢٨)، وابنِ عثيمينَ في ((تفسير سورة المائدة)) (١/ ٢٦٨- ٢٦٩).
قال السعديُّ: (ولعلَّ الحِكمةَ في هذه المدَّة أن يموتَ أكثرُ هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة، الصادرةَ عن قلوبٍ لا صَبرَ فيها ولا ثبات، بل قد أَلِفَتِ الاستعبادَ لعدُوِّها، ولم تكُن لها هِممٌ تُرقِّيها إلى ما فيه ارتقاؤها وعُلوُّها، ولتظهرَ ناشئةٌ جديدةٌ تتربَّى عقولُهم على طلب قَهرِ الأعداء، وعدمِ الاستعباد، والذلِّ المانعِ من السَّعادة) ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٨)، ويُنظر: ((تفسير

﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

مُناسَبتُها لِمَا قَبلَها:

لَمَّا عَلِم اللهُ تعالى أنَّ موسى عليه السَّلامُ في غايةِ الرَّحمةِ على الخَلْقِ- خُصوصًا قومَه- وأنَّه يَحزَنُ عليهم؛ قال تَعالى[(١)]:

﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

أي: فلا تَحزنْ عليهم -يا موسى- ممَّا عاقَبَهم اللهُ تعالى به؛ فهُم يَستحقُّونَ هذه العقوبةَ؛ لخُروجِهم عن طاعةِ ربِّهم سُبحانَه[(٢)].

الفوائِدُ التَّربويَّة:

١- أنَّ مَن رزَقَه اللهُ عِلمًا فقدْ أنْعمَ عليه نِعمةً عظيمةً، تحتاجُ إلى التذكُّرِ؛ لأنَّ نبيَّهم موسى صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ذَكَّرَهم بهذه النِّعمة، مِن خلالِ تَذكيرِهم بنِعمةِ الأنبياءِ فيهم، فقال: ﴿يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ﴾[(٣)].

٢- يُستفادُ مِن قولِه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أنَّه ينبغي للداعيةِ أن يُذكِّرَ مَن يُوجِّهُ إليهم الخطابَ بنِعَمِ الله عليه؛ لأنَّ تذكيرَهم

ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٦٩).

قال القرطبيُّ: (﴿أَرْبَعِينَ﴾ ظرفُ زمانٍ للتِّيهِ، في قولِ الحسنِ وقتادةَ، قالا: ولم يدخُلْها أحدٌ منهم، فالوقفُ على هذا على ﴿عَلَيْهِمْ﴾. وقال الرَّبيعُ بنُ أنسٍ وغيرُه: إن ﴿أربعين سَنَةً﴾ ظرفٌ للتحريمِ، فالوقفُ على هذا على ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾، فعلى الأوَّل إنَّما دخَلها أولادُهم، قاله ابنُ عبَّاسٍ. ولم يبقَ منهم إلا يوشعُ وكالب، فخرج منهم يوشعُ بذرِّياتِهم إلى تلك المدينةِ وفتَحوها. وعلى الثَّاني فمَن بقي منهم بعدَ أربعينَ سنةً دخَلوها). ((تفسير القرطبي)) (٦/ ١٣٠). وينظر: ((إيضاح الوقف والابتداء)) للأنباري (٢/ ٦١٦).

(١) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٨)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٦٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣١٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٨١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٦٩).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٥٧).

بالنِّعَم يُوجِبُ لهم مَحبَّةَ اللهِ[١].

٣- أنَّه كلَّما أَنعمَ اللهُ على عبدِه بنِعمةٍ وجَبَ عليه مِن السَّمعِ والطَّاعةِ ما لم يجبْ على غيرِه؛ لأمْرِه بدخولِ الأرضِ المقدَّسةِ، بعدَ ذِكرِ النِّعمِ مباشرةً؛ حيث قال: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ﴾[٢].

٤- تقديمُ مقامِ العُلماءِ على الأمراءِ؛ لقوله: ﴿إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ﴾ ثم قال: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا﴾، فبَدأَ بالعلماءِ؛ لأنَّهم ورثةُ الأنبياءِ، وذَكَر بَعدَهم الأُمَراء؛ لأنَّهم إمَّا يكونونَ مِن الملوكِ، أو مِن وَرثتِهم أو نُوَّابِهم أو ما أشبهَ ذلِك[٣].

٥- أنَّه ينبغي أن يُذكَّر الإنسانُ بما خصَّه الله تعالى به مِن النِّعم؛ وذلك لقولِه: ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[٤].

٦- يُستفادُ مِن قولِه: ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ أنَّ الإيمانَ شرْطٌ في إخلاصِ التَّوكُّلِ على اللهِ عزَّ وجلَّ؛ إذ لا يَتوكَّلُ على اللهِ تمامَ التوكُّلِ إلَّا مَن كان عندَه إيمانٌ بما وعَدَ اللهُ به في قولِه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾[٥] [الطلاق: ٣].

٧- أنَّه يَنبغي للدَّاعيةِ أنْ يَذكُرَ ما يُهيِّجُ النُّفوسَ ويُغريها بالقَبولِ؛ لأنَّه ذكَرَ في الآيةِ أنَّ الأرضَ مُقدَّسةٌ؛ هذا الأوَّل، والثاني: أنَّ اللهَ كتبَها لهم. والثالث: قولُه: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ﴾ وكأنَّ هذه بشارةٌ بأنَّهم سيَنتصِرونَ، وسوفَ يَدخُلون الأرضَ؛ فالبِشارةُ مِن وجوهٍ ثلاثة[٦].

(١) ينظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٥٦).
(٢) ينظر: ((المصدر السابق)).
(٣) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٥٧).
(٤) ينظر: ((المصدر السابق)).
(٥) ينظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٦٧).
(٦) ينظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٦٩).

٨- أنَّه يَنبغي للدَّاعيةِ إلى الله أنْ يَذكُرَ عواقبَ السيِّئاتِ؛ مِن أجْلِ تَنفيرِ النُّفوسِ منها، وإنْ كانتِ الدَّعوةُ إلى اللهِ تعالى تَحصُل ببيانِ الحلالِ والحرامِ، لكن إذا ذَكَرَ التَّرغِيبَ والترهيبَ كان في ذلك حَفزٌ للنُّفوسِ على الامتثالِ؛ وجهُ ذلك أنَّ موسى قال لقومِه: ﴿فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾[1].

٩- أنَّ التوكُّلَ على اللهِ عزَّ وجلَّ مِن أسبابِ النَّصرِ؛ لقولِ هذين الرَّجُلينِ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾[2].

١٠- أنَّه ينبغي ألَّا يَعتمِدَ الإنسانُ على نفْسِه وعلى السَّببِ الحسِّي فقط؛ لقولِهما بعدَ أنْ وجَّهَا قومَهما إلى أنْ يَدخُلوا عليهم البابَ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾[3].

١١- أنَّ إفرادَ اللهِ بالتوكُّلِ مِنَ الإيمانِ؛ لقوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ وأنَّ نقْصَ التوكُّلِ على الله نقصٌ في الإيمانِ؛ لأنَّ ما رُتِّبَ على شيءٍ ازدادَ بزيادتِه ونَقَصَ بنَقْصِه[4].

١٢- جوازُ دُعاءِ الإنسانِ ربَّه عزَّ وجلَّ أن يَفصِلَ بينَه وبينَ أهلِ الفُسوقِ والفُجورِ؛ لقوله: ﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾، ويمكن أن يَتفرَّعَ على هذِه الفائدةِ جوازُ هِجرانِ الفَسَقةِ؛ لأنَّ الهجرَ مفارقةٌ[5].

١٣- أنَّ التخلِّيَ عن الجِهادِ في سَبيلِ اللهِ مِن الفِسقِ؛ لقوله: ﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾[6].

---

(١) ينظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٧٢).

(٢) ينظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٧٦).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٧٦).

(٤) ينظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٨٠).

(٥) ينظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٨١).

(٦) ينظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٨٢).

١٤- إرشادُ الإنسانِ ألَّا يَحزنَ على الفاسقِ؛ لأنَّه إذا بذَلَ جُهدَه فيما يجبُ مِنَ الدَّعوةِ، فإنَّ هِدايةَ الخَلْقِ ليستْ إليه، بل إلى اللهِ، فلا يحزنْ؛ ولهذا قال الله: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦][(١)].

الفَوائِدُ العامَّة واللَّطائِف:

١- نِداءُ موسَى عليه السَّلامُ قومَه، في قولِه: ﴿يَٰقَوْمِ﴾ يتضمَّن استعطافًا لهم؛ لأنَّه فرْقٌ بين أنْ يكونَ المخاطَبُ من قومِك أو مِن غيرِ قومِك[(٢)].

٢- الإشارةُ إلى أنَّ وجودَ الأنبياءِ بين الناسِ مِن أكبرِ النِّعمِ، فقال: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ﴾، ولا شكَّ أنَّ حاجةَ الناسِ إلى الأنبياءِ أعظمُ من حاجتِهم إلى الملوكِ، وإنْ كانوا يَحتاجونَ إليهم[(٣)].

٣- في قوله ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ فائدةٌ عظيمةٌ؛ وهي أنَّ القومَ وإنْ كانوا جبَّارين، إلَّا أنَّ اللهَ تعالى لَمَّا وعدَ هؤلاءِ الضَّعفاءَ بأنَّ تِلك الأرضَ لهم، فإنْ كانوا مؤمنينَ مقرِّينَ بصِدقِ موسى عليه السَّلامُ عَلِموا قطعًا أنَّ اللهَ سيَنصرُهم ويُسلِّطهم عليهم؛ فحينئذٍ يُقدِمون على قِتالِهم مِن غَيرِ جُبنٍ ولا خوفٍ ولا هلَعٍ[(٤)].

٤- أنَّ الكتابةَ نوعانِ: شرعيَّةٌ، وقَدَريَّة؛ فالكتابةُ في قوله: ﴿ٱدْخُلُوا ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ بمعنى الكتابة القَدَريَّة، وتأتي غالبًا مقرونةً باللَّام، أما الكتابةُ الشَّرعيَّة فتأتي غالبًا لا دائمًا مقرونة بـ(على)؛ بدليل قوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾ [الحشر:٣] فالكتابةُ هنا: قَدَريَّة[(٥)].

(١) ينظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٨٤).
(٢) ينظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٥٨).
(٣) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٥٦).
(٤) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٣٣٢، ٣٣٣).
(٥) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٦٩).

٥- أنَّ بَني إسرائيلَ كانوا أحقَّ بأرضِ الشَّامِ من غيرِهم،؛ لقوله: ﴿ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ فهم أحقُّ الناسِ بها، وهي مكتوبةٌ لهم حِينَ كانوا مؤمنينَ؛ لا لأنَّهم مِن بني إسرائيلَ، ولا شكَّ أنَّهم في عَهدِ موسى هم أفضلُ أهلِ الأرض، وموسى عليه السَّلامُ يُخاطِبُ قومًا صدَّقُوا وآمَنوا به، وقدْ قال اللهُ: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، إذن فقولُ بني إسرائيلَ: إنَّ هذه أرضُ الميعادِ، نقول: إنْ شاءَ اللهُ هي أرضُ ميعادِ هلاكِكم، أمَّا أنَّها أرضٌ لكم مكتوبةٌ شرعًا فلا، وأمَّا قَدَرًا فيُمكِن، لكنْ شرعًا ليس لهم فيها حقٌّ إطلاقًا؛ قال: ﴿إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، فكما أنَّ اللهَ أَوْرَثَ بني إسرائيل بلادَ فِرعونَ وأرضَه؛ لأنَّهم كانوا مُسلِمينَ، فكذلك المسلمونَ المؤمنونَ بمُحمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَرِثونَ بَني إسرائيلَ[1].

٦- بَيانُ جفاءِ بني إسرائيلَ؛ وذلك أنَّ موسى عليه السَّلامُ كان يُخاطبهم بقولِه: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ بهذا اللَّفظِ، وهم يقولون: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾، ولم يقولوا: يا نَبيَّ اللهِ، أو يا رسولَ الله، وهذا مِن جفائِهم وغِلَظ طَبائعِهم[2].

٧- سوءُ ظنِّ بَني إسرائيلَ باللهِ؛ وذلك لأنَّ نبيَّهم عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ وعَدَهم أنَّ اللهَ كتَبَ لهم الأرضَ المقدَّسةَ في قولِه: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾، ولكنَّهم اعتمَدوا على الأمْرِ الماديِّ، فقالوا: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوۡمًا جَبَّارِينَ﴾[3].

٨- بعد أنْ قال قومُ موسى: ﴿وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا﴾ جاءَ

---

(١) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٧٠).
(٢) ينظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٧٢).
(٣) ينظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٧٤).

تأكيدُ هذا المعنى بقولهم: ﴿فَإِن يَخۡرُجُواْ﴾ ولم يقولوا: (فإذا خرَجوا)، كأنَّهم يستبعدون خُروجَهم؛ لأنَّ (إنْ) الشَّرطيَّة: تتميَّز عن (إذا) بأنَّ (إنْ) يكونُ فِعلُ الشَّرطِ فيها حاصلًا وغيرَ حاصلٍ؛ فإنَّها للمَشكوكِ فيه، بلْ قد يكونُ مِنَ الأشياءِ المستحيلةِ، لكن (إذا) تكونُ للشَّرْطِ المَقطوعِ بوقُوعِه حَقيقةً أو حُكمًا[1].

٩- بيان جُبنِ بَني إسرائيلَ؛ لقولِهم: ﴿لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا﴾، وهذا غايةُ ما يكون مِن الجُبن؛ لأنَّ الجبانَ هو الذي يقولُ: لا أدخُلُ البلدةَ أو القريةَ أو المدينةَ إلَّا إذا خرَجَ منها أهلُها، ثم أكَّدوا هذا الجُبنَ مرَّةً ثانيةً بقولِهم: ﴿فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾[2].

١٠- أنَّ مَن غُزِيَ في عُقرِ دارِه فهو ذليلٌ، وهذا مَثَلٌ مشهورٌ: ما غُزِيَ قومٌ في عُقرِ دارِهم إلَّا ذَلُّوا؛ لقوله: ﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَ﴾، وأهلُ البلدِ مغلوبونَ[3].

١١- لَمَّا كان يَعلمُ الرَّجُلانِ المذكورانِ في قولِه تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ أنَّه لا بدَّ مِن دخولِهم عليهم، وإنْ تَقاعَسوا وإنْ طال المدَى؛ لأنَّ اللهَ وعَدَ بنَصرِهم عليهم ووعْده حقٌّ، عبَّرَا بأداةِ التحقيقِ (إذا) فقالا: ﴿فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ﴾، ثم أكَّدا خبرَهما إيقانًا بوعدِ الله فقالَا: ﴿فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَ﴾، أي: لأنَّ المَلِكَ معكم دُونَهم[4].

١٢- قولُه تعالى: ﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ ناسَب أوَّلُ الآيةِ آخِرَها؛ فبعدَ أنْ أمَرَ القومَ

(١) ينظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٦١)، وينظر أيضًا: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٧٧).
(٢) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين-سورة المائدة)) (١/ ٢٧٤)، وينظر أيضًا: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٢٧٢).
(٣) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٧٥).
(٤) ينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٧٦).

باتِّخاذِ الأسبابِ والوسائلِ أَمرَهم بالتَّوكُّل على اللهِ، والاعتمادِ على وعْدِه ونَصْرِه وخَبرِ رسولِه؛ ولذلك ذيَّلَا بقولهما: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾؛ لأنَّ الشَّكَّ في صِدقِ الرَّسولِ مبطِلٌ للإيمانِ[1].

١٣- إصرارُ بني إسرائيلَ على المعصيةِ، وعلى الجُبن والخَوَرِ؛ لقولهم: ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا﴾، وهذا ظاهرٌ في أنَّهم مُصرُّونَ على معصيةِ نبيِّهم الذي قال لهم: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾[2].

١٤- الغَطرسةُ العظيمةُ في بني إسرائيلَ؛ حيث قالوا لموسى عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾، حتَّى قولهم: «اذْهَبْ» -بهذه الصِّيغة كأنَّهم آمِرونَ لموسى- أيضًا فيه استعلاءٌ واستكبارٌ، ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾ يعني: ما رَجَوْه رجاءً وقالوا: ألَا تذهبُ يا رسولَ اللهِ، أو يا نبيَّ اللهِ، أو ما أشبهَ ذلك، وجه ثالثٌ مِن الغطرسة في قولهم: ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾، أي: لا نَتحرَّكُ ولا نذهبُ معَكم، لم يقولوا مثلًا: إنَّنا رِدْءٌ لك نَحمِيكَ مِن ظَهرِك، وما أشبهَ ذلك! ففيها أيضًا مُنتهَى الغطرسةِ مِن بني إسرائيلَ[3].

١٥- في قولِه تَعالَى: ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ مواجهةٌ لنبيِّهم في هذا المقامِ الحرجِ الضيِّق، الذي قد دعَتِ الحاجةُ والضرورةُ فيه إلى نُصرةِ نبيِّهم، وإعزازِ أنفسِهم، وبهذا وأمثالِه يظهرُ التفاوتُ بين سائرِ الأُممِ وأُمَّةِ محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؛ حيث قال الصحابةُ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ- حين شاورَهم في

---

(١) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٦٥) ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٢٠).

(٢) ينظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٢٧٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٨٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٨٠).

القِتالِ يومَ «بدر» مع أنَّه لم يُحَتِّمْ عليهم-: يا رسولَ اللهِ، لو خُضتَ بِنا هذا البحرَ لخُضناهُ معَك، ولو بلغتَ بِنا بَرْكَ الغُمادِ[١] ما تخلَّفَ عنك أحدٌ، ولا نقولُ كما قال قومُ موسى لموسى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾، ولكِنْ اذهبْ أنتَ وربُّك فقاتِلَا إنَّا مَعكُما مقاتلونَ، مِن بَينِ يَديكَ ومِن خَلْفِكَ، وعن يَمينِكَ وعن يَسارِكَ[٢].

١٦- أنَّ التحريمَ يُطلَقُ على المنعِ القَدَريِّ؛ لقوله: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةً﴾؛ فاللهُ تعالى لم يُرِدْ أنَّه حرَّمَ عليهم دخولَها شَرْعًا، لكنْ قَدَرًا، والتحريمُ يكون كونيًّا، ويكون شرعيًّا، فمِن التحريمِ القدَريِّ الكونيِّ: قولُه تعالى: ﴿وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ﴾ [القصص: ١٢]، ومِن التحريمِ الشرعيِّ: قولُه تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ﴾[٣] [المائدة: ٣].

بَلاغَةُ الآياتِ:

١- قوله: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ (إذْ) ظَرْفٌ في مَحلِّ نصْبٍ على أنَّه مَفعولٌ لِفعلٍ مُقدَّرٍ، أي: واذْكُرْ وقْتَ قولِ موسَى لقومِه ناصحًا لهم ومُستميلًا لهم بإضافتِهم إليه ﴿يَٰقَوۡمِ ...﴾؛ فتوجَّه الأَمْرُ بالذِّكر إلى الوقتِ دونَ ما وقَعَ فيه مِن الحوادثِ، مع أنَّها المقصودةُ بالذَّات؛ للمبالغةِ في إيجابِ ذِكرِها؛ لأنَّ إيجابَ ذِكرِ الوقتِ إيجابٌ لذِكرِ ما وقَعَ فيه

(١) بَرْك الغُماد -تُفتح الباءُ وتُكسَر، وتُضمُّ الغينِ وتُكسَر-: هو اسمُ موضِعٍ أو بَلَدٍ باليَمنِ، وقيل: هو موضعٌ وراءَ مكَّةَ بخَمسِ ليالٍ ممَّا يلِي البَحر. والبَرْك: حِجارةٌ مِثلُ حِجارةِ الحرَّة، خَشِنة يَصعُب المسلكُ عليها، وعرةٌ. ينظر: ((النهاية)) لابن الأثير (١/ ١٢١)، ((معجم البلدان)) لياقوت (١/ ٣٩٩- ٤٠٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٨).
وينظر ما أخرجه مسلمٌ (١٧٧٩) من حديثِ أنسٍ رضي الله عنه، وما أخرجه البخاريُّ (٣٩٥٢) من حديثِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه.

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٨٣).

بالطريقِ البُرهانيِّ[١].

٢- وفي قوله: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ فيه- على أحدِ وُجوهِ التفسيرِ المذكورةِ-: تَشبيهٌ بليغٌ، حيث جعَلَهم كالملوكِ في تصرُّفِهم في أنفُسِهم، وسلامتِهم من العبوديَّةِ التي كانتْ عليهم للقِبط، أو استُعمل فِعل (جَعَلَكُمْ) في معنى الاستقبال، مِثل قوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١]؛ قصدًا لتحقيقِ الخبر، فيكونُ الخبرُ بشارةً لهم بما سيكونُ لهم[٢].

٣- قوله: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾: كرَّر النِّداءَ الذي ابتدأ به مَقالتَه، وهو النِّداءُ بـ﴿يَٰقَوْمِ﴾؛ اهتمامًا بشأنِ الأمرِ، ومبالغةً في حثِّهم على الامتثالِ به[٣].

٤- قوله: ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا﴾: فيه تأكيدٌ؛ حيثُ أكَّدوا الامتناعَ الثاني من الدُّخولِ بعدَ المحاورةِ أشدَّ توكيدٍ؛ دلَّ على شِدَّتِه في العربية بثَلاثةِ مؤكِّداتٍ: (إنَّ)، و (لن)، وكلمة (أبدًا)، حيثُ أكَّدوا نَفيَهم للإقدامِ عليهم بقولِهم: ﴿إِنَّا﴾، وَعظَّموا تأكيدَهم بقولهم: ﴿لَن نَّدْخُلَهَآ﴾، وزادوه تأكيدًا بقولِهم: ﴿أَبَدًا﴾[٤].

٥- قوله: ﴿فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾: فيه تصريحٌ بمَفهومِ الغايةِ التي في قولِه: ﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا﴾؛ لقصدِ تأكيدِ الوَعدِ بدُخولِها إذا خلَتْ مِنَ الجبَّارينَ الذين فيها[٥]؛ فأكَّدوا على دُخولهم إذا خرَج منها هؤلاءِ القومُ الجبَّارونَ بقولِهم: ﴿فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ -فهو مُؤكَّد بـ(إنَّ) واسميَّةِ الجُملة- وهذا لا يَحتاجُ إلى توكيدٍ، لكن يَدلُّ على شِدَّةِ بلاهتِهم؛ لأنَّ المعروف أنَّه متى

(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٢٢).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٦١).
(٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٢٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٦٢).
(٤) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٧٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٦٦).
(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٦٣).

خلَتِ البلادُ مِن الأعداء فخرَجُوا منها، فالدُّخولُ في هذه الحالة لا يَحتاجُ إلى تأكيدٍ[١].

٦- قوله: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ﴾: فيه تعريضٌ؛ حيثُ يجوزُ أن يكونَ المرادُ بالخوفِ: الخوفَ مِن الله تعالى، أي: كان قولهما لقومِهما: ﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ﴾ ناشئًا عن خوفِهما مِن الله تعالى، فيكون تعريضًا بأنَّ الذين عَصَوهما لا يخافونَ اللهَ تعالى[٢].

٧- قوله: ﴿ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ﴾: فيه تقديمُ الجارِّ والمجرورِ ﴿عَلَيۡهِمُ﴾ على المفعولِ به ﴿ٱلۡبَابَ﴾؛ للاهتمامِ بالمقدَّم[٣].



(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٧٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٦٥)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٢٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٢٤).

الآيات (٢٧ - ٣٢)

﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ
يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ
إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾
إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾
فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا
يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ
مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ
كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ
فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا
وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ
لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

غريبُ الكَلِمات:

﴿نَبَأَ﴾: النَّبَأُ: الخبرُ الذي له قَدرٌ، وفائدةٌ عظيمةٌ، ويَحصُل به علمٌ أو غَلَبَةُ ظنٍّ، وأَصلُ (نبأ): الإتيانُ مِن مكانٍ إلى مكانٍ؛ وسُمِّيَ الخبرُ نبأً؛ لانتقالِه مِن مكانٍ إلى مكانٍ[1].

﴿قُرْبَانًا﴾: ما يُتقرَّبُ به إلى اللهِ عزَّ وجلَّ مِن ذِبْحٍ أو غيرِه، وصارَ اسمًا للنَّسيكةِ التي هي الذَّبيحةُ، وأصلُ القُرب: خِلافُ البُعدِ[2].

---

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (١/ ٤٦١)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٣٨٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٧٨٨- ٧٨٩).

(٢) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٨٠)، ((المفردات)) للراغب (١/ ٦٦٤)، ((التبيان)) لابن الهائم (١/ ١٣٣).

﴿بَسَطتَ﴾: مَدَدْتَ، والبَسطُ في الشيءِ: فتْحُه وتَوسعتُه، وقيل: إمدادُه في جميعِ جِهاتِه(١).

﴿تَبُوٓأَ﴾: أي: تَرجعَ، أو تَنقلِبَ وتَنصرِفَ، ولا يُقال: (باء) إلَّا بشَرٍّ، ويُقال: باءَ بكذا إذا أقرَّ به(٢).

﴿بِإِثۡمِي﴾: أي: بإثمِ قتْلي، والإثمُ والآثام: اسمٌ للأفعالِ المبطِّئةِ عن الثَّوابِ، أو الذَّنبِ الذي تُستَحقُّ العقوبةُ عليه، وأصل الإثم: البُطءُ والتأخُّر(٣).

﴿فَطَوَّعَتۡ﴾: سهَّلَتْ وزَيَّنتْ، أو طاوَعتْ وأعانَتْ، وأجابتْ وانقادَتْ، وأصْل الطَّوع: الانقيادُ والإصحابُ، ويَضادُّه الكُرهُ(٤).

﴿يَبۡحَثُ﴾: يَحْفِرُ، والبَحْثُ: طَلَبُ الشَّيءِ في التُّرابِ، ويُطلَقُ كذلك على الكَشفِ والطَّلبِ(٥).

﴿يُوَٰرِي﴾: يَستُر، مِن واريتُ كذا: إذا سَترتَه(٦).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٢٨)، ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٩٢)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١١٨)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١١٢).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٢)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١١٧)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٢٥٠- ٢٥٢).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٢)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١٤٠)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٦٠)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٣)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨١)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٥٠)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٤٠).

(٤) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٢)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٤٣١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٢٥، ٥٢٩، ٥٣١)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨١)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٥٠)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٥٨٣، ٥٨٧).

(٥) يُنظر: ((العين)) للخليل بن أحمد (٣/ ٢٠٧)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٢٠٤)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٠٨)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٢٤٥).

(٦) يُنظر: ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٦٦)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٦٥).

﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ﴾: يا فَضيحَتَاه! والويلُ: كلمةُ دُعاءٍ بالهلاكِ والعذابِ، وتُطلَق كذلِك على حُلولِ الشرِّ، وتُستعمَلُ في التَّحسُّرِ، والويلةُ: الفَضيحةُ والبليَّةُ(١).

﴿سَوۡءَةَ أَخِي﴾: السَّوْءةُ: العورةُ، وما لا يَجوزُ كَشْفُه مِن الجَسدِ، والمُرادُ هنا بَدَنُه وجيفتُه، وأَصْلُ (سوء): يدلُّ على القُبحِ(٢).

﴿ٱلنَّٰدِمِينَ﴾: جمْعُ نادمٍ، وهو المتحسِّرُ مِن تغيُّر رأيٍ في أمْرٍ فائتٍ، مِن نَدِم: إذا تَفطَّنَ لشيءٍ قد كان(٣).

﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: جمْع بيِّنة، وهي: الدَّلالةُ الواضِحةُ؛ يُقال: بانَ الشيءُ وأبانَ، إذا اتَّضحَ وانكَشَف(٤).

﴿لَمُسۡرِفُونَ﴾: لمُفرِطون، والسَّرَف: تَجاوزُ الحدِّ في كلِّ فِعلٍ يَفعلُه الإنسانُ، وأصلُه: تَعدِّي الحدِّ، والإغفالُ للشَّيء أيضًا(٥).

المَعنَى الإجْمالِيُّ:

يَأمرُ اللهُ تعالى نبيَّه مُحمَّدًا صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنْ يَقصُصَ على اليهودِ وغيرِهم خبرَ ابنَي آدَمَ، وهو خبرٌ حقٌّ؛ إذ أخرجَ كلُّ أخٍ منهما شيئًا يتقرَّبُ به إلى اللهِ سُبحانَه وتعالى، فقبِلَ الله قُربانَ أحدِهما، ولم يَقبَلْ مِن الآخَر، فحسَدَ الذي لم يَتقبَّلِ اللهُ قُربانَه أخاه، فتوعَّده بالقَتْلِ، فقال له أخوه: إنَّما يتقبَّلُ الله

(١) يُنظر: ((العين)) للخليل بن أحمد (٨/ ٣٦٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٨٨)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٩٤٥).

(٢) يُنظر: ((العين)) للخليل بن أحمد (٢/ ٢٣٧)، ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٤٥)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ١١٣)، ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٢٦)، ((تفسير ابن عطية)) (٢/ ١٨١).

(٣) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٤١١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٧٩٦).

(٤) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٣٢٨)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٥٧).

(٥) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١٠٢)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ١٥٣)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٠٧)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٣١).

من المتَّقينَ، وقال له: إنْ مددْتَ إليَّ يدَك لتقتُلَني، فلنْ أمدَّ يَديَ إليك لأقتلَك، والَّذي يَمنعني مِن ذلِك هو خَوفي مِن اللهِ تعالى، وأنِّي أُريدُ أن تتحمَّلَ أنتَ إثمَ قتْلي مع إثمِ ما ارْتكبْتَه مِن قبلُ من المعاصِي، فتكون- بسببِ ذلك- من أصحابِ النار، وهذه هي عقوبةُ كلِّ ظالمٍ.

فسهَّلتْ له نفْسُه قتْلَ أخيه فقتَلَه؛ فأصبح مِن الذين خَسِروا دُنياهم وآخِرتَهم، فلمَّا قتَلَه تحيَّر كيف يصنعُ بأخيه المقتولِ؟! حينها بعَثَ اللهُ غُرابًا يَحفِرُ في الأرضِ ويُثير الترابَ؛ ليشاهدَه القاتلُ، فيفطِنَ للطريقةِ التي مِن خلالها يُغطِّي بدنَ أخيه، فلام القاتلُ نفْسَه، وقال: عجبًا، كيف لم أَقدِرْ على فِعلِ ما فَعلَه هذا الغرابُ فأُغطِّيَ بدنَ أخي؟! فأصبحَ مِنَ النادمينَ.

ثم أَخبر تعالى أنَّه مِن أجلِ تِلك الجريمةِ التي ارتكبها ولدُ آدَمَ بقَتْلِه أخاه ظلمًا؛ حَكَمَ تعالى على بَني إسرائيل أنَّه مَن قتَلَ نفْسًا واحدةً دون أن تكونَ مُستحِقَّةً للقتْلِ- بسببِ قِصاصٍ أو فَسادٍ في الأرض- فهو بفِعْلِه ذلك مِثلُ مَن استحلَّ دِماءَ جميعِ النَّاس، ومَن أحياها فهو مِثلُ مَن أحيا الناسَ جميعًا، ولقدْ جاءتْ رسلُ اللهِ إلى بني إسرائيل بالبيِّناتِ، ثم إنَّ كثيرًا منهم يَعملون المعاصي، ويرتكبون ما حرَّم اللهُ تعالى، مُنتهِكين حُدودَه.

تَفْسيرُ الآياتِ:

مُناسَبةُ الآياتِ لِمَا قَبْلَها:

المناسبةُ بينَ هذه القِصَّةِ والتي قَبلَها مُناسَبةُ تماثُلٍ ومُناسَبةُ تضادٍّ؛ فأمَّا التماثُلُ، فإنَّ في كِلتَيهما عدمَ الرِّضا بما حَكَم الله تعالى؛ فإنَّ بني إسرائيل عصَوْا أمْرَ رسولِهم إيَّاهم بالدُّخولِ إلى الأرض المقدَّسةِ، وأحد ابنَيْ آدَمَ عصَى حُكمَ الله تعالى بعدَمِ قَبولِ قُربانِه؛ لأنَّه لم يكُنْ مِن المتَّقين، وفي كِلتَيهما جُرأةٌ على اللهِ بعدَ المعصيةِ؛ فبنو إسرائيل قالوا: فاذْهَبْ أنتَ وربُّك، وابنُ آدَمَ قال: لأقتُلنَّ الذي

تَقبَّل اللهُ مِنه. وأمَّا التضادُّ، فإنَّ في إحْديهما إقدامًا مذمومًا مِن ابنِ آدَمَ، وإحجامًا مذمومًا من بني إسرائيل، وإنَّ في إحْدَيهما اتفاقَ أَخوينِ هما موسى وأخوه على امتثالِ أمْرِ الله تعالى، وفي الأُخرى اختلاف أَخوينِ بالصَّلاحِ والفَسادِ[1].

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧﴾.

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ﴾.

أي: واقْصُصْ - يا محمَّدُ - خبرَ ابنَي آدَمَ لصُلبِه[2] على هؤلاءِ اليَهودِ وغيرِهم، بالصِّدقِ الثابِتِ الذي لا لَبْسَ فيه ولا كَذِب، ولا وَهْم ولا تبديلَ، ولا زِيادةَ ولا

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٦٨).

قال أبو حيَّان: (فتقدَّم قولُه أوائلَ الآيات: ﴿إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ﴾، وبَعدَه ﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ وقوله: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ ثم قِصَّة محاربة الجبَّارين، وتبيَّن أنَّ عدمَ اتِّباع بني إسرائيل محمَّدًا صلَّى الله عليه وسلَّم إنَّما سببُه الحسدُ، هذا مع عِلمِهم بصِدقه، وقِصَّة ابْنَي آدمَ انطوتْ على مجموعِ هذه الآيات مِن بَسْط اليَد، ومِن الإخبارِ بالمغيب، ومِن عدمِ الانتفاعِ بالقُرب، ودَعواه مع المعصية، ومِن القتْل، ومن الحسَد). ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٢٧).

(٢) وقد نقَلَ ابنُ جريرٍ الإجماعَ على ذلك، فقال: (إجماعُ أهلِ الأخبارِ والسِّيَر والعِلمِ بالتأويلِ على أنَّهما كانَا ابنَي آدم لصُلبِه، وفي عهدِ آدَمَ وزمانِه) ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٢٥).

ونَسبَه ابنُ كثير وغيرُه إلى جمهورِ العلماء. يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٨١)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (١/ ٣٧١).

وقال ابنُ كَثيرٍ: (... فهذه أقوالُ المفسِّرين في هذه القصَّة، وكلُّهم مُتَّفقون على أنَّ هذين ابنَا آدَمَ لصُلبه، كما هو ظاهرُ القرآن، وكما نطَقَ به الحديثُ في قوله: «إلَّا كان على ابنِ آدَمَ الأوَّلِ كِفلٌ مِن دَمِها؛ لأنَّه أوَّلُ مَن سَنَّ القَتْل»، وهذا ظاهرٌ جليٌّ) ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٩٠).

والمشهورُ أنَّ اسمَهما: هابيل وقابيل. يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٨١)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (١/ ٣٧١).

نُقصانَ[١].

﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ﴾.

أي: حين أَخرجَ كلُّ واحدٍ من الأخوينِ شيئًا؛ يُتقرَّبُ به مِنَ اللهِ تعالى، فقُبِلَ مِن أحدِهما دُونَ الآخَرِ[٢].

﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾.

أي: فلمَّا قُبِلَ مِن أَحدِهما قُربانُه، ولم يُقبَلْ مِن الآخِرِ، وعَلِم الذي لم يُقبَلْ مِنه بذلِك، حسَدَ أخاه، فتوعَّدَه بالقتلِ[٣].

﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

أي: ردَّ عليه أخوه بقَولِه:إنما يُتقبَّل الله العملَ ممَّن اتَّقى الله فيه؛ فعَمِلَه خالصًا لله، موافقًا لأمر الله؛ فمَن اتَّقاه في عَملٍ تقبَّله منه[٤]، فأيُّ ذَنبٍ لي يُوجِبُ

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣١٧- ٣٢٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٨١- ٨٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٨٥- ٢٨٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٢٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٨٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٨٦- ٢٨٧).

قال ابنُ كَثيرٍ: (ثم المشهورُ عندَ الجمهور أنَّ الذي قَرَّبَ الشاةَ هو هابيلُ، وأنَّ الذي قرَّبَ الطعامَ هو قابيل، وأنَّه تُقبِّل من هابيلَ شاتُه، حتى قال ابنُ عبَّاس وغيرُه: إنَّه الكبشُ الذي فُدِي به الذَّبيحُ، وهو مناسبٌ، والله أعلمُ، ولم يُتقبَّل مِن قابيل، كذلك نصَّ عليه غيرُ واحدٍ مِن السَّلفِ والخلفِ) ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٨٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٨٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٩).

(٤) وهذا اختيارُ ابنِ تَيميَّة في ((مجموع الفتاوى)) (١٠/ ٣٢٢)، والسعدي في ((تفسيره)) (ص: ٢٢٩).

واختارَ تفسيرَ التقوى هاهنا بأنَّها امتثالُ الأوامرِ واجتنابُ النَّواهي: ابنُ جرير في ((تفسيره)) (٨/ ٣٢٧)، وابن عثيمين في ((تفسير سورة المائدة)) (١/ ٢٨٧).

وقال ابنُ عاشور: (وقد أفاد قولُ ابنِ آدَمَ حصرَ القَبولِ في أعمال المتقين؛ فإذا كان المرادُ من ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾ معناه المعروف شرعًا المحكيَّ بلفظه الدالِّ عليه مرادُ ابنِ آدم، كان مفادُ الحصر أنَّ

لك قتْلي، إلَّا أنِّي اتقيتُ اللهَ الذي تقواه واجبةٌ عليَّ وعليكَ؟! فكنْ أنتَ من المتقين حتَّى يُتقبَّلَ منك أيضًا[١].

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨﴾.

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَ﴾.

أي: لو مَددتَ إليَّ يدَك مِن أجْلِ أنْ تَقتُلَني، فلنْ أُقابِلَك على صَنيعِك الفاسدِ بمِثلِه[٢].

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

أي: لا أُريدُ أنْ أُقدِمَ على قتْلِك؛ لأنَّني أخافُ غضَبَ وعقابَ اللهِ، الَّذي نتوجَّه إليه وحْدَه بالعِبادة، والخالِق المالِك لجميعِ الخلائقِ ومُدبِّرها سُبحانَه[٣].

عمَلَ غيرِ المتَّقي لا يُقبل، فيحتمل أنَّ هذا كان شريعتَهم، ثم نُسِخ في الإسلام بقَبول الحسناتِ مِن المؤمِن وإنْ لم يكن متقيًا في سائرِ أحواله، ويحتمل أنْ يُراد بالمتَّقين المُخلِصون في العمل؛ فيكون عدمُ القَبول أمارةً على عدم الإخلاص، وفيه إخراجُ لفظ التقوى عن المتعارَف، ويحتمل أنْ يُريد بالتقبُّل تقبُّلًا خاصًّا، وهو التقبُّلُ التام الدالُّ عليه احتراقُ القُربان، فيكون على حدِّ قولِه تعالى: ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، أي: هدًى كاملًا لهم، وقوله: ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٥]، أي: الآخرة الكاملة، ويحتمل أن يُريد تقبُّلَ القرابين خاصَّةً، ويحتمل أن يُراد ﴿ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ بالقُربان، أي: المريدين به تقوى الله، وأنَّ أخاه أراد بقُربانِه [المباهاة]، ومعنى هذا الحصرِ أنَّ الله لا يَتقبَّل من غيرِ المتَّقين، وكان ذلك شرعُ زمانِهم ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٧٠).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٢٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٨٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٧٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٨٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٢٨-٣٣٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٨٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٨٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٣٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٨٥)، ((تفسير السعدي)) (ص:

﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾.

﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ﴾.

أي: إنِّي أُريدُ أن ترجِعَ مُتحمِّلًا إثمَ قَتْلي، مع إثمِك الذي اكتسبتَه من مَعاصٍ سابقةٍ[1].

﴿فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

أي: فتكونَ بذلِك مِن سُكَّانِ الجحيمِ الملازِمينَ لها، وهذا عقابُ كلِّ ظالمٍ[2].

﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠﴾.

﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ﴾.

أي: فسَوَّلتْ له نفْسُه وسَهَّلت عليه قتْلَ أخيه، الذي يَقتضي الشَّرعُ والطبعُ احترامَه والرأفةَ به، فاستجابَ لنَفْسِه الأمَّارةِ بالسُّوءِ، فقتَلَ أخاه[3].

﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

فصارَ بقَتْلِ أخيه مِن الذين خابوا وخَسِروا دُنياهم وآخِرتَهم[4].

عن عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رضِيَ اللهُ عنه، أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال:

---

٢٢٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٨٨).

(١) وقد نقَل ابنُ جرير الإجماعَ على هذا المعنى. ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٣٢). ويُنظر: ((الوجيز)) للواحدي (ص: ٣١٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٣٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٨٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٣٦- ٣٤٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٨٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٧٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٨٩).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٤٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٨٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٨٩).

((لا تُقتَلُ نفسٌ ظُلمًا، إلَّا كانَ على ابنِ آدمَ الأوَّلِ كِفلٌ من دَمِها[١]؛ لأنَّه أولُ مَن سَنَّ القَتْلَ))[٢].

ولَمَّا قتَل أخاه حارَ كيفَ يَصنعُ بأخيه المقتولِ[٣]، قال تعالى:

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾.

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِ﴾.

أي: فأَرسل اللهُ تعالى له غُرابًا يَحفِرُ في الأرضِ، ويُثير الترابَ -قيل: ليدفن غرابًا ميتًا[٤]-؛ ليشاهدَه القاتلُ، فيتفطَّنَ مِن خلال ذلِك إلى الطريقةِ التي يَستُرُ بها بدَنَ أخيه[٥].

---

(١) كِفلٌ من دَمِها: أي: ضِعْفٌ من إثمِها، أو: جزءٌ ونصيب من إثمها. ينظر: ((مشارق الأنوار)) للقاضي عياض (١/ ٣٤٦)، ((شرح النووي على مسلم)) (١١/ ١٦٦)، ((مختار الصحاح)) للرازي (ص: ٢٧١)، ((لسان العرب)) لابن منظور (١١/ ٥٨٨).

(٢) رواه البخاري (٣٣٣٥) واللفظ له، ومسلم (١٦٧٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٩).

قال الشوكانيُّ: (قيل: إنَّه لما قتَل أخاه لم يَدرِ كيف يُواريه؛ لكونِه أوَّل ميتٍ مات مِن بني آدمَ) ((فتح القدير)) (٢/ ٣٧).

(٤) وهذا اختيارُ ابنِ جرير في ((تفسيره)) (٨/ ٣٤٠)، والواحدي في ((الوجيز)) (ص: ٣١٦)، والسعدي في ((تفسيره)) (ص: ٢٢٩).

وقال ابنُ عُثيمين: (قولُه: ﴿يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ذكَر المفسِّرون أنَّ غُرابين اقتتلَا، فقتَل أحدُهما الآخَرَ، فبَحَث القاتلُ في الأرض ثم دفَن الغراب، ولكن ظاهر الآية خلافُ ذلك؛ لأنَّ الله يقول: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا﴾، ولم يقُل: غُرابين) ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٢٨٩-٢٩٠).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٤٠، ٣٤٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٩٠).

﴿قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ﴾.

أي: فقال القاتلُ حينئذٍ لائمًا وموبِّخًا لنَفْسِه: كيف لم أقْدِرْ على مِثلِ ما فعلَه الغرابُ فأسترَ بذلِك بدَنَ أخِي[1]؟!

﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾.

أي: فصارَ نادمًا على قَتْلِه لأخيه[2].

﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ٣٢﴾.

﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾.

أي: بسببِ جَريرةِ قتْلِ ابنِ آدَمَ أخاه ظُلْمًا وعُدوانًا، حَكَمْنا على بني إسرائيلَ بأنَّه مَن تَجرَّأَ منهم فقتَل نفْسًا واحدةً بغير سببٍ مِن قِصاصٍ، أو فسادٍ في الأرضِ- فإنَّ النفسَ إذا قَتَلَت نفْسًا بغيرِ حقٍّ استحقَّتِ القتلَ بها قِصاصًا، وكذا إذا كان منها فسادٌ في الأرض كقَطعِ الطَّريقِ وإخافةِ السَّبيلِ- فهو مِثلُ مَن استحلَّ دِماءَ جميعِ النَّاسِ[3].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٤٥-٣٤٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٩٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٤٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٩).

وقال ابنُ عُثَيمين: (هذا القاتلُ أصبح مِن النَّادمين على قتلِ أخيه، وعلى عجزه عن مواراةِ سوأةِ أخيه، فجمَع النَّدم للأمرينِ جميعًا) ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٠٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٤٧-٣٥٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٩٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٠٤- ٣٠٧).

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾.

أي: مَن حرَّم قتْلَ مَن حرَّم اللهُ تعالى قتْلَه، ولم يُقدِمْ على قتْلِه، فقدْ حَيِيَ الناسُ كلُّهم بسَلامتِهم منه(١).

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾.

أي: قدْ أتَى رُسلُنا بني إسرائيل ومعهم البراهينُ الظاهرةُ، والدلائلُ الواضحةُ، التي لا يَبقَى معها حُجَّةٌ لأحدٍ(٢).

﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾.

أي: ثمَّ إنَّ كثيرًا من بني إسرائيلَ بعدَ مَجيءِ رُسلِنا إليهم بالبيِّناتِ القاطعةِ للحُجَّة، الموجِبةِ للاستقامةِ؛ عاملونَ في الأرضِ بالمعاصي؛ مخالفةً للهُدَى واتِّباعًا للهَوَى، فارْتكبوا محارمَ الله تعالى، وانتهكوا حدودَه سُبحانَه بعدَ عِلْمِهم بها(٣).

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٥٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٩٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٩).

قال ابنُ عُثَيمين: (قولُه: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾، أي: أنْقذَها من الموتِ أو القتْل، وليس المعنى: أنه نفخ فيها الرُّوح؛ لأنَّ ذلك لا يكون إلَّا لله عزَّ وجلَّ، وهذا يشمل أشياء:

أولًا: لو هَمَّ الإنسانُ بقتْل شخص فطوَّعت له نفسُه قتْلَ أخيه، ثم استيقظ ورأى أنَّ ذلك حرام، ثم كفَّ عن هذا القتْل، يكون قد أحيا هذه النفس، فبعدَ أن طوَّعت له نفسُه قتْلَه تراجَع.

ثانيًا: الدَّفع: دفْع الصَّائل الذي يريد أن يقتُل شخصًا، فيدفعه، ويكون بهذا أحيا نفْسًا، أي: أنقذَها من القتْل.

ثالثًا: ... أن يقَعَ شخصٌ في هلكة كحريق أو غرَق أو هدم، فيأتي شخصٌ آخر فينقذه) ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٠٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٥٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٩٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٠٨- ٣٠٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٥٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٩٤)، ((تفسير السعدي))

الفوائِدُ التَّربويَّة:

١- يُستفادُ مِن قولِه: ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ﴾ أنَّه قد يشتركُ الرَّجُلانِ في عمل، ويكونُ بينهما مِن الفَرقِ كما بَينَ السَّماءِ والأرضِ؛ إمَّا في ردِّ عَملِ الثاني، وإمَّا في زيادةِ ثوابِ الأوَّل، وإنْ لم يُحرَمِ الثاني مِن الثَّوابِ، وفي هذه القِصَّةِ أنَّ الثانيَ حُرِمَ مِنَ الثَّوابِ[١].

٢- أنَّه لا حرَجَ على الإنسانِ أنْ يُخبِرَ بوصفٍ محمودٍ إذا لم يَقصِدِ الفَخرَ، وإنَّما قَصَدَ مصلحةَ الغَيرِ؛ لقول هذا الذي تُقبِّلَ منه: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾؛ لأنَّ هذه الجملةَ تصلُحُ لأنْ يكونَ القائلُ يُريدُ أنْ يحُثَّ هذا على التَّقوى[٢].

٣- أنَّ الإنسان يَنبغي له إذا امتنَع مِن شيءٍ محرَّم، أنْ يُبيِّنَ لصاحبِه أنَّه إنما امتنَعَ لا عجزًا ولا خوفًا، ولكن للمعنى الذي مِن أجْلِه امتنعَ، وذلك لقولِه: ﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[٣].

٤- أنَّ الخوفَ مِن الله هو أقوى الأسبابِ الرادعةِ عن مَعصيتِه؛ لقولِه: ﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[٤].

٥- يُستفادُ مِن قولِه: ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ﴾ الحذرُ مِن النَّفسِ الأمَّارةِ بالسُّوء؛ لأنَّها قد تُطوِّعُ للإنسانِ أكبرَ المعاصي، فيجب على الإنسانِ أن يكونَ حازمًا بالنسبةِ لنفسِه ويَقِظًا، فلا يَتَّبِعها فيما تُطوِّعُه له مِن معاصِي الله[٥].

(ص: ٢٢٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٠٩).

(١) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٢٨٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٩١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٢٨٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٩٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٩٥).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٩٨).

٦- يُستفادُ مِن قولِه: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ أنَّ كلَّ إنسانٍ حسَدَ أخاه، وحاوَلَ أنْ يَحُولَ بينَه وبينَ التوفيقِ، فإنَّ الخَسارةَ ستعودُ على هذا الحاسدِ[1].

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِفُ:

١- أهميَّةُ هذه القِصَّة؛ وجهُ ذلك: أنَّ اللهَ أمَرَ نبيَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أمرًا خاصًّا أنْ يَتلُوَها؛ فقال: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ﴾[2].

٢- أنَّه ينبغي لنا أنْ نعرِفَ أخبارَ مَن سبَقَ، لا سيَّما فيما فيه مصلحةٌ؛ لنأخذَ منها العِبرَ[3].

٣- يُستفادُ مِن قولِه: ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ﴾ أنَّ اللهَ سُبحانَه وتعالى- له الحُكمُ في القَبولِ والرَّدِّ؛ يَتقبَّلُ أو لا يَتقبَّل، ولكنْ مِن المعلومِ أنَّ اللهَ جعَلَ للقَبولِ ميزانًا، وجعَل للردِّ ميزانًا[4].

٤- أنَّ الله سُبحانَه وتعالى موصوفٌ بصِفاتِ الأفعالِ؛ لقولِه: ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾، ولقوله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[5].

٥- قولُه: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ على قولِ الخَوارجِ والمعتزلة لا تُقبل حَسنةٌ إلَّا ممَّن اتَّقاه مطلقًا، فلم يأتِ كبيرةً، وعند المرجئةِ إنَّما يَتقبَّل ممَّن اتَّقى الشِّرْك؛ فجَعَلوا أهلَ الكبائر داخلينَ في اسمِ المتَّقين، وعند أهل السُّنَّة والجماعة يُتقبَّل العملُ ممَّن اتَّقى الله فيه فعَمِلَه خالصًا لله، موافقًا لأمر الله؛

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٩٩).
(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٨٥- ٢٩١).
(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٩١).
(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٩٢).
(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٢٩٣).

فمَن اتَّقاه في عَملٍ تقبَّله منه، وإنْ كان عاصيًا في غيرِه، ومَن لم يتَّقِه فيه لم يتقبَّلْه منه، وإنْ كان مطيعًا في غيرِه(١).

٦- يُستفادُ من قولِه: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ﴾ إثباتُ الإرادةِ للعَبدِ، وأنَّ هذا معلومٌ منذ خُلِق البَشرِ، فيكونُ في ذلِك ردٌّ على الجَبريَّةِ الذين يقولون: إنَّ الإنسانَ ليس له إرادةٌ، وإنَّما يَفعَلُ الشيءَ قهرًا وجبرًا(٢).

٧- أنَّ مَن أُريد قتلُه ولم يُدافِعْ عن نَفْسِه خوفًا مِن الإثمِ(٣)، فإنَّه لا حرَجَ عليه؛ لقوله: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَ﴾(٤).

٨- قولُه تعالَى: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾ يدلُّ على أنَّ اللهَ عزَّ ذِكرُه قد كان أمَرَ ونَهى آدَمَ بعدَ أنْ أَهبطَه إلى الأرضِ، ووعَد وأَوْعَد، ولولا ذلِك ما قال المقتولُ للقاتلِ: فتكونَ مِن أصحابِ النارِ بقَتْلِك إيَّاي، ولا أخْبَره أنَّ ذلك جزاءُ الظَّالمين(٥).

٩- في قولِه تَعالى: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ﴾ إن قيل: كيف يُعقَلُ أن يبوءَ القاتلُ بإثم المقتولِ مع أنَّه تعالى قال: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ﴾ [فاطر:

(١) يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (١٠/ ٣٢٢).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٩٦).
(٣) قال ابنُ عُثيمين: (لأنَّه ربَّما يَقتُلُ الصَّائِلَ فيتعَجَّلُ؛ لأنَّ الواجِبَ في دَفعِ الصَّائِلَ أن يُدافعَ بالأسهَلِ فالأسهَلِ، فإن رجَعَ عن صَولِه بالتَّهديدِ لم يُضْرَب، وإن رجَعَ بالضَّربِ اليَسيرِ لم يُضرَبْ كثيرًا، وإن رجع بالضَّربِ الكثيرِ لم يُقتَل، وإن لم يندفِعْ إلا بالقَتلِ فالحُكم أنَّه يُقتَل، إلَّا أنَّ العُلماءَ- رَحِمَهم اللهُ- استثنَوْا من ذلك مسألةً، وقالوا: ما لم يَخَفْ أن يبادِرَه بالقَتلِ، فإن خاف أن يبادِرَه بالقتلِ، فلا بأسَ أن يقتُلَه لأوَّلِ وَهلةٍ، كما لو كان هذا الصَّائِلُ معه سلاحٌ أشهَرَه على صاحِبِه، وصاحِبُه يخاف أن يُطلِقَه عليه فيقتُلَه، فحينئذٍ لا حَرَجَ أن تبادِرَه بالقَتلِ؛ لأنَّ هذا الصَّائِلَ ربَّما لا يعطيكَ فُرصةً أن تدفعَه بيدِك مثلًا، أو تصيحَ به، أو ما أشبَهَ ذلك، وحينئذٍ لا بأسَ أن تَبدُرَه بالقَتلِ) ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٩٦).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٩٦).
(٥) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٣٣).

١٨]، فالجواب: أنَّ المرادَ تحملُ إثْمَ قتلي وإثمِك الذي كان مِنك قبلَ قَتْلي، وهذا بحَذْفِ المضافِ، أو أن يكونَ المرادُ ترجِع إلى اللهِ بإثمِ قتْلي وإثمك الذي مِن أجْلِه لم يُتقبَّل قُربانُك[1].

١٠- إذا قيل: كيف جازَ أن يقولَ: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ﴾ مع أنَّه لا يجوزُ للمسلمِ أن يُريد من غيرِه أن يَعصيَ اللهَ؟ فالجواب من عِدَّة وجوه:

الأوَّل: أنَّ المعنى إنِّي أُريد أن تبوءَ بإثمِ قتْلي إنْ قتَلْتَني؛ لأنِّي لا أَقتُلك، فإنْ أنتَ قتلتَني فإنِّي مريدٌ أنْ تبوءَ بإثمِ مَعصيتِك اللهَ في قتْلِك إيَّاي، وهو إذا قتَلَه فهو لا محالةَ باءَ به في حُكمِ الله، فإرادتُه ذلك غيرُ موجِبةٍ له الدُّخولَ في الخطأ.

الثاني: أنَّ المراد: إنِّي أُريد أن تبوءَ بعقوبةِ قتْلي، ولا شكَّ أنه يجوزُ للمظلومِ أن يُريد مِن الله عقابَ ظالِمِه.

الثَّالث: أنَّه رُوِيَ أنَّ الظالم إذا لم يجِدْ يوم القيامة ما يُرضِي خَصمَه أُخِذ مِن سيِّئات المظلومِ وحُمِلَ على الظالم؛ فعلى هذا يجوزُ أن يُقال: إنِّي أُريدُ أن تبوءَ بإثمي في أنَّه يُحمَلُ عليك يومَ القيامة إذا لم تجِدْ ما يُرضيني، وبإثمِك في قتْلِك إيَّاي[2].

١١- قولُه تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا ...﴾ الآية، أصلٌ في دفنِ الميِّت[3].

١٢- أنَّ أفعالَ الحيوانِ كأفعالِ الإنسانِ؛ مخلوقةٌ للهِ وبإرادتِه؛ لقولِه تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[4].

---

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٣٤٠).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٣٣)، ((تفسير الرازي)) (١١/ ٣٤٠).
(٣) يُنظر: ((الإكليل في استنباط التنزيل)) للسيوطي (ص: ١١٠).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٩٩).

١٣- أنَّ الحيواناتِ قد تكونُ مُرشِدةً للبَشرِ كما في هذه القِصةِ؛ الغراب أرْشدَ ابنَ آدَمَ إلى أنْ يَحفِرَ لأخيه ويَدفنَه، وصارتْ سُنَّةَ البَشرِ إلى يومِنا هذا، إلَّا مَن ضلَّ عنِ الصِّراطِ المستقيمِ؛ لقولِه تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا﴾[(١)].

١٤- يُستفادُ مِن قولِه: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا﴾ أنَّ الله سُبحانَه تعالى يُيسِّرُ للإنسانِ إذا ضاقتْ به الأرضُ ما لم يطرأْ له على بالٍ؛ فإنَّ هذا الرَّجُلَ ضاقتْ عليه الأرضُ؛ ماذا يَصنَعُ بأخيه الذي قتلَه؟ إلى أن بعَث اللهُ هذا الغرابَ[(٢)].

١٥- يُستفادُ مِن قولِه: ﴿كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ أنَّ الواجبَ في الدَّفْنِ ما تُوارَى به السَّوأةُ، أي: ما يُغطَّى به الجِسمُ، لكنَّ العلماء رحِمهم الله زادوا على ذلِك شرطًا لا بدَّ منه، وهو أن يكونَ الدفنُ مانعًا من وصولِ السِّباع إليه، ومن خروجِ رائحَتِه[(٣)].

١٦- يُستفادُ مِن قولِه: ﴿كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ أنَّ بدَنَ الميِّتِ كلَّه عورةٌ؛ لأنَّ القبر يُواري البدنَ كلَّه؛ ولهذا قال العلماءُ رحمهم الله: إنَّ بدَنَ الميِّتِ كلَّه عورةٌ، لكن هذا بالنسبة إلى وجوبِ تَعميمِ الكفنِ لا بالنِّسبةِ للنَّظَرِ[(٤)].

١٧- في قولِه تعالَى: ﴿كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ مَشهدٌ عظيمٌ؛ وهو مشهدُ أوَّلِ حَضارةٍ في البَشر، وهي مِن قَبيلِ طلبِ سَتْرِ المشاهِدِ المكروهةِ، وهو أيضًا مشهدُ أوَّلِ عِلمٍ اكْتَسبَه البشرُ بالتَّقليدِ وبالتَّجرِبةِ، وهو أيضًا مَشهدُ أوَّلِ مظاهرِ تلقِّي البشرِ معارفَه من عوالمَ أضعفَ منه، كما تَشبَّه الناسُ بالحيوانِ في الزِّينةِ، فلَبِسوا

---

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ١٢٣)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٢٩٦)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٢٨٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٠٠).

(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ١٢٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٠١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٠٢).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

الجلودَ الحسنةَ الملوَّنة، وتكلَّلوا بالرِّيشِ المُلوَّن، وبالزُّهورِ والحجارةِ الكريمةِ[١].

١٨- يُستفادُ مِن قَوْلِه: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ﴾ أنَّ فاعلَ المعصيةِ إذا لم يتُبْ فإنَّه يُجازَى بالخسرانِ والنَّدمِ، وضِيقِ النَّفْس[٢].

١٩- قولُه تعالَى: ﴿مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ فيه دليلٌ على أنَّ القتلَ يجوزُ بأحدِ أمرينِ: إمَّا أن يَقتُل نفْسًا بغيرِ حقٍّ متعمِّدًا في ذلك، فإنَّه يَحِلُّ قتْلُه، إنْ كان مُكلَّفًا مُكافِئًا، ليس بوالدٍ للمقتولِ، وإمَّا أنْ يكونَ مُفسِدًا في الأرض، بإفسادِه لأديانِ الناسِ أو أبدانِهم أو أموالِهم، كالكفَّارِ المرتدِّينَ والمحاربينَ، والدُّعاةِ إلى البِدعِ الذين لا ينكَفُّ شَرُّهم إلَّا بالقَتْلِ، وكذلك قُطَّاعُ الطريقِ ونحوُهم، ممَّن يَصولُ على الناس لقَتْلِهم، أو أخْذِ أموالِهم[٣].

٢٠- إثباتُ العلةِ للأحكامِ الشرعيَّة؛ لقوله: ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ﴾ وهذه مِن أقوى صِيَغ التَّعليلِ، وإثباتُ العلَّة والحكمةِ لا شكَّ أنَّها مِن كمالِ الله عزَّ وجلَّ، فاللهُ تعالى لا يُشرِّع شيئًا إلا لحكمةٍ، ولا يُقدِّر شيئًا إلا لحكمةٍ[٤].

٢١- يُستفادُ مِن قولِه: ﴿مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ أنَّ اللهَّ عزَّ وجلَّ ضاعَفَ العقوبةَ على كلِّ مَن قتَلَ نفسًا بغير نفْسٍ أو فسادٍ في الأرضِ؛ حيث جعَلَه كالذي قتَل الناسَ جميعًا[٥].

٢٢- يُستفادُ مِن قولِه: ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٧٤).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٠٣).
(٣) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٩).
(٤) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٠٩).
(٥) ينظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٣١٢).

﴿قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ...﴾ جوازُ تخصيصِ مُعيَّنٍ في الحُكم وإنْ كان عامًّا؛ لكونِه أكثرَ الناسِ عملًا به؛ وجْهُه أنَّ الله خصَّ هذه الكتابةَ على بني إسرائيل مع أنَّها عامَّة؛ لأنَّهم هم أكثرُ مَن انتَهَكوا حُرماتِ اللهِ عزَّ وجلَّ بقتْلِ النُّفوسِ(١).

٢٣- يُستفادُ مِن قولِه: ﴿أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، أنَّ الفسادَ في الأرض مبيحٌ لقتْلِ النَّفْس، ولكنَّه مقيَّدٌ بالأدلَّة الأخرى الدالَّةِ على أنَّه ليس كلُّ فسادٍ يُبيح قتْلَ النَّفسِ، بل منه ما يُبيحُ القتلَ، ومِنه ما يُبيح دونَه، فتُحمَل هذه الآيةُ على النُّصوصِ الدالَّة على التَّخصيصِ(٢).

٢٤- يُستفادُ مِن قولِه: ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ أنَّ إنقاذَ المعصومِ كإنقاذِ جميعِ المعصومينَ؛ اعتبارًا بالجِنس، فمَن أنقَذَ معصومًا من هَلَكةٍ، فكأنَّما أنقذَ النَّاسَ جميعًا باعتبارِ الجِنس، كما أنَّ مَن كذَّب رسولًا، فكأنَّما كذَّب جميعَ الرُّسلِ(٣).

٢٥- قوله: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ ﴿رُسُلُنَا﴾: الَّذين أرسلَهم اللهُ عزَّ وجلَّ، فأضافَ الرُّسلَ إليه؛ لأنَّه هو الذي أرْسلَهم، وربَّما نقول: وتشريفًا لهم؛ لأنَّ الرسولَ يَشْرُفُ بشرفِ مُرسِله، فاللهُ عزَّ وجلَّ شرَّفهم بإضافةِ رِسالتهم إليه جلَّ وعلا، وقد تأتي الرسالةُ مضافةً إلى المرسَل إليهم، مِثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ [الأعراف: ١٠١]، ولا تناقُضَ بينهما، فهم رسلُ اللهِ؛ لأنَّه هو الذي أرسلَهم، ورسلٌ إلى الخَلْق؛ لأنَّهم بلَّغوهم رسالاتِ

(١) ينظر: ((المصدر السابق)).

(٢) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣١٥).

(٣) ينظر: ((المصدر السابق)).

اللهِ عزَّ وجلَّ[١].

٢٦- أنَّ مَن لم تَبْلُغْه الرسالةُ فهو معذورٌ؛ لقولِه: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾، وهذا لإقامةِ الحُجَّة عليهم، والنُّصوصُ في هذا واضحةٌ؛ قال الله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[٢] [النساء: ١٦٥].

٢٧- يُستفادُ مِن قولِه: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ مَحبَّةُ اللهِ عزَّ وجلَّ للإعذارِ وإقامةِ الحُجَّةِ؛ حيثُ جعَل مع كلِّ رسولٍ آيةً بيِّنةً يُؤمِنُ على مِثلِها البشرُ، حتَّى لا يقولَ الناسُ: مَن قال: إنَّ هذا رسولٌ؟ أينَ البيِّنةُ على أنَّ هذا رسولٌ؟ فإذا جاءَ بالآياتِ البيِّناتِ قامتِ الحُجَّةُ[٣].

٢٨- يُستفادُ مِن قولِه: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ العلمُ بشراسةِ بني إسرائيلَ، وأنَّهم أهلُ الغَطْرسةِ والاستكبارِ والتَّكذيب، وأنَّ بني إسرائيلَ مع الرُّسلِ المبيِّنينَ لم يَهتدوا، بل كثيرٌ منهم- بعدَ هذا البيانِ، وبعدَ هؤلاءِ الرُّسلِ- مُسرِفونَ مُتجاوِزون للحدِّ[٤].

بَلاغَةُ الآياتِ:

١- **قوله:** ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾:

- فيه إيجاز بالحذف، والتقدير: كأنَّه قال: لِمَ تقتلُني؟ قال: لأنَّ قُربانك صار

(١) ينظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٣٠٨).
(٢) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣١٦).
(٣) ينظر: ((المصدر السابق)).
(٤) ينظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٣١٨).

مقبولًا، فقال: وما ذنبي؛ ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[(١)]؟!

- وفيه تعريض؛ إذ المعنى: إنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ المتَّقين، لا مِن غَيرِهم، وإنَّما تقبَّلَ قُرباني، وردَّ قُربانَك لِمَا فينا من التَّقوى وعَدمِه، أي: إنما أُتِيتَ من قِبَلِ نفْسِك لا مِن قِبَلي؛ فلماذا تَقتُلني؟! ولم يُصرِّحْ بذلك؛ بل سَلَك مَسْلَكَ التَّعريضِ حَذَرًا من تهييجِ غَضَبِه، وحملًا له على التقوى، والإقلاعِ عمَّا نواه[(٢)].

٢- قوله: ﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ﴾: جملة اسميَّة مُصدَّرة بـ(ما) الحجازيَّة المفيدة لتأكيد النَّفي بما في خبرها ﴿بِبَاسِطٖ﴾ من الباء؛ للمبالغة في إظهار براءتِه عن بَسْطِ اليد، وللتبرِّي عن هذا الفِعل الشَّنيع رأسًا، والتحرُّز من أن يُوصَفَ به، ويُطلَق عليه[(٣)].

٣- قوله: ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ﴾ فيه تشبيهٌ؛ حيثُ شبَّه قَتْلَ أخيه بشيءٍ مُتعاصٍ عنه ولا يُطيعه؛ بسببِ معارضةِ التعقُّلِ والخشيةِ؛ وشُبِّهتْ داعيةُ القتْلِ في نفْسِ القاتِلِ بشخصٍ يُعِينُه، ويُذلِّلُ له القتْلَ المتعاصِيَ[(٤)].

- وفيه: إطنابٌ حسَنٌ، وكان مقتضَى الإيجازِ أنْ يَحذف ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ﴾، ويَقتصر على قولِه: ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾، لكن عدَلَ عن ذلك؛ لقصدِ تفظيعِ حالةِ القاتلِ في تصويرِ خواطرِه الشِّرِّيرة، وقَساوة قلبِه؛ إذْ حدَّثه بقَتْلِ مَن كان شأنُه الرحمةَ به والرِّفقَ[(٥)].

---

(١) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٣٣٩)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٢٨).

(٢) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٢٦، ٢٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٧٠).

(٣) ينظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٢٥)، ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١٢٢)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٢٩)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٢٧).

(٤) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٧٢).

(٥) ينظر: ((المصدر السابق)).

٤- قوله: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا ٱلْغُرَابِ﴾: الاستفهامُ فيه للإنكارِ والنَّفي[١].

٥- قوله: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ فيه: تشبيهٌ تَمثيليٌّ، ومناطُ التَّشبيهِ اشتراكُ فِعلَي القتْلِ في هتْك حُرمةِ الدِّماءِ والتجرُّؤِ على الله، وتَشجيعِ النَّاس على القتلِ، والمقصودُ مِن تشبيهِ قتلِ النَّفسِ الواحدةِ بقتْلِ النُّفوسِ: المبالغةُ في تَعظيمِ أمرِ القَتْلِ العَمْدِ العُدوانِ، وتَفخيمُ شأنِه، يعني كما أنَّ قَتْلَ كلِّ الخَلقِ أمرٌ مُستعظَمٌ عند كلِّ أحدٍ، فكذلك يجبُ أن يكونَ قتلُ الإنسانِ الواحدِ مُستعظَمًا مَهِيبًا، فالمقصودُ مشاركتُهما في الاستعظامِ، لا بيانُ مشاركتِهما في مِقدارِ الاستعظامِ[٢].

والتشبيهُ بين قاتِلِ النَّفسِ وقاتِلِ الكلِّ قد يَحصُل مِن ثلاث جِهاتٍ لا مِن جميعها. إحداها: القَوَد-القِصاص-؛ فإنَّه واحدٌ. والثانية: الوعيدُ؛ فقد وعَدَ اللهُ قاتلَ النَّفسِ بالخلودِ في النَّار. والثالثة: انتهاكُ الحُرمةِ؛ فإنَّ نفسًا واحدةً في ذلك وجميعَ الأنفسِ سواءٌ، والمنتهِك في واحدةٍ ملحوظٌ بعينِ مُنتَهِكِ الجميعِ[٣].

٦- قوله: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ فيه: تشبيهٌ؛ حيث شبَّه الواحدَ بالجميعِ وجعَل حُكمَه كحُكمِهم؛ لأنَّ كلَّ إنسانٍ يُدلَى بما يُدلَى به الآخرُ من الكرامةِ على الله، وثبوتِ الحُرمةِ، فإذا قُتِل فقدْ أُهينَ ما كَرُم على اللهِ، وهُتِكتْ حُرمتُه، وعلى العكس؛ فلا فرقَ إذَنْ بين الواحدِ والجميعِ في ذلك، والفائدةُ في ذِكْر ذلك هي: تعظيمُ قَتْلِ النَّفْسِ وإحيائِها في القلوبِ؛ ليشمئزَّ الناسُ عن الجَسارةِ عليها، ويَتراغَبوا في المحاماةِ على حُرمتِها؛ لأنَّ

(١) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٣٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٧٣).
(٢) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٣٤٤)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٣٠)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحيي الدين درويش (٢/ ٤٦٣).
(٣) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٣٨).

المتعرِّضَ لقَتْلِ النَّفسِ إذا تَصوَّرَ قتْلَها بصورةِ قتْلِ الناسِ جميعًا عَظُمَ ذلك عليه؛ فثبَّطَه، وكذلِك الذي أرادَ إحياءَها[١].

٧- قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾: تَذييلٌ لحُكمِ شَرْعِ القِصاصِ على بَني إسرائيلَ، وهو: خبرٌ مُستعمَلٌ في الكِنايةِ عن إعراضِهم عن الشَّريعة، وأنَّهم- مع ما شُدِّد عليهم في شأنِ القتلِ- لم يَزالوا يَقتُلون، كما أشْعَر به قولُه: ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾، أي: بعدَ أنْ جاءتْهم رسُلُنا بالبيِّناتِ، وحُذِف مُتعلَّق (مُسْرِفون)؛ لقَصدِ التَّعميمِ، والمرادُ: مُسرِفون في المفاسدِ التي مِنها قتْلُ الأنفسِ[٢].

- وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾: فيه تقديمُ الجارِّ والمجرورِ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ على الخبرِ ﴿لَمُسْرِفُونَ﴾؛ للاهتمامِ، وهو يُفيدُ زيادةَ تفظيعِ الإسرافِ فيها مع أهميَّةِ شأنها[٣].

- وفيه مِن الفَصاحةِ: تأكيدُ الخبرِ؛ إذ الحاجةُ تدْعو إلى تأكيدِ الخبرِ، والمقامُ يَدعو إلى توكيدِ الخبرِ، وإنْ كان المخبِرُ من أهلِ الصِّدق، حتَّى يَطمئنَّ المخاطَبُ، وقد أُكِّدَ هذا الخبرُ بمؤكِّدين، وهما: ﴿إِنَّ﴾ واللام في ﴿لَمُسْرِفُونَ﴾[٤].



(١) ينظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٢٦).
(٢) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٧٩).
(٣) ينظر: ((المصدر السابق)).
(٤) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ١٢٧)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٢٩٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣١٨).

الآيتان (٣٣ - ٣٤)

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤﴾.

غريبُ الكَلِمات:

﴿يُصَلَّبُوٓاْ﴾: يُعلَّقُوا، وتُشدَّ أَصلابُهم على خَشَبٍ للقَتْلِ(١).

﴿مِّنۡ خِلَٰفٍ﴾: أي: يُخالَفُ بين الأيدي والأرْجُلِ في القَطعِ؛ فتُقطَعُ اليدُ اليُمنَى مع الرِّجلِ اليُسرى، والعكس(٢).

﴿يُنفَوۡاْ﴾: أي: يُطْرَدوا، وقيل: يُسجَنُوا ويُحبَسُوا؛ لأنَّ المحبوسَ بمنزلةِ المطرودِ مِن الدُّنيا، وأَصْلُ (نفي): الطَّردُ، وتَعريةُ شيءٍ مِن شيءٍ، وإبعادُه منه(٣).

﴿خِزۡيٞ﴾: هوانٌ وهلاكٌ، وأصل الخِزي: الإبعادُ(٤).

المَعنَى الإجْماليُّ:

يُخبِرُ تعالى أنَّ جزاءَ مَن يُبارِزونَ اللهَ بالعداوةِ، ويَعْتَدون على أحكامِ دِينِه،

(١) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٣٠١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٨٩).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٢١٤)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ١١٦)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٥٠).

(٣) يُنظر: ((العين)) للخليل بن أحمد (٨/ ٣٧٥)، ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٨٩)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٤٥٦)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: ٣١٧).

(٤) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٦١)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٢١٥)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ١٧٩)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٨٥).

ويُفسِدون في الأرضِ بالكُفرِ وعَمَلِ المعاصي؛ مِن إخافةِ السُّبُل، ومِن قَطْعٍ للطُّرق، واغتصابٍ للأموالِ، وانتهاكٍ للحُرُماتِ- يُخبِرُ أنَّ جزاءَهم القَتْلُ، أو الصَّلْبُ، أو أنْ تُقطَّعَ أيديهم اليُمنى مع الأَرْجُل اليُسرى، أو يُطْرَدوا مِن البلدِ الذي هم فيه إلى غَيرِه، تِلك العقوبةُ لهم ذُلٌّ وفضيحةٌ في الدنيا، ولهم في الآخِرة عذابٌ عظيمٌ؛ هو عذابُ جَهنَّم.

واسْتَثنى الله تعالى مِنهم مَن تاب، وترَكَ محاربةَ اللهِ والسَّعيَ في الأرضِ بالفسادِ مِن قَبلِ أنْ يَقدِرَ عليهم أُولو الأمرِ، فإنْ أتَوْا تائِبينَ نادمينَ، فاعلموا- أيُّها المؤمنون- أنَّ اللهَ غفورٌ؛ فلن يُؤاخِذَهم بذُنُوبهم لا في الدُّنيا ولا في الآخِرة، بلْ يَغفِرُها لهم، ورحيمٌ؛ إذ عفا عنهم، ورفَع عنهم العِقابَ.

تَفسيرُ الآيتين:

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾.

مناسَبَةُ الآيةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا ذَكَر اللهُ في الآيةِ الأُولى تغليظَ الإثمِ في قَتْلِ النَّفسِ بغيرِ حقٍّ، أتْبعَه ببيانِ الفسادِ الذي يُوجِبُ القتلَ؛ فإنَّ بعضَ ما يكون فسادًا في الأرضِ لا يُوجِبُ القتلَ، فقال[1]:

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾.

أي: إنَّ جزاءَ مَن يُبارزونَ اللهَ تعالى ورسولَه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بالكُفرِ

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٣٤٥) ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٣٩)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٣٠٣).

والعداوةِ، ويُضادُّونَ اللهَ ورسولَه بالاعتداءِ على أحكامِ الدِّين، فيفعلون المنهياتِ، ويَترُكون المأموراتِ على وجهِ الاستكبارِ والعِنادِ(١).

﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا﴾.

أي: ويُسارِعونَ في عمَلِ المعاصي في أرضِ الله؛ مِن إخافةِ سُبلِ المؤمنين، أو سُبلِ أهلِ ذِمَّتِهم، وقَطْعِ طُرُقهم، واغتصابِ أموالِهم، وانتهاكِ حُرَمِهم(٢).

﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ﴾.

أي: جزاءُ أولئك الذين يَفعلونَ ذلك؛ القتلُ(٣).

﴿أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ﴾.

أي: أو(٤) يُوضَعَ الجناةُ مَشدودينَ على خَشبةٍ ونحوها؛ قيل: لقَتْلِهم، وقيل:

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٧٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٩٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٢٩-٢٣٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣١٩).
قال ابنُ الجوزي: (وقال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ: أراد بالمحاربةِ للهِ ورسولِه، الكفرَ بعدَ الإسلامِ، وقال مقاتلٌ: أراد بها الشِّرك) ((زاد المسير)) (١/ ٥٤٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٧٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٩٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣١٩).
قال ابنُ جريرٍ: (عن مجاهدٍ: ﴿ويسعون في الأرض فسادا﴾ قال: الفسادُ: القتلُ، والزِّنا، والسَّرقة) ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٧٢).
قال ابنُ الجوزيِّ: (قولُه تعالى: ﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا﴾ فيه أربعةُ أقوالٍ: أحدُها: بالمعاصي، قاله ابنُ عبَّاس، ومُقاتل) ((زاد المسير)) (١/ ٥٦٧).
قال السعدي: (والمشهورُ أنَّ هذه الآيةَ الكريمةَ في أحكامِ قطَّاعِ الطريقِ، الذين يَعرِضون للنَّاس في القُرَى والبوادي، فيَغْصِبونهم أموالَهم، ويقتلونهم، ويُخيفونهم، فيمتنعُ النَّاس مِن سُلوكِ الطَّريق التي هم بها، فتنقطعُ بذلك) ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٨١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٢٠).

(٤) اختلَف أهلُ العِلم في معنى ﴿أَوۡ﴾ التي تكرَّرت في هذه الآيةِ الكريمة، فقِيل: هي للتخييرِ،

بلْ يُصلَبوا بعدَ قتْلِهم، وقيل غيرُ ذلك[١].

﴿أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ﴾.

أي: أو تُقطَّعَ أيديهم اليُمنَى وأَرْجُلهم اليُسرى؛ ويكونُ القطعُ في اليدِ مِن

فيفعلُ الإمامُ أو نائبُه ما رآه المصلحةَ مِن هذه الأمورِ المذكورة.

وممَّن قال مِن السَّلفِ: إنَّ ﴿أَوۡ﴾ هنا للتخييرِ: ابنُ عبَّاس -في رواية عنه- ومجاهد، وإبراهيم، وعطاء، ورِواية عن الحسن، وسعيد بن المسيَّب. ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٧٨).

وقيل: للتَّنويع، وأنَّ هذه العقوباتِ تختلفُ بحسبِ الجرائمِ.

وممَّن قال مِن السَّلف: إنَّ ﴿أَوۡ﴾ هنا للتَّنويعِ: ابنُ عبَّاس -في روايةٍ عنه- وإبراهيمُ، وأبو مِجْلَز، والحسن، وقتادة، والسُّدِّي، وعطاء الخُراساني، وسعيد بن جُبَير، والربيع، ومُورِّق العِجلي. ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٧٣).

قال ابنُ جرير: (وأَوْلى التأويلين بالصَّواب في ذلك عندنا: تأويلُ مَن أوجبَ على المحاربِ مِن العقوبةِ على قدْرِ استحقاقِه، وجعَل الحُكم على المحاربين مختلفًا باختلافِ أفعالِهم) ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٨١).

ينظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٠)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (١/ ٣٩٤-٣٩٥)، ((العذب النمير)) للشنقيطي (٢/ ٤٨٩-٤٩٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٢٣- ٣٢٤).

(١) قال ابنُ عَطيَّة: (أمَّا صَلبُه فجمهورٌ مِن العلماء على أنَّه يُقتَل ثم يُصلَب نكالًا لغيره، وهذا قول الشافعيِّ، وجمهورٍ مِن العلماء على أنه يُصلَبُ حيًّا، ويُقتَل بالطَّعن على الخَشبةِ، ورُوي هذا عن مالكٍ وهو الأظهرُ من الآية، وهو الأَنْكَى في النَّكَال) ((تفسير ابن عطية)) (٢/ ١٨٥)، وينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٨٣).

وقال الشنقيطي: (الظاهر أنه يُصلَب بعد القتل زمنًا يحصُل فيه اشتهارُ ذلك؛ لأنَّ صَلْبَه رَدعٌ لغيره) ((أضواء البيان)) للشنقيطي (١/ ٣٩٦).

وقال ابنُ عُثَيمين: (قولُه: ﴿أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ﴾ يعني: يُصلَّبون، وهل المراد الصَّلب بعد القتْل؛ فيكون الجمع بين الأمرين؟ أو هو صلبٌ فقط دون قتْل؟ ظاهرُ الآيات الكريمة الثاني أن يُصلَب حتى يفتضح بجنايتِه، ثم بعدَ ذلك يَنظر وليُّ الأمر فيه بما يراه مناسبًا، لكن المعروف أنَّ الصلب يكون بعدَ القتل، وقيل: يُصلَّبون قبلَ القتل، فالأقوالُ ثلاثة: الرأي الأوَّل: يُصلَّبون بعد القتْل، والرأي الثاني: يُصلَّبون قبْلَ القتْل، والرأي الثالث: أنَّ الصَّلبَ عقوبةٌ منفردةٌ، يعني: ليست مركَّبة مع القتل، وهذا القولُ هو ظاهرُ الآية) ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٣٢٠- ٣٢١).

مَفْصِلِ الكفِّ مِن الذِّراعِ، ويكونُ القطعُ في الرِّجلِ من مَفْصِلِ القدَمِ من العَقبِ[١].

﴿أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾.

أي: أو يُطرَدُوا مِن البلدِ الذي هُم فيه إلى بلدٍ غيرِه[٢].

﴿ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾.

أي: هذا الجزاءُ الذي جُوزُوا به؛ ذُلٌّ وعارٌ وفَضيحةٌ لهم في الدُّنيا[٣].

﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

أي: ولهم مع ذلك عذابٌ أُخْرويٌّ، وهو عذابُ جهنَّمَ[٤].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٨٣- ٣٨٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٢١).

(٢) فيُطرَد مِن البَلد الذي حارَب فيه اللهَ ورسولَه، وسعى فيه بالفساد، وهذا اختيارُ ابنِ عطيةَ في ((تفسيره)) (٢/ ١٨٥)، والقرطبيِّ في ((تفسيره)) (٦/ ١٥٣)، وابنِ عثيمينَ في ((تفسير سورة المائدة)) (١/ ٣٢١، ٣٢٤).

وقيل: بل المرادُ إخراجُه من وطنِه؛ لأنَّ مفارقة الأوطان أمرٌ شاقٌّ على النفوس، وهذا اختيارُ ابن عاشور في ((تفسيره)) (٦/ ١٨٤)، والشنقيطي في ((أضواء البيان)) (١/ ٣٩٦). ونَسبَه لابن جرير. لكن قال ابن جرير: (وأَوْلى الأقوال في ذلك عندي بالصَّواب قولُ مَن قال: معنى النَّفي من الأرض في هذا الموضع: هو نفيُه مِن بلدٍ إلى بلدٍ غيرِه، وحبْسُه في السجن في البلدِ الذي نُفِي إليه، حتى تظهرَ توبتُه من فُسوقِه، ونُزوعُه عن معصيتِه ربَّه) ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٨٩). ولم يُحدِّد البلدَ التي يُنفى منها.

وممَّن قال من السَّلف نحوَ هذا القول: سعيدُ بن جُبَير. ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٨٧).

وقيل: يُحبس في البلدة التي نُفي إليها، وهذا اختيارُ ابن جرير في ((تفسيره)) (٨/ ٣٨٩).

وقيل: معنى النَّفي من الأَرض: الحبسُ في السِّجن؛ لأنَّ المسجونَ بمنزلةِ المُخرَجِ من الدُّنيا، وهذا اختيارُ الواحديِّ في ((الوجيز)) (ص: ٣١٧).

وقِيل غيرُ ذلك. يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٠٠- ١٠١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٩٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٠١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٢١).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٣٩٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٠١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٠).

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤ ﴾.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡ ﴾.

أي: ما عدَا مَن رجَعُوا إلى اللهِ تعالى، وكفُّوا عن مُحاربةِ اللهِ ورسولِه وعن سَعيِهم في الأرضِ بالفسادِ، فوَضَعوا السِّلاحَ، وكفُّوا عن قَطْعِ الطَّريقِ من تِلقاءِ أنفسِهم، قبلَ أن تَقْدِروا عليهم[١].

﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾.

أي: فاعْلَموا - أيُّها المؤمنون - أنَّ اللهَ تعالى غيرُ مُؤاخِذٍ مَن تاب منهم بذُنوبه، ولكنَّه يَسترُها، ويَتجاوزُ عن المؤاخذةِ بها، في الدُّنيا والآخِرة، فيُسقِطُ عنه ما وجَب عليه من عُقوباتٍ، وهو رحيمٌ به إذْ عفَا عنه، ورفَع ما عليه مِن عقابٍ[٢].

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِف:

١- يُستفادُ مِن قولِه: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٠١- ٤٠٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٠٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٢٢).

قال الرازي: (لا خلافَ أنَّ هذا الاستثناءَ راجعٌ إلى ما تقدَّم من أوَّل الآيةِ، وأنَّ التوبةَ حاصلةٌ لهؤلاء جميعًا) ((تفسير الرازي)) (٢٣/ ٣٢٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٠٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٢٢).

قال السعديُّ: (فيَسقُطُ عنه ما كان للهِ، مِن تحتُّم القتْلِ والصَّلْبِ والقَطعِ والنَّفي، ومِن حقِّ الآدميِّ أيضًا، إنْ كان المحاربُ كافرًا ثم أسْلَم، فإنْ كان المحاربُ مُسلمًا فإنَّ حقَّ الآدميِّ لا يسقُطُ عنه من القَتْل وأخْذ المالِ، ودلَّ مفهومُ الآية على أنَّ توبة المحاربِ- بعد القُدرة عليه- أنها لا تُسقِط عنه شيئًا، والحكمة في ذلك ظاهرة) ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٠).

وقال الشنقيطي: (الإجماعُ على سقوطِ حدودِ الله عنهم بتوبتِهم قبلَ القُدرة عليهم) ((أضواء البيان)) (١/ ٣٩٩).

﴿ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ ...﴾ الآية: عِظمُ جريمةِ محاربةِ اللهِ ورسولِه، وأنَّ الإنسانَ إذا حاربَ الله ورسوله فإنَّه يُخشَى عليه؛ وذلك لعِظَمِ العقوبةِ، فإنَّ عِظَمَ العقوبةِ يدلُّ على عِظَم الجريمةِ[1].

١- قوله: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ ...﴾ يقتضي وُجوبَ عِقابِ المحارِبين بما ذكر الله فيها، لأنَّ الحصرَ يفيدُ تأكيدَ النِّسبةِ[2].

٢- يُفيدُ قولُه: ﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ ...﴾ الآية: أنَّ اللهَ تعالى يُريدُ مِن عِبادِه أنْ يُطهِّروا الأرضَ مِن الفساد؛ ولذلك عاقَبَ الذين يَسعَونَ في الأرضِ فسادًا بهذه العقوبةِ العظيمةِ[3].

١- ممَّا تُفيدُه الآيةُ أنَّ قُطَّاعَ الطريقِ يُجمَعُ لهم بين العُقوبةِ في الدُّنيا والآخِرَةِ؛ لقولِه: ﴿ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[4].

٣- أنَّ هؤلاءِ المجرِمينَ مع عِظَمِ جُرمِهم إذا تابوا قبلَ القُدرةِ عليهم سقَطَ عنهم الحدُّ[5]، ويُؤخَذُ سقوطُ الحدِّ من قولِه تعالى: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[6].

٢- استُدلَّ بقولِه تعالى: ﴿مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡ﴾ أنَّه إذا كانتِ التوبةُ قَبلَ القُدرةِ عليه تَمنَعُ من إقامةِ الحدِّ في الحَرابةِ؛ فغيرها مِن الحدودِ- إذا تاب مِن

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٢٢).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٨١).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٢٣).
(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٣٢٧).
(٥) يُنظر: ((الموسوعة الفقهية الكويتية)) (١٧/ ١٣٣).
(٦) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٢٧)

فِعلها قبلَ القُدرةِ عليه- مِن باب أَوْلى[١].

بَلاغَةُ الآيتين:

١- قولُه: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ ...﴾: كلامٌ مُستأنفٌ سِيقَ لبيانِ حُكمِ نوعٍ من أنواعِ القتلِ، وما يَتعلَّقُ به من الفسادِ بأَخْذ المالِ ونظائرِه، وتَعيينِ موجِبه العاجلِ والآجلِ، إثرَ بيانِ عِظَمِ شأنِ القَتلِ بغيرِ حقٍّ في قولِه: ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ ...﴾، وأُدرِجَ فيه بيانُ ما أُشيرَ إليه إجمالًا من الفَسادِ المبيحِ للقَتْل[٢].

٢- قوله: ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ ...﴾ التعبيرُ بصِيغة التفعُّل في هذه الأفعالِ؛ للمُبالغةِ في العُقوباتِ (القتل، والصلب، والقطع)، وقد قُصِد من المبالغةِ هنا إيقاعُه بدون لِين ولا رِفق؛ تشديدًا عليهم[٣].

٣- قوله تعالى: ﴿لَهُمۡ خِزۡيٞ﴾ فيه تقديمٌ وتأخيرٌ؛ ليفيدَ أنَّه خاصٌّ بهم دونَ الأفرادِ الذين يَعملونَ مِثلَ عَملِهم مِن غيرِ أن يكونوا مُحارِبينَ، ومُغترِّين بالقوَّةِ والعصبيَّة[٤].

---

(١) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٠).

لا خلافَ بينَ الفقهاءِ في أنَّ حدَّ قطَّاع الطريقِ يسقطُ بالتوبةِ إذا تحقَّقت قبلَ القدرةِ عليهم، أما بقية الحدود فمذهبُ الحنفيةِ والشافعيةِ في مقابلِ الأظهرِ، والحنابلةِ في روايةٍ أنَّها تسقطُ بالتوبةِ أيضًا قبلَ أن تُرفعَ للحاكمِ. ينظر: ((الموسوعة الفقهية الكويتية)) (١٧/ ١٣٣، ١٣٤).

وقطَّاعُ الطريقِ وإن سقطتْ عنهم حدودُ الله تعالى بالتوبةِ قبلَ القُدرةِ عليهم، لكن يبقَى عليهم القصاصُ في النَّفس والجراحِ، وغرامةِ المالِ، والدِّية لما لا قصاصَ فيه، إلا أن يُعفى لهم عن ذلك، وهذا لا خلافَ فيه بينَ أهلِ العلمِ. ينظر ((المغني)) لابن قدامة (٩/ ١٥١).

(٢) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٣١).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٨٣).

(٤) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٣٠١).

الآيات (٣٥ - ٣٧)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٣٦) يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٣٧) ﴾.

غريبُ الكَلِمات:

﴿وَابْتَغُوا﴾: واطْلُبوا، مِن بغَى الشَّيءَ، أي: طَلَبَه[١].

﴿الْوَسِيلَةَ﴾: القُربَة، والزُّلفَى؛ يقال: تَوسَّل إليَّ بكذا، أي: تَقرَّب، وحقيقةُ الوَسيلَةِ إلى اللهِ تعالى: مُراعاةُ سَبيلِه بالعِلمِ والعِبادَةِ، وتحرِّي مكارِمِ الشَّريعةِ، وأصلُ الوسيلةِ: التوصُّلُ إلى الشيءِ برغبةٍ[٢].

﴿لِيَفْتَدُوا بِهِ﴾: لِيَتحامَوْا ببذلِه، والفِدَى والفِداء: حِفظُ الإنسانِ عنِ النائبةِ بما يَبذُلُه، والبَدَلُ من الشَّيءِ؛ صيانةً له، وأَصْلُ (فدي): جَعْلُ شَيءٍ مكانَ شَيءٍ حِمًى له[٣].

المَعنَى الإجْمالِيُّ:

يَأمُرُ اللهُ المؤمنينَ بتَقواه، وطلَبِ القُربِ منه، والجهادِ في سَبيلِه؛ حتَّى يُفلِحوا

---

(١) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٢٧١)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٢٤٧).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٣)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٧١)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨٢)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٥٠)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٩٤٦).

(٣) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٤٨٣)، ((المفردات)) للراغب (٢/ ١٨١)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٩٧).

بأنْ يَنجُوا ممَّا يخافون، ويَحصُلوا على ما يَطْمَعونَ، ويَسعَدوا سَعادةً أبديَّةً.

ثم أخبَرَ تعالى أنَّ الكُفَّارَ لو أنَّهم يَملِكونَ كلَّ ما في الأرضِ ومِثلَه معه، وأرادوا أنْ يُقدِّموه فِديةً مقابلَ تخلُّصِهم من عذابِ الآخِرةِ؛ فلنْ يَتقبَّلَ اللهُ منهم ذلِك الفِداءَ، ولهم عذابٌ مؤلِم موجِع، يُريد هؤلاء الكفَّار أنْ يَخرُجوا من النَّارِ بعد أن ذاقوا عذابَها، ولن يَخرُجوا منها أبدًا، ولهم عذابٌ دائمٌ.

تَفْسيرُ الآياتِ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥ ﴾.

مناسَبَةُ الآيةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا ذَكَر اللهُ تعالى جزاءَ مَن حارَبَ اللهَ ورسولَه، وسعَى في الأرضِ فسادًا من العقوباتِ الأربَعِ، والعذابِ العظيمِ المُعَدِّ لهم في الآخِرة- أمَرَ المؤمنين بتقوى اللهِ، وابتغاءِ القُرباتِ إليه؛ فإنَّ ذلك هو المُنجِي من المحاربةِ، والعِقابِ المعَدِّ للمحارِبينَ[(١)]، فقال:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾.

أي: يا مَعشرَ المؤمنين، امتثِلوا ما أمَرَكم اللهُ تعالى به، واجتَنِبوا ما نَهاكم عنه، واطْلُبوا القُربَ مِنه، والحظوةَ لديه بالعملِ بما يُرضيهِ عزَّ وجلَّ[(٢)].

(١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٤٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٠٢- ٤٠٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٢٢).

قال ابن كثير في تفسير قوله سبحانه: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾: (عن ابنِ عبَّاس: أي القربةَ. وكذا قال مجاهدٌ وعطاء وأبو وائلٍ، والحسنُ، وقتادةُ، وعبدُ الله بنُ كثيرٍ، والسُّدي، وابنِ زيدٍ. وقال قتادةُ: أي تقرَّبوا إليه بطاعتِه، والعملِ بما يُرضيه. وقرأ ابنُ زيد: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ

ثمَّ خصَّ- تبارَك وتعالى- مِن العباداتِ المقرِّبةِ إليه: الجهادَ في سَبيله؛ فهو مِن أَجلِّ الطَّاعاتِ، وأفضلِ القُرُبات، ومَن قامَ به، فهو على القيامِ بغيره أَحْرَى وأَوْلى[١]، فقال:

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾.

أي: وجاهِدوا- أيُّها المؤمنون- أعداءَ اللهِ تعالى؛ لإعلاءِ كلمتِه سُبحانَه بأموالِكم، وأنفسِكم، وألْسِنتِكم؛ كي تَنجُوا ممَّا تَرْهَبون، وتَظفَروا بما تَرْغَبون، وتُدركوا السَّعادةَ الأبديَّة في جَنَّاتِه[٢].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٣٦﴾.

مناسَبةُ الآيةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا أمَرَ اللهُ تبارَك وتَعالَى عِبادَه المؤمنين أنْ يَتَّقوا اللهَ، ويَبْتغوا إليه الوسيلةَ، ويُجاهدوا في سَبيلِه، وبَيَّن عاقبةَ هذا بأنَّه الفلاحُ- بَيَّن عاقبةَ مَن لم يَقُمْ بذلك من الكفَّار، فقالَ تعالى[٣]:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ﴾.

أي: لو كانَ للكُفَّارِ مُلكُ ما في الأرض كلِّها، ومَلَكوا ضِعْفَه معه[٤].

يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمَّةُ لا خلافَ بينَ المفسِّرين فيه)) ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٠٣).

(١) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٠٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٠٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٣٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٣٧). يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٣٥٠)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٤٢).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٠٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٠٥)، ((تفسير السعدي))

﴿لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾.

أي: وأَرادوا أنْ يُقدِّموا ذلك كلَّه يومَ القِيامةِ فِديةً؛ ليتخلَّصوا بها مِن عذابِ الآخِرة[١].

﴿مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾.

أي: لَمَا تقبَّل اللهُ تعالى منهم ذلِكَ الفِداءَ مهما بذَلُوا، وقدْ حقَّ عليهم عذابٌ مؤلِمٌ، مُوجِع[٢].

كما قال تَعالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٩١].

وعن أنسِ بنِ مَالكٍ رضِيَ اللهُ عنه أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال: ((يُجاءُ بالكافرِ يومَ القِيامةِ فيُقالُ له: أَرأيتَ لو كان لك مِلءُ الأرضِ ذهبًا، أكُنتَ تَفتدي به؟ فيقولُ: نعمْ، فيُقالُ له: قدْ كُنتَ سُئِلتَ ما هو أيسرُ من ذلِك!))[٣].

﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٣٧﴾.

﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَا﴾.

أي: يُريدُ هؤلاءِ الذين كفَروا بربِّهم أنْ يَخرُجوا مِنَ النَّارِ بعدَ دُخولِها، ولكنْ

(ص: ٢٣٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٣٨).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٠٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٠٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٣٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٠٥-٤٠٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٠٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٣٨).

(٣) رواه البخاري (٦٥٣٨) واللفظ له، ومسلم (٢٨٠٥).

أنَّى لهم ذلِك؟! فلن يَخرجُوا منها أبدًا[١].

كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴾ [الحج: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ١٦٧].

﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴾.

أي: ولهم عَذابٌ دائمٌ ثابتٌ، لا يزولُ عنهم، ولا يَنتقِلُ مطلقًا؛ فهم ماكثون فيه أبدًا[٢].

الفوائِدُ التَّربويَّة:

١- توجيهُ النِّداءِ إلى المؤمنين في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ يدلُّ على أنَّ امتثالَ الأمرِ الذي يَعقُبه من مقتضياتِ الإيمانِ، وأنَّ مُخالفتَه نقصٌ في الإيمانِ[٣].

٢- يُستفادُ مِن قولِه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ... ﴾ أنَّه يَنبغي إغراءُ الشخصِ المخاطَبِ بما يَحملُه على الامتثالِ؛ لأنَّ وصْفَ الإنسانِ بالشيءِ الذي يَحملُه على الفِعلِ والامتثالِ لا شكَّ أنَّه يُغريه، ويَزيده نشاطًا، فنقول مثلًا: يا أيُّها الكريمُ، أكْرِمِ الضَّيفَ؛ فإن ذلك يكونُ دافعًا له على إكرامِ الضَّيف[٤].

٣- يُستفادُ مِن قولِه: ﴿ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ أنَّه كلَّما كانتِ العبادةُ تُقرِّبُ إلى اللهِ أكثرَ، كان الاهتمامُ بها أكثرَ؛ لأنَّ الحُكمَ يَدورُ مع عِلَّته، فإذا قيل: اسلكِ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٠٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٤٠- ٣٤١).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٠٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٠٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٠).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٢٩).
(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

الطريقَ المقرِّبَ إلى اللهِ، فإنَّ مِنَ المعلومِ أنَّ ما يكون أقربَ أو أشدَّ تقريبًا فهو أَوْلى[١].

٤- الإشارةُ إلى الإخلاصِ؛ لقوله: ﴿فِي سَبِيلِهِۦ﴾ حيث أضافَه إلى نفْسِه عزَّ وجلَّ؛ إشارةً إلى أنَّه يجبُ على الإنسانِ أنْ يكونَ جهادُه في سبيلِ اللهِ[٢].

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِف:

١- قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ جملة اعتراضيَّة بين آياتِ وعيدِ المحاربينَ وأحكامِ جَزائِهم، وبين ما بَعدَه مِن قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾، وهذه عادةُ القُرآنِ في تخلُّلِ الأغراضِ بالموعظةِ، والترغيبِ والترهيبِ[٣].

٢- لَمَّا أمَرَ الله بترْك ما لا يَنبغي بقولِه: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، وهو شاقٌّ ثقيلٌ على النَّفسِ، وأمر بفِعل ما يَنبغي، بقوله: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾، وكان الانقيادُ لذلك من أشقِّ الأشياءِ على النَّفسِ، وأشدِّها ثقلًا على الطَّبع؛ فلهذا السببِ أردفَ ذلك التكليفَ بقوله: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[٤].

٣- قوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ فيه التَّنبيهُ إلى مَجامِعِ التَّكليفِ؛ فإنَّها محصورةٌ في نَوعينِ لا ثالثَ لهما؛ أحدُهما: ترْكُ المنهيَّات، وإليه الإشارةُ بقوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، وثانيهما: فِعْل المأموراتِ، وإليه الإشارةُ بقولِه تعالى: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾، ولَمَّا كان ترْكُ المنهيَّات مُقدَّمًا على

(١) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٣٣٣).
(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٣٣٦).
(٣) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٨٧).
(٤) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٣٥٠)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ١٣١)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٣١٣).

فِعلِ المأموراتِ بالذَّاتِ؛ لا جرمَ قدَّمه تعالى عليه في الذِّكر؛ لأنَّ التَّرْكَ عبارةٌ عن بقاءِ الشَّيءِ على عَدمِه الأصليِّ، والفِعل هو الإيقاعُ والتَّحصيلُ، ولا شكَّ أنَّ عدَمَ جميعِ المحدَثاتِ سابقٌ على وجودِها، فكان التركُ قبلَ الفِعل لا محالةَ[١].

٤- قولُه تعالى: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ معناه ابتغوا التقرُّبَ إلى الله، وليس المرادُ بالوسيلةِ ما هو معروفٌ عند المتأخِّرينَ، بأنْ يتَّخِذَ الإنسانُ وسائلَ في دُعائِه أو نحو ذلِك؛ فبعض المُحرِّفينَ قال: المرادُ بالوسيلةِ: الوليُّ أو النبيُّ، أو جاهُ النبيِّ أو جاهُ الوليِّ، وهذا تحريفٌ باطِلٌ[٢].

٥- يُستفادُ مِن قولِه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أنَّ مدارَ النَّجاةِ والفلاحِ على ما في نفْسِ الإنسانِ، لا على ما هو خارجٌ عنها، كما يَتوهَّم الكفَّارُ في أمْرِ الفِديةِ[٣].

٦- استدلَّ أهلُ السُّنة بقولِه تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ على أنَّ اللهَ تعالى يُخرِجُ مِن النَّارِ مَن قال: لا إلهَ إلَّا اللهُ مخلصًا؛ لأنَّه تعالى جعَل هذا المعنى مِن تهديداتِ الكفَّار، وأنواعِ ما خوَّفهم به، ولولا أنَّ هذا المعنى يختصُّ بالكفَّارِ لَمَا كان لتخصيصِ الكفَّارِ به معنًى، ويُؤكِّده قولُه: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾، وهذا يُفيدُ الحصرَ، فكأنَّ المعنى: ولهم عذابٌ مقيمٌ لا لغيرِهم[٤].

٧- أنَّ الكفَّارَ الذين هم أهلُ النَّار لن يَخرُجوا منها البتةَ؛ لقولِه: ﴿وَمَا هُم

(١) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٣٤٩).
(٢) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٣١).
(٣) ينظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٣١٢).
(٤) ينظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٣١٧).

بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَا ﴾ وهذا خبرٌ مِن اللهِ عزَّ وجلَّ، وخبرُ اللهِ حقٌّ[١].

٨- قولُه تعالى: ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴾ فيه إشارةٌ إلى ما هو لازِمٌ لهم في الدُّنيا والآخِرةِ مِن الآلامِ النَّفسيَّة: غمًّا وحَزَنًا، وقسوةً وظُلمةَ قَلْبٍ، وجَهلًا، فإنَّ للكُفرِ والمعاصي من الآلامِ العاجِلةِ الدَّائمةِ ما اللهُ به عليمٌ، ولهذا تجِدُ غالِبَ هؤلاء لا يُطيِّبونَ عَيشَهم إلَّا بما يُزيلُ العَقلَ، ويُلهي القَلبَ: مِن تناوُلِ مُسكِرٍ، أو رُؤيةِ مُلْهٍ، أو سَماعِ مُطرِبٍ، ونحوِ ذلك، وبإزاءِ ذلك قولُه في المؤمنين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [التوبة: ٧١] فإنَّ اللهَ يُعَجِّلُ للمُؤمنينَ مِنَ الرَّحمةِ في قلوبِهم، وغيرِها بما يَجِدُونَه من حلاوةِ الإيمانِ، ويَذوقونَه مِن طَعمِه، وانشراحِ صُدورِهم للإسلامِ، إلى غير ذلك مِنَ السُّرورِ بالإيمانِ، والعِلمِ والعَمَلِ الصَّالحِ، بما لا يُمكِنُ وَصفُه[٢].

بَلاغةُ الآياتِ:

١- قولُه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ... ﴾ فيه مِن البلاغة: استعمالُ ما يكونُ به التَّنبيهُ في الأمورِ الهامَّة؛ وجهُه: أنَّ اللهَ صدَّرَ هذِه الأوامرَ الثلاثةَ المهمَّة بالنِّداءِ[٣].

٢- قوله: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ **فيه:** تقديمُ المجرورِ ﴿إِلَيۡهِ﴾ على متعلَّقه ﴿ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ للحصر، أي: لا تتوسَّلوا إلَّا إليه لا إلى غَيرِه؛ فيكون تعريضًا بالمشركين؛ لأنَّ المسلمينَ لا يُظنُّ بهم ما يَقتضي هذا الحصرَ[٤].

٣- قوله: ﴿جَمِيعٗا﴾ فيه: توكيدٌ لـ (ما) الموصولة، في ﴿مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[٥].

---

(١) ينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ١٣٤)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٣١٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٤٣).

(٢) يُنظر: ((اقتضاء الصراط المستقيم)) لابن تيمية (١/ ١١٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٣٢).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٨٧).

(٥) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٣٣).

٤- قوله: ﴿لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾ **فيه**: إيجازٌ بالحذفِ؛ حيثُ إنَّ في الكلامِ جملةً محذوفةً، والتقدير: وبَذَلوه وافتَدَوْا به ما تُقبِّلَ منهم؛ إذ لا يَترتَّبُ انتفاءُ التقبُّلِ على كَينونةِ ما في الأرض ومِثلِه معه، إنَّما يترتَّبُ على بذْلِ ذلك، أو الافتداءِ به[1].

٥- **قوله**: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ استئنافٌ مَسوقٌ لبيانِ حالِهم في أثناءِ مُكابدةِ العذابِ، مَبنيٌّ على سُؤالٍ نشأ ممَّا قَبلَه؛ كأنَّه قِيلَ: فكيف يكونُ حالُهم؟ أو ماذا يَصنعونَ؟ فقيل ﴿يُرِيدُونَ ...﴾[2].

٦- **قوله**: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ **فيه**: إيثارُ الجُملةِ الاسميَّةِ على الفِعليَّةِ، مع تصديرِها بـ(ما) الحِجازيَّةِ الدالَّةِ- بما في خبرِها مِن الباءِ- على تأكيدِ النَّفي، والمبالغةِ؛ لبيانِ كَمالِ سوءِ حالِهم باستمرارِ عَدمِ خُروجِهم منها؛ فإنَّ الجملةَ الاسميةَ الإيجابيَّةَ كما تُفيدُ- بمعونةِ المقامِ- دوامَ الثُّبوتِ، تُفيدُ السلبيةُ أيضًا بمعونتِه دوامَ النَّفيِ لا نفْيَ الدَّوامِ[3].



(١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٤٤).

(٢) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٣٤).

(٣) ينظر: ((المصدر السابق))، ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١٢٦).

الآيات (٢٨ - ٤٠)

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾.

غريبُ الكَلِمات:

﴿نَكَٰلًا﴾: أي: عُقوبةً وتنكيلًا، وعِبرةً وعِظَةً لِمَن وراءَهم، وأَصْلُ (نكل): المنعُ والامتناعُ؛ وسمِّي النَّكال؛ لأنَّه فعَلَ به ما يَمنعُه مِن المعاودةِ، ويَمنعُ غيرَه مِن إتيانِ مِثلِ صَنيعِه[1].

المَعنَى الإجْماليُّ:

يَأمرُ اللهُ تعالى بقَطْعِ يدِ السَّارقِ والسَّارقةِ مقابلَ ما اقترفاهُ مِن أخْذِ المالِ الحرامِ، وعقوبةً رادعةً مِن اللهِ تعالى لهما، وزَجرًا لغيرِهما عن الوقوعِ في هذا الجُرمِ الخَطيرِ، واللهُ سُبحانَه عزيزٌ حكيمٌ.

فمَن تابَ مِنَ السَّرقةِ التي ظلَمَ بها نفْسَه وغيرَه، ورجَع إلى اللهِ وأصْلَحَ عَملَه؛ فإنَّ اللهَ يَقبَلُ توبتَه؛ إنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ.

ثم ذَكَرَ اللهُ تعالى ما يدلُّ على عظمةِ مُلكِه ونفاذِ أمرِه قائلًا: أَلَمْ تَعْلَمْ أيُّها المخاطَبُ أنَّ اللهَ تعالى هو مَن يملِكُ السَّمواتِ والأرضَ؛ يُعذِّب مَن يُريد، ويَغفِرُ لِمَن يُريد، وهو على كلِّ شيءٍ قادرٌ لا يُعجِزُه شيءٌ.

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٥٢، ١٨٠)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٤٥٨)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٤٧٣)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ١٨)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٨٠)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٩١٤).

تَفْسيرُ الآياتِ:

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨﴾.

مناسَبَةُ الآيةِ لِمَا قَبْلَها:

في مناسَبَةُ الآيةِ لِمَا قَبْلَها وجهانِ:

الأوَّل: أنَّه تعالى لَمَّا أوجبَ في قوله: ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ قَطْعَ الأيدي والأَرجُلِ عند أخْذِ المالِ على سَبيلِ المحارَبةِ؛ بَيَّن في هذه الآيةِ أنَّ أخْذَ المالِ على سبيلِ السَّرِقةِ يُوجِبُ قَطعَ الأَيدي فقط، وجاءتِ السُّنَّةُ بقَطْعِ الأَرجُلِ أيضًا في السَّرِقةِ(١)؛ إذِ السَّرقةُ أيضًا حِرابةٌ من حيثُ المعنى؛ لأنَّ فيها سعيًا بالفَسَادِ إلَّا أنَّ تِلك تكونُ على سبيلِ الشَّوْكةِ والظُّهورِ(٢).

الثاني: أنَّه تعالى لَمَّا ذكَر تعظيمَ أمْرِ القتْلِ في قولِه: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسَۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٖ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾؛ ذكَر بعدَ هذا الجناياتِ التي تُبيحُ القَتْلَ والإيلامَ، فذكَر أولًا: قطْعَ الطَّريق، وثانيًا: أمْرَ السَّرِقةِ(٣).

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾.

أي: ومَن سرَق- رجلًا كانَ أوِ امرأةً- فاقْطَعوا أيُّها النَّاسُ(٤) يدَه اليُمنى (فتُقطَعُ

---

(١) ينظر: ((إرواء الغليل)) للألباني (٨/ ٨٥) فما بعدها.

(٢) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٣٥١)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٤٥)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٣١٧)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ١٣٤)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٢٩٦).

(٣) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٣٥١).

(٤) قال ابنُ عُثَيمين: (قوله: ﴿فاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾...: الخطاب للأمَّة جميعًا، لكن المقصود بالذات والعين هو الإمامُ أو نائبُه، لكن المسؤوليَّة على الجميع، بمعنى: لو تهاون الإمامُ وجَبَ على

مِن مَفْصِل الكَفِّ)[١].

﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا﴾.

أي: جاءَ هذا الحُكمُ بالقطعِ مُجازاةً للسَّارقِ والسَّارقةِ على ما اكتَسَباهُ من المالِ الحرامِ[٢].

﴿نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾.

أي: وجاءَ الحُكمُ بالقطعِ أيضًا عقوبةً رادعةً لهما على لُصوصيَّتِهما، وزجرًا لهما عنِ اعتيادِ هذا الجُرْم، وزجرًا لغيرِهما عن الإقدامِ عليه[٣].

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

أي: واللهُ عزَّ وجلَّ ذو القَهرِ والغَلبةِ، العزيزُ في انتقامِه من هذا السَّارقِ وهذه السَّارقةِ، وغيرِهما من أهلِ معاصيه، وهو الحكيمُ في حُكمِه فيهم، وقَضائِه عليهم، وفي غيرِ ذلِك مِن أوامرِه ونَواهيهِ وشَرائعِه وأقدارِه؛ فحُكمُه في الجميعِ نافذٌ، وكلُّ شيءٍ يَضعُه في موضعِه اللَّائق[٤].

الأمَّة أن تُطالِبَ بقطْعِ يدِ السارق) ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٤٦- ٣٤٧).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٠٧-٤٠٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٠٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٤٤- ٣٤٩).

قال ابنُ كَثيرٍ: (عن عامرِ بن شراحِيلَ الشَّعبيِّ، أنَّ ابن مسعود كان يقرؤها: «والسَّارِقُ والسَّارِقةُ فاقْطَعُوا أيمانَهما»، وهذه قراءة شاذَّة، وإنْ كان الحُكم عند جميع العلماء موافقًا لها، لا بها، بل هو مستفادٌ من دليلٍ آخَر، وقد كان القطع معمولًا به في الجاهلية، فقُرِّر في الإسلام وزِيدت شروطٌ أُخر... هي مِن تمامِ المصالح) ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٠٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤١٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١١٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٤٩- ٣٥٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤١٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١١٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٤٩- ٣٥٠).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤١٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١١٠)، ((تفسير السعدي)) (ص:

﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩ ﴾.

﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِ ﴾.

أي: فمَن رجَعَ- بَعدَ سَرقتِه التي ظَلَمَ بها نَفْسَه وغيرَه- إلى اللهِ تعالى، وأَصلحَ عمَلَه وما أفسدَه بظُلمِه؛ فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يَقبَلُ توبتَه(١).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾.

أي: إنَّ اللهَ تعالى يَستُر ذُنوبَ عِبادِه، ويتجاوزُ عن مؤاخذتِهم بها، وهو رحيمٌ بهم، ومِن رحمتِه أنَّه يُوفِّقُهم للتوبةِ، ويَقبَلُها منهم(٢).

﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤٠ ﴾.

مناسَبَةُ الآيةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا أَوْجبَ اللهُ تعالى قَطْعَ اليدِ، وعِقابَ الآخِرَةِ على السَّارقِ قبلَ التوبةِ، ثم ذَكَر أنَّه يَقبَلُ توبتَه إنْ تابَ- أَرْدَفَه سُبحانَه ببيانِ أنَّ له أنْ يَفعلَ ما يشاءُ، ويَحكُمَ ما يُريدُ؛ فيُعذِّبَ مَن يشاءُ، ويغفرَ لِمَن يشاءُ(٣)، فقال:

---

٢٣١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٥٠).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤١١)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١١٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٧٠- ٣٧١).

قال ابنُ كَثيرٍ: (فأمَّا أموالُ الناس فلا بدَّ مِن ردِّها إليهم أو بدلَها- عند الجمهور) ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١١٠). ويُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٩٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤١٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٧٢- ٣٧٤).

(٣) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٣٥٧).

قال ابنُ عثيمين: (وأتى بهذه الآيةِ في مكانِها اللائقِ؛ لأنَّ ما سبَق مِن الآياتِ كان في إقامةِ الحدودِ، فلعلَّ النفسَ تقولُ: لماذا كلُّ هذه الشدَّة، لماذا هذه الغلظةُ، فقال الله عزَّ وجلَّ:

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

أي: ألَمْ تَعلَمْ[١] أنَّ اللهَ تعالى هو المالكُ لجَميعِ ما في السَّمواتِ وما في الأرضِ، وهو المَلِكُ المتصرِّفُ فيه بما يشاءُ سُبحانَه[٢].

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾.

أي: يُعذِّبُ مَن يشاءُ مِن خَلقِه بعَدْلِه، ويَغفرُ لِمَن يشاءُ منهم بفَضْلِه؛ فكلُّ العبادِ ملْكُه وإليه أمْرُهم، ولا نَسبَ بينه وبين أحدٍ منهم فيُحابِيَه، وإنَّما يُعذِّبُ ويغفرُ بحسَبِ ما اقتضتْه حِكمتُه سُبحانَه[٣].

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

أي: واللهُ قادِرٌ على كلِّ شيءٍ أرادَه، لا يُعجِزُه شيءٌ أبدًا، ومِن ذلك قُدرتُه على تعذيبِ مَن أراد تَعذيبَه مِن عبادِه، والغُفرانِ لمَن أرادَ أنْ يَغفرَ له منهم[٤].

الفوائِدُ التَّربويَّة:

١- أنَّ فِعلَ المعاصي، وترْكَ الواجباتِ ظُلْمٌ؛ لقولِه: ﴿مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ﴾؛

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ...﴾). ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٣٧٧).

(١) قيل: المخاطب هو النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم، وقيل: الْخِطَابُ للنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُرَادُ بِهِ الْجَمِيعُ، وقيل: المخاطبُ هو كلُّ مكلَّف، ومَن يصحُّ توجُّه الخطاب إليه، وقيل: للمجترئ على السَّرقة وغيرها مِن المحظوراتِ. ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٥٦)، ((تفسير القرطبي)) (٦/ ١٧٦)، ((تفسير البغوي)) (١/ ٢٣١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٧٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤١٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١١٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٧٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤١٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٧٨).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤١٢- ٤١٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٨٠).

وذلك أنَّ النَّفْسَ عندَ الإنسانِ أمانةٌ، يجبُ أن يَسعَى لها بما هو الأصلحُ والأنفعُ، فإذا خالفَ فهو ظالمٌ، خائنٌ للأمانةِ[1].

٢- حثُّ الإنسانِ على التوبةِ حتَّى لو ظَلَمَ؛ لقول اللهِ تعالى: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ واللهُ تعالى لم يقُلْ هذا لمجرَّدِ الخبرِ؛ بل لأجْلِ الحثِّ على التوبةِ[2].

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِف:

١- مِن الحِكم في الابتداءِ بالسارقِ في قوله: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾، وبالزانيةِ في قوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾ [النور: ٢] أنَّ السَّرِقةَ مبناها على القُوَّة والجَلَد والنَّشاط والجُرْأة، والرِّجالُ أخصُّ مِن النِّساء في هذا، فبدَأ بهم؛ ولذلك نجِد السُّرَّاقَ مِن الرجالِ أكثرَ مِن النِّساءِ، أمَّا الزِّنا فبالعكس؛ لأنَّ الزِّنا سِلعُ البَغايا- والعياذ بالله- فبدأ بالزَّانيةِ؛ لأنَّ أكثرَ ما يُوجد سببُه من النِّساءِ، ولأنَّ أثرَ الزِّنا يظهرُ عليها في الحبَل، وإزالةِ العُذرةِ؛ فهو في حقِّها أشنعُ، وقيل غير ذلك[3].

٢- ظاهرُ قولِه تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾ وجوبُ قطعِ أيديهما بأيِّ سرقةٍ، لكن السُّنَّة قيَّدتْ عُمومَ هذه الآيةِ من عِدَّةِ أوجه[4]:

منها: الحِرْز؛ فإنَّه لا بدَّ أنْ تكونَ السرقةُ مِن حِرْز، وحِرزُ كلِّ مالٍ: ما يُحفَظُ به عادةً، فلو سَرَق مِن غيرِ حِرْزٍ فلا قَطْعَ عليه.

ومنها: أنَّه لا بدَّ أن يكونَ المسروقُ نِصابًا، وهو رُبعُ دِينارٍ، أو ثلاثةُ دَراهمَ، أو

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٧٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٣٣٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٧٦).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٣٢٤)، ((تفسير الراغب الأصفهاني)) (٤/ ٣٤٤)، ((غرائب التفسير وعجائب التأويل)) (١/ ٣٣١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٤٦).

(٤) ينظر: ((المغني)) لابن قدامة (٩/ ١٠٤).

ما يُساوي أحدَهما؛ فلو سرَقَ دونَ ذلك فلا قَطْعَ عليه.

ومنها: أنه يُشترط أيضًا أن يكونَ المسروقُ مالًا مُحترَمًا.

ومنها: اشتراطُ انتفاءِ الشُّبهة[(١)].

٣- قوله: ﴿فَٱقۡطَعُوٓاْ﴾ استُدِلَّ بِه على أنَّه يجبُ على الأمَّةِ أن يَنصِبوا لأنفسِهم إمامًا معيَّنًا؛ لأنَّه تعالى أوجبَ بهذه الآيةِ إقامةَ الحدِّ على السُّرَّاقِ، فلا بدَّ من شخصٍ يكون مخاطَبًا بهذا الخِطابِ، وأجمعتِ الأُمَّةُ على أنَّه ليس لآحادِ الرعِيَّة إقامةُ الحدودِ على الأحرارِ الجُناةِ إلَّا الإمام، فلمَّا كان هذا تكليفًا جازمًا، ولا يُمكنُ الخروجُ من عُهدتِه إلَّا بوجودِه وجَبَ نصْبُه؛ لأنَّ ما لا يأتي الواجبُ إلَّا به، وكان مَقدورًا للمُكلَّف، فهو واجبٌ[(٢)].

٤- قَطعُ يدِ السَّارقِ والسَّارقةِ يكونُ لليُمنى، كما أجْمَع عليه العلماءُ، وفَسَّر ذلك قراءةُ عبدِالله بن مسعودٍ رضِيَ اللهُ عنه: (فاقْطَعوا أيمانَهما)، فالغالِبُ أنَّ الأخْذَ والإعطاءَ والسَّرِقةَ باليَمينِ؛ فناسَبَ أنْ تُقطَعَ اليُمنى دُونَ اليُسرَى، فتُقطَع اليدُ اليُمنى برُبعِ دِينارٍ؛ بعدَ دَرْء الشُّبُهاتِ المنصوصِ عليها في كتُبِ الفِقهِ[(٣)].

٥- جعَلَ اللهُ حدَّ السرقةِ قطعَ اليدِ؛ لتناوُلِها المالَ؛ لقولِه: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾، ولم يجعلْ حدَّ الزِّنا قَطْعَ الذَّكرِ معَ موافقةِ الفاحشةِ به؛ لأمورٍ: أحدها: أنَّ للسَّارقِ مِثلَ يَدِه التي قُطِعتْ، فإنِ انزجَرَ بها اعتاضَ بالباقيةِ، وليس للزَّاني مِثلُ ذَكرِه إذا قُطِع، ولم يَعتَضْ بغيرِه لو انزَجَر بقَطعِه. الثاني: أنَّ

---

(١) ينظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣١).

(٢) ينظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٣٣٢).

(٣) ينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ١٣٤)، ((تفسير الشربيني)) (١/ ٣٧٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٠٧)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٣١٥)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٣٢٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٥٩- ٣٦٣).

الحدَّ زجرٌ للمحدودِ ولغيرِه، وقطْعُ يدِ السارقِ ظاهرٌ، وقَطعُ الذَّكرِ في الزِّنا باطنٌ.

الثالث: أنَّ قَطْعَ الذَّكرِ إبطالٌ للنَّسلِ، وليس في قطعِ اليدِ إبطالٌ للنَّسْل[1].

٦- قوله: ﴿بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ فيه ردٌّ ظاهرٌ على الجبريَّة، ووجهٌ آخَرُ معنويٌّ، وهو: أنَّه لو كان السارقُ والسارقةُ مُجبرَينِ ما صحَّ أنْ يُعاقَبا؛ لأنَّ المُجْبَرَ لا حُكمَ لفِعْله، حتَّى المُكرَهُ على الكُفرِ إذا كان قلبُه مُطمئنًّا بالإيمان، فإنَّه لا يَكفُرْ[2].

٧- أنَّ الحدودَ كفَّارةٌ؛ لقوله: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا﴾ ولا يُضاعِفُ اللهُ عليه الجزاءَ[3].

٨- في قولِه تعالى: ﴿نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ توضيحٌ للحِكمةِ في إيجابِ الحدودِ، والنَّكالُ يكونُ للغيرِ؛ كما قال اللهُ تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ [البقرة: ٦٦]، فإنَّ مَن عَلِمَ أنَّ يدَه سوف تُقطَعُ بالسَّرقةِ سوف يَنكُلُ عنها ولا يَسرِقُ[4].

٩- حُسْن الخِتامِ في الآياتِ الكريمةِ، وأنَّها مطابِقةٌ تمامًا للأحكامِ التي خُتِمت بها، فالعِزَّة مِن معناها الغَلَبةُ، ولا شكَّ أنَّ إيجابَ قَطْعِ الأيدي يدلُّ على العِزَّةِ والغَلبةِ وكمالِ السُّلطة، كما أنَّ الحِكمةَ أيضًا تُناسِبُ القطعَ؛ لأنَّ فيها حُكمًا صارمًا، وفيها أيضًا حِكمةٌ بالغةٌ؛ فلذلك كانتِ الجملة: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ مطابِقةً تمامًا لِمَا ذُكِر في الآية الكريمةِ مِن قطعِ يدِ السَّارق[5]، وقد رُوِيَ أنَّ بعضَ الأعرابِ سَمِع قارئًا يقرأُ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ إلى آخرِها، وختَمَها

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٣٢٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٦٤).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٥) يُنظر: (تفسير ابن عادل)) (٧/ ٣٣٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٢٦٨).

بقوله: (وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) فقال: ما هذا كلامٌ فصيحٌ! فقيل له: ليس التلاوةُ كذلك، وإنَّما هي ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، فقال: بخٍ بخٍ؛ عزَّ فحَكَم فقَطَع[١]!

١٠- في قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ردٌّ على كلِّ ناعقٍ يقولُ: إنَّ قطْعَ الأيدي وحشيَّةٌ، وأنَّ ذلك يستلزمُ أن يكونَ نصفُ الشَّعبِ أشلَّ، ليس له إلَّا يدٌ واحدةٌ؛ فيُقال: بل هذِه هي عينُ الحِكمةِ وعينُ الصَّوابِ؛ فاللهُ تعالى أَوجبَ قطْعَ يدِ السَّارقِ لحِكمتَينِ: ليطهِّرَ صاحبَها من هذه الرذيلةِ الدنيَّةِ الخبيثةِ، وكذلك ليردَعَ النَاسَ عن أموالِ الناس؛ لأنَّ المالَ هو شَريانُ الحياةِ، وبه قِوامُ شُؤونِها، فأَمَرَ بقَطْع يد السَّارقِ؛ محافظةً على أموالِ المجتمَع؛ لأنَّه لو تُرِك النَّاسُ لحصلتِ الفوضى، وابتزازُ الأموالِ، والسَّطْوُ على الآمنينَ، فكان قطْعُ اليدِ لا شكَّ أنَّه هو الحِكمةُ[٢].

١١- الفائدةُ من ذِكر قوله: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ ...﴾ بعدَ قوله: ﴿فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾ هي أنَّ السارقَ قدْ تُقطَعُ يدُه، ومعلومٌ أنَّ إقامةَ الحدِّ تُكفِّرُ ذنبَه، لكنَّه إذا كان في قَرارةِ نفْسِه يُريد أن يَسرِقَ إذا سَنحَتْ له الفُرصةُ، فهو في هذه الحال لم يتُبْ، فإنَّ الحدودَ كفارةٌ لِمَا مضَى، وأمَّا ما يبقَى في قلبِه من إرادةِ المعصيةِ، فلا بدَّ أن يتوبَ منها[٣].

١٢- في قوله تعالى: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ أن السارقَ إذا تابَ قبلَ القطعِ تابَ اللهُ عليه، واستُدِلَّ بها على أنه يَسقطُ عنه الحدُّ؛ لأنَّ ذِكْرَ الغفورِ الرَّحيم في آخِرِ هذه الآيةِ يدلُّ على سقوطِ العقوبةِ عنه، والعقوبةُ المذكورةُ في هذه الآيةِ هي الحدُّ، فظاهِرُ الآيةِ

---

(١) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٥٥).

(٢) ينظر: ((العذب النمير)) للشنقيطي (٣/ ١٨١ - ١٨٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٣٦٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٧٠).

يَقتضي سُقوطَها[١].

١٣- يقترنُ قولُه: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ كثيرًا في القرآن؛ لأنَّ بالأوَّلِ زوالَ المكروهِ، وبالثاني حُصولَ المحبوبِ؛ فالأوَّلُ غفورٌ، يعني: للذُّنوبِ، والثاني رحيمٌ، يعني: أنَّه يُوصِلُ الخيرَ إلى عِبادِه بمُقتضَى رحمتِه سُبحانَه وتعالى[٢].

بَلاغَةُ الآياتِ:

١- **قوله**: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾: فيه دفْعُ توهُّمٍ؛ حيث ذَكَر (السَّارِقَة) مع (السَّارِق)؛ لدفْع توهُّمِ أنْ يكونَ صِيغةُ التذكيرِ في ﴿وَٱلسَّارِقُ﴾ قيدًا بحيث لا يُجرَى حدُّ السَّرِقةِ إلَّا على الرِّجال، وقد كانتِ العربُ لا يُقيمونَ للمرأةِ وَزْنًا؛ فلا يُجرونَ عليها الحدودَ، وهو الدَّاعي إلى ذِكر الأُنْثى في قولِه تعالى في سورة البقرة: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾[٣] [البقرة: ١٧٨].

٢- **قوله**: ﴿جَزَآءَۢ﴾ مصدرٌ مؤكِّدٌ لِفعلِه الذي يدلُّ عليه ﴿فَٱقْطَعُوٓاْ﴾، أي: فجازُوهما جزاءً[٤]، على أحدِ الأوجهِ في الإعرابِ.

٣- **قوله**: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أكِّدت الجملةُ بـ(إنَّ)؛ مِن أجْلِ طُمأنينةِ العبدِ التائبِ بأنَّ توبتَه لن تَذهبَ سُدًى[٥].

- وجاءَ بلفظتَيْ ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ على هيئةِ صِيغةِ المبالغةِ؛ للمُبالغةِ في وصْفِه بالمغفرةِ والرحمةِ؛ ولذلك يَقبلُ توبتَه، وهو تعليلٌ لِمَا قبلَه[٦].

---

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٣٥٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٧٢).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٩٠، ١٩١).

(٤) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٣٥).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٧٢).

(٦) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٣٥).

- وإظهارُ الاسمِ الجليلِ ﴿ٱللَّهَ﴾؛ للإشعارِ بعِلَّة الحُكم، وتأييدِ استقلالِ الجُملةِ[١].

٤- قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الاستفهامُ إنكاريٌّ لتقريرِ العِلم، والجملةُ استئنافٌ بيانيٌّ؛ جوابٌ لِمَن يسأل عن انقلابِ حالِ السَّارقِ مِن العقابِ إلى المغفرةِ بعدَ التوبةِ، مع عِظمِ جُرْمِه: بأنَّ اللهَ هو المتصرِّفُ في السَّمواتِ والأرضِ وما فيهما؛ فهو العليمُ بمواضعِ العِقابِ، ومواضعِ العَفْوِ[٢].

٥- قوله: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ فيه: مناسبةٌ حسنةٌ؛ حيثُ قُدِّمُ التعذيبُ على المغفرةِ؛ لأنَّه في مُقابلةِ تَقدُّمِ السَّرِقةِ على التوبةِ، ولأنَّ الكلامَ هنا عن الحدودِ والعقوباتِ؛ فناسَب أن يُقدَّمَ التعذيبُ على المغفرةِ[٣].

٦- **قوله:** ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ **فيه:** إظهارٌ في مقامِ الإضمارِ -حيث قال: (والله)، ولم يقُلْ: (وهو)-؛ لإظهارِ كمالِ قُدرةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، والجملةُ تذييلٌ مُقرِّرٌ لِمَا قبلها[٤].



(١) ينظر: ((المصدر السابق)).
(٢) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٣٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٩٤).
(٣) ينظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٣٢)، ((تفسير الرازي)) (١١/ ٣٥٧)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٣٦)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٣٣٣).
(٤) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٣٦).

الآيات (٤١ - ٤٣)

﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

غريبُ الكَلِمات:

﴿ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾: أي: اليهود، وهادَ فلان: إذا تحرَّى طَريقةَ اليَهُود في الدِّين؛ قيل: أَصْلُ (يَهُود) مِن: ﴿هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾، أي: تُبْنَا، وكان اسمَ مَدحٍ، ثم صارَ بعدَ نَسْخِ شَريعتِهم لازمًا لهم، وإنْ لم يكُنْ فيه معنَى المدحِ، وقيل: كَانَتِ اليَهُود تُنْسَب إلى يَهوذا بنِ يَعْقُوبَ[١].

﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾: قابِلونَ ومُصغُونَ له بكثرةٍ، مبالغة مِن (سامِعون)، وأَصْلُ (سمع): إيناسُ الشيءِ بالأُذُن[٢].

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٤٩٥)، ((المفردات)) للراغب (١/ ٨٤٧)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٨٩).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٢٦١)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ١٠٢)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٢٥)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨٢، ١٣٩)،

﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ﴾: مُطيعون لَهُم، أو عُيونٌ لهم، وجواسيسُ يَتجسَّسون لهُم الأخبارَ[1].

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ﴾: يَقلِبونَ ويُغيِّرونَ ألْفاظَ التوراةِ، أو حدودَ اللهِ في التوراةِ، بإزالتِها وإثباتِ غيرِها، وأصْلُ التَّحريفِ والانحرافِ: إمالةُ الشَّيءِ والعدولُ به عن الاستقامةِ. والكَلِم جمع كلمة، وأَصْلُ (كلم): يدلُّ على نُطْقٍ مُفهِمٍ بالنَّظرِ إلى أحدِ مَدْلولَيهِ[2].

﴿فِتۡنَتَهُۥ﴾: ضَلالتَه، وتُطلَقُ الفِتنةُ على الشِّرْكِ والكُفرِ، والشَّرِّ والعذابِ، وهي في الأصلِ: الاختِبارُ والابتلاءُ والامتِحانُ، مأخوذة مِن الفَتْن: وهو إدخالُ الذَّهبِ النَّارَ؛ لتظهَرَ جودتُه من رَداءتِه[3].

﴿خِزۡيٌ﴾: هوانٌ وهلاكٌ، وأصلُ الخِزيِ: الإبعادُ[4].

﴿لِلسُّحۡتِ﴾: السُّحتُ هو الرِّشَا، أو كَسْبُ ما لا يَحِلُّ، أو كُلُّ مالٍ حَرَامٍ يَلزَمُ

((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٥٠، ١٥١)، ((حاشيه الشهاب على تفسير البيضاوي)) (٣/ ٢٤٢)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٥١٨).

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٢٦١)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ١٠٢)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٢٥)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨٢، ١٣٩)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٥٠، ١٥١)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٥١٨).

(٢) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٤٢) و(٥/ ١٣١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٢٢٨، ٧٢٢، ٧٢٤)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (١/ ٦٥، ٨٠)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٨٢)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٩٩٣).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (١/ ٧٦، ١٠١)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٤٧٢-٤٧٣)، ((المفردات)) للراغب (١/ ٦٢٤)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (١/ ٢٩، ١٣٩-١٤٠)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٦٩٨).

(٤) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٦١)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٢١٥)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ١٧٩)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٨٥).

آكِلَه العارُ، وأصلُ (سحت): الاستِئصالُ، ومِنه سُمِّي المالُ الحرامُ سُحْتًا؛ لأنَّه لا بَقاءَ له(١).

﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعَدلِ، وأصْل القِسطِ يدلُّ على مَعنيين مُتضادَّين: العَدْلِ، والجَوْرِ؛ يُقال: أقْسَطَ: إذا عدَل، وقَسَطَ: إذا جارَ(٢).

﴿يَتَوَلَّوْنَ﴾: يُعرِضونَ بعدَ الإقبالِ، فالفِعل (تولَّى) إذا عُدِّي بـ(عن) لفظًا أو تقديرًا- كما هنا- اقتَضى معنى الإعراضِ، وتركِ قربِه، وأصْلُ هذه المادَّة يدلُّ على القُرْب، سواءٌ من حيثُ: المكانُ، أو النِّسبةُ، أو الدِّينُ، أو الصَّداقةُ، أو النُّصرةُ، أو الاعتقادُ، وكلُّ مَن وَلِي أمرَ آخَرَ فهو وَلِيُّه(٣).

المَعنَى الإجْمالِيُّ:

يقولُ اللهُ تعالى مُخاطِبًا نبيَّه محمَّدًا صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: لا يَحْزُنْك- يا محمدُ- الذين يُسارعونَ إلى الدُّخولِ في الكُفرِ؛ من المنافقينَ الذين أَظْهَروا الإيمانَ بألسِنَتِهم، بينما خلَتْ قلوبُهم منه، ومِنَ اليهودِ؛ فهم يُصغُونَ للكذبِ- الذي يَصدُرُ مِن أحبارِهم ورُؤسائِهم- بكثرةٍ، وهم يَخضعونَ لأوامرِ قومٍ آخرينَ مِنَ الأحبارِ والرؤساءِ الذين أَعْرَضوا عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فلا يأتونَ مجلسَه؛ هؤلاءِ الأحبارُ والرؤساءُ المعرِضونَ عن مَجلسِك يُحرِّفونَ كلامَ اللهِ تعالى عن المعنى الذي يدلُّ عليه، ويتأوَّلونه على غيرِ تأويلِه مُتعمِّدِينَ، وهم

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٣)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ١٤٣)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٣٩٩-٤٠٠)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٥١)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٥٢٢).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٠٣)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٨٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٧٠).

(٣) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦/ ١٤١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٨٥- ٨٨٦)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٨٩).

يعلمون الحقَّ، ويقولون لأتْباعِهم: تَحاكَموا إلى محمَّدٍ، فإنْ حَكَم لكم بما يُوافِقُ أهواءَكم فاقْبلوه، وإنْ لم يَحكُم بذلك فلا تأخُذوا بحُكمِه.

ثم أخْبَر تعالى أنَّه مَن يُرِدْ أن يَفتنَه ويُضِلَّه فلنْ يملكَ له النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مِن اللهِ شيئًا يَستنقذُه ممَّا أرادَه اللهُ له من الضَّلالةِ، وأمَّا أولئك اليهودُ الذين لا يَقبَلون من الحقِّ إلَّا ما وافَقَ هوًى لهم لم يُرِدِ اللهُ أنْ يُطهِّرَ قلوبَهم من الكُفرِ والشِّركِ؛ لهم في الحياةِ الدنيا ذلٌّ وهوانٌ، ولهم في الآخرةِ عذابٌ عظيمٌ هو عذابُ النار.

هؤلاءِ اليهودُ سمَّاعونَ للباطل، مُستجيبونَ له، يأكلونَ المالَ الحرامَ بكثرةٍ، ثم أرشَدَ اللهُ نبيَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إلى أنَّهم إذا جاؤُوه يَحتكِمون إليه، فله أن يَحكُمَ بينهم إنْ شاء، أو يُعرِضَ عن الحُكم بينهم، وأخبره تعالى أنَّه إنْ يُعرِضْ عنهم فلن يَضرُّوه شيئًا، وإنِ اختار أنْ يحكُمَ بينهم فليَحْكُم بينهم بالعَدلِ، والله يحبُّ المتَّصفينَ بالعدلِ بينَ الناس في أحكامِهم.

ثم يقولُ اللهُ لنبيِّه محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: كيف يُنَصِّبك هؤلاءِ اليهودُ حَكمًا، وهم في حقيقةِ الأمر يُكذِّبونك، وعندهم كتابُ اللهِ التوراةُ فيها حُكمُ الله؟! لكنَّهم أعْرَضوا عنه، وطَلَبوا حُكمًا غيرَ ما عندهم؛ لعلَّه يُوافِقُ أهواءَهم، وَمَا أُولَئِكَ الذين هذا صنيعُهم؛ بالمؤمنينَ.

تَفْسيرُ الآياتِ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ

فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٤١﴾﴾.

مناسَبَةُ الآيةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا بيَّن اللهُ سُبحانَه وتعالى بعضَ التكاليفِ والشَّرائعِ، ومنها أحكامُ الحِرابةِ والسَّرقة، وكان في ذِكرِ المحارِبينَ أنَّهم يُحارِبونَ اللهَ ورسولَه، ويَسعَون في الأرضِ فسادًا، وكان الله قد عَلِم مِن بعضِ الناسِ كونَهم متسارِعينَ إلى الكفرِ- لذا صبَّرَ رسولَه على تحمُّل ذلك، وأمَرَه تعالى ألَّا يحزنَ ولا يَهتمَّ بأمْرِ المنافقين وأمْرِ اليهودِ؛ مِن تعنُّتهم وتربُّصهم به وبمَن معه الدَّوائرَ، ونَصبِهم له حبائلَ المكروهِ، وما يَحدُث منهم من الفَسادِ في الأرض، ونصْب المحاربةِ للهِ ولرسولِه، وغير ذلك مِن الرَّذائلِ الصادرةِ عنهم[(١)].

وأيضًا لَمَّا تقرَّرَ في الآيةِ السَّابقةِ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾، كان من غيرِ شكٍّ عِلةً لعدمِ الحزنِ على شيءٍ من أمْرِهم، ولا مِن أمْرِ غيرِهم ممَّن عصَى اللهَ في شيءٍ من هذه الأحكامِ[(٢)].

سبَبُ النُّزولِ:

عنِ البَرَاءِ بن عازبٍ رضِيَ اللهُ عنه قال: ((مُرَّ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بيهوديٍّ محمَّمًا[(٣)] مجلودًا، فدَعاهم صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فقال: هكَذا تَجِدون حدَّ الزاني في كِتابِكم؟ قالوا: نعَم، فدَعا رجلًا من عُلمائِهم، فقال: أَنشُدُك باللهِ الذي أنزلَ التوراةَ على موسى، أهكذا تَجِدون حدَّ الزَّاني في كتابِكُم؟ قال: لا،

(١) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٦٠)، ((تفسير الرازي)) (١١/ ٣٥٨).
(٢) ينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ١٣٨).
(٣) محمَّمًا: اسمُ مَفعولٍ، أي: مُسْودَّ الوجه، من الحُمَمَة، وهي الفَحْمَة، وجمعها حُمَمٌ، والتَّحميم بمعنى التَّسويدِ. ينظر: ((النهاية)) لابن الأثير (١/ ٤٤٤).

ولولا أنَّك نَشدْتَنِي بهذا لم أُخْبِرْكَ؛ نجدُه الرَّجمَ، ولكنَّهُ كثُرَ في أشرافِنا، فكنَّا إذا أخَذْنا الشَّريفَ ترَكْناه، وإذا أخَذْنا الضعيفَ أقَمْنا عليهِ الحدَّ! قلنا: تَعالَوْا فلنجتمعْ على شيءٍ نُقيمُه على الشَّريفِ والوَضيعِ، فجعَلْنا التَّحميمَ والجلْدَ مكانَ الرَّجمِ، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: اللهمَّ إنِّي أولُ مَن أحيا أمْرَكَ إذْ أماتوهُ، فأمرَ بِهِ فرُجِمَ، فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ إلى قولِه: ﴿إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾، يقول: ائتوا محمَّدًا صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فإنْ أمَرَكم بالتَّحميمِ والجَلْدِ فخُذوه، وإنْ أَفتاكم بالرَّجمِ فاحْذروا، فأنزل اللهُ تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾، ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ في الكُفَّارِ كلُّها))[١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾.

أي: لا تَجعلْ -يا محمَّدُ- هؤلاءِ المنافقين، الذين يَتسابقون إلى الكُفرِ، يُدْخِلُون الحزنَ على نفسِكَ بما يَفعلونَه[٢].

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ﴾.

أي: الَّذين أَظهَروا الإيمانَ بألْسنتِهم، وقلوبُهم في الحقيقةِ خاويةٌ منه[٣].

كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].

(١) رواه مسلم (١٧٠٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤١٨-٤١٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١١٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣١)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٩٧)، ((تفسير ابن عثيمين-سورة المائدة)) (١/ ٣٩٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤١٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١١٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٩٧).

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾.

أي: ولا تَجعلِ الحُزْنَ يُصيبكَ أيضًا بسببِ اليهودِ[١].

﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ﴾.

أي: يُكثرونَ الإصغاءَ إلى الكَذِبِ الصادرِ مِن أحبارِهم ورُؤسائِهم، فيَحْفِلون به، ويَقبلونَه منهم، ومِن ذلك: تَقليدُهم في قولهم: إنَّ محمَّدًا ليس بنبيٍّ، وفي قولهم: إنَّ حُكمَ الزاني المحصَنِ في التوراة: التَّحميمُ والجَلْدُ، وليس الرَّجمَ[٢].

قيل: المرادُ بهؤلاء المنافقونَ مِن اليهودِ، وقيلَ: المرادُ بهم اليهودُ فقط، وقيل: المنافقونَ واليهودُ[٣].

﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَ﴾.

أي: يَستجيبونَ لأوامرِ أقوامٍ آخَرين من الأحبارِ والرؤساءِ المُعرِضينَ عن الإتيانِ إلى مجلسِك- يا محمَّدُ[٤].

---

(١) وهذا اختيارُ ابنِ جرير في ((تفسيره)) (٨/ ٤١٩)، وابن كثير في ((تفسيره)) (٣/ ١١٣)، وابن عاشور في ((تفسيره)) (٦/ ١٩٨- ١٩٩). فيكون الوقفُ على قولِه تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾.

وقيل: الابتداءُ من قوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾، أي: ومِن الذين هادوا قومٌ سمَّاعون للكذب، ويكون الأمرُ للرسولِ عليه الصَّلاةُ والسَّلام بعدمِ الحزن على مسارعةِ المنافقين في الكُفر، لا المنافقين واليهود. يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (٦/ ١٨١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٩٧- ٣٩٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤١٩-٤٢٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣١)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٩٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٩٨).

(٣) اختار ابنُ جرير أنَّهم المنافقون من اليهود. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٢٠). واختار أنَّهم اليهود: ابنُ عثيمين في ((تفسير سورة المائدة)) (١/ ٣٩٨)، واختارَ أنَّهم المنافقون واليهود: ابنُ عاشور في ((تفسيره)) (٦/ ١٩٩).

(٤) وهذا اختيارُ ابن كثير في ((تفسيره)) (٣/ ١١٣)، والسعدي في ((تفسيره)) (ص: ٢٣١)، وابن

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾.

أي: إنَّ هؤلاءِ القومَ الآخَرينَ مِن أحبارِ اليهودِ الذين يَتَّبِعُهم العامَّةُ، يَصرِفونَ كلامَ الله عن معناه الحقيقيِّ عمدًا، ويتأوَّلونه على غيرِ تأويلِه، وهم يَعلمون الحقَّ، فيقولون: المرادُ كذا وكذا، على خلافِ ما أرادَ اللهُ ورسولُه(١).

﴿يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْ﴾.

أي: إنَّ أولئك الأحبارَ الذين يَتَّبِعُهم العامَّةُ، يقولون لأتْباعِهم: تَحاكَمُوا إلى محمَّدٍ؛ فإنْ حَكَم لكم بما يُوافِقُ أهواءَكم فاقبلوا حُكمَه، وإنْ لم يحكُمْ لكم به فاحْذروا مِن قَبولِه، واتِّباعِه على ذلك(٢)؛ ومن ذلك ما يَتعلَّق بحَدِّ الزَّاني(٣).

ثم يقول الله تعالى مسلِّيًا لنبيِّه صلَّى الله عليه وسلم، ومخفِّفًا عنه مِن ثِقَلِ حُزنه على مسارعتِهم في الكُفْر(٤):

عاشور في ((تفسيره)) (٦/ ١٩٩- ٢٠٠).

(١) واختار أنَّ التحريف صِفةٌ للقومِ الآخَرين الذين لم يأتوا النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم: السعديُّ في ((تفسيره)) (ص: ٢٣١)، وابنُ عاشور في ((تفسيره)) (٦/ ٢٠٠)، وابنُ عثيمين في ((تفسير سورة المائدة)) (١/ ٣٩٩).

وممَّن قال بنحوِ هذا القولِ من السَّلف: ابنُ زيد: يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٢٦)، ((تفسير ابن أبي حاتم)) (٤/ ١١٣٢).

واختارَ ابنُ جرير أنَّ التحريفَ صفةٌ للذين يُسارِعون في الكفرِ. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٢٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١١٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٣٩٩).

قال ابنُ عاشور: (وإنَّما قالوا: فاحذروا؛ لأنَّه يفتحُ عليهم الطعنَ في أحكامِهم التي مضَوا عليها، وفي حُكَّامهم الحاكِمين بها) ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٠٠).

(٣) قال ابنُ عُثَيمين: (وهذا مثالٌ وليس حصرًا لمعنى الآية، بل المراد أنَّهم يُعيِّنون- أي: الأحبار- أحكامًا لعامَّتهم، ويقولون: إنْ حَكَمَ بها محمَّدٌ فاقبلوها، وإنْ لم يَحكُمْ فاحذروا) ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٠٠).

(٤) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٦٢). قال ابنُ جرير في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ

﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا﴾.

أي: إذا حتَّم اللهُ تعالى على أَحدٍ أنَّه لا يتوبُ مِن ضلالتِه، ولا يَرجِعُ عن غيِّه ممَّن هو أهلٌ لذلك؛ فلن تملكَ له- يا محمَّدُ- مِن اللهِ تعالى استنقاذًا ممَّا هو فيه من الحَيرةِ والضَّلالةِ، فليس بمقدورِكَ هدايتُه[1].

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡ﴾.

أي: إنَّ أولئك اليَهودَ الذين لا يَقبَلون من الحقِّ إلَّا ما وافَق أهواءَهم، لم يُرِدِ الله تعالى أن يُطهِّر قلوبَهم مِن دَنسِ الكُفرِ، ووسَخِ الشِّركِ وغير ذلك، بطهارةِ الإسلامِ، ونظافةِ الإيمانِ، فيتوبوا؛ فلذلك صَدَر منهم ما صَدَر[2].

﴿لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾.

أي: لهم في الحياةِ الدُّنيا ذلٌّ وهوانٌ، وفَضيحةٌ وعارٌ، ولهم في الآخِرة غضبُ

فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا﴾: (وهذا تسليةٌ من الله تعالى ذِكرُه نبيَّه محمَّدًا صلَّى الله عليه وسلَّم من حُزنه على مسارعة الذين قصَّ قصَّتَهم من اليهود والمنافقين في هذه الآية، يقول له تعالى ذِكرُه: لا يحزنك تسرُّعهم إلى جحودِ نبوَّتك؛ فإنِّي قد حتَّمتُ عليهم أنهم لا يتوبون من ضلالتهم، ولا يَرجعون عن كُفرهم للسابق من غضبي عليهم، وغيرُ نافعِهم حُزنُك على ما ترى مِن تسرُّعهم إلى ما جعلتُه سبيلًا لهلاكهم واستحقاقِهم وعيدي... فلا تُشعِرْ نفْسَك بالحزنِ على ما فاتَك من اهتدائِه للحقِّ) ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٢٧). ويُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٠٠).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٢٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٠١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٠١).

قال الرازي: (لفظ الفتنة محتملٌ لجميع أنواع المفاسِد، إلَّا أنَّه لَمَّا كان هذا اللفظُ مذكورًا عقيبَ أنواع كُفرهم التي شرحَها اللهُ تعالى، وجَبَ أن يكون المرادُ من هذه الفتنةِ تلك الكُفرياتِ التي تَقدَّم ذِكرُها، وعلى هذا التقديرِ فالمرادُ: ومَن يُرِدِ اللهُ كُفرَه وضلالتَه فلن يقدِرَ أحدٌ على دفْع ذلك عنه). ((تفسير الرازي)) (١١/ ٣٦٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٢٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٠١).

الجبَّار، وعذابُ النَّار(١).

﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾.

أي: إنَّ هؤلاء اليهودَ الذين وصفتُ لك- يا مُحمَّدُ- صِفتَهم؛ سمَّاعون للباطِلِ، مُستجيبونَ له، مِثل قولِ بعضِهم لبعضٍ: محمَّدٌ ليس بنبيٍّ، وكقول بعضهم: إنَّ حُكْمَ الزَّاني المحصَنِ في التوراة الجلدُ والتحميمُ، وغير ذلِك من الأباطيلِ(٢).

﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾.

مُناسَبتُها لِمَا قَبلَها:

لَمَّا ذكَر سُبحانَه ما يَدخُلُ في آذانِهم وقلوبِهم مِنَ الكلامِ؛ أَتْبَعَ ذلك بذِكرِ ما يَدخُلُ في أفواهِهم وبُطُونِهم من الطَّعامِ، وهما غذاءانِ خَبيثانِ(٣)، فقال:

﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾.

أي: ومِن صفاتِهم أنهم كثيرًا ما يأكلونَ المالَ الحرامَ؛ كالرَّشاوى وغيرِها(٤).

﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾.

أي: فإنْ أتاكَ هؤلاءِ اليهودُ- يا محمَّدُ- للاحتكامِ إليك، فلك أنْ تحكُمَ

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٢٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٠١- ٤٠٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٢٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١١٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٢).

(٣) يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٢٨/ ١٩٦- ١٩٧).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٢٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١١٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤١١- ٤١٢).

بينهم إنْ شئتَ، أو تَدعَ ذلك إنْ شئتَ، فالخيارُ إليك في ذلِك؛ فهم لا يَقصِدون بتَحاكُمهم إليك اتِّباعَ الحقِّ، بل يَطلُبون ما وافَقَ أهواءَهم[١].

﴿وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ﴾.

أي: وإنْ تُعرِضْ - يا محمَّدُ - عن هؤلاءِ المحتكِمينَ إليك من اليهودِ، وتَختَرْ تَرْكَ الحُكم بينهم، فلن يَقدِروا على إلحاقِ أيِّ ضررٍ بك في أمْرِ دِينٍ ولا دُنيا[٢].

﴿وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾.

أي: وإنِ اخترتَ الحُكمَ بينهم - يا محمَّدُ - فاحكمْ بينهم بالحقِّ والعدل، وإنْ كانوا في الحقيقةِ أعداءً وظَلَمةً، خارجينَ عن طريقِ العدل[٣].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾.

أي: إنَّ اللهَ تعالى يحبُّ العادلينَ في حُكْمِهم بينَ النَّاس[٤].

عن عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رضِيَ اللهُ عنهما، أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال:

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٣٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١١٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤١٢- ٤١٣).

قال ابنُ عُثَيمين: («أو» هنا هل هي للتَّنويعِ أو للتخيير؟ الجواب: هذه للتَّخيير، وإذا كانتْ للتخييرِ؛ فهل هو تخييرُ تشَهٍّ أو مصلحةٍ؟ نقول: هو تخييرُ مصلحةٍ) ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤١٣).

والقاعدةُ تقول: إذا خُيِّرَ العبدُ بين شيْئَيْنِ فأكثر، فإنْ كانَ التَّخييرُ لمصلحتِه فهو تخييرُ تشهٍّ واختيار، وإن كانَ لمصلحةِ غيره فهو تخييرُ اجتهادٍ في مصلحةِ غيره. يُنظر: ((قواعد التفسير عند المفسرين)) لخالد السبت (ص: ٨٧٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٤٥ - ٤٤٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٤١٣- ٤١٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٤٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١١٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤١٤).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٤٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤١٥).

((إنَّ المُقسِطينَ عندَ الله على منابرَ مِن نورٍ، عن يَمينِ الرَّحمنِ عزَّ وجلَّ- وكِلتَا يديهِ يمينٌ- الذين يَعدِلونَ في حُكمِهم وأَهليهِم وما وَلُوا[1]))[2].

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾.

أي: كيف يَجعلُك هؤلاءِ اليهودُ- يا مُحمَّدُ- حَكَمًا بينهم وهم يُكذِّبونَك، وعندهم التوراةُ التي أُنزِلَتْ على موسى، والتي فيها حُكم اللهِ على ما يُريدون، ومِن ذلك حُكمُ الله فيها على الزاني المحصَن بالرَّجْمِ؟! ومع هذا أَعْرضوا عن حُكْمِها، وهم يَعلمون أنَّه الحقُّ، وطَلَبوا حُكمَ غيرِها؛ لاحتمالِ موافَقَتِه لأهوائِهم بظَنِّهم الفاسِدِ[3].

﴿وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

أي: إنَّهم ليسوا مِن أهلِ الإيمانِ؛ فإنَّ ذلك ليس مِن صَنيعِهم ودأْبِهم، أمَّا هؤلاء فقد جَعَلوا آلهتَهم أهواءَهم، وجَعَلوا أحكامَ الشَّرْع تابعةً لها، ولو كانوا مؤمنِينَ عاملينَ بما يَقتضيهِ الإيمانُ لم يَعدِلوا عن حُكمِ اللهِ في التوراةِ التي بين أيديهم[4].

(١) وَمَا وَلُوا- بفَتْح الواو وضمِّ اللام المخفَّفة-: أي: ما كانتْ لهم عليه ولايةٌ مِن النَّظر إلى اليتيم، أو وقْفٍ، أو حِسبة، ونحو ذلك، ورُوي (وُلُّوا)- بضمِّ الواو وتشديد اللام-: أي ما جُعِلوا والينَ عليه. يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (١٢/ ٢١١)، ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (٦/ ٢٤٠٤).

(٢) رواه مسلم (١٨٢٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٤٧-٤٤٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١١٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤١٩- ٤٢٠).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٤٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٢٠- ٤٢١).

الفوائِدُ التَّربويَّة:

١- في قولِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ تعليمٌ وتأديبٌ للمؤمنينَ ألَّا يُخاطِبوا رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم باسْمِه، وأنْ يُخاطِبوه بوصْفِه(١).

٢- الإشارةُ إلى أنَّ المدارَ في الإيمانِ والصَّلاحِ والفسادِ، على القلبِ؛ لقوله: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ﴾، وقولِه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡ﴾، فالإيمانُ باللِّسانِ ليس إيمانًا حتَّى يكونَ مبنيًّا على إيمانِ القَلبِ، وإلَّا فإنَّه لا يَنفعُ صاحبَه؛ فالإيمانُ محلُّه القلبُ(٢). وفي الحديثِ: ((ألَا وإنَّ في الجسدِ مضغةً، إذا صَلَحَت صَلَحَ الجسدُ كلُّه، وإذا فَسَدَت فَسَدَ الجسدُ كلُّه))(٣).

٣- يُستفادُ مِن قولِه: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ أنَّ مَن حَرَّف الكلمَ عن مواضعِه من هذه الأمَّة ففيه شَبَهٌ مِن اليهود، فيَقتضي هذا التحذيرَ مِن تحريفِ الكَلِمِ عن مواضعِه؛ لئلَّا يقعَ الإنسانُ في مشابهةِ اليهودِ(٤).

٤- أنَّ التحريفَ المذموم، هو الذي يقعُ بعدَ معرفةِ الإنسان للحقِّ؛ لقولِه: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾، وفي الآيةِ الأخرى: ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣]، فهم يُريدون أن يُزيلوا الكلمَ عن مواضعِه، أمَّا الإنسانُ الذي تأوَّل بتأويلٍ سائغٍ؛ فإنَّه لا يُذمُّ، ولا يُعدُّ فِعلُه تحريفًا يأثَمُ به(٥).

(١) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٣٢٠).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٠٣، ٤٠٩، ٤١٠).
(٣) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٠٦).
(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٤٠٥).

٥- يُستفادُ مِن قولِه: ﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟﴾ ذمُّ أولئك الذين لا يَقبلون مِن الحقِّ إلَّا ما وافَق أهواءَهم، وإذا لم يوافقْ أهواءَهم ذهَبوا يتطلَّبون الرُّخَصَ من هذه الأمَّة[1].

٦- يُستفادُ مِن قولِه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ أنَّه يَنبغي للإنسانِ أنْ يسألَ اللهَ دائمًا أن يُطهِّرَ قلبَه، وأنْ يَعتنيَ بأعمالِ القَلب، واعتناءُ المرء بأعمال القلب يجبُ أن يكونَ أشدَّ من اعتنائِه بعَملِ الجَسَد؛ لأنَّ عمَلَ الجسدِ يقعُ مِن كلِّ إنسانٍ؛ من مؤمنٍ ومنافقٍ، لكنَّ عمَلَ القلبِ هو المهمُّ[2].

٧- أنه يجبُ على الإنسانِ المستدِلِّ أن ينظُرَ إلى النُّصوصِ مِن جميعِ الجوانِبِ، وذلك أنَّك إذا نظرتَ إلى قَوْلِه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ لقُلْتَ: إنَّ إرادةَ اللهِ تعالى لتطهيرِ القلب مجرَّدُ مشيئةٍ، لكن إذا قيَّدْتَها بالنُّصوصِ الأخرى عَرَفْتَ أنَّ عدمَ إرادةِ اللهِ تطهيرَ قلوبِ هؤلاء؛ لأنَّهم ليسوا أهلًا لذلك، كما قال اللهُ تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[3] [الصف: ٥].

٨- يُستفادُ مِن قولِه: ﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ الوعيدُ لهؤلاء لعلَّهم يَرجِعون؛ فإنَّ الوعيدَ على المعصيةِ مِن أسباب العُدول عنها، بحيثُ لا يُقدِمُ عليها، وإذا أَقدمَ استعتَبَ وتاب[4].

٩- يُستفادُ مِن قولِه: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ التحذيرُ من هذا الوصفِ القبيحِ، وهو الاستماعُ للكذب، أو نَقْلُ الكذب؛ لأنَّ اللهَ أكَّد بيانَ هذا الوصفِ القبيحِ

(١) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٤٠٧).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤١٠).
(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٤٠٩).
(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٤١٠).

من اليهود[١].

١٠- التحذيرُ من أكْل المالِ بالباطل؛ لقوله: ﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾، والله عزَّ وجلَّ لم يذكُرْ هذا الوصفَ إلَّا لنَحْذرَه[٢].

١١- يُستفادُ مِن قولِه: ﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ أنَّ مَن اكتَسَب المالَ الحرامَ ففيه شَبَهٌ من اليَهود؛ فآكِلو الرِّبا مُشابِهونَ لليهود، وآكِلو الأموالِ بالغشِّ مشابِهون لليهود، وآكِلو الأموالِ بالحَلِف الكاذبِ مشابِهون لليهود؛ فكلُّ مَن اكتسب مالًا بغير حقٍّ بطريقٍ محرَّمٍ فهو مشابهٌ لليهود، كالرَّاشي والمرتشي، فالرِّشوة شائعةٌ في اليهودِ[٣].

١٢- أنَّه لا يجوزُ للإنسان أن يُراعيَ في حُكمه قريبًا ولا صديقًا، ولا غنيًّا ولا فقيرًا؛ لقوله: ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾، وهذا يعني: أن يَنظُرَ إلى القضيةِ من حيث هي قضيةٌ، لا من حيثُ إنَّها قضيةُ فلانِ بن فلان[٤].

١٣- يُستفادُ مِن قولِه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ الحثُّ على الإقساطِ، أي: العَدْلِ؛ وجْه ذلك: كونُ الله يُخبِرُ أنَّه يحبُّ المُقْسطين يتضمَّن الحثَّ على العَدْلِ، فهذا ليس مُجرَّدَ خَبَر، بل هو خبرٌ يُرادُ به الحثُّ والإغراءُ على العَدْل[٥].

١٤- يُستفادُ مِن قولِه: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾ أنَّ مَن استفتَى عالِمًا طلبًا للرُّخصةِ، ففيه شَبَهٌ من اليهودِ[٦].

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِف:

١- نِداؤه تعالى له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ هنا، وفي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ و﴿يَٰٓأَيُّهَا

(١) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٤١٥).
(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٤١٦).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤١٦).
(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٤١٧).
(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) .
(٦) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٤٢١).

﴿ٱلنَّبِيُّ﴾ في مواضعَ أخرى تشريفٌ وتعظيمٌ وتفخيمٌ لِقَدْرِه، ونادَى غيرَه من الأنبياء باسمِه، فقال: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ﴾ [البقرة: ٣٥]، و﴿يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ﴾ [هود: ٤٨]، ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ [الصافات: ١٠٤-١٠٥]، ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ﴾ [الأعراف: ١٤٤]، ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران: ٥٥]، ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾(١) [مريم: ١٢].

٢- تقويةُ قلبِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وتسليتُه بقولِه: ﴿لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾(٢).

٣- أنَّ النَّاسَ يَختلفونَ في الكُفرِ؛ فمِنهم مَن يُسارِع فيه بخُطًى حثيثة، ومنهم مَن هو دونَ ذلك؛ لأنَّه قسَّم، فقال: ﴿لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾، يعني: وهناك أناسٌ لا يُسارِعون فيه، فالداعيةُ إلى الكفرِ مسارِعٌ فيه، وغيرُ الداعيةِ غيرُ مسارِعٍ(٣).

٤- قال تعالى هنا: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾، وفي آيةٍ أخرى قال: ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦]؛ لأنَّ آيةَ سورةِ النِّساءِ في وصْفِ اليهودِ كلِّهم، وتحريفِهم في التوراةِ، فهو تغييرُ كلامِ التوراةِ بكلامٍ آخَرَ عن جهْلٍ أو قصْدٍ، أو خطأٍ في تأويلِ معاني التَّوراةِ أو في ألفاظِها، فكان إبعادًا للكَلامِ عن مواضعِه، أي: إزالةً للكلامِ الأصليِّ سواءٌ عُوِّضَ بغيره أو لم يُعوَّض، وأمَّا هذه الآية ففي ذِكر طائفةٍ معيَّنةٍ أبطلوا العملَ بكلامٍ ثابتٍ في التَّوراة؛ إذ ألْغَوا حُكمَ الرَّجْمِ

(١) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١١/ ٣٥٨) ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٦٠)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٣٣٤)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٣١٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٠٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٠٢).

(٣) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ١٣٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٠٢).

الثابتَ فيها دون تعويضِه بغيرِه من الكلامِ، فهذا أشدُّ جرأةً من التَّحريف الآخَر؛ فكان قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ أبلغَ في تحريفِ الكلامِ؛ لأنَّ لفظ (بعد) يَقتضي أنَّ مواضعَ الكلمِ مُستقرَّة، وأنَّه أبطَلَ العملَ بها مع بقائِها قائمةً في كِتابِ التوراةِ[1].

٥- أنَّ اليهودَ لا يَقْبَلون من الحقِّ إلَّا ما وافقَ أهواءَهم؛ لقوله: ﴿يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْ﴾[2].

٦- شِدَّةُ كَراهةِ أحبار اليهودِ للحقِّ؛ لقوله: ﴿وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْ﴾ لم يقولوا: (فلا تأخذوه)، بل قالوا: ﴿فَٱحۡذَرُواْ﴾، وهذا أشدُّ وقعًا مِن قَوْلِهم: (فلا تأخذوه)، وكان مُقتضى المقابلة أن يُقال: وإنْ لم تؤتوه فلا تأخُذوه[3].

٧- يُستفادُ من قولِه تعالى: ﴿يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْ﴾ أنَّ الثيِّبَ الذِّميَّ يُرجَم، وهو مذهبُ الشافعيِّ رحمه الله؛ قال: لأنَّه صحَّ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنه أمَرَ برجْمِه، فإنْ كان الأمرُ برجْمِ الثيِّب الذميِّ مِن دِينِ الرسولِ فقد ثبَت المقصودُ، وإنْ كان إنَّما أمَرَ بذلك بناءً على ما ثبَتَ في شريعةِ موسى عليه السَّلامُ وجَب أن يكونَ ذلك مشروعًا في دِيننا، ويدلُّ عليه وجهان: الأول: أنَّ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لَمَّا أفتى على وَفقِ شريعةِ التَّوراةِ في هذه المسألةِ كان الاقتداءُ به في ذلك واجبًا، والثاني: أنَّ ما كان ثابتًا في شَرْعِ موسى عليه السَّلامُ، فالأصلُ بقاؤُه إلى طَرَيانِ النَّاسِخ، ولم يوجدْ في شَرْعِنا ما يدلُّ على نسْخ هذا الحُكمِ؛ فوجَب أنْ يكون باقيًا[4].

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٠٠).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٠٦).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٠٧).
(٤) يُنظر: ((أحكام القرآن)) للجصاص (٥/ ٩٨)، ((تفسير الرازي)) (١١/ ٣٥٩).

٨- في قولِه تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ﴾ و﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡ﴾ ردٌّ على القَدَريَّة والمعتزلةِ، الذين يَنْفُون مشيئةَ اللهِ لأفعالِ العبادِ، فدلَّت الآيةُ على أنَّ الله تعالى غيرُ مريدٍ إسلامَ الكافرِ إرادةً كونيَّة، وأنَّه لم يُطهِّرْ قلْبَه من الشكِّ والشِّرْكِ، ولو فعَلَ ذلك لآمَنَ[(١)].

٩- عُتوُّ اليهودِ، وأنَّهم بعدَ أن يَتبيَّنَ لهم الحقُّ يتولَّوْن؛ لقوله: ﴿وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ﴾؛ لأنَّ ﴿ثُمَّ﴾ تدلُّ على الترتيبِ والتَّراخي[(٢)].

١٠- في قوله ﴿وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗا﴾ نفي لضَرَرِه صلَّى الله عليه وسلَّم، لكنْ قد يُؤذونَه، فالأذيةُ لا يلزم منها الضررُ؛ فقد قال تعالى ﴿إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا﴾ [آل عمران: ١٧٦]، وقال في الحديث القدسي: ((يا عِبادي، إنَّكم لن تَبلُغوا ضُرِّي فتضروني))[(٣)]، فنفَى أن يضرَّه أحدٌ، أمَّا الأذيَّة فقد أثبَتَها، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، وقوله في الحديثِ القُدسي: ((يُؤذِيني ابنُ آدمَ؛ يسبُّ الدهر))[(٤)]، فالضرر منفيٌّ عن الله عزَّ وجلَّ، والأذيَّة ثابتةٌ[(٥)].

بَلاغَةُ الآياتِ:

١- قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ استئنافٌ ابتدائيٌّ؛ لتهوينِ تألُّبِ المنافقينَ واليهودِ على الكَذِبِ والاضطرابِ في

(١) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٦٢). ((تفسير الرازي))(١١/ ٣٦٠).
(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ١٤٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٢٣).
(٣) رواه مسلم (٢٥٧٧).
(٤) رواه البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦).
(٥) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤١٣- ٤١٤).

معاملةِ الرسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وسوءِ طواياهم معه[١].

- وفيه كنايةٌ في قوله: ﴿لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ﴾؛ حيث إنَّ نهيَه عن أنْ يحصُلَ له إحزانٌ مسنَدٌ إلى الَّذين يُسارِعونَ في الكُفرِ، والإحزانُ فِعلُ الذين يُسارِعون في الكُفر، والنهيُ عن فِعلِ الغيرِ إنَّما هو نهيٌ عن أسبابِه، أي: لا تجعلْهم يُحزِنونك، أي: لا تهتمَّ بما يَفعلونَ ممَّا شأنُه أن يُدخِلَ الحزنَ على نفْسِك[٢].

٢- قوله: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ **فيه:** تكرار؛ تأكيدًا لِمَا قبله، وتمهيدًا لِمَا بعده، وتقريرًا للمعنى، ولإفادة اهتمامِ المتكلِّم به، و﴿سَمَّاعُونَ﴾ من صِفات المبالغة[٣].

٣- قوله: ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ هذا التركيبُ يدلُّ على انتفاءِ الحِيلة في تحصيلِ أمرٍ ما، أي: لا تَقدِر على أقلِّ شيءٍ من الله، أي: لا تستطيعُ نَيْلَ شيءٍ من تيسيرِ اللهِ؛ لإزالةِ ضلالةِ هذا المفتون؛ لأنَّ مادَّةَ المِلْك تدلُّ على تمامِ القُدرةِ[٤].

- وتنكيرُ ﴿شَيْئًا﴾ للتقليلِ والتحقيرِ، ويدلُّ على انتفاءِ مِلكِ الشيءِ القليلِ، ويَقتضي انتفاءَ مِلْك الشَّيء الكثيرِ بطَريقِ الأَوْلى[٥].

٤- قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ **فيه:** إشارةٌ إلى

---

(١) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٦٠)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٣٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٩٤).

(٢) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٩٧).

(٣) ينظر: ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١٢٦)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٦١)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٣٧- ٣٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٠١)، ((تفسير الشربيني)) (١/ ٣٧٦).

(٤) ينظر: ((المصدر السابق)) (٦/ ٢٠١).

(٥) ينظر: ((المصدر السابق)).

المذكورين مِن المنافقين واليهودِ، وما في اسمِ الإشارةِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ من معنى البُعد؛ للإيذانِ ببُعدِ منزلتِهم في الفسادِ[١].

٥- قوله: ﴿لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾: تكرير ﴿لَهُمۡ﴾ مع اتِّحادِ المرجع؛ لزيادةِ التقريرِ والتأكيدِ، وتنكيرُ ﴿خِزۡيٞ﴾ للتفخيم[٢]، مع ما يُفيد تقديمُ الجارِّ والمجرورِ ﴿لَهُمۡ﴾ من القصرِ والحصرِ، وما يُفيده تنكيرُ ﴿عَذَابٌ﴾ مِن التَّفخيم والتهويل كذلك، ووصْفه بـ ﴿عَظِيمٞ﴾ بصِيغة المبالَغة.

٦- قوله: ﴿وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ﴾ الاستفهامُ للتعجُّب؛ إذْ مِنَ العجيبِ أنَّهم يَتركُونَ كتابَهم ويُحكِّمونك، وهم غيرُ مؤمنينَ بك، ثم يتولَّون بعدَ حُكمِك إذا لم يُرْضِهم، والجملةُ استئنافيَّة، مسوقةٌ لبيانِ أنَّ عندَهم ما يُغْنيهم عن التَّحكيم[٣].

٧- قوله: ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ تذييلٌ مُقرِّر لفحوى ما قَبْلَه، ووضْع اسم الإشارة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ موضع ضميرهم (هُمْ)؛ للقصدِ إلى إحضارِهم في الذِّهن بما وُصِفوا به مِن القبائح؛ إيماءً إلى عِلَّة الحُكم[٤]، وأتى بـ «أولاء» مقرونةً بالكافِ الدالَّةِ على بُعدِ المشار إليه، وهذا لدنوِّ منزلتِهم وليس لعُلوِّها، يعني: ما هؤلاءِ المنحطُّون الذين نزلوا إلى أسفلِ السَّافلين بالمؤمنين، وأتى بحَرْفِ الجرِّ في قوله: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ للتَّوكيد[٥].

(١) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٣٨).
(٢) ينظر: ((المصدر السابق)).
(٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٦٥)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٤٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٠٦).
(٤) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٤٠).
(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٣٤٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٢٠- ٤٢١).

الآيتان (٤٤ - ٤٥)

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

غريبُ الكَلِمات:

﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾: جمْع ربَّانيٍّ، مَنسوبٌ إلى الرَّبِّ أو إلى الرَّبَّان، وهو الجامِعُ إلى العِلمِ والفِقهِ البَصرَ بالسِّياسةِ، والتَّدبيرَ، والقيامَ بأُمورِ الرَّعيَّة وما يُصلحُهم في دُنياهم ودِينهم، ويَشمَلُ ذلك: العَالِمَ الحَكيمَ، والفَقيهَ التَّقيَّ العابِدَ، والمُعلِّمَ المُصلِحَ، والذي يُربِّي النَّاسَ بصِغارِ العِلمِ قَبل كِبارِه، وأصل (ربّ): يدلُّ على إصلاحِ الشَّيءِ والقِيامِ عليه ولُزومِه، وضمِّ الشَّيءِ للشَّيءِ[(١)].

﴿وَٱلۡأَحۡبَارُ﴾: العُلماءُ، وهنا تَختصُّ بعُلماءِ اليهودِ من ولدِ هارون، جمْع حَبْر، وأَصْلُ (حبر): يدلُّ على الأثرِ في حُسنٍ وبهاءٍ[(٢)].

﴿ٱسۡتُحۡفِظُواْ﴾: استُودِعوا، والحِفظُ هو التَّعاهُدُ، وقلَّةُ الغَفْلة، ويُستعملُ في كلِّ تفقُّدٍ وتعهُّدٍ ورِعايةٍ، وهو نَقيضُ النِّسيانِ[(٣)].

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥/ ٥٢٩-٥٣١)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٣٨١- ٣٨٢)، ((المفردات)) للراغب (ص:٣٣٦- ٣٣٧)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٢٦).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٣)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ١٢٧)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٢٦، ١٥١)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٤٠٨).

(٣) يُنظر: ((العين)) للخليل بن أحمد (٣/ ١٩٨)، ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٤)،

﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ﴾: الخَشيةُ: خوفٌ يَشوبُه تَعظيمٌ، وهي: أشدُّ مِن الخوفِ وأَخَصُّ مِنه؛ فهي خوفٌ مَقرونٌ بمعرفةٍ، وأكْثرُ ما تكونُ الخَشْيةُ عن عِلمٍ بالمَخوفِ منه، وهي مأخوذةٌ مِن قولِهم: شَجرةٌ خاشيةٌ: أي يابسةٌ، وأَصْلُ (خشِي): يدلُّ على خَوفٍ وذُعْرٍ(١).

﴿قِصَاصٞ﴾: وهو: مُقابلةُ الفِعل بمثلِه، وتتبُّع الدَّم بالقَوَدِ، كقَتْلِ القاتِل بَدلَ القَتيلِ، وأصلُ القَصِّ: تتبُّع الشَّيءِ والأَثَرِ، ومنه اشتُقَّ القِصاصُ في الجِراح؛ لأنَّه يُفعَل به مِثلُ فِعلِه بالأوَّل، فكأنَّه اقتصَّ أثَرَه(٢).

﴿كَفَّارَةٞ﴾: الكفَّارة: ما يُغطِّي الإثمَ، وأصْل الكفر: السَّترُ والتَّغطية(٣).

المَعنَى الإجْمالِيُّ:

يُخبرُ تعالى أنَّه أنزلَ التوراةَ مشتملةً على الهُدى والنُّور؛ يَحكمُ بها بين اليهود أنبياؤُهم الذين استَسلموا وخضَعوا للهِ تعالى، ويَحكُمُ بها أيضًا بينهم الربَّانيُّون والأحبار؛ وذلك لِكَونِهم مستأمَنينَ على كتابِ الله، مأمورينَ بتبليغِه، وشهداءَ عليه، ثم نهى اللهُ علماءَ اليهودِ أنْ يخافوا من النَّاسِ في تنفيذِ أحكامِه، بل يخافونه وحْدَه، ونهاهم عن أنْ يتركوا الحُكمَ بما في كتابِه مِن أجْلِ مَتاعِ الدُّنيا القليلِ الزائل، وأخبر أنَّ مَن لم يَحكُم بما أنْزَلَه تعالى فأولئك هم الكافِرون.

ثمَّ بيَّن تعالى أنَّه فرَض على اليهودِ في التَّوارة القصاصَ بأنْ تُقتَلَ النفسُ

((المفردات)) للراغب (ص: ٢٤٤).

(١) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ١٨٤)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٢٨٣)، ((مدارج السالكين)) لابن القيم (١/ ٥٠٨)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٨٢)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٤٢٨).

(٢) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ١١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٧١- ٦٧٢)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٢٦).

(٣) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ١٩١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٧١٧).

إذا قَتَلتْ نفسًا أخرى عَمْدًا بغير حقٍّ، وكذا العينُ مقابلَ العينِ، والأنفُ مقابلَ الأنفِ، والأذنُ مقابلَ الأُذُنِ، والسِّنُّ مقابلَ السِّنِّ، كما فرَض القِصاصَ في الجُرُوح؛ فللمجروحِ أن يقتصَّ بالمِثل ممَّن جرَحَه ظُلمًا، فمَن تنازَلَ عن حقِّه من القِصاصِ فيما سبَق فعَفَا عمَّن تَعدَّى عليه، فسيُكفِّر اللهُ ذنوبَه جزاءَ عَفْوِه عنه، وأخبَر تعالى أنَّ مَن لم يَحكُمْ بما أنزَلَه فأولئك هم الظَّالِمون.

تَفْسيرُ الآيتين:

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًاۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾.

مُناسَبتُها لِمَا قَبلَها:

لَمَّا وصَف اللهُ عزَّ وجلَّ التوراةَ بأنَّ فيها حُكمَه سُبحانَه في قوله: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ﴾ وتضمَّن ذلك مدْحَ التَّوراةِ؛ صرَّح بذلك هنا، فأثْنى عليها وعلى الحاكمينَ بها، تأكيدًا لذمِّ اليهودِ في الإعراضِ عمَّا دعَتْ إليه مِن أصلٍ وفرعٍ، وتحذيرًا من مِثل حالِهم(١)، فقال:

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾.

أي: نحنُ نزَّلنا التوراةَ على موسى عليه السَّلامُ، وفيها ما يَهدي إلى الحقِّ، وما يُستضاءُ به في ظُلماتِ الشَّهوات والشُّبهاتِ(٢).

---

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ١٤٤). ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٠٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٤٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٢٤).

﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾.

أي: يَحكُمُ بحُكمِ التوراةِ الأنبياءُ الكِرامُ سادةُ الأنامِ عليهم السَّلامُ، الذين استَسلَموا للهِ تعالى ظاهرًا وباطنًا، فيَحكُمون بها بينَ اليهودِ، لا يَخرُجون عن حُكْمِها، ولا يُبدِّلونها ولا يُحرِّفونها(١).

﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾.

أي: ويَحكُمُ بالتَّوراةِ وأحكامِها أيضًا الرَّبَّانيُّونَ (وهم العلماءُ الحكماءُ العُبَّاد، الذين يُربُّون الناسَ بصغارِ العلمِ قبلَ كبارِه)، والأحبارُ (وهم العلماءُ الكبارُ ذَوو العلمِ الواسِع، المُحْكِمُون لعِلْمِهم)؛ وذلك لأنَّ اللهَ تعالى جعَلَهم أُمَناءَ على كِتابِه؛ استودَعهم إيَّاه، وأمَرَهم أن يُظْهِروه ويَعملوا به، وأوجب عليهم حِفظَه من الزِّيادةِ والنُّقصانِ والكِتمان(٢).

﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾.

أي: شُهداءَ على أنَّه كتابُ الله، نزَل من عندِ اللهِ، وفيه حُكمُ الله، وهم مؤتَمَنون على تبليغِه، وحِفظِه من التَّبديلِ والتَّحريفِ والكِتمان، ومِن ذلك الحُكمُ برجْمِ الزاني المُحصَن، وإثباتُ أنَّ محمدًا صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ هو الرسولُ المنتظَر المذكور في التوراةِ(٣).

﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١١٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٢٤- ٤٢٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٥١- ٤٥٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١١٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٢- ٢٣٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٢٥- ٤٢٦).

(٣) يُنظر: ((التفسير الوسيط)) للواحدي (٢/ ١٩٠)، ((تفسير القرطبي)) (٦/ ١٨٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٠٩- ٢١٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٢٦، ٤٣١).
وممَّن قال بنحوِ هذا القولِ من السَّلفِ ابن عباس في رواية عنه. ينظر: ((زاد المسير)) لابن الجوزي (١/ ٥٥٢).

مُناسَبَتُها لِما قَبْلَها:

لَمَّا قرَّرَ فيما سبَقَ أنَّ النبيِّين والربَّانيِّين والأحبارَ كانوا قائمينَ بإمضاءِ أحكامِ التَّوراةِ من غيرِ مبالاةٍ؛ خاطَب اليهودَ الذين كانوا في عصْر النبيِّ صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّمَ، ومنَعَهم مِنَ التَّحريفِ والتَّغييرِ[1]، فقال:

﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾.

أي: فما دُمتُم قدِ استُحْفِظْتُم على كتابِ اللهِ تعالى- يا علماءَ اليهودِ[2]- فلا تَخشَوُا النَّاسَ في تنفيذِ حُكمي وإمضائِه عليهم؛ فإنَّهم لا يَقدِرون على ضرِّكم ولا نَفعِكم إلَّا بإذني؛ فإنَّ الحفيظَ على الشَّيءِ، الأمينَ حقَّ الأمانةِ لا يَخشى أحدًا في القيامِ بوجهِ أمانتِه، ولكنَّه يَخشى الذي استأمنَه، فلا تُخِلُّوا بها استرضاءً لأهواءِ النَّاس- ككِتمانِ حُكم الرَّجمِ، الذي حَكَم به اللهُ تعالى في التوراةِ على الزاني المحصَن وتبديلِه بغيره، وكِتمانِ صِفةِ محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ- ولكنِ اخْشَوني دون كلِّ أحدٍ مِن خَلقي، واقصُروا أنظارَكم على رِضاي؛ فإنَّ النفعَ

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٣٤٩).

(٢) هذا اختيارُ ابنِ جريرٍ في ((تفسيره)) (٨/ ٤٥٥)، والواحديِّ في ((التفسير الوسيط)) (٢/ ١٩٠)، وابنِ عطيةَ في ((تفسيره)) (٢/ ١٩٦) أنَّ الخطابَ لعلماءِ اليهودِ.
وممَّن قال بنحوِ هذا القولِ من السَّلفِ: ابنُ عباس رضي الله عنهما. ينظر: ((زاد المسير)) (١/ ٥٥٢).
وذكَر ابنُ عطيَّة أنَّه يحتمل أنْ يكون قولُه: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ﴾ إلى آخِرِ الآيةِ خِطابًا لأمَّة محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم.
وذهَب ابنُ عاشور إلى جواز أن يكون الخطابُ بقوله: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ﴾ ليهودِ زمان نزولِ الآية، والفاء للتفريع عمَّا حُكي عن فِعل سَلف الأنبياء والمؤمنين؛ ليكونوا قدوةً لخلَفهم من الفَريقين، وتكون الجملةُ على هذا الوجه معترضةً، وذهب أيضًا إلى جواز أن يكونَ الخطاب للنبيِّين والربانيِّين والأحبار؛ فهي على تقديرِ القول، أي: قلنا لهم: فلا تَخشَوُا الناس. يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢١٠).

والضرَّ بيدي، وخافوا عِقابي على كِتمانكم أو تبديلِكم ما استُحْفِظْتُم مِن كتابي[١].

﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾.

أي: ولا تَتركوا الحُكمَ بآياتِ كتابي- أيُّها العلماءُ- فتكتموا الحقَّ، وتُظهِروا الباطلَ؛ لأجْلِ متاعٍ قليلٍ، وعِوَضٍ خسيس- كطلب بقاءِ جاهٍ وسيادةٍ، أو طَلَبِ مال يُبذَل رِشوةً[٢].

﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾.

مُناسَبَتُها لِما قَبْلَها:

لَمَّا منَعَهم مِن خَشيةِ النَّاس، وأن يشترُوا بآياتِه ثمنًا قليلًا؛ أتْبعَه بالوعيدِ الشَّديدِ[٣].

سبَبُ النُّزولِ:

عن البَراءِ بن عازبٍ رضِيَ اللهُ عنه، قال: ((مُرَّ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بيهوديٍّ محمَّمًا مجلودًا، فدَعاهم صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فقال: هكَذا تَجِدون حدَّ الزاني في كِتابِكم؟ قالوا: نعَم، فدَعا رجلًا من عُلمائِهم، فقال: أَنشُدُك باللهِ الذي أنزلَ التوراةَ على موسى، أهكذا تَجِدون حدَّ الزَّاني في كتابِكُم؟ قال: لا، ولولا أنَّك نَشدْتَنِي بهذا لم أُخْبِرْكَ؛ نجدُه الرَّجمَ، ولكنَّهُ كثُرَ في أشرافِنا، فكنَّا إذا أخَذْنا الشَّريفَ تركْناهُ، وإذا أخَذْنا الضعيفَ أقَمْنا عليهِ الحدَّ! قلنا: تَعالَوْا فلنجتمعْ على شيءٍ نُقيمُه على الشَّريفِ والوَضيعِ، فجعَلْنا التَّحميمَ والجلْدَ مكانَ الرجمِ، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: اللهمَّ إنِّي أولُ مَن أحيا أمْركَ إذْ أماتوهُ، فأمرَ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٥٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢١٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٢٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٥٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٢٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٣٤٩).

بِهِ فرُجِمَ، فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ إلى قولِه: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾، يقول: ائتوا محمَّدًا صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فإنْ أمَرَكم بالتَّحميم والجَلدِ فخُذوه، وإنْ أفتاكم بالرَّجمِ فاحْذروا، فأنزل اللهُ تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ في الكُفارِ كلُّها))(١).

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

أي: إنَّ الذين لم يَحكُموا بما أَنزلَ اللهُ تعالى في كِتابِه من اليهودِ وغيرِهم، فبدَّلوا حُكمَه، وكتَموا الحقَّ الذي أنزلَه في كتابِه، وحَكَموا بالباطل؛ هؤلاءِ همُ الكافرونَ(٢).

---

(١) رواه مسلم (١٧٠٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٥٦، ٤٦٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٣)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (١/ ٤٢٧).

والحُكم بغير ما أَنزل اللهُ قدْ يكونُ كفرًا أكبر يُخرِجُ من المِلَّة في بعضِ الأحوالِ، ككراهيةِ حُكمِ الله تعالى، أو ظَنِّ أنَّ حُكمَ غيرِه مِثلُه أو أحسنُ منه، أو اعتقادِ أنَّ حُكمَ اللهِ تعالى غيرُ صالحٍ في في بَعضِ الأزمانِ كزَمانِنا هذا، أو استبدالِ قَوانينَ وأنظمةٍ عامَّة بحُكمِ اللهِ تعالى، تخالف حكمَ الله؛ فتحلُّ ما حرَّم الله وتحرِّم ما أحلَّ الله، هذا مع تحقُّقِ وجودِ شُروطِ التكفيرِ وانتفاءِ موانعِه، وقد يكونُ في أحوالٍ أخرى كُفرًا أصغر لا يُخرِجُ مِن الملَّة، كمَن يَحكُم في قضيةٍ معيَّنة بخلافِ حُكمِ اللهِ تعالى لشهوةٍ أو رِشوةٍ، فيكونُ كبيرةً من كَبائرِ الذُّنوب.

ينظر: ((مدارج السالكين)) لابن القيم (١/ ٣٤٦)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٣/ ٢٥٨-٢٥٩).

قال السعديُّ: (﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من الحقِّ المبين، وحَكَم بالباطلِ الذي يعلمه؛ لغرضٍ من أغراضِه الفاسدة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ فالحكمُ بغير ما أنزل الله مِن أعمال أهل الكُفر، وقد يكون كُفرًا يَنقُل عن الملَّة، وذلك إذا اعتقَد حِلَّه وجوازَه، وقد يكون كبيرةً من كبائر الذنوب ومِن أعمالِ الكفر؛ قد استحقَّ مَن فعلَه العذابَ الشديد) ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٣).

وقال الشِّنقيطيُّ: (فالخطابُ للمُسلمين كما هو ظاهرٌ متبادَر من سِياق الآية؛ وعليه: فالكفرُ إمَّا كُفرٌ دون كُفر، وإمَّا أن يكون فعل ذلك مستحلًّا له، أو قاصدًا به جحْدَ أحكام اللهِ وردَّها مع العِلم بها، أمَّا مَن حَكم بغير حُكم اللهِ، وهو عالمٌ أنَّه مرتكبٌ ذنبًا، فاعلٌ قبيحًا، وإنما حمَله

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ

على ذلك الهوى، فهو من سائرِ عصاة المسلمين) ((أضواء البيان)) (١/ ٤٠٧).

وقال أيضًا: (واعلم أنَّ تحرير المقام في هذا البحث: أنَّ الكفر، والظلم، والفسق، كل واحدٍ منها ربما أطلق في الشرع مرادًا به المعصيةُ تارةً، والكفرُ المخرِجُ من الملَّة أخرى: ومَن لم يحكم بما أنزل الله؛ معارضةً للرُّسل، وإبطالًا لأحكام الله، فظلمُه وفِسقُه وكفرُه كلُّها كفرٌ مخرِجٌ عن الملَّة، ومَن لم يحكُمْ بما أنزل الله معتقدًا أنه مرتكبٌ حرامًا، فاعل قبيحًا، فكفرُه وظلمُه وفسقُه غيرُ مخرجٍ عن الملَّة) ((أضواء البيان)) (١/ ٤٠٧- ٤٠٨).

قال ابن عثيمين: (من لم يحكُمْ بما أنزَل الله استخفافًا به، أو احتقارًا له، أو اعتقادًا أنَّ غيره أصلحُ منه، وأنفعُ للخلقِ، فهو كافرٌ كفرًا مخرجًا عن الملَّة، ومِن هؤلاء مَن يضعون للنَّاس تشريعاتٍ تخالفُ التشريعاتِ الإسلاميةَ؛ لتكون منهاجًا يسيرُ النَّاس عليه، فإنَّهم لم يضعوا تلك التشريعاتِ المخالفةَ للشريعةِ الإسلاميَّة إلا وهم يعتقدون أنَّها أصلحُ وأنفعُ للخلقِ، إذ مِن المعلوم بالضرورةِ العقليَّة، والجِبلَّة الفطريَّة أنَّ الإنسانَ لا يعدلُ عن منهاجٍ إلى منهاجٍ يخالفُه إلَّا وهو يعتقدُ فضلَ ما عدَل إليه، ونقصِ ما عدَل عنه). ((مجموع فتاوى ورسائل العثيمين)) (٢/ ١٤٣).

وقال أيضًا: (والحُكمُ بِغَيرِ ما أنزَلَ اللهُ ينقَسِمُ إلى قِسمَينِ:

أحدُهما: أن يستبدِلَ هذا الحُكمَ بحُكمِ اللهِ تعالى، بحيث يكونُ عالِمًا بحُكمِ اللهِ، ولكِنَّه يرى أنَّ الحُكمَ المخالِفَ له أَوْلى وأنفَعُ للعبادِ مِن حُكمِ الله، أو أنَّه مُساوٍ لِحُكمِ الله، أو أنَّ العُدُولَ عن حُكمِ اللهِ إليه جائِزٌ، فيجعَله القانونَ الذي يجِبُ التَّحاكُمُ إليه؛ فمِثلُ هذا كافِرٌ كُفرًا مُخرِجًا عن المِلَّة؛ لأنَّ فاعِلَه لم يَرْضَ باللهِ ربًّا، ولا بمحمَّدٍ رسولًا، ولا بالإسلامِ دينًا، وعليه ينطَبِقُ قولُه تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

الثاني: أن يستبدِلَ بحُكمِ الله تعالى حُكمًا مخالِفًا له في قضِيَّةٍ مُعيَّنةٍ، دون أن يجعَلَ ذلك قانونًا يجِبُ التَّحاكُمُ إليه؛ فله ثلاثُ حالاتٍ:

الأولى: أن يفعَلَ ذلك عالِمًا بحُكمِ اللهِ تعالى، مُعتَقِدًا أنَّ ما خالَفَه أَوْلى منه وأنفَعُ للعِبادِ، أو أنَّه مُساوٍ له، أو أنَّ العُدولَ عن حُكمِ اللهِ إليه جائِزٌ؛ فهذا كافِرٌ كُفرًا مُخرِجًا عن المِلَّةِ؛ لِمَا سَبَقَ في القِسمِ الأوَّلِ.

الثانية: أن يفعَلَ ذلك عالِمًا بحُكمِ اللهِ، مُعتَقِدًا أنَّه أَوْلى وأنفَعُ، لكِنْ خالَفَه بقصدِ الإضرارِ بالمحكومِ عليه، أو نَفْعِ المحكومِ له، فهذا ظالِمٌ وليس بكافِرٍ، وعليه يتنَزَّلُ قولُ اللهِ تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

الثالثة: أن يكونَ كذلك، لكِنْ خالَفَه لِهوًى في نفسِه، أو مصلحةٍ تعودُ إليه؛ فهذا فاسِقٌ وليس بكافِرٍ، وعليه يتنَزَّلُ قولُ اللهِ تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾) ((مجموع فتاوى ورسائل العثيمين))(٢/ ١٤٥).

وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

مناسَبَةُ الآيةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا بيَّن الله تعالى في التوراةِ أَحْكَامَ حَدِّ الزِّنَى، وأنَّ حُكمَ الزاني المحصَن هو الرجمُ، وأنَّ اليهودَ غيَّروه وبدَّلوه- ذكر في هذه الآيةِ أنَّه تعالى بيَّن في التوراةِ أَحْكَامَ القِصَاصِ، لكنَّ اليهودَ غيَّروها أيضًا[1]، فقال تعالى:

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾.

أي: وفرَضْنا على اليهودِ في التَّوراةِ أنَّ النَّفس تُقتلُ قِصاصًا، إذا قَتلتْ نفسًا أخرى عَمْدًا بغير حقٍّ، وكذا العينُ تُفقَأُ بالعَينِ، والأنفُ تُجدعُ بالأنفِ، والأُذنُ تُقطَعُ بالأُذنِ، والسِّنُّ تُقلَعُ بالسنِّ، ويُقتصُّ للمجروحِ ممَّن جرَحه ظلمًا وعدوانًا بمِثل الجُرحِ الذي جرَحه[2].

وقال أيضًا: (الأدلَّة دلَّت على أنَّ هذا [أي: التكفير] مقيَّد بشروط:
الأوَّل: أن يكون الحاكمُ عالِمًا بحُكم الله، والثاني: أن يكونَ عالِمًا بمخالفة هذا الحُكم لحُكمِ الله، والثالث: أن يَجعلَه بديلًا عن حُكم الله، والرابع: ألَّا يرضَى بحُكم الله، فإذا تمَّت هذه الشروط صارَ حينئذٍ خارجًا عن الملَّة) ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٣٥- ٤٣٦).
قال الرازي: (أجمَع المفسِّرون على أنَّ هذا الوعيدَ يتناولُ اليهودَ بسببِ مخالفتِهم حكمَ الله تعالى في واقعةِ الرَّجم) ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٣٦٨).
وممَّن ذهب مِن السَّلف أنَّ الآيةَ في اليهودِ، وتشملُ كذلِك هذه الأمَّةَ: ابنُ مسعود، وإبراهيمُ النَّخَعي، والحسن، والسُّدِّيُّ. ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٦٦)، ((زاد المسير)) لابن الجوزي (١/ ٥٥٢).

(١) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٣٦٨) ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٧٠، ٢٧١) ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢١٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٦٨- ٤٦٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٢٠- ١٢٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٣)، ((تفسير ابن عثيمين)) (١/ ٤٣٩- ٤٤٨).

وهذا من جملة أحكام التوراة، التي يَحكُم بها النبيُّون الذين أَسلموا للذين هادُوا، ويَحكُم بها الربَّانيُّون والأحبارُ، ومع ذلِك يُخالفُها اليهودُ عمدًا؛ فهُم بترْكِ حُكمِ محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بينهم أَحْرى وأَوْلى[١].

﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾.

أي: فمَن تنازَلَ عمَّا وجَبَ له مِن حقٍّ بالقِصاص في النَّفْس، وما دونها من الأطرافِ والجُروحِ فعفَا عن الجاني، تُكفَّرُ عنه ذنوبُه؛ جزاءً لعَفْوه وتنازُلِه[٢].

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

قال السعديُّ: (ومِثل هذه ما أشبَهها من الأطرافِ التي يُمكن الاقتصاصُ منها بدون حيفٍ) ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٣).

قال النَّحاسُ: (﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ﴾ فهذا الضميرُ لليهودِ بإجماعٍ). ((إعراب القرآن)) (١/ ٢٦٩).

وقال الرازي: (أجمع العلماءُ على أنَّ قولَه تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ حكمُه باقٍ في شرعِنا) ((تفسير الرازي)) (١١/ ٣٥٩-٣٦٠).

وقال القرطبيُّ: (أجمَع العلماءُ على أنَّ قولَه تعالى: ﴿وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ﴾ أنَّه في العمدِ) ((تفسير القرطبي)) (٦/ ٢٠٢).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٤٦٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٢٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢١٣- ٢١٥).

(٢) واختار هذا القولَ ابنُ جرير في ((تفسيره)) (٤٧٩- ٤٨٠)، واختارَه ابنُ العربيِّ في ((أحكام القرآن)) (٢/ ١٣٦)، وذكَر أنَّ عليه أكثرَ الصحابة، واختاره القرطبيُّ في ((تفسيره)) (٦/ ٢٠٨) وقال: إنَّه الأظهرُ. واختاره ابنُ تيميَّة في ((مجموع الفتاوى)) (٣٠/ ٣٦٢)، وابن عاشور في ((تفسيره)) (٦/ ٢١٦- ٢١٧)

وممَّن قال من السَّلف بنحوِ هذا القولِ: ابنُ مسعود، وعبدُ الله بن عَمرٍو، وإبراهيمُ النَّخَعيُّ- في أحد قوليه- والحسن، وقتادة، والشَّعبي، وأبو إسحاق الهمدانيُّ. ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٧٢)، ((تفسير ابن أبي حاتم)) (٤/ ١١٤٦)، ((زاد المسير)) لابن الجوزي (١/ ٥٥٤).

وقيل: كفارةٌ للجاني، فإذا عفا المجنيُّ عنه كان عفوُه كفارةً لذنبِ الجاني، كما القِصاصُ منه كفَّارَةٌ له. ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٧٥).

واختار السعديُّ أنه كفَّارةٌ للعافي وللجاني أيضًا؛ لأنَّ المجني عليه عفا عن حقِّه، والله تعالى أحقُّ وأَوْلى بالعفوِ عن حقِّه، يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٣).

أي: إنَّ الذين لم يَحكُموا بما أَنزلَ اللهُ تعالى في كتابِه من اليهودِ وغيرِهم، فبدَّلوا حُكمَه، وكتَموا الحقَّ الذي أَنزله في كتابِه، وحكَموا بالباطلِ في أحكامِ القِصاصِ وغيرِها، فهم ممَّن جارَ على حُكمِ اللهِ وتعدَّى حُدودَه، ووضَع فِعلَه في غَيرِ مَوضعِه الذي جعَله اللهُ تعالى له(١).

الفوائِدُ التَّربويَّة:

١- يُستفادُ مِن قولِه: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞ﴾ أنَّ العِبرةَ بالاهتداء بالدِّين، وأنَّه لا ينفعُ أهلَ الانتماءِ إليه إذا لم يُقيموه؛ إذ لا يَستفيدونَ من هِدايتِه ونورِه إلَّا بإقامتِه والعَمَلِ به، وأنَّ إيثارَ أهلِ الكتابِ أهواءَهم على هدايةِ دِينِهم هو الذي أعماهم عن نورِ القُرآنِ، والاهتداءِ به(٢).

٢- أنَّ أهلَ العِلم ورثةُ الأنبياءِ في إظهارِ حُكمِ اللهِ والدَّعوةِ إلى شريعتِه؛ لقوله: ﴿وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ﴾، عطفًا على الأنبياءِ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٤٨٢).

واختارَ ابنُ عاشور أنَّ المرادَ بالظالمين الكافرون؛ لأنَّ الظلم يُطلق على الكفر؛ فيكون هذا مؤكِّدًا للذي في الآية السابقة، ويحتمل أنَّ المرادَ به الجَوْرُ، فيكون إثباتُ وصفِ الظلمِ لزيادةِ التشنيع عليهم في كُفرهم؛ لأنَّهم كافِرون ظالمون. يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢١٧).

واختار ابنُ عُثَيمين: أنَّ قوله سبحانه: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾، في مَن حَكَم وهو يعتقدُ أنَّ حُكمَ اللهِ هو الحقُّ، وأنه أنسبُ للعباد من حُكم الطاغوتِ، لكنَّه أراد أن يَعتديَ على المحكومِ عليه لعداوةٍ بينه وبينه، فهذا ظالمٌ. يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٥٧).

ممَّن قال بنحوِ هذا القولِ: ابنُ عبَّاس. ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٦٧)

قال ابنُ جرير:(عن عليِّ بن أبي طلحةَ، عن ابن عباسٍ رضي الله عنه، قوله: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] قال: مَن جحد ما أنزَل اللهُ فقد كفَر، ومن أقرَّ به ولم يحكمْ فهو ظالمٌ فاسقٌ). ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٦٧).

وتقدَّم أنَّ الظُّلم يُطلَق ويُراد به المعصيةُ تارةً، ويُراد به الكفرُ المخرجُ مِن الملَّة تارةً أخرى. ينظر: ((أضواء البيان)) للشنقيطي (١/ ٤٠٧)

(٢) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٣٢٨).

﴿ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾(١).

٣- الثَّناءُ على أهلِ العِلم، وأنَّهم هم حَفَظةُ شريعةِ الله؛ لقوله: ﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾؛ فهم وَرَثةُ الأنبياءِ، وهم الذين يَلزمُهم الدَّعوةُ إلى الله على بصيرةٍ، ونشْرُ شريعةِ الله(٢).

٤- تحريمُ خَشيةِ الناس في إضاعةِ شريعةِ الله؛ لقوله: ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ﴾(٣).

٥- يُستفادُ مِن قولِه: ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ أنَّ المنحرِفَ عن الدِّينِ وعن نشْر العِلم ينحرفُ لأحدِ سببينِ: السَّبب الأوَّل: خشيةُ النَّاسِ، والسبب الثاني: الطَّمعُ في الدُّنيا، وطلَبُ الدُّنيا والرِّئاسةِ والمالِ، وما أشْبَه ذلك(٤).

٦- في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ نهيٌ عن جميعِ المكاسِبِ الخبيثةِ بالعِلم، والتحيُّل للدُّنيا بالدِّين، وهذا المعنى بعينه يتناول علماءَ هذه الأمَّة وحُكَّامَها(٥).

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِف:

١- شرفُ التوراة؛ لقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾؛ حيث إنَّ اللهَ تعالى أنْزَلها مِن عنده، لكنَّ المرادَ بالتوراة: التي لم تُغيَّرْ ولم تُبدَّلْ(٦).

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٣٠).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٣٠).
(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٤٣٢).
(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٤٣٣).
(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (٢/ ١٩٦)
(٦) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٢٨).

٢- أنَّ في التوراةِ هدًى ونورًا؛ لقوله: ﴿فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾، وكذلك في القرآنِ الكريمِ؛ قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فالقرآن كلُّه هدًى وكلُّه نورٌ؛ قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]، وفي هذه الآية قال الله تعالى في التوراة: ﴿فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾، وهذا التعبيرُ بينه وبينَ التعبيرِ القرآنيِّ بالنسبة للقرآن الكريم فرْقٌ عظيم؛ لأنَّ التوراةَ جُعِل فيها هدًى ونورٌ، والقرآن جَعلَه هو الهُدى والنُّور[1].

٣- قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ فذكَر أنَّ في التوراة نورًا، بينما قال في آيةٍ أخرى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨]، فوصَفَها بأنَّها ضياءٌ، والضياء: هو النورُ الذي يَحصُل فيه نوعُ حرارةٍ وإشراق، كضياءِ الشَّمس، بخِلافِ القمر؛ فإنَّه نورٌ محْضٌ، فيه إشراقٌ بغيرِ إحراقٍ؛ وذلك لأنَّ الغالبَ على شريعتِهم الضياءُ؛ لِما فيها من الآصارِ والأغلالِ والأثقالِ، ووَصَف شريعةَ محمَّد صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بأنها نورٌ لِمَا فيها مِن الحنيفيَّة السَّمْحةِ؛ قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾[2].

٤- أنَّ التوراةَ أصلٌ للأنبياءِ مِن بني إسرائيل الذين جاؤوا من بعدِ موسى عليه وعليهم السَّلام؛ لقوله: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾[3].

٥- وصْفُ الأنبياءِ بالإسلامِ؛ لقوله: ﴿النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾، والمرادُ هنا: الاستسلامُ الظاهرُ والباطِنُ، وفيه الإشارةُ إلى شَرفِ الإسلامِ وفَضلِه؛ إذ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٢٨).
(٢) يُنظر: ((جامع العلوم والحكم)) لابن رجب (٢/ ٢٤- ٢٥).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٢٩).

كان دِينَ الأنبياءِ[(١)].

٦- وجهُ وصفِ النبيِّينَ بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾ مع أنَّ كلَّ نبيٍّ لا بدَّ أن يكونَ مسلمًا، أنَّه وصَفَهم بذلك على سَبيلِ المدحِ والثَّناءِ، لا على سبيلِ التَّفصيل والتَّوضيح؛ فإنَّ الأنبياءَ كلَّهم مسلِمون، وقيل: بل في ذلك إعظامُ صفةِ الإسلامِ بعِظَمِ موصوفِها وهم الأنبياءُ، وقيل: يُحتَمَل أن يكون المرادُ هو محمدًا عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ؛ وذلك لأنَّه حَكَم على اليهوديَّيْنِ بالرَّجم، وكان هذا حُكْمَ التَّوراةِ، وإنما ذُكِر بلفظِ الجَمْعِ ﴿ٱلنَّبِيُّونَ﴾ تعظيمًا له[(٢)].

٧- يُستفادُ مِن قولِه: ﴿يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾ أنَّه لا عُذرَ لليهود في الخروجِ عن شريعةِ الله؛ لأنَّ اللهَ تعالى قيَّض لهم الأنبياءَ الكثيرين يَحكُمون لهم بالتوراةِ، لكنَّهم عاندوا وكفروا[(٣)].

٨- مِن اللَّطائف: أنَّه جازَ التبديلُ على أهلِ التوراةِ، ولم يَجُزْ على أهلِ القُرآنِ؛ لأنَّ اللهَ تعالى قال في أهلِ التوراة: ﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾، فوكَل الحِفظَ إليهم، وقال في القرآنِ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، فتَعهَّد اللهُ بحِفظِه؛ فلم يَجُزِ التبديلُ على أهلِ القرآنِ[(٤)].

٩- في قولِه تعالى: ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ لَمَّا قدَّم الخوفَ -لأنَّه أقوى تأثيرًا- أتْبعَه الطَّمَعَ، فقال: ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ﴾،

(١) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٠٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٢٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٣٧)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ١٤٤)، ((تفسير الشربيني)) (١/ ٣٧٦)، ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٣٦٥، ٣٦٦)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٣٢٩)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٣٤٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٣٠).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٠٩).

ولَمَّا كان الاشتراءُ معناه اللَّجاجة في أخْذِ شيءٍ بثمنٍ، وكان المُثْمَنُ أشرفَ مِن الثَّمنِ من حيثُ إنَّه المرغوبُ فيه- جعَل الآياتِ مُثْمنًا وإنِ اقترنَتْ بالباء، حتَّى يُفيدَ الكلامُ التعجُّبَ مِن الرغبة عنها، وأنَّها لا يصحُّ كونُها ثمنًا، فقال: ﴿بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[1].

١٠- قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ...﴾ الآية: استُدلَّ به على أنَّ شَرْعَ مَن قَبْلَنا شرْعٌ لنا، إذا حُكي مُقرَّرًا ولم يُنسَخْ؛ حيثُ كان الحُكمُ عندنا على وَفقِها في الجناياتِ عندَ جميعِ الأئمَّة[2].

١١- يُستفادُ مِن قولِه تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ أنَّ القِصاصَ ثابتٌ في النُّفوسِ، ولو اختلَفَ النَّاسُ في السِّنِّ والطُّولِ والقِصَر والعِلمِ والعَقْلِ والذَّكاء، وغير ذلك؛ وَجْه ذلك: العمومُ؛ ولهذا لو أنَّ رجلًا شابًّا عالِمًا كريمًا حسيبًا قتَلَ طفلًا في المهدِ، فإنَّه يُقتَلُ به؛ لأنَّه لا عِبرةَ بالاختلافِ في هذه الأشياءِ؛ وذلك للعمومِ[3].

١٢- الاقتصارُ على ذِكر هذه الأعضاءِ دونَ غيرِها مِن أعضاءِ الجسدِ؛ كاليدِ والرِّجلِ والإصبَع؛ لأنَّ القطعَ يكونُ غالبًا عندَ المضاربةِ بقصدِ قطْعِ الرَّقبةِ، فقد ينبو السيفُ عن قطعِ الرَّأس، فيُصيب بعضَ الأعضاءِ المتَّصلةِ به مِن عينٍ أو أنفٍ أو أُذُنٍ أو سِنٍّ، وكذلك عندَ المصاولةِ؛ لأنَّ الوجهَ يُقابِلُ الصائلَ[4].

١٣- لا بدَّ من المماثَلَة في القِصاص؛ فاليُمنى باليُمنى، واليُسْرى باليُسرى؛ لأنَّ التعريفَ في قوله: ﴿وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾ يدلُّ على أنَّ الثانيَ هو الأوَّل،

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ١٤٥) وينظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٣٤٩).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٢١).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٥١).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢١٤).

وهذا يَقتضي المماثلةَ، ولأنَّه جاء بالباءِ الدالَّة على البَدَل، والبَدل لا بدَّ أن يكون مُساويًا للمُبْدَل منه(١).

١٤- قوله تعالى: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ فيه الحثُّ على العَفْوِ عن الجاني(٢).

١٥- قال تعالى: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ المرادُ مِن التصدُّقِ العفوُ؛ لأنَّ العفوَ لَمَّا كان عن حقٍّ ثابتٍ بِيَدِ مُستحِقِّ الأخْذِ بالقِصاصِ، جَعَل إسقاطَه كالعطيَّةِ؛ ليشيرَ إلى فَرْطِ ثوابِه، وبذلك يَتبيَّنُ أنَّ معنى ﴿كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ أنَّه يُكفِّر عنه ذُنوبًا عظيمةً؛ لأجْلِ ما في هذا العَفْوِ من جَلْبِ القلوبِ، وإزالةِ الإِحَنِ، واستبقاءِ نُفوسِ وأعضاءِ الأمَّةِ(٣).

١٦- قال اللهُ تعالى في الموضع الأوَّل: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾؛ لأنَّ اليهود جَحَدوا حُكمَ اللهِ قصدًا منهم وعنادًا وعَمدًا، وقال في الموضعِ الثَّاني: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾؛ لأنَّهم لم يُنْصِفوا المظلومَ مِن الظَّالمِ في الأمْرِ الذي أمَر اللهُ بالعدلِ والتسويةِ بين الجميعِ فيه، فخالَفوا وظَلموا، وتَعدَّى بعضُهم على بعضٍ(٤).

١٧- في قولِه تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ عاد سُبحانَه وتعالى فحذَّر مِن مخالفةِ حُكمِ اللهِ؛ لِيُنَبِّهَ على أنَّ الترغيبَ في العفوِ لا يَقتضي الاستخفافَ بالحُكمِ، وإبطالَ العملِ به؛ لأنَّ حُكمَ القِصاصِ شُرِعَ

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٤٣).

(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ١٥٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٥٦).
قال السُّيوطيُّ: (فيه استجابُ العفوِ عن القصاصِ إن أُريد بـ(من): المجنيُّ عليه، وأنَّ القصاصَ كفارة الذنب إن أُريد به الجاني) ((الإكليل في استنباط التنزيل)) (ص: ١١٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢١٦)، (٦/ ٢١٧).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٢٠).

لحِكَمٍ عظيمة: منها الزَّجرُ، ومنها جبرُ خاطرِ المعتدَى عليه، ومنها التَّفادي من ترصُّدِ المعتدَى عليهم للانتقامِ مِن المعتدينَ أو مِن أقوامِهم؛ فإبطالُ الحُكمِ بالقِصاصِ يُعطِّلُ هذه المصالحَ، وهو ظلمٌ؛ لأنَّه غمصٌ لحقِّ المُعتدَى عليه أو وليِّه، وأمَّا العفوُ عن الجاني فيُحقِّقُ جميعَ المصالحِ، ويَزيد مصلحةَ التحابُبِ؛ لأنَّه عن طِيبِ نفْسٍ، وقد تَغشى غباوةُ حُكَّام بني إسرائيل على أَفهامِهم، فيجعلوا إبطالَ الحُكمِ بمنزلةِ العَفْو، فهذا وجهُ إعادةِ التحذيرِ عقبَ استحبابِ العفو[1].

بَلاغَةُ الآيتين:

١- **قوله:** ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ كلامٌ مُستأنَفٌ سِيق لبيانِ عُلوِّ شأنِ التَّوراة، ووجوبِ مراعاةِ أحكامِها، وهو يَتضمَّنُ تعظيمَ التوراةِ وتَفخيمَ شأنِها[2]، وفيه التأكيد بـ(إنَّ) واسميَّةِ الجُملةِ.

٢- قوله: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾:

- قوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾ فيه: رفْعٌ لشأنِ المسلِمين، وتعريضٌ باليهود، وأنَّهم بمعْزِلٍ مِن الإسلامِ والاقتداءِ بدِينِ الأنبياءِ عليهم السَّلام[3].

- وقوله: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾: فيه من البَلاغةِ ما يُعرف بالاحتباك؛ حيثُ ترَك أولًا ذِكْر ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟﴾؛ لدلالةِ ما ذُكر بعدَ ذلك عليه، وترَكَ ذِكْرَ الإسلامِ بعدَ ذلك؛ لدلالة ذِكْره أولًا عليه، والتقدير: (يَحكُم بها النبيُّون

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢١٧).
(٢) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٤٠)، ((تفسير الشوكاني)) (٢/ ٤٩).
(٣) ينظر: ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١٢٧)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٤١).

الذين أسْلَموا بما استُحفظوا... للذين هادوا، والربَّانيُّون والأحبارُ الذين أسْلَموا بِما استُحفظوا)، وإنَّما خصَّ الأوَّل بذِكرِ الإسلامِ؛ لأنَّ الأنبياءَ أحقُّ به، وهو داعٍ إلى الحِفظ قَطعًا، وخصَّ الثاني بالاستِحفاظ؛ لأنَّ الأتْباع أَوْلى به، وهو دالٌّ على الإسلام[١].

- وفي إبهامِ ذِكْرِ التوارةِ أولًا في قوله: ﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ﴾، ثمَّ بيانِها ثانيًا بقولِه تعالى: ﴿مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ تَفخيمٌ وإجلالٌ لها ذاتًا وإضافةً، وتأكيدٌ لإيجابِ حفظِها والعَملِ بما فيها، وإيرادُها بعنوان (الكتاب)؛ للإيماءِ إلى إيجابِ حِفظِها عن التَّغييرِ من جِهة الكتابةِ[٢].

٣- قوله: ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ﴾ فيه: التفاتٌ؛ إذ إنَّه خطابٌ لرؤساءِ اليهودِ وعُلمائهم- على هذا المعنى- بطَريقِ الالتفاتِ، وأمَّا حُكَّامُ المسلمين فيتناولُهم النهْيُ بطريقِ الدَّلالةِ دون العِبارةِ[٣].

٤- قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ الجملة تذييلٌ مُقرِّرٌ لمضمونِ ما قَبلَها أبلغَ تقريرٍ، وتحذيرٌ عن الإخلالِ به أشدَّ تحذيرٍ؛ حيث علَّق فيه الحُكمَ بالكفرِ بمجرَّد ترْك الحُكمِ بما أنزل اللهُ تعالى؛ فكيف وقد انضمَّ إليه الحُكمُ بخِلافِه -لا سيَّما مع مباشرةِ ما نُهوا عنه من تحريفِه- ووضْعُ غيرِه موضِعَه، وادِّعاءُ أنَّه مِن عندِ الله؛ ليشتروا به ثمنًا قليلًا[٤]؟!

- وجاءَ ضميرُ الفصلِ ﴿هُمُ﴾؛ لإفادةِ الحَصرِ والتوكيدِ، وضميرُ الفصل له ثلاثُ فوائدَ، الأولى: إفادةُ الحَصْر، والثانية: التوكيدُ، والثالثة: التمييزُ بين

(١) ينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ١٤٥).
(٢) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٤١).
(٣) ينظر: ((المصدر السابق)) (٣/ ٤٢).
(٤) ينظر: ((المصدر السابق)).

الخبر والصِّفة؛ ولهذا سُمِّيَ ضميرَ فصْلٍ[١].

٥- **قوله:** ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ﴾ التعبيرُ بصِيغةِ التفعُّل في ﴿تَصَدَّقَ﴾؛ للمُبالغة في الترغيبِ فيه[٢].

٦- قوله: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ الجملةُ تذييلٌ مُقرِّرٌ لإيجابِ العملِ بالأَحْكامِ المذكورة[٣].



(١) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٢٧).

(٢) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٤٣).

(٣) ينظر: ((المصدر السابق)).

الآيتان (٤٦ - ٤٧)

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

غريبُ الكَلِمات:

﴿وَقَفَّيْنَا﴾: أي: أتبَعْنا، وأَرْدَفْنا، مأخوذٌ من القَفا؛ يُقال: قَفَوْتُ الرجلَ: إذا سرتَ في أثَرِه[١].

﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾: أي: على آثارِ الأنبياءِ، وأَثَرُ الشيءِ: حُصولُ ما يدلُّ على وجودِه، وأَصْلُ (أثر): رَسْمُ الشَّيءِ الباقِي[٢].

﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: لِمَا قبْلَه، أو لِمَا كان مُتقدِّمًا له من الإنجيلِ ونحوِه[٣].

﴿وَمَوْعِظَةً﴾: الموعظةُ والوَعْظُ: التخويفُ، أو الزجْرُ المُقترِنُ بتَخويف، أو التَذكيرُ بالخَيرِ وما يَرِقُّ له القَلبُ، وقيل: ما يَدْعُو إلى الصَّلاحِ بطريقِ الرَّغبةِ والرَّهْبةِ؛ فالوَعْظُ هو الأمرُ أو النَّهيُ المقترِنُ بما يَحمِلُ على الامتِثالِ مِن التَّرغيبِ أو التَّرهيب[٤].

---

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٥٧)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٨٠)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ١٩).

(٢) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٥٣)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٢)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٧٣٨).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٣٦١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٥٦).

(٤) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٤١١)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦/ ١٢٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٧٦)، ((تفسير الخازن)) (٢/ ٤٤٨)، ((تفسير ابن كثير)) (١/ ٦٣١)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٨٠).

مُشكِلُ الإعرابِ:

قوله: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿مُصَدِّقًا﴾: منصوبٌ على أنَّه حالٌ مِن عِيسَى عليه السَّلام.

﴿فِيهِ هُدًى﴾: جملةٌ في مَحلِّ نَصبٍ، حالٌ مِنَ ﴿ٱلْإِنجِيلَ﴾.

﴿وَمُصَدِّقًا﴾: مَنصوبٌ عَطفًا على مَحلِّ ﴿فِيهِ هُدًى﴾، والمعطوفُ على الحالِ حالٌ؛ فهي في حُكمِ الحال أيضًا مِن ﴿ٱلْإِنجِيلَ﴾.

﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً﴾: اسْمانِ مَعطوفانِ على ﴿وَمُصَدِّقًا﴾؛ فهُما في حُكمِ الحالِ مِن ﴿ٱلْإِنجِيلَ﴾ أيضًا، أي: وآتيناهُ الإنجيلَ هاديًا وواعظًا، أو مَعطوفانِ على ﴿مُصَدِّقًا﴾ الأُولى؛ فهُما في حُكمِ الحالِ مِن (عِيسَى)، أي: ذا هُدًى وذا مَوعظةٍ. ويَجوزُ أن يكونَ (هُدًى) مَفعولًا مِن أجلِه والعامِلُ فيه مُقدَّرٌ؛ كأنَّه قيل: وللهُدَى والموعظةِ آتيناهُ الإنجيلَ(١).

المَعنَى الإجْمالِيُّ:

يُخبِرُ تعالى أنَّه أَتْبعَ الأنبياءَ والمرسَلين -الذين يَحكُمون بالتوارةِ- بعِيسى ابنِ مريمَ عليه السَّلامُ، مُؤمِنًا بما في التوارةِ، ومُؤيِّدًا لها، وشاهدًا على أنَّ التوارةَ حقٌّ، وآتاه اللهُ الإنجيلَ فيه هدًى ونورٌ، شاهدًا وموافقًا لِمَا في التوارة، وبيانًا للحقِّ، وزاجرًا للمتَّقينَ عن ارتكابِ المحرَّماتِ والآثامِ.

(١) ينظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٣٩)، ((التبيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/ ٤٤٠)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٢٨٣- ٢٨٥) ((المجتبى من مشكل إعراب القرآن)) للخراط (١/ ٢٣١).

ويأمر اللهُ سُبحانَه أنْ يَحكُمَ النصارى بما أنزَل في الإنجيل، فالله عز وجل أنزَله على عيسَى عليه السَّلام؛ ليُقيموه ويتحاكموا إليه، ويؤمنوا بجميعِ ما فيه، ومنه البشارةُ ببعثةِ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم والأمرُ بالإيمانِ به واتباعِه، وأخْبَر تعالى أنَّ مَن لم يحكُمْ بما أَنزلَ اللهُ فأولئك هم الفاسِقون.

تَفْسيرُ الآيتين:

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

مناسَبَةُ الآيةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا ذكَر تعالى أنَّ التوراةَ يَحكُم بها النَّبيُّون، ذكَر أنَّه قفَّاهم بعِيسى؛ تَنبيهًا على أنَّه من جُملةِ الأنبياء، وتنويهًا باسمِه، وتنزيهًا له عمَّا يدَّعيه اليهودُ فيه، وأنَّه من جملة مصدِّقي التوراةِ[1]، فقال:

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾.

أي: وأتْبَعْنا هؤلاءِ الأنبياءَ والمرسَلين، الذين يَحكُمون بالتَّوراة، بعيسى عليه السَّلامُ، فبعثناه عَقِبَهم نبيًّا رسولًا شاهدًا على أنَّ التوراة حقٌّ، مؤيِّدًا لها ومؤمنًا بها، وحاكِمًا بشريعتها فيما لم يَنسخْه الإنجيلُ[2].

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾.

---

(١) ينُظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٧٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٨٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٢٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٣- ٢٣٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢١٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٥٧-٤٥٨).

قال ابنُ عُثَيمين: (وتَصديقُه لِمَا بين يديه مِن التَّوراةِ له معنيانِ: المعنى الأوَّل: أنَّه يُصدِّق التَّوراةَ، ويَشهَد أنَّها حقٌّ. المعنى الثاني: أنَّه يُصدِّقُ خبرَها، ويشهد بوقوعِ ما أخبرتْ به، حيث كان عيسى ابنُ مريمَ عليه السَّلام مذكورًا فيها) ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٥٨).

أي: وأَنزلْنا إليه كِتابَنا المسمَّى بالإنجيلِ، فيه هُدًى إلى الحقِّ، ونورٌ يُستضاءُ به من ظُلماتِ الشُّبهاتِ، وعمَى الجَهالةِ[١].

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾.

أي: مثبِتًا وشاهدًا وموافِقًا لها، ومشتمِلًا على أحكامِها، إلَّا ما نسخَه منها[٢].

﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

أي: وجعَلْنا الإنجيلَ هدًى وبيانًا للحقِّ، وزاجرًا عن ارتكابِ المحارم والمآثمِ للمتَّقينَ الذين يمتَثِلون ما أمرَ اللهُ تعالى به، ويجتَنِبون ما نهَى عنه؛ فهم الذين ينتفعونَ بالهدَى، ويتَّعظونَ بالمواعظِ، ويرتدعونَ عمَّا لا يَنبغي[٣].

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ۝٤٧﴾.

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾.

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسير:

في قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ﴾ قراءتان[٤]:

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٨٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٢٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٥٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٨٢- ٤٨٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٢٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٨٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٢٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٤).

(٤) قال ابنُ جرير: (والذي يَتراءَى في ذلك: أنَّهما قِراءتانِ مَشهورتانِ متقاربتَا المعنى، فبأيِّ ذلك قرأَ قارئٌ فمصيبٌ فيه الصوابَ؛ وذلك أنَّ الله تعالى لم يُنزل كتابًا على نبيٍّ من أنبيائه إلَّا لِيَعمَلَ بما فيه أهلُه الذين أُمروا بالعملِ بما فيه، ولم يُنزله عليهم إلَّا وقد أمَرَهم بالعمل بما فيه) ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٨٤).

١- ﴿وَلِيَحْكُمَ﴾ بجَعْل اللامِ لامَ (كي)، فالمعنى: أنَّ الله عزَّ وجلَّ أنزل الإنجيلَ؛ لكي يحكُمَ أهلُ الإنجيلِ بما فيه[١].

٢- ﴿وَلْيَحْكُمْ﴾ بِجَعْل اللامِ (لامَ الأمر)، فالمعنى: أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أَمَرَ أهْلَ الإنجيلِ بالحُكْمِ بما أنزَلَه في الإنجيلِ[٢].

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾

أي: وآتَيْنا عيسى عليه السَّلامُ الإنجيلَ لِيَحْكُمَ أهلُ ملَّته به، فلْيؤمِنوا بجميعِ ما فيه، ولْيُقيموا ما أُمِرُوا به فيه، وممَّا فيه البشارةُ ببَعثةِ محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، والأمرُ بالإيمانِ به واتِّباعِه[٣].

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾

أي: إنَّ الذين لم يَحكُموا بما أنزلَ اللهُ تعالى في كِتابِه من النَّصارى وغَيرِهم، خارجونَ عن طاعةِ ربِّهم، تارِكونَ للحقِّ، مائِلونَ إلى الباطلِ[٤].

(١) قرأ بها حمزة. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٣).
ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٨٣)، ((الحجة)) لابن خالويه (ص: ١٣١).
(٢) قرأ بها الباقون. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٣).
ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((الحجة)) لابن خالويه (ص: ١٣١)، ((الكشف)) لمكي (١/ ٤١١).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٨٤- ٤٨٥)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (١٣/ ١٠٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٢٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٦٣- ٤٦٤).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٨٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٢٧).
وقال ابنُ عُثيمين: (قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾... هل الفسقُ هنا فِسقُ معصيةٍ أو فِسق كُفر؟ لأنَّ الفسقَ قد يكون فِسقَ كُفرٍ وفِسقَ مَعصيةٍ؛ هذا على حسبِ الحال... فمَن حَكَم بغير ما أنزل الله عادلًا عن حُكمِ الله، زاعمًا أنَّه يُساوي حُكم الله أو أنفعُ، فهذا كافرٌ، ... ومَن حَكَم بغير ما أنزل الله لهوًى في نفسه، فهذا فاسقٌ) ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٦٤).

الفوائِدُ التَّربويَّة:

الحثُّ على التقوى، وأنَّها سببٌ لكلِّ خيرٍ، ولكلِّ عِلمٍ؛ لقوله: ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾، ولا شكَّ أنَّ التَّقوى: هي أساسُ العملِ؛ لأنَّ مَن لم يتَّقِ اللهَ لا يعمَل، ومَن اتقى الله عمِلَ بأوامرِ الله حسَبَ ما عنده من التَّقوى[١]، لذا خصَّ الهُدَى والموعظةَ بكونهما للمُتَّقينَ؛ لأنَّهم هم الذين يَنتفعونَ بهما، وكلَّما زادتِ التَّقوى في الإنسانِ زاد اتِّعاظُه بالكتُبِ السَّماويَّة[٢].

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِف:

١- أنَّ عِيسى عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ آخِرُ الأنبياءِ؛ لقوله: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾، وليس بعدَه نبيٌّ يقفوه إلَّا محمدُ بنُ عبد اللهِ الهاشميُّ القرشيُّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ؛ ولهذا جعله قافيًا لمن سبقَه، ولو كان هناك نبيٌّ بعدَ عيسَى عليه السلامُ لكان هو المقفَّى[٣].

٢- أنَّ مَن ليس له أبٌ يُنسَبُ إلى أمِّه؛ لقوله: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ فنُسِبَ عيسى ابنُ مريم إلى أمِّه؛ لأنَّه ليس له أبٌ، ومن أمثلة الذي ليس له أب: أنْ يزنيَ رجلٌ بامرأةٍ فتأتي منه بولدٍ؛ فهنا الولدُ ليس للزاني، ومنها: أنْ يُلاعِنَ الرجلُ امرأتَه لاتِّهامِه إيَّاها بالزِّنا، ويَنتفي مِن وَلَدِها، فيقول: ليس الولدُ منِّي، فحينئذٍ يكون له أمٌّ وليس له أبٌ[٤].

٣- في نِسبة عيسى عليه السَّلامُ إلى أمِّه في قولِه: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ إشارةٌ إلى أنَّه لا والدَ له؛ تكذيبًا لليهودِ فيما افْترَوه على أُمِّه مريمَ،

---

(١) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٦٣).
(٢) ينظر: ((المصدر السابق)).
(٣) ينظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٤٦٠)، وينظر: ((تفسير ابن كثير)) (٨/ ٢٨).
(٤) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٦١)، ((تفسير الشربيني)) (١/ ٣٧٨).

وإشارةٌ إلى أنَّه عبدٌ مربوبٌ؛ تكذيبًا للنَّصارى في إضافتِهم بنوَّته إلى اللهِ سبحانَه وتعالَى، فهو عليه السَّلام ابْنُ أُمِّه مَرْيَمَ[١].

٤- يُستفادُ مِن قولِه: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ التنويهُ بعظمةِ التوراة وفضلِها وشرَفِها؛ لأنَّه ذُكِر في هذه الآية: أنَّ عيسى مصدِّقٌ لِمَا بين يَدَيه من التوراة، وأنَّ الإنجيلَ أيضًا مصدِّقٌ لِمَا بين يديه من التوراةِ[٢].

٥- أنَّ الإنجيلَ مُنْزَلٌ من عند الله؛ لقوله: ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾، وهو صريحٌ جدًّا في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٣-٤]، وعلى هذا فيكونُ الإنجيلُ من كلامِ الله عزَّ وجلَّ؛ لأنَّه نزَلَ مِن عنده، وهو كلامٌ مُوحًى، والكلامُ إذا أُضيفَ إلى المتكلِّمِ فهو كلامُه[٣].

بَلاغَةُ الآيتين:

١- **قوله:** ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ في ذِكْرِ ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ تأكيدٌ لمدلولِ فِعل (قَفَّيْنَا)، وإفادةُ سُرعةِ التَّقْفِيَةِ[٤].

٢- قوله: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ﴾ فيه: إيجازٌ بالحذفِ، والتقدير: وقُلْنا: ليَحكُمْ أهلُ الإنجيل؛ فيكونُ هذا إخبارًا عمَّا فُرِض عليهم في ذلِك الوقت من الحُكم بما تَضمَّنه الإنجيلُ، ثم حُذِف القول؛ لأنَّ ما قَبلَه مِنْ قَوْلِه: ﴿وَكَتَبْنَا﴾

---

(١) ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥/ ٤٠٧)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ١٥٨).

(٢) ينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ١٦٠)، ((تفسير الشربيني)) (١/ ٣٧٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٦٢)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٣٦١).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٦٦).

(٤) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢١٨).

﴿وَقَفَّيۡنَا﴾ يدلُّ عليه، وحَذْفُ القولِ كثيرٌ[١].

٣- قوله: ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ فيه: وضْعُ الموصولِ (ما) موضعَ الضَّميرِ (به) في قولِه: ﴿بِمَآ﴾؛ للتنبيهِ على عِلِّيَّةِ ما في حيِّزِ الصِّلةِ للحُكم، وفيه التفاتٌ بإظهارِ الاسمِ الجليلِ؛ لتربيةِ المهابةِ، والإشعارِ بعِلَّة الحُكم[٢].

٤- قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ الجملةُ تذييلٌ مقرِّرٌ لمضمون الجُملة السابقة، ومؤكِّدٌ لوجوبِ الامتثالِ بالأَمْرِ[٣].



(١) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٣٧٠).
(٢) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٤٥).
(٣) ينظر: ((المصدر السابق)) (٣/ ٤٤).

الآيات (٤٨ - ٥٠)

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا
عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ
جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ
ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ
(٤٨) وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ
مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ
لَفَٰسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠) ﴾.

غريبُ الكَلِمات:

﴿وَمُهَيْمِنًا﴾: أي: شاهدًا ورَقيبًا، وأَمينًا ومؤتمَنًا، وحاكمًا[١].

﴿أَهْوَآءَهُمْ﴾: جمْعَ هوًى: وهو مَيلُ النَّفسِ إلى الشَّهوةِ، وأصلُه: الخلوُّ والسقوطُ، ومنه قيل للآراء الزَّائفةِ: أهواءٌ[٢].

﴿شِرْعَةً﴾: أي: سُنَّةً وطَريقَةً، والشَّرعُ: نهجُ الطريقِ الواضِح، وكُلُّ ما شُرِع فيه مِن شَيءٍ فهو شَريعةٌ، ومنه الشِّرْعَةُ والشَّريعةُ: وهي الطريقةُ الظاهرةُ، ومنه قيل لشريعةِ الماءِ (نهر- أو واد) شريعة؛ لأنَّها أظهرُ طُرقِه إليه، وأصل (شرع): شيءٌ يُفتَح في امتدادٍ يكونُ فيه[٣].

---

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١١، ١٤٤)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٤٣٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٢٨)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٥٢)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٨٧٥).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (١/ ٤٩١)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦/ ١٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٤٩)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٠٦)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٢١١).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٤)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٢٩٢)،

﴿وَمِنْهَاجًا﴾: طَرِيقًا وَاضحًا، والمنهاجُ: الطَّرِيقُ المستمرُّ، وأصل النَّهج: الطريقُ الواضِح[1].

﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾: أي: لِيَختبِرَكم ولِيَمتَحِنكم، وأَصْلُ (بلي): الامتحانُ والاختبارُ، ويكون البلاءُ في الخيرِ والشرِّ[2].

﴿ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾: نِسبةً إلى الجاهِل، والمرادُ بالجاهليَّة: ما كان في الفترةِ قبلَ الإسلامِ من الجَهلِ باللهِ ورسولِه وشرائعِ الدِّين- وقد يُوصَفُ بها مَن تَشبَّه ببعضِ أحوالِها- وأَصْلُ (جهل): خِلافُ العِلمِ، ويُطلَقُ الجهلُ على: خلوِّ النَّفْس من العِلم، وعلى اعتقادِ الشيءِ بخِلافِ ما هو عليه، وعلى فِعلِ الشيءِ بخِلافِ ما حقُّه أن يُفعَل، سواءٌ اعتَقَد فيه اعتقادًا صحيحًا أو فاسدًا[3].

﴿يَبْغُونَ﴾: أي: يَطلُبون، وأصل (بغي): طلَب الشَّيءِ[4].

﴿يُوقِنُونَ﴾: يَعلمُونَ عِلمًا مُتمكِّنًا في نفوسِهم، لا يمكن أن يَدخُلَه شكٌّ، وأصلُ اليقين: زوال الشكِّ[5].

((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٢٦٢)، ((تفسير الماوردي)) (٢/ ٤٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٥٠)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٥٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٢٣).

(١) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٣٦١)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٢٩٢، ٤٥٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٢٥).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (١/ ٩٢)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (١/ ٤٣٣)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٢٩٣)، ((التبيان)) لابن الهائم (١/ ١١٢).

(٣) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٤٨٩)، ((المفردات)) للراغب (١/ ٢٠٩)، ((النهاية)) لابن الأثير (١/ ٣٢٣)، ((شرح النووي على مسلم)) (٢/ ١١٠).

(٤) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٢٧١)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٢٤٧).

(٥) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦/ ١٥٧)، ((تفسير ابن عطية)) (١/ ٨٦).

مُشكِلُ الإعرابِ:

١- قوله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾.

﴿لِكُلٍّ﴾: اللامُ فيها مُتعلِّقةٌ بـ﴿جَعَلْنَا﴾، وتقديمُها عليه للتَّخصيص.

﴿جَعَلْنَا﴾: فِعلٌ وفاعلٌ، والفِعلُ (جَعَل) يَحتمِلُ أنْ يَتعدَّى لمفعولٍ واحدٍ، أو يَتعدَّى لمفعولَين- كما سيأتي.

﴿مِنكُمْ﴾ مُتعلِّقٌ بمحذوفٍ وقَع صِفةً للاسْمِ المحذوفِ الذي عُوِّضَ عنه بتنوينِ العِوَضِ في ﴿كُلٍّ﴾؛ أي: لكُلِّ أمَّةٍ مِنكم جَعَلْنا...، ولا ضَيرَ في توسُّط ﴿جَعَلْنَا﴾ بَينَ الصِّفة والموصوفِ، ونَظيرُه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ...﴾ الآية [الأنعام: ١٤]؛ لأنَّه فصَل بين الجلالةِ وصِفتِها بالعَملِ في المَفعولِ الأوَّل.

﴿شِرْعَةً﴾: مفعولٌ به لـ﴿جَعَلْنَا﴾ المتعدِّي لمفعولٍ واحد، ويَحتمل أنْ يكونَ الفِعلُ ﴿جَعَلْنَا﴾ متعدِّيًا لاثنينِ بمعنى (صَيَّرْنا)؛ فيكون ﴿لِكُلٍّ﴾ مَفعولًا ثانيًا مقدَّمًا، ويكون قوله: ﴿شِرْعَةً﴾ مفعولًا أوَّلَ[1].

٢- قوله: ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ﴾.

﴿أَن يَفْتِنُوكَ﴾: مَصدرٌ مؤوَّل بالصَّريح (فِتنتهم إيَّاك)، وفي إعرابِه وجهان؛ الأوَّل: أنَّه مفعولٌ مِن أجلِه، أي: احْذَرهم مَخافةَ أنْ يَفْتِنوك. والثاني: أنَّه بدلُ اشْتِمالٍ من المفعولِ؛ كأنَّه قال: واحْذَرْهُمْ فِتنتَهم؛ كقولك: أعجبَني زيدٌ عِلمُه[2].

(١) ينظر: ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٢٩١)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٤٥).

(٢) ينظر: ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (١/ ٢٢٨)، ((التبيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/ ٤٤٢)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٢٩٤-٢٩٥) ((الجدول في إعراب القرآن)) (٦/ ٣٦٩).

المَعنَى الإجْمالِيُّ:

يُخاطِبُ اللهُ تعالى نبيَّه محمَّدًا صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قائلًا له: أنزَلْنَا إليك القرآنَ بالحقِّ، شاهدًا بصِدْقِ الكتُبِ السَّماويَّة التي سبقَتْه، وأمينًا عليها، وحافظًا لها، مُشتمِلًا على ما اشتمَلَتْ عليه وزيادة، وناسخًا وحاكمًا عليها، وأمَرَه الله سُبحانَه بعدَها أن يَحكُم بين أهلِ الكتابِ وغيرِهم بما أنزَلَه اللهُ من القُرآن، ونهاه عن اتِّباعِ أهوائِهم التي تُعارِض ما جاءَه من الحقِّ، وقد جعَل اللهُ لكلِّ أهل مِلَّةٍ سبيلًا وسُنَّةً يتَّبِعونها، ولو شاءَ سُبحانَه لجعَلَ النَّاسَ جميعًا على شريعةٍ ومنهاجٍ واحدٍ، لكنَّ اللهَ جعَلَ الشَّرائِعَ مختلفةً ليختبرَ عبادَه، ثم أمَرَ تعالى بالمبادَرَةِ والمسابقةِ إلى فِعلِ الخيراتِ؛ فإنَّ المعادَ والمرجِعَ إليه، فيُخبِر العبادَ بالذي كانوا يَختلِفون فيه.

وأمَر اللهُ نبيَّه أن يَحكُمَ بينهم بما أنزَلَه إليه في القُرآنِ، ولا يَتَّبع أهواءَهم، ولْيكُنْ حَذِرًا منهم أن يَصدُّوه عن بعضِ ما أنزلَ اللهُ إليه في كتابه، فإنْ أعرَضوا عما حَكَمَ به عليهم، فليعلمْ أنَّ سببَ تولِّيهم هي إرادةُ الله تعالى أن يُعاقِبَهم ببعضِ ما اقترفوه من ذنوبٍ، وأخبره تعالى أنَّ كثيرًا من النَّاسِ خارجونَ عن طاعةِ ربِّهم.

ثم يقولُ تعالى لنبيِّه: أيُريدُ هؤلاء اليهودُ وغيرُهم الأحكامَ المخالِفَةَ للحقِّ، المبنيَّة على الجهلِ والظُّلم؟! ثم بيَّن تعالى أنَّه لا أحدَ أحسنُ حُكمًا منه سُبحانَه، يَتبيَّن ذلك ويتَّضِحُ لِمَن أيقنَ باللهِ تعالى وآمَنَ به.

تَفْسيرُ الآياتِ:

﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨)﴾.

مناسَبَةُ الآيةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا ذكَر اللهُ تعالى التوراةَ التي أنزَلَها على موسَى عليه السَّلامُ، ومدَحَها وأثْنَى عليها، وأمَر باتِّباعِها؛ حيثُ كانتْ سائغةَ الاتِّباعِ، وذكَر الإنجيلَ ومدَحَه، وأمَر أهْلَه بإقامَتِه واتِّباع ما فيه؛ شَرَع تعالى في ذِكرِ القرآنِ العظيم، ومكانِه من الكتُب التي قَبلَه، وهو الذي أنزلَه على عبدِه ورسولِه الكريمِ محمَّد صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، مُقرِّرًا لنبوَّته وكتابِه؛ لأنَّ اليهودَ والنَّصارى يُنكِرونَ نُبوَّتَه وكتابَه، وأنَّ حِكْمتَه تعالى اقتضَتْ تعدُّدَ الشَّرائعِ ومناهجِ الهداية؛ فتلك مُقدِّماتٌ ووسيلةٌ، وهذا هو المقصِدُ والنتيجة[1]، فقال:

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾.

أي: وأَنزلْنا إليك- يا محمَّدُ- القرآنَ العظيمَ الذي نزولُه حقٌّ من عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ، ونزلَ مُتضمِّنًا للحقِّ، فأخبارُه صِدْقٌ، وأحكامُه عَدلٌ، فلا كَذِبَ فيه ولا جَورَ، ولا ريبَ أنَّه مِن عندِ اللهِ تبارَك وتعالى[2].

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾.

أي: وأنزلْناه شاهدًا للكتُبِ الإلهيَّةِ السابقةِ بصِدقها، وموافقًا لها، ومطابِقًا

(١) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٢٧)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٨١)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٣٣٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٨٥- ٤٨٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٢٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٦٩، ٤٧٥).

لأخبارِها وأصولِ شرائعها، وفي وجودِه أيضًا دَلالةٌ على صِدقها؛ لأنَّها أخبرتْ بنُزولِ القُرآن[(١)].

﴿وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ﴾.

أي: وأنزلْناه أمينًا على الكتُبِ الإلهيَّة السابقة، حافظًا لها، مشتملًا على ما اشتملَتْ عليه الكتُبُ السَّابقَة وزيادة، وناسخًا لها، وحاكمًا عليها كلِّها، فما شهِد له القرآنُ منها بالصِّدقِ فهو مقبولٌ، وما شهِد له بالردِّ فهو مردودٌ، قد دخلَه التحريفُ والتبديلُ، وإلَّا فلو كان من عندَ اللهِ تعالى، لم يُخالِفْه[(٢)].

﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾.

أي: وما دام أنَّ هذه هي حالُ القرآن؛ فاحكمْ إذنْ- يا محمَّدُ- بينَ أهلِ الكتاب وغيرِهم بهذا القرآنِ العظيم، في كلِّ ما احتكموا فيه إليك[(٣)].

﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾.

أي: لا تَترُكَنَّ تحكيمَ كتابي بَينهم- يا محمَّدُ- متابعةً منك لأهوائِهم الفاسدةِ المعارِضةِ للحقِّ، فتحكمَ بها إرضاءً لهم بدلًا عن الحُكمِ بما أتاك من الحقِّ الذي هو أحقُّ أن يُحكمَ به[(٤)].

﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا﴾.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٨٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٢٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٧٤).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٨٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٢٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٧٠).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٩١- ٤٩٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٧٠).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٩٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٢٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٧٠- ٤٧١).

أي: لكلِّ أهلِ ملَّةٍ منكم- أيُّها الأممُ- جعَلْنا سبيلًا تَسلُكونَه، وسنَّةً واضحةً تتَّبعونها(١).

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾.

أي: ولو شاء اللهُ لجَمَعَكم- أيُّها النَّاسُ- على دينٍ واحدٍ، وجعل شَرائِعَكم شريعةً واحدةً؛ لا يختلِفُ متأخِّرُها عن مُتقدِّمِها، ولكنَّه تعالى خالَفَ بينها؛ لِيَختبِرَكم وينظُرَ كيف تَعملون(٢)، فيبتلي كلَّ أُمَّةٍ بحسَب ما تَقتضيه حِكمتُه، ويُؤتي كلَّ أحدٍ ما يَليقُ به، وليحصلَ التنافسُ بين الأممِ؛ فكلُّ أمَّةٍ تحرِصُ على سَبْقِ غيرِها(٣).

﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾.

مُناسَبَتُها لِما قَبْلَها:

لَمَّا كان في الاختبارِ أعظمُ تهديدٍ في قوله: ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ سبَّب عنه قولَه: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ ليحُثَّ على السَّبقِ للخَيرِ(٤)؛ فقال

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٩٢- ٤٩٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٢٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٧١).

قال السعديُّ: (وهذه الشرائعُ التي تختلف باختلاف الأُمم، هي التي تَتغيَّرُ بحسَب تغير الأزمنة والأحوال، وكلُّها ترجع إلى العدل في وقتِ شِرعتها، وأمَّا الأصولُ الكِبار التي هي مصلحةٌ وحِكمةٌ في كلِّ زمان، فإنَّها لا تختلفُ، فتُشرَعُ في جميع الشرائع) ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٤).

وقال ابنُ عاشور: (فمنهاجُ المسلمين لا يُخالفُ الاتِّصال بالإسلام، فهو كمنهاج المهتدين إلى الماء، ومنهاج غيرِهم منحرفٌ عن دِينهم، كما كانتِ اليهودُ قد جَعلتْ عوائدَ مخالفة لشريعتِهم، فذلك كالمنهاج الموصل إلى غير المورود، وفي هذا الكلام إبهامٌ أريد به تنبيهُ الفريقين إلى الفَرق بين حاليهما، وبالتأمُّل يظهر لهم) ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٢٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٩٨- ٤٩٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٣٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٧٢).

(٣) ينظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٤).

(٤) ينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ١٨٢)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٣٤٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٧٧).

تعالى:

﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾.

أي: فبادِروا- أيُّها الناسُ- إلى الطاعاتِ والأعمالِ الصالحاتِ، وسارِعوا إليها وَفقًا لشرعِه ونهْجِه الذي أنزلَه في كتابِه القرآنِ[(١)].

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا﴾.

أي: معادُكم- أيُّها الناسُ- مِن جميعِ الأُمم، ومصيرُكم إلى الله تعالى وحْدَه يومَ القيامة[(٢)].

﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾.

أي: فيُخبِرُكم بما اختلفتُم فيه من الحقِّ، وحينئذٍ يحصُلُ الفصلُ بالعدلِ، ويَتبيَّنُ المحِقُّ مِن المبطِلِ، ويُثابُ أهلُ الحقِّ، ويُعاقَبُ أهلُ الباطِلِ[(٣)].

﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٠٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٣٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٧٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٣٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٧٢).

وقال ابنُ عُثَيمين: (هل المرادُ: المرجعُ في الدُّنيا أو في الدُّنيا والآخِرة؟
الجواب: مرجعُنا إلى اللهِ في الدنيا والآخرة، أمَّا في الدُّنيا فإنَّ مرجعنا إلى الله: هو الذي يَحكُم بيننا، وهو الذي يَحكُم علينا، ويحكم فينا، وأمَّا في الآخرة فكذلك يَفصِلُ بيننا يومَ القيامة؛ فريق في الجَنَّة، وفريق في السَّعير) ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٧٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٠٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٣٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٧٣).

مناسَبةُ الآيةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا كان الأمرُ بالحُكمِ فيما مضَى مِنْ قَوْلِه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ﴾ لكونِه مُسبَّبًا عمَّا قَبلَه من إنزالِ الكتابِ على الأحوالِ المذكورة؛ أعادَ الأمرَ به سُبحانَه مصرِّحًا بذلك لِذاتِه لا لشيءٍ آخَر؛ ليكونَ الأمرُ به مؤكَّدًا غايةَ التأكيدِ بالأمرِ به مرَّتين: مرَّةً لأنَّ اللهَ أمَرَ به، وأخرى لأنَّه على وَفْقِ الحِكمة، فقال تأكيدًا له وتنويهًا بعظيمِ شأنِه، ومحذِّرًا من الأعداءِ فيما يُلقُونه من الشُّبَه للصدِّ عنه[1]:

﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾.

أي: واحْكُمْ بينهم إذا تنازَعوا إليك- يا مُحمَّدُ- بحُكمِ الله تعالى الذي أنزلَه إليكَ في القرآنِ، ولا تَحكُمْ بما عندَهم[2].

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾.

أي: والْزمِ العملَ بالقرآنِ الذي أُنزِلَ إليك- يا محمَّدُ- ولا تتَّبعْ أهواءَ اليهودِ، ولا أهواءَ غيرِهم[3].

﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾.

أي: وإيَّاك- يا محمَّد- والاغترارَ بهؤلاء الأعداءِ من اليهودِ وغيرِهم ممَّن

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ١٨٣)

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٠١)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٣٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٧٩).

قال السعدي: (هذه الآيةُ تدلُّ على أنَّه إذا حكَم، فإنَّه يحكمُ بينهم بما أنزل الله مِن الكتابِ والسُّنَّة، وهو القسطُ الذي تقدَّم أنَّ الله قال: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ ودلَّ هذا على بيانِ القسطِ، وأنَّ مادتَه هو ما شرَعه الله مِن الأحكام، فإنَّها المشتملةُ على غايةِ العدلِ والقسطِ، وما خالف ذلك فهو جورٌ وظلمٌ) ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٠١).

يَحتكِمون إليك، فكنْ على حَذرٍ من أنْ يصدُّوك عن بعضِ ما أنزَلَ اللهُ تعالى إليك من أحكامِ القُرآنِ، فيَحْملوك على ترْكِ العملِ بها، واتِّباعِ أهوائِهم[1].

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾.

أي: فإنْ أعرَضَ هؤلاءِ الذين يَحتكِمون إليك- يا محمَّدُ- من اليهودِ وغيرِهم عن العملِ بما حَكمتَ به عليهم، فاعلمْ أنَّهم لم يَتولَّوا عن حُكْمِك وقد قضيتَ بالحقِّ إلَّا بقَدَرِ اللهِ تعالى وحِكْمَتِه فيهم؛ مِن أجلِ أنَّه يُريدُ صرْفَهم عن الهُدى، وتعجيلَ عُقوبتِهم في الدنيا؛ لِمَا صدَرَ منهم من ذُنوبٍ اقتضتْ إضلالَهم ونكالَهم[2].

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾.

أي: وإنَّ كثيرًا من الناسِ خارجونَ عن طاعةِ ربِّهم، مخالِفونَ للحقِّ، فالفِسْقُ طبيعةٌ لهم وسجيَّةٌ[3].

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾.

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾.

أي: أفيَطلُبُ هؤلاءِ اليهودُ وغيرُهم الأحكامَ المخالِفةَ للحقِّ، المبنيَّةَ على الجهلِ والظُّلمِ، والتي وضَعَها الناسُ بلا مُستنَدٍ من شريعةِ اللهِ تعالى، بحسَب

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٠١)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٣٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٨٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٠١)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٣٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٤- ٢٣٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٠١)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٣٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٨٠).

قال ابنُ عُثَيمين: (قوله: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ الجملةُ هذه كالتسليةِ للرسولِ عليه الصَّلاة والسَّلام؛ لكي لا يحزنَ؛ لأنَّ كثيرًا من النَّاس فاسقون) ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٨٠).

آرائِهم وأهوائِهم؛ أفيَطلُبون ذلك وعندهم كتابُ اللهِ فيه الهدى والنُّور، والعَدْلُ والحقُّ المُبينُ الذي لا يجوزُ خِلافُه، ومع ذلِك يَعدِلون عنه[1]؟!

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

أي: لا أحدَ أحسنُ وأعدلُ مِن الله تعالى في حُكمِه، ولكنَّ ذلك يَتبيَّن لِمَن أيقنَ باللهِ تعالى وأسمائِه وصِفاتِه- ومن ذلك أنَّه أحكمُ الحاكِمينَ سُبحانَه- فعَرَف الفرقَ بين حُكمِه سُبحانَه وحُكمِ الجاهليَّة، وميَّز بإيقانِه ما في حُكمِ الله عزَّ وجلَّ من الحُسن، ودَفعَه يقينُه إلى العملِ به[2].

الفوائِدُ التَّربويَّة:

١- أنَّه يَنبغي لِمَن نهَى عن شيءٍ قبيحٍ أن يُبيِّنَ قُبْحَه، وأنْ يَنقُل النَّاسَ إلى ما هو خيرٌ منه؛ لقوله: ﴿عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾، فكأنه قال: لا تتَّبعْ أهواءَهم، واتَّبِع ما جاءَك من الحقِّ[3].

٢- أنَّه يجِبُ على المسلمينَ أنْ تكونَ لهم شخصيَّةٌ قائمةٌ بعزَّة الإسلام، وألَّا يكونوا أذنابًا لأعداءِ الله؛ لقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[4].

٣- قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ موجَّهٌ مِن الله عزَّ وجلَّ إلى رسولِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، مع أنَّنا نعلمُ عِلمَ اليقينِ أنَّه لن يَفعلَ ذلك؛ لكن لِيَعتبرَ النَّاسُ أنَّه إذا كان محمَّدٌ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ينهاه

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٠٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٣١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٨٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٠٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٣١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٨٧- ٤٨٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٧٥).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

ربُّه ومُرسِلُه عن اتِّباعِ أهوائِهم عمَّا جاءَه من الحقِّ، فكيف بغَيْرِه[١]؟!

٤- يُستفادُ مِن قولِه: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أنَّه لا بدَّ لبني آدَمَ من الاختلافِ، وهذا هو الواقِعُ[٢].

٥- أنَّ الذنوبَ لها آثارٌ سيِّئة، مِن أعظمِها التولِّي عن دِينِ اللهِ وعمَّا أنزَلَ الله؛ فالإنسانُ كلَّما عصَى اللهَ ابتعَدَ عن قَبولِ الوحي والشَّريعةِ؛ ولهذا قال: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾[٣].

٦- الحَذرُ الشَّديدُ مِن موافقةِ الكفَّارِ؛ لقولِه تعالى: ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ﴾[٤].

٧- أنَّ حُكمَ اللهِ أحسنُ الأحكامِ؛ لقولِه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا﴾، ويترتَّبُ على هذا أنَّ الإنسانَ إذا آمَن بأنَّ حُكمَ اللهِ أحسنُ الأحكامِ، استسلمَ لحُكمِ الله ورضِيَ به تمامًا، سواءٌ علِم الحِكمةَ أم لم يعلمْ، وهذا حقٌّ؛ فأيُّ إنسانٍ يرى أنَّ حُكمَ أحدٍ هو أحسنُ الأحكام فسوف ينقادُ له، ولا يُعارِض ولا يمانِع[٥].

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائف:

١- الثَّناءُ على القرآن؛ لقوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾؛ لأنَّ جميعَ ما في القرآن حقٌّ، إنْ كان خبرًا فهو صِدْق، وإنْ كان قَصَصًا فهو نافعٌ، وإنْ كان أحكامًا فهو عَدْلٌ[٦].

٢- القرآنُ مهيمِنٌ على الكتُبِ؛ لأنَّه الكتابُ الذي لا يصيرُ منسوخًا ألبتةَ، ولا يتطرَّقُ إليه التبديلُ والتحريفُ؛ على ما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ

(١) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٤٧٠).
(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٤٧٨).
(٣) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٣٤٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٨٢).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٨٤).
(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٤٨٨).
(٦) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٤٧٥).

وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، وإذا كان كذلِك كانتْ شهادةُ القرآن على أنَّ التوراةَ والإنجيلَ والزبورَ حقٌّ وصدقٌ باقيةً أبدًا، فكانتْ حقيقةُ هذه الكتُبِ معلومةً أبدًا؛ قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ ﴾(١).

٣- أنَّ القرآنَ ناسِخٌ لِمَا قبْلَه من الكتُب؛ لقوله: ﴿وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ ﴾(٢).

٤- وجوبُ الحُكم بما أنزلَ اللهُ في القرآنِ إذا تحاكَم إلينا أهلُ الكتابِ؛ لقوله: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ ﴾، وهذا الخطابُ للنبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، لكن يَشمَلُ الأمَّةَ(٣).

٥- قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴾ ولم يقُلْ: (شريعتهم أو نحوها)؛ لأنَّهم على هوًى، وليسوا على هُدًى، فكُفرُهم بما جاء به محمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عن هوًى، ليس عن عقلٍ ولا عن شَرْعٍ(٤).

٦- يُستفادُ مِن قولِه: ﴿عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّ ﴾ أنَّ ما جاءَ به الرسولُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حقٌّ لا يُمكِنُ العدولُ عنه إلى غيرِه؛ لأنَّه لم يقل: (عمَّا جاءَك) أو (عمَّا نزَل) فقط، بل أضافَ: ﴿مِنَ ٱلۡحَقِّ ﴾(٥).

٧- أنَّ المرجِعَ إلى اللهِ تبارك وتعالى شَرْعًا وقدَرًا؛ لقولِه: ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ ﴾ فالمرجِعُ إلى اللهِ شرعًا؛ هو الذي يَحكُم بيننا، وقدَرًا؛ فإنَّ الأمرَ كما قال الله: ﴿ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ﴾(٦) [الغاشية: ٢٥- ٢٦].

(١) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٣٧١).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٧٥).
(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).
(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٤٧٠).
(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٤٧١).
(٦) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٤٧٧).

٨- في قولِه تعالى: ﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ...﴾ هذه الآيةُ تدلُّ على أنَّ الخطأَ والنِّسيانَ جائزانِ على الرَّسولِ؛ لأنَّ اللهَ تعالى قال: ﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾، والتعمُّدُ في مِثل هذا غيرُ جائزٍ على الرَّسولِ، فلم يَبقَ إلَّا الخطأُ والنِّسيان(١).

٩- وجوبُ الحَذرِ مِن اليهودِ والنَّصارى وغيرِهم؛ لقوله: ﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ﴾(٢).

١٠- في قوله تعالى: ﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾ الإشارةُ إلى أنَّ مِن أكبرِ غاياتِ اليهودِ والنَّصارى أن يَفتِنوا المسلمينَ عمَّا أَنزلَ اللهُ إليهم، وإذا كانَ اللهُ تعالى قد تَكلَّمَ في هذا في عهدِ الرسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فالأمرُ في وقتِنا أشدُّ؛ لأنَّهم الآن يَرَوْن أنَّهم أقوى منَّا في المادَّةِ الحِسيَّة، فيكونُ حِرصُهم على صَدِّنا عن سبيلِ الله أشدَّ(٣).

١١- في قولِه: ﴿بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡ﴾ أبْهَم الذنوبَ؛ زيادةً في استدراجِهم وإضلالِهم، وتحذيرًا لهم من جميعِ مساوي أعمالِهم؛ لئلَّا يَعلموا عينَ الذنبِ الذي أُصيبوا به، فيحملَهم ذلك على الرجوعِ عنه، ويَصيرَ ذلك كالإلجاءِ(٤).

١٢- يُستفادُ مِن قولِه: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ أنَّ كلَّ حُكمٍ مخالفٍ لحُكمِ الله فهو حُكمٌ جاهليٌّ(٥).

١٣- يُستفادُ مِن قولِه: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ

(١) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٣٧٤).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٨١).
(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٤٨٢).
(٤) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ١٨٣).
(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٨٨).

يُوقِنُونَ ﴾ أنَّه لا يجوزُ للإنسانِ أن يُعارِضَ أحكامَ الشَّرعِ بعقلِه، هذا في العمليَّات الفقهيَّات، وفي العَقَديَّات العِلميَّات مِن باب أَوْلى؛ لأنَّه إذا كان لا يجوزُ للإنسان أن يُعارِضَ الشرعَ في الأمورِ العمليَّةِ التي يَدخُلها القياسُ، فالأمورُ العِلميَّةُ الخبريَّة من باب أَوْلى(١).

١٤- قولُه تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ فيه الإنكارُ على من خَرَجَ عن حُكمِ اللهِ المُحكَم، المشتَمِل على كلِّ خيرٍ، النَّاهي عن كلِّ شَرٍّ، وعَدَلَ إلى ما سواه مِنَ الآراءِ والأهواءِ والاصطلاحاتِ، التي وضَعَها الرِّجالُ بلا مُستنَدٍ مِن شريعةِ اللهِ، كما كان أهلُ الجاهليَّةِ يحكُمونَ به من الضَّلالاتِ والجَهالات، مِمَّا يضعونَها بآرائِهم وأهوائِهم، وكما كان يحكُمُ به التَّتارُ مِنَ السِّياساتِ المَلَكيَّةِ المأخوذةِ عَن مَلِكِهم جنكيزخان، والتي اقتبَسَها مِن شرائِعَ شتَّى، من اليهوديَّةِ والنَّصرانيَّةِ والملَّةِ الإسلاميَّةِ، وفيها كثيرٌ مِنَ الأحكامِ أخَذَها من مجرَّدِ نَظَرِه وهواه، فصارَتْ في بَنِيه شَرعًا مُتَّبعًا، يُقَدِّمونها على الحُكمِ بكِتابِ اللهِ وسُنَّةِ رَسولِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فمَن فعل ذلك فهو كافِرٌ يجِبُ قِتالُه، حتى يرجِعَ إلى حُكمِ اللهِ ورَسولِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فلا يُحكِّمُ سواه في قليلٍ ولا كثيرٍ(٢).

١٥- أنَّه لا يَعرِف حُسنَ أحكامِ اللهِ إلَّا مَن عنده يقينٌ، وكلَّما كان الإنسانُ أشدَّ يقينًا، كان بيانُ حُسنِ أحكامِ الله عنده أكثرَ وأشدَّ؛ لقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾(٣).

---

(١) يُنظر: ((المصدر السابق)) (١/ ٤٩٠).
(٢) يُنظَر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٣١).
(٣) يُنظر: ((تفسير الشربيني)) (١/ ٣٧٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٩٠)

بَلاغَةُ الآياتِ:

١- قوله: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ فيه: إظهارٌ في محلِّ الإضمار بقولِه: ﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾؛ لبيانِ أهميَّته، وأنَّه المرجعُ والملاذُ والمعتصَم إذا حَزَبَ الأمرُ[1].

- وفي قوله هنا: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾، وقوله عن التوراة: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ وقوله عن الإنجيل: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ... وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ﴾، لطيفةٌ ومناسبةٌ حسنةٌ في كلِّ سِياق؛ فإنَّه لَمَّا ذكر تعالى أنَّه أنزلَ التوراةَ فيها هدًى ونورٌ في قولِه تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ لم يَذكُرْ مَن أَنزلها عليه؛ لاشتراكِ كلِّهم في أنَّها نزلتْ على موسى؛ فترَكَ ذِكْرَه للمَعرفةِ بذلك، ثم ذكَر عيسى وأنَّه آتاهُ الإنجيلَ في قولِه تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ﴾، فذَكَره ليُقرُّوا أنَّه من جُملةِ الأنبياء؛ إذ اليهودُ تُنكِر نبوَّتَه، وإذا أنكرتْه أنكرتْ كِتابَه، فنصَّ تعالى عليه وعلى كِتابِه، ثمَّ ذكَر إنزالَ القُرآنِ على رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فذَكَر الكتابَ ومَن أَنزلَه، مُقرِّرًا لنبوَّته وكِتابِه؛ لأنَّ الطائفتَينِ يُنكرون نُبوَّتَه وكتابَه، وجاءَ هنا ذِكرُ المُنزَلِ إليه بكَافِ الخِطاب؛ لأنَّه أنصُّ على المقصودِ[2].

٢- **قوله: ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾** تعريفُ الكِتاب للجِنس؛ لأنَّه عنَى به جِنسَ الكُتُبِ المنزلَة، ويجوزُ أن يُقال: هو للعَهد؛ لأنَّه لم يُرَدْ به ما يقعُ عليه اسمُ الكتاب على الإطلاقِ، وإنَّما أُريد نوعٌ معلومٌ منه، وهو ما أُنزِلَ من السماء سِوى القرآنِ[3]، وقيل: لَمَّا كانتِ الكتُبُ السَّماويَّة مِن شدَّةِ تَصادُقِها كالشيءِ الواحِدِ عبَّر تعالى عنها بالمفردِ؛ فقال: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾[4].

---

(١) يُنظر: ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحيي الدين درويش (٢/ ٤٩٥).
(٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٨١).
(٣) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٣٨).
(٤) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ١٨٠)، ((تفسير الشربيني)) (١/ ٣٧٨).

٣- قوله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ **وفيه:** الخطابُ بطريق التلوينِ والالتفاتِ للنَّاس كافَّةً؛ ولكن ليس للموجودينَ خاصَّةً، بل للماضين أيضًا بطريق التَّغليبِ[١].

- وقوله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾: فيه حذف، والتقدير: لكلِّ أمَّة منكم أيُّها النَّاس، أو لكلِّ نبيٍّ مِنكم أيُّها الأنبياءُ، وعلى هذا الوجهِ يكون فيه تنبيهٌ لمحمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم، أي: فاحفظْ شِرعتك ومِنهاجَك؛ لئلَّا تستزلَّك اليَهودُ وغيرُهم في شيءٍ منه[٢].

- وهو كالتَّعليلِ للنَّهي؛ أي: إذا كانتْ أهواؤُهم في متابعةِ شريعتِهم أو عَوائدِهم؛ فدَعُوهم وما اعتادُوه، وتمسَّكوا بشَرعِكم[٣].

- وعلى القولِ بأنَّ الشِّرعة والمنهاجِ عِبارتان عن معنًى واحدٍ- والمرادُ بهما الدِّين- فيكونُ فيه تكريرٌ بعطفِ أحدِ المترادفَينِ على الآخَر، أو ما هو قَريبٌ منه في المعنى؛ لقَصدِ التَّأكيد[٤].

٤- قوله: ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ استئنافٌ في معنى التَّعليلِ؛ لأمْرِه تعالى باسْتِباقِ الخيراتِ؛ كأنَّه يقول: يَظهَرُ ثمرةُ استباقِ الخيراتِ والمبادرةِ إليها في وقتِ الرجوعِ إلى اللهِ تعالى ومُجازاتِه[٥].

٥- قوله: ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ فيه: إظهارُ

(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٤٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٢٣).
(٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٣٧٣)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٨٣- ٢٨٤).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٢٣).
(٤) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٣٧٣)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٨٤)، ((البرهان)) للزركشي (٢/ ٤٧٢- ٤٧٣).
(٥) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٨٥).

الاسمِ الجليلِ ﴿ٱللَّهُ﴾؛ لتأكيدِ الأمرِ بتهويلِ الخَطب[١].

٦- قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾: تأكيدٌ لِمَا تقدَّم مِن الأمرِ بذلك في الآيةِ السَّابقة، والنهيِ عن خِلافِه[٢]، وكرَّر النهيَ عن اتِّباع أهوائِهم في قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾؛ لشدَّةِ التحذير منها، ولأنَّ ذلك في مقامِ الحُكم والفتوى، وهو أوسعُ، وهذا في مقامِ الحُكم وحْدَه، وكلاهما يلزمُ فيه ألَّا يتَّبعَ أهواءَهم المخالفةَ للحقِّ[٣].

٧- **قوله:** ﴿بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡ﴾ **يعني**: بذَنْبِ التَّولِّي عن حُكْمِ اللَّه، وإرادةِ خِلافِه، فوَضَعَ ﴿بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡ﴾ مَوضِعَ ذلك، وأرادَ أنَّ لهم ذُنوبًا جمَّةً كثيرةَ العددِ، وأنَّ هذا الذَّنبَ- مع عِظَمِه- بعضُها وواحدٌ منها؛ وهذا الإبهام لتعظيمِ التولِّي، واستسرافِهم في ارتكابِه، وجَسامَته وفَداحةِ التطاوُلِ به؛ فما أخسرَ صفقتَهم، وما أبشعَ ما اقترَفوه! واستعمالُ (بعض) في الإبهامِ واردٌ كثيرًا في كلامِ العرب[٤].

٨- **قوله:** ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾ اعتراضٌ تذييليٌّ مُقرِّرٌ لمضمونِ ما قَبْلَه؛ ليَهُون عِندَه بَقاؤهم على ضَلالِهم؛ إذ هو عادَةُ أكثرِ النَّاس، وفيه كِنايةٌ عن كون أكْثرِ اليهودِ فاسِقين[٥].

٩- قوله: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَ﴾ الاستفهامُ إنكاريٌّ، وتقديمُ المفعول ﴿أَفَحُكۡمَ﴾ على فِعله ﴿يَبۡغُونَ﴾؛ للتخصيصِ المفيدِ لتأكيدِ الإنكارِ والتعجُّب[٦]،

(١) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٤٦).
(٢) ينظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٣٠).
(٣) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٤).
(٤) ينظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٤١)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٤٧).
(٥) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٤٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٢٧).
(٦) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٨٧)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٤٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٢٧).

ولإفادةِ الحَصرِ، يعني: كأنَّ هؤلاءِ لا يُريدون إلَّا الحُكمَ الجاهليَّ المبنيَّ على الجهلِ أو الجهالةِ(١).

١٠- قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ فيه ما يُعرَفُ في البَلاغةِ بـ(الإيغال)(٢)، ونوعه: الإيغالُ التَّخييريُّ؛ إذ إنَّ المعنى قد تمَّ بقولِه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا﴾، ولَمَّا احتاجَ الكلامُ إلى فاصلةٍ تُناسِبُ ما قَبلَها وما بَعدَها، أتتْ هذه الفاصلةُ ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ لتُفيدَ معنًى زائدًا، لولاها لم يَحصُل؛ وذلك أنَّه لا يَعلَمُ أنَّ حُكمَ الله أحسنُ مِن كلِّ حُكمٍ إلَّا مَن أَيقنَ أنَّه واحدٌ حكيمٌ عادلٌ، وعدَلَ عن قوله: (يَعْلمونَ) إلى قولِه: ﴿يُوقِنُونَ﴾؛ ليكون عِلمُهم برَبِّهم عِلْمَ قَطعٍ ويقينٍ(٣).



(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (١/ ٤٨٥).

(٢) الإيغال: هو استكمالُ الكلام قبل الإتيانِ بمقطعِه، فإذا أُريدَ الإتيانُ بذلك أُتي بما يُفيد معنى زائدًا على معنى ذلك الكلام، وهو ضربان:
١- إيغال تخيير: كما في هذه الآية.
٢- إيغال احتياط: وهو استكمال معنى الكلام قبل قَطْعِه، فإذا أُريد الإتيانُ بذلك أُتي بما يُفيد معنى زائدًا تتمَّةً للمبالغة، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾ [النمل: ٨٠]، ثم علم عزَّ وجلَّ أنَّ الكلام يحتاج إلى فاصلةٍ تماثل مقاطعَ ما قبلها وما بعدها، فأتى بها مفيدةً معنى زائدًا على معنى الكلام، حيث قال: ﴿إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾، فإنْ قيل: ما معنى مُدبرين؟ وقد أغنى عنها ذِكرُ التولِّي؟ قيل: ذلك لا يُغني عنها؛ إذ التولِّي قد يكون بجانبٍ دون جانب، كما يكون الإعراض. ينظر: ((تحرير التحبير))، لابن أبي الإصبع (ص: ٢٢٣)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحيي الدين درويش (٢/ ٥٠٠- ٥٠١).

(٣) ينظر: ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحيي الدين درويش (٢/ ٥٠٠- ٥٠١).

الآيات (٥١ - ٥٣)

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن
يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ
فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ
بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾.

غريبُ الكَلِمات:

﴿أَوْلِيَآءُ﴾: أي: أصدقاءَ ونُصراءَ، والوِلايةُ النُّصرةُ، وأَصْلُ (ولي) يدلُّ على القُرْب، سواء مِن حيث: المكان، أو النِّسبة، أو الدِّين، أو الصَّداقة، أو النُّصرة، أو الاعتقاد، وكلُّ مَن وَلِي أمرَ آخَرَ فهو وَلِيُّه[(١)].

﴿مَرَضٌ﴾: أي: شكٌّ ونِفاقٌ، وأصلُ المرض: الفُتورُ، والخروجُ عن الاعتدالِ الخاصِّ بالإنسانِ[(٢)].

﴿أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾: أي: أنْ يَدورَ علينا الدَّهرُ بمكروهٍ فلا يُبايعونا، فنحتاج إليهم وإلى مُعاونتهم، وأَصْلُ (دور) يدلُّ على إحداقِ الشيءِ بالشيءِ مِن حَواليهِ[(٣)].

﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾: أي: اجتهَدوا في الحَلِفِ والأَيمانِ، أو هو كنايةٌ عن أغلظِ

---

(١) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦/ ١٤١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٨٥)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٨٩).
(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٤٠٨)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٧٦٥)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ١٤)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٥٠).
(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٤)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٣١٠)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٣٢١)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨٣).

الأيمانِ، وأَصْلُ (جهد): المشقَّة. و﴿أَيْمَـٰنِهِمْ﴾: جمْع يمين: وهو القَسَمُ والحَلِف(١).

مُشكِلُ الإعرابِ:

قوله: ﴿أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾.

﴿جَهْدَ﴾: منصوبٌ، وفي نَصبِه ثلاثة أوجهٍ؛ الأوَّل: أنَّه مَصدرٌ مؤكِّدٌ، وناصبُه (أَقْسَمُوا) فهو مِن معناه لا مِن لَفظِه، والمعنى: أَقْسَموا إقْسامَ اجتهادٍ في اليَمين. الثاني: أنَّه منصوبٌ على الحالِ من ضَميرِ (أَقْسَمُوا) على تأويلِ المَصْدَرِ باسْمِ الفاعِلِ، أي: جاهِدِينَ، والتَّقديرُ: وأقْسَموا باللهِ جاهِدينَ أنفُسَهم في أَيمانِهم؛ أي: بالغِينَ بها أقْصى الطَّاقَةِ، وإضافةُ ﴿جَهْدَ﴾ إلى ﴿أَيْمَـٰنِهِمْ﴾ على هذا الوَجهِ إضافةٌ على مَعْنى (من)، أي: جَهدًا ناشِئًا عن أيمانِهم. الثالث: أنَّه منصوبٌ على المفعولِ المُطلَق الواقِعِ بدلًا مِن فِعْلِه، والفعلُ المُقَدَّر في مَوضِعِ الحالِ من ضَمير (أقْسموا)، والتقدير: أقسموا يَجْهَدون أيمانَهم جَهْدًا، وإضافة ﴿جَهْدَ﴾ إلى ﴿أَيْمَـٰنِهِمْ﴾ على هذا الوجه من إضافةِ المصدرِ إلى مفعولِه(٢).

المَعنَى الإجْماليُّ:

يَنهى اللهُ تعالى عِبادَه المؤمنينَ عن مُناصرةِ اليهودِ والنَّصارَى ومعاوَنَتِهم على غيرِهم، وأخبَرَ أنَّ اليهودَ يوالي بعضُهم بعضًا، والنَّصارى يوالي بعضُهم بعضًا، ومَن يُناصِرِ اليهودَ والنصارى من المسلمين فإنَّه منهم؛ إنَّ الله لا يَهدي القومَ الظَّالمين بتولِّيهم لأهلِ الكتابِ.

---

(١) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٤٨٦) (٥/ ٨٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٢٠٨)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٥٢).

(٢) يُنظر: ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (١/ ٢٣٠)، ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٢٥٠)، ((التبيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/ ٤٤٥)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٣٠٥) (٨/ ٤٣٢) ((تفسير ابن عاشور)) (١٨/ ٢٧٧).

ثم قال اللهُ تعالى لنبيِّه صلَّى الله عليه وسلَّمَ: فترى- يا محمَّدُ- المنافقينَ الذين في قلوبِهم شكٌّ وريبةٌ يُبادِرونَ إلى مُناصرةِ اليهودِ والنَّصارى ومُعاونتِهم؛ قائلين- ليُبرِّروا قُبحَ صَنيعهم-: إنَّما يُسارِعونَ في موالاتِهم خشيةَ أن تُصيبَهم دائرةٌ، كأنْ يكونَ لهؤلاء الكفَّارِ النصرُ على المسلمين، فيكون لهم أيادٍ عندَهم تنفعُهم حينَها، فردَّ اللهُ عليهم ذلك العُذرَ الواهيَ، فقال: لعلَّ اللهَ يأتي بالنَّصرِ على اليهودِ والنَّصارى وغيرِهم، أو يأتي بأمرٍ يكونُ فيه هلاكُ المنافقينَ، أو فَضحُهم، فيُصبِحَ هؤلاء المنافقون الموالونَ لليهودِ والنَّصارى على ما أسرُّوا في نفوسِهم نادمينَ.

ويقول المؤمنون- مُتعجِّبين مِن حالِ المنافقين بعدَ أنْ ظهرَ ما أسرُّوه في أنفُسِهم-: أهؤلاءِ الذين حلَفوا باللهِ كَذِبًا مؤكِّدينَ حَلِفَهم أنَّهم معنا في الإيمانِ والنُّصرةِ والمحبَّة؟! بطَلَتْ أعمالُهم؛ فأصبحوا خاسِرينَ.

تَفْسيرُ الآياتِ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾.

مناسَبَةُ الآيةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا أخبرَ اللهُ عن اضطرابِ اليهود في دِينهم، ومحاولتِهم تضليلَ المسلمينَ، وتقليبَ الأمورِ للرسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وبَيَّن عِنادَهم وعداوتَهم لأهلِ هذا الدِّين في الآياتِ السابقةِ- تهيَّأت نُفوسُ المؤمنينَ لقَبولِ النَّهي عن موالاةِ أهلِ الكتابِ؛ لأنَّ الوَلايةَ تَنبني على الوِفاقِ والوِئام والصِّلةِ، وليس أولئك بأهلٍ لوَلايةِ المسلمينَ؛ لبُعدِ ما بينَ الأخلاقِ الدِّينيَّة، ولإضمارِهم الكيدَ للمسلمين،

فأَقبلَ عليهم بالخِطابِ، فنهى مَن اتَّسم بالإيمانِ عن موالاتِهم[١]، فقال:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾.

أي: يا أيُّها المؤمنونَ إيَّاكم أنْ تُناصِروا اليهودَ والنَّصارى، أو تُعاوِنُوهم على غيرِهم[٢].

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾.

أي: إنَّ بعضَ اليهودِ أولياءُ بعضٍ، وبعضَ النصارى أولياءُ بعضٍ؛ فأهلُ كلِّ ملَّةٍ يتناصرون ويتعاضَدونَ فيما بينهم، ويكونون يدًا واحدةً على مَنْ سِواهم[٣].

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾.

أي: ومَن يتولَّ اليهودَ والنَّصارى، ويَنصُرْهم على المسلمين، ويُظاهِرْهم

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٢٨، ٢٢٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٠٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٣٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٩- ١٠).

قال ابنُ عُثَيمين: (الوَلاية التي نهى الله سبحانه وتعالى أن نتولَّى بها اليهود والنصارى هي المناصرةُ؛ سواء ناصرناهم على مسلمين أو على كافِرين، فلا يحلُّ لنا أن نناصرَهم على كافرين، ما لم يكُن في مناصرتنا إيَّاهم على هؤلاء الكافرين مصلحةٌ للإسلام، فإنْ كان فيه مصلحة مثل أن تقومَ حرب بين كَافِرِينَ وكافِرِينَ، ويكون الطرفُ الثاني أكثرَ إساءةً للمسلمين من الطرف الآخَر، فهنا لا بأسَ أن نناصرهم، لا لمصلحتِهم، ولكن لمصلحة المسلمين؛ لأنَّ هذا من باب دفْع أشرِّ الأمرين بأخفِّهما) ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٩) بتصرف يسير.

(٣) وهذا اختيارُ ابنِ جرير في ((تفسيره)) (٨/ ٥٠٧-٥٠٨)، وابن عاشور في ((تفسيره)) (٦/ ٢٢٩).

ويُنظر: ((أضواء البيان)) للشنقيطي (١/ ٤١٢).

واختار ابنُ عُثَيمين أنَّ الآية تَعني التعاونَ بين أهل الملَّة الواحدة، وتعني أيضًا التناصُرَ والتعاون بين اليهود والنصارى على أعدائهم. يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٠).

قال ابنُ عثيمين: (اليهود والنصارى بعضهم أولياء بعض، وهل المراد الملَّة الواحدة، أم كِلتا الملَّتين؟ المرادُ العمومُ؛ الملَّة الواحدة وكِلتا المِلَّتين؛ يدلُّ لذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٣]) ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٣).

عليهم؛ رغبةً فيهم، ورِضًا بدِينهم، فهو مِن أهلِ دِينِهم وملَّتهم، وحُكمُه حُكمُهم[(١)].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

أي: إنَّ مَن يتولَّاهم منكم فهو مِن جُملةِ الظالمين الذين وَضَعوا الولايَةَ في

(١) ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٠٨)، ((تفسير القرطبي)) (٦/ ٢١٧)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٧/ ١٩٤) (١٨/ ٣٠٠- ٣٠١) (٢٨/ ٦٤٤- ٦٤٦)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (١/ ٤١٢- ٤١٣).

قال ابنُ جرير: (يَعني تعالى ذِكرُه بقولِه: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ [المائدة: ٥١]: ومَن يتولَّ اليهودَ والنصارى دون المؤمنين فإنَّه منهم؛ يقول: فإنَّ مَن تولَّاهم ونصَرَهم على المؤمنين، فهو من أهلِ دِينهم ومِلَّتهم؛ فإنَّه لا يتولى متولٍّ أحدًا إلا وهو به وبدِينه وما هو عليه راضٍ، وإذا رَضِيَه ورضِيَ دِينَه فقد عادَى ما خالفَه وسَخِطه، وصار حُكمُه حُكمَه) ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٠٨).

وقال ابنُ حزم: (وصحَّ أنَّ قولَ الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ [المائدة: ٥١] إنَّما هو على ظاهرِه بأنه كافرٌ من جملة الكفَّار فقط- وهذا حقٌّ لا يَختلِفُ فيه اثنانِ من المسلمين) ((المحلى)) (١/ ٣٨٦).

وقال ابنُ القيِّم: (... أنَّه سبحانه قد حَكَم- ولا أحسنَ مِن حُكمِه- أنَّه مَن تولَّى اليهودَ والنصارى فهو مِنهم: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ [المائدة: ٥١]، فإذا كان أولياؤُهم منهم بنصِّ القرآنِ، كان لهم حُكمُهم) ((أحكام أهل الذمة)) (١/ ١٩٥).

وقال الشِّنقيطيُّ: (قولُه تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ ذكَر في هذه الآية الكريمة، أنَّ مَن تولى اليهود والنصارى من المسلمين، فإنَّه يكون منهم بتولِّيه إيَّاهم... وبيَّن في موضعٍ آخَرَ: أنَّ محلَّ ذلك فيما إذا لم تكُن الموالاةُ بسببِ خوفٍ وتقيَّة، وإنْ كانت بسبب ذلك فصاحبُها معذورٌ، وهو قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨]، فهذه الآيةُ الكريمةُ فيها بيانٌ لكلِّ الآياتِ القاضية بمنْع موالاةِ الكفَّار مطلقًا، وإيضاح لأنَّ محلَّ ذلك في حالة الاختيارِ، وأمَّا عند الخوفِ والتقيَّة، فيُرخَّص في موالاتهم، بقدْر المداراةِ التي يَكتفي بها شرَّهم، ويُشترَط في ذلك سلامةُ الباطن من تلك الموالاة... ويُفهم من ظواهرِ هذه الآيات أنَّ مَن تولَّى الكفَّارَ عمدًا اختيارًا؛ رغبةً فيهم: أنَّه كافرٌ مثلُهم) ((أضواء البيان)) للشنقيطي (١/ ٤١٢- ٤١٣).

وقال ابنُ باز: (وقد أجمعَ عُلماءُ الإسلامِ على أنَّ مَن ظاهَرَ الكفَّارَ على المسلمين، وساعدَهم عليهم بأيِّ نوعٍ مِن المساعدةِ، فهو كافرٌ مثلُهم، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡ﴾) ((مجموع فتاوى ابن باز)) (١/ ٢٦٩).

غيرِ مَوْضِعِها، ونَقَصوا أنفسَهم حقَّها بما ارتكبوا مِن كفرٍ أو عِصيانٍ؛ فلا يُوفِّقُهم الله تعالى لاتِّباعِ الحقِّ[1].

﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ ﴾.

أي: فتَرَى- يا محمَّدُ- الَّذين في قُلوبِهم شَكٌّ ونِفاقٌ يُسارعونَ في موالاةِ اليهودِ والنَّصارى، ومودَّتِهم ومصانَعتِهم[2].

﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾.

أي: يقولُ هؤلاء المنافقون: إنَّما نسارعُ في موالاةِ هؤلاء اليهودِ والنصارَى؛ خوفًا من أنْ تقعَ علينا نائبةٌ من نوائبِ الدَّهرِ فنَهلِكَ- كما لو لَحِقتْنا هزيمةٌ بظَفَرِ الكفَّارِ بالمسلمين- فتكونُ لنا أيادٍ عندَهم فتَنفَعُنا؛ لذا نتَّخذُهم أصدقاءَ نُحافظُ على صداقتهم؛ فننالُ منهم ما يُؤمِّلُ الصديقُ من صَديقِه[3].

﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾.

أي: فلعلَّ اللهَ أن يأتيَ بالنَّصرِ الذي يُعزُّ به الإسلامَ وأهلَه على الكفَّارِ؛ من اليهود والنصارى وغيرِهم، أو يأتيَ بأمرٍ يكونُ فيه هلاكُ المنافقينَ بقَتْلهم، أو

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥١٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١١- ١٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥١٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٣٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥١٢-٥١٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٣٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٥)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (١/ ٤١٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٠).

فَضْحِهم وبيانِ مَخازيهم[1].

﴿فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ﴾.

أي: فيُصبِحَ هؤلاءِ المنافِقون الذين والَوُا اليَهودَ والنَّصارَى على ما أضْمَروا في نُفوسِهم من موالاتِهم نادِمين، فحين يأتي نصرُ اللهِ للمسلمين، ويُذِلُّ ويَقهرُ الكافِرينَ، لا تُجْدِي عنهم تلك الموالاةُ شيئًا، ولا تَدفعُ عنهم محذورًا، فيحصُلُ لهم من الغمِّ ما اللهُ تعالى به عليمٌ[2].

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ٥٣﴾.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡ﴾.

أي: ويقولُ المؤمنونُ متعجِّبين مِن حالِ أولئك القومِ بعدَ أن ظهَرَ ما أَضْمَروه، وتبيَّن ما أسرُّوه: أهؤلاءِ الذين حلَفوا لنا باللهِ، وأكَّدوا حَلِفَهم، وغلَّظوه بأنواعِ التأكيدات: أنَّهم معنا في الإيمانِ، وما يلزمُه من نُصرةٍ ومحبَّةٍ[3]؟!

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥١٣- ٥١٤)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: ٣٢٣)، ((تفسير ابن عطية)) (٢/ ٢٠٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٥)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (١/ ٤١٣-٤١٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٣).
قال ابنُ عَطيَّة: (ويظهر أنَّ هذا التقسيم إنما هو لأنَّ الفتحَ الموعودَ به هو ما [يترتَّب] على سعيِ النبيِّ وأصحابه، ويُسبِّبه جدُّهم وعملهم، فوعد الله تعالى إمَّا بفتْح بمقتضى تلك الأفعال، وإمَّا بأمرٍ من عنده يُهلِك أعداءَ الشرع، هو أيضًا فتحٌ لا يقع للبشر فيه تسبيبٌ) ((تفسير ابن عطية)) (٢/ ٢٠٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥١٤- ٥١٥)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: ٣٢٣)، ((تفسير القرطبي)) (٦/ ٢١٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٣٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥١٦-٥١٧)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: ٣٢٤)، ((تفسير القرطبي)) (٦/ ٢١٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٥- ٢٧).
قال ابنُ عَطيَّة: (ذهَب كثيرٌ من المفسِّرين إلى أنَّ هذا القول من المؤمنين إنَّما هو إذا جاء

﴿حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ﴾.

أي: بطَلَتْ أعمالُهم التي عَمِلوها في الدُّنيا، فلا ثوابَ لها ولا أجرَ، فخابتْ صفقَتُهم، وفاتَهم مقصودُهم، وحضرَهم الشقاءُ والعذابُ فهلَكوا[١].

الفَوائِدُ التَّربويَّة:

١- تصدير الخِطاب بالنِّداء، في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ فيه بيانُ أهميَّة تجنُّبِ اتِّخاذِ الأولياءِ من اليهودِ والنَّصارى، وأنَّ تجنبَ ذلك مِن مقتَضَياتِ الإيمان، وأن اتِّخاذَهم أولياءَ يُوجِبُ نقصَ الإيمان، وربَّما يُوجِبُ محوَ الإيمانِ وزوالَه كلِّه؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡ﴾[٢].

٢- يُستفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ بيانُ أنَّ النصارى واليهود وسائرَ الكفَّار بعضُهم أولياءُ بعضٍ في مضادَّة المسلمين -على أحد الأقوال في التفسير- ومِن ثَمَّ فيجبُ على المسلمين الحذرُ من أعدائِهم، وأن يَدَعُوا الخلافاتِ التي بينهم؛ حتى يكونوا يدًا واحدةً على أعدائِهم[٣].

٣- يُستفادُ من قولِه: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡ﴾ أنَّه يجوزُ للمرءِ أن يُجري الكلامَ على سبيلِ التعجُّبِ فيمَن يستحقُّ العَجَب منه، ولا يُعدُّ ذلك مِن بابِ الغِيبة؛ لأنَّ اللهَ تعالى ذكَر هذا عن المؤمنينَ، ولم يُنكِرْه عليهم[٤].

الفتحُ حصلتْ ندامةُ المنافقين، وفضَحَهم الله تعالى، فحينئذٍ يقول المؤمنون: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ ...﴾ الآية) ((تفسير ابن عطية)) (٢/ ٢٠٦).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥١٧)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: ٣٢٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٧- ٢٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٢، ١٣).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ١٤).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٢٧).

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِف:

١- قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ ...﴾ الآية، فيه انقطاعُ الموالاةِ بينَ المسلمينَ والكفَّار، فلا توارُثَ بينهم ولا عَقل، ولا ولاية نكاحٍ[١].

٢- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ تعليلٌ للوعيدِ في قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾، وبيانٌ لسببه؛ وهو أنَّ مَن يُوالي أعداءَ المؤمنين الذين نَصَبوا لهم الحربَ، وينصرُهم أو يستنصرُ بهم فهو ظالمٌ بوضْعه الوَلايةَ في غيرِ موضعها، ولن يَهتديَ مثلُه إلى الحقِّ والنَّجاة أبدًا[٢]، إذا أصرَّ على ذلك.

٣- يُستفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾ أنَّ كلَّ مَن يُسارِعُ في موادَّةِ الكافرينَ وفي مناصرتِهم ففي قلبِه مَرَضٌ، ويَنبني على ذلك أنَّ هذا المَرَضَ ربَّما يتضاعَفُ حتى يصلَ إلى الكُفْر- والعياذُ باللهِ[٣].

٤- يُستفاد من قولِه: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾ أنَّ الذين في قُلوبهم مرضٌ- وهم المنافِقون- يُسارِعونَ في مُوادَّةِ الكافِرين[٤].

٥- أنَّ مَن أشار على وُلاةِ الأمورِ بالمسارعةِ في موادَّة الكفَّارِ وفي مناصرتِهم، فإنَّ فيه شبهًا من هؤلاء المنافقينَ؛ لقوله: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ ...﴾[٥].

٦- ضعْفُ توكُّلِ المنافقينَ على اللهِ وأنَّهم إنَّما يتوكَّلون على الأمورِ المادِّيَّة التي يظنُّون فيها النصرَ؛ لقوله: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ

(١) يُنظر: ((الإكليل في استنباط التنزيل)) للسيوطي (ص: ١١٣).
(٢) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٣٥٦).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٤).
(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).
(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٢٥).

﴿نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞ﴾[(١)].

٧- بشارةُ المؤمنينَ بأنَّ الفتحَ والنَّصر سيكونُ لهم؛ لقوله تعالى: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ﴾؛ فـ(عَسَى) مِن الله واجبةٌ؛ لأنَّ الكريم إذا أطْمَعَ في خيرٍ فَعَلَه، فهو بمنزلةِ الوعدِ؛ لتعلُّقِ النَّفسِ به ورَجائِها له[(٢)].

٨- أنَّ المنافِقَ لا بدَّ أن يَفضحَه اللهُ؛ لقوله: ﴿أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ﴾[(٣)].

٩- تحذيرُ المنافقين ممَّا سيقعُ بهم مِن النَّدمِ على ما أسرُّوا في أنفسِهم؛ لقوله: ﴿فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ﴾[(٤)].

١٠- لَمَّا كان الإسرارُ لا يكون إلَّا لِمَا يُخشَى من إظهارِه فسادٌ، وكان يُطلَقُ على ما دار بين جماعةٍ خاصَّة على وجهِ الكِتمانِ عن غيرهم- بيَّن أنَّه أدقُّ من ذلك، وأنَّه على الحقيقةِ مَنَعَهم خوفُهم من غائلتِه وغِرَّته عندَهم أن يُبرزوه إلى الخارجِ، فقال: ﴿فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾[(٥)].

١١- ممَّا يُستفادُ مِن الآياتِ: كذبُ المنافقين، وأنَّهم يُروِّجون باطلَهم ونفاقَهم بالأيمانِ؛ قال تعالى: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾[(٦)].

١٢- يُستفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ أنَّ المنافقين يُقسِمون باللهِ ويُظهِرون تعظيمَ الله، كما أنَّهم يَذكُرون

(١) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٢٤).
(٢) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٣٧٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٥).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٥).
(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).
(٥) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ١٨٩).
(٦) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٧).

اللهَ ويُصلُّون ويتصدَّقون، لكنْ كلُّ هذا لا يَنفعُهم؛ فعَمَلُهم حابطٌ لعدمِ الإيمانِ في قلوبِهم(١).

١٣- أنَّ المنافقَ مهما ظنَّ من الرِّبحِ فإنَّه خاسرٌ؛ لقوله: ﴿فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴾، ووجه ذلك: إنْ فضَحَه اللهُ في الدُّنيا تبيَّن وخَسِر، وصارَ مكروهًا عندَ الناس، وإنْ لم يَفضَحْه اللهُ في الدُّنيا ففي الآخِرة، وحينئذٍ لا يكونُ منتفعًا بدُنياه؛ لأنَّه خسِرَ الدُّنيا والآخِرة(٢).

بَلاغَةُ الآياتِ:

١- قوله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ الجملةُ مستأنَفةٌ مَسوقةٌ لتعليلِ النَّهي، وتأكيدِ إيجابِ الاجتنابِ عن المنهيِّ عنه(٣).

٢- قوله: ﴿فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ الإجمالُ فيه مبالغةٌ في التَّحذيرِ مِن موالاتِهم في وقتِ نُزولِ الآيةِ، وفيه: تشبيهٌ بليغٌ، أي: فهو كواحدٍ منهم في استحقاقِ العذابِ- على أحدِ الوجوهِ في التفسيرِ(٤).

٣- قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ تذييلٌ للنهي، وموقعُ الجملةِ يَقتضي أنَّ اليهودَ والنصارى مِن القومِ الظالِمينَ بطريقِ الكِناية(٥).

٤- قوله: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾ إيثارُ التعبيرِ بـ ﴿فِيهِمْ﴾ على (إلى)؛ للمبالغةِ في بيانِ رغبتِهم فيها وتهالُكِهم عليها، فكلَّما سَنَحتْ لهم فرصةٌ لتوثيقِ وَلائِهم وتأكيدِه ابتَدَروها؛ وللدَّلالةِ على أنَّهم مستقرُّون في الموالاةِ، وإنَّما مسارعتُهم

(١) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٢٨).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٨)
(٣) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٤٨)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٩١).
(٤) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٣٠).
(٥) ينظر: ((المصدر السابق)) (٦/ ٢٣١).

من بعضٍ مراتبها إلى بعضٍ آخَر منها، فهم يُسارِعونَ في أعمالِ موالاتِهم مسارعةَ الداخلِ في الشَّيء، الثابتِ عليه، الرَّاغِبِ فيما يَزيدُه تمكُّنًا وثباتًا، كما في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [المؤمنون: ٦١]، لا أنَّهم خارجُون عنها متوجِّهون إليها، كما في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ﴾[1] [آل عمران: ١٣٣].

٥- قوله: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ ...﴾ الاستفهامُ في ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ مُستعمَل في التعجُّب مِن نفاقهم، والعجب هو قَسمُهم أنَّهم معهم، وقد دلَّ هذا التعجُّبُ على أنَّ المؤمنين يظهر لهم مِن حالِ المنافقينَ يومَ إتيانِ الفتْحِ ما يَفتضِحُ به أمرُهم، فيعجبونَ مِن حَلِفهم على الإخلاصِ للمؤمنين[2].

٦- قوله: ﴿حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ﴾ فيه ما يُعرَف في البَلاغة بالإغرابِ والطرفة أو النوادر[3]، والآيةُ الكريمة مِن قسم لا يكون الإغرابُ في معناه ولا في ظاهرِ لفظِه، بل في تأويلِه، ففي هذه الآية قد يتوهَّم متوهِّمٌ أنَّ لفظة ﴿أَصۡبَحُوا﴾

(١) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٤٨)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٣٥٦).

(٢) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٣٣).

(٣) الإغراب: هو أنْ يكون المعنى ممَّا لم يُسبق إليه على جهةِ الاستحسان، وهو على ثلاثة أقسام:
الأول: الإغرابُ في اللفظ، وهو كثيرٌ.
الثاني: الإغراب في المعنى، كقول المتنبي:

يُطمِّع الطَّيرَ فيهم طولُ أكْلِهِمُ ... حتَّى تكادَ على أحيائِهم تَقَعُ

فإنَّه عمَد إلى المعنى المعروفِ مِن كَون الطيرِ إنَّما تقعُ على القتْلى وتَتَبع الجيوشَ؛ ثِقةً بالشِّبع، فتجاوزَه بزيادة المبالغة المستحسنة؛ لاقترانِها بـ(تكاد) إلى ما قال، فحصَل في بيته من الإغراب والطرفة ما لا يَحصُل لغيره.
الثالث: الإغراب في تأويلِ الكلامِ، وهو الذي إذا حُمِل على ظاهرِه كان الكلامُ مَعيبًا، وإذا تُؤوِّل ردَّه التأويلُ إلى نمطٍ مِن الكلام الفصيح، فأماط عن ظاهرِه العيب.
ينظر: ((نقد الشعر)) لقدامة بن جعفر (١/ ٥٤)، ((تحرير التحبير))، لابن أبي الإصبع (ص: ٥٠٦)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحيي الدين درويش (٢/ ٥٠٤- ٥٠٥).

في الظَّاهر حشوٌ لا فائدةَ فيه؛ فإنَّ هؤلاءِ المُخبَرَ عنهم بالخُسران قد أمْسَوْا في مِثل ما أصبحوا، ومتى قلت: أصبح العسلُ حُلوًا، كانت لفظة (أصبح) زائدةً، من الحَشوِ الذي لا فائدةَ فيه؛ لأنَّه أمْسَى كذلك، والتأويل الذي تَحصُل به الفائدةُ الجليلة التي لولا مجيءُ (أصبح) لم تحصُلْ، هي: لَمَّا كان العليلُ الذي قد بات مُكابدًا آلامًا شديدةً تُعتبر حالُه عند الصَّباح، فإذا أصبح مُفيقًا مُستريحًا من تلك الآلام رُجِيَ له الخيرُ، وغلَب على الظَّنِّ بُرؤُه وإفاقتُه من ذلك المرض، وإذا أصبح كما أمْسَى تَعيَّن هلاكُه، بجَريانِ العادةِ بهيجانِ الإعلالِ في اللَّيل، وسُكونِه عند الصَّباح، وشُبِّهت حالُ الأشقياءِ بالعَليلِ الذي أَصبحَ من الألَم على ما أمْسى؛ فهو ممَّن يُيْئَس من إصلاحِه، وعلى هذا تكونُ لفظة ﴿فَأَصْبَحُواْ﴾ قد أفادتْ معنًى حَسنًا جميلًا، وخرجَتْ عن كونِها حشوًا غيرَ مفيد، ولَمَّا أخبر الله سبحانه بأنه ﴿حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ عُلِم بالقطع أنَّهم أصبحوا خاسرينَ، فلفظة ﴿أَصْبَحُوا﴾ لا يَصلُح غيرُها في موضعها، ولا يتمُّ المعنى إلَّا بها[1]، وقيل: لَمَّا كانتِ المصيبةُ عند الإصباحِ أَعظمَ عبَّر به، وإنْ كان المرادُ التَّعميمَ[2].



(١) ينظر: ((تفسير ابن عطية)) (٢/ ٢٠٥)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحيي الدين درويش (٢/ ٥٠٤ - ٥٠٥).

(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ١٨٩).

الآيات (٥٤ - ٥٦)

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

غريبُ الكَلِمات:

﴿يَرۡتَدَّ﴾: أي: يَرجِعْ مِن الإسلامِ إلى الكُفر، مِن الرِّدَّة والارتدادِ، والرِّدَّةُ تختصُّ بالكُفر، والارتداد يُستعمَلُ فيه وفي غَيرِه(١).

﴿أَذِلَّةٍ﴾: أي: لَيِّنين لهم، مِن قولهم: دابَّةٌ ذَلولٌ، أي: مُنقادةٌ ليِّنةٌ سهلةٌ، وأصلُ الذُّلِّ: الخُضوعُ والاستكانةُ واللِّين، وهو ضِدُّ العِز(٢).

﴿أَعِزَّةٍ﴾: يُغالِبونَ الكفَّارَ ويمانعونهم، يُقال: عزَّه يعُزُّه عزًّا إذا غَلَبه؛ من العَزازِ: وهي الأرض الصُّلبة، وأصل العِزَّة: الشِّدَّة والقوَّة وأمثالهما مِن الغَلبة والقَهر(٣).

﴿فَضۡلُ ٱللَّهِ﴾: عطاؤه، وأصلُ الفضل الزِّيادة؛ وكلُّ عطيةٍ لا تَلزمُ مَن يُعطِي، يُقال لها: فضلٌ، والإفضالُ: الإحسانُ(٤).

---

(١) يُنظر: ((المفردات)) للراغب (١/ ٣٤٩).

(٢) يُنظَر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (١/ ٣١٤)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٣٤٥)، ((المفردات)) للراغب (١/ ٣٣٠)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٧٨- ١٥٢).

(٣) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٣٨)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٥٦٣).

(٤) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٩)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٥٠٨)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٣٩)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٧٢).

﴿حِزْبَ ٱللَّهِ﴾: أي: أنصارَ اللهِ، أو جُنْدَه وجموعَه، والحزبُ: جماعةٌ فيها غِلَظ، وقيل: الحزب: الوليُّ، واشتقاقُه من قولهم: تحزَّب القومُ، أي: اجتَمَعوا، وأَصْلُ (حزب): يدلُّ على تجمُّعِ شيءٍ[1].

المَعنَى الإجْمالِيُّ:

يُبيِّن اللهُ سُبحانَه للمُؤمنين أنَّ مَن يَرجِعْ منهم عن دِينِه الحقِّ إلى الكُفر، فسوف يأتي اللهُ- عِوَضًا عمَّنِ ارتدَّ- بقومٍ خيرٍ منهم، مِن صفاتهم أنَّهم يحبُّهم اللهُ سبحانه وتعالى ويُحبُّونه، وأنهم رحماءُ بإخوانهم المؤمنين، مُتواضِعون لهم، أشدَّاءُ على الكافِرين، يُقاتلونَ في سبيلِ اللهِ ولإعلاء كلمته، وإعزازِ دينه، وأنَّهم في حِرصِهم على ما يُرضي اللهَ سبحانه لا يَخافون لومًا من أيِّ لائمٍ، ثم بيَّن تعالى أنَّ ما هم فيه مِن الصِّفاتِ الحميدة، والمناقِب الجَليلةِ المذكورةِ هي مِن فضْلِه جلَّ وعلا، وفضلُ اللهِ يُؤتيه مَن يشاء، وهو سبحانه واسعٌ عليمٌ.

ثم بَيَّن سبحانَه مَن تجِبُ موالاتُهم، بعدَ النَّهى عن تولِّي مَن تجبُ معاداتُهم، فقال: إنَّما وليُّكم الله- فلا ناصرَ لكم إلَّا هو سبحانه وتعالى، فهو المرجوُّ وحدَه في الشَّدائِد- ورسولُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ- الذي أخرجكم الله به مِن الكفرِ إلى الإيمانِ- والمؤمنونَ الذين يُقيمونَ الصَّلاةَ على وجهِها، ويُعطون الزكاةَ لمستحقِّيها، وهم خاضعونَ ذليلون للهِ، ثم بيَّن سبحانه حُسنَ عاقبةِ الذين يوالون اللهَ ورسولَه والمؤمنين بأنَّ مَن يتَّخذِ اللهَ ورسولَه والمؤمنينَ أولياءَ فإنَّه من أنصارِ الله، وأنصارُه عزَّ وجلَّ هم الغالِبون.

تَفْسيرُ الآياتِ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ

(١) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٥٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٢٣١)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٥٢).

عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾.

مناسَبَةُ الآيةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا نهَى تعالى عن موالاةِ اليهودِ والنَّصارى، وبيَّن أنَّ موالاتَهم مستدعيةٌ للارتدادِ عن الدِّين بقولِه: ﴿فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾، وقوله: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾- شرَع في بيانِ حالِ المرتدِّين على الإطلاقِ[١].

وأيضًا لـمَّا نهَى اللهُ تعالَى عن مُوالاةِ اليهودِ والنَّصارى، وأخبَر أنَّ فاعلَها منهم- عقَّب ذلك بالإشارةِ إلى أنَّ اتخاذَ اليهودِ والنَّصارى أولياءَ ذريعةٌ للارتدادِ، وأنبأَ المتردِّدين ضعفاءَ الإيمانِ بأنَّ الإسلامَ غنيٌّ عنهم، إن عزموا على الارتدادِ إلى الكُفْر[٢]، فقال:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾.

أي: يا أيُّها المؤمنونَ، مَن يرجِعْ منكم عن دِينِ الحقِّ إلى الباطلِ، فيُبدلْه بدخولِه في الكفرِ كأنْ يتهوَّدَ أو يتنصَّر[٣].

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾.

أي: فلن يَضرَّ اللهَ شيئًا، وإنَّما يضرُّ نفْسَه؛ فإنَّ الله تعالى سيأتي بدلًا من الَّذين ارتدُّوا بقومٍ خيرٍ منهم، أكملَ منهم أوصافًا، وأحسنَ أخلاقًا، وأقوى نفوسًا؛ أجلُّ صِفاتهم أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُحِبُّهم، وأنَّهم يُحبُّونَه سبحانه وتعالى[٤]،

(١) يُنظر: ((تفسير القاسمي)) (٤/ ١٦٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٣٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥١٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٣٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٥).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥١٧- ٥١٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٥)، ((تفسير ابن

(كأبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه، وأصحابِه الذين قاتلوا المرتدِّين)(١).

﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

أي: ومِن صِفاتِهم أنَّهم رُحَماءُ بإخوانِهم المؤمنين، ذَوُو رأفةٍ ورفقٍ بهم، وشفقةٍ وحُنوٍّ عليهم، وتواضعٍ لهم(٢).

كما قال سبحانه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

أي: ومِن صِفاتهم أيضًا أنَّهم أشدَّاءُ على الكافرينَ، ذَوُو قَسوةٍ وغِلظةٍ عليهم، يُظْهِرون للكفَّارِ القُوَّةَ والعِزَّةَ بما هم عليه من الدِّين(٣).

﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾.

أي: ومِن صِفاتهم أيضًا أنَّهم يُقاتلونَ أعداءَ اللهِ تعالى بأموالِهم وأنفسِهم وأقوالِهم وأفعالِهم؛ لتكونَ كلمتُه سبحانه هي العُليا، لا يردُّهم عن هذا المقصدِ رادٌّ، ولا يَصدُّهم عن هذا المطلبِ صادٌّ، بل يُقدِّمون رِضا ربِّهم، والخوفَ مِن

عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٠- ٣١).

(١) يُنظر: ((الصفدية)) لابن تيمية (١/ ٢٣٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٢٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٣٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٦)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (١/ ٤١٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٢٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٣٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٦)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (١/ ٤١٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣١).
قال السعديُّ: (ولا تَمنَعُ الغلظةُ عليهم والشِّدةُ دعوتَهم إلى الدِّينِ الإسلاميِّ بالتي هي أحسنُ، فتَجتمِعُ الغلظةُ عليهم واللِّينُ في دعوتهم، وكِلا الأمرين مِن مصلحتِهم، ونفْعُه عائدٌ إليهم) ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٦).

لومِه على لومِ المخلوقين(١).

عن عُبادةَ بنِ الصَّامت رَضِيَ الله عنه، قال: (بايَعْنا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم على السَّمْعِ والطاعةِ في المَنْشَطِ والمَكْرَه، وألَّا نُنازِعَ الأمرَ أهلَه، وأن نقومَ- أو نقولَ- بالحقِّ حيثُما كُنَّا، لا نَخافُ في اللهِ لَوْمَةَ لائِمٍ(٢))(٣).

﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

مُناسَبتُها لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا مدَحَهم اللهُ تعالى بما مَنَّ به عليهم مِنَ الصِّفاتِ الجليلةِ، والمناقِبِ العالِيَة، المستلزِمة لِمَا لم يُذكَرْ مِن أفعالِ الخيرِ- أخبرَ أنَّ هذا مِن فضلِه عليهم وإحسانِه؛ لئلَّا يُعجَبوا بأنفسِهم، ولِيَشكروا الذي مَنَّ عليهم بذلك؛ ليزيدَهم من فضلِه، وليعلمَ غيرُهم أنَّ فضلَ الله تعالى ليس عليه حجابٌ(٤)، فقال تعالى:

﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾.

أي: هذه الصِّفاتُ التي نَعتَهم بها اللهُ تبارك وتعالى؛ فضلٌ منه وإحسانٌ تَفضَّلَ به عليهم، وتوفيقٌ منه لهم، واللهُ يُؤتي فضلَه مَن يشاءُ مِن خلقِه، بما تَقتضيه

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٢٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٣٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣١- ٣٢).

(٢) قال ابنُ القيِّم: (ونحن نَشهَدُ [بالله] أنَّهم وَفَّوْا بهذه البيعة، وقالوا بالحقِّ، وصدَعوا به، ولم تأخُذْهم في الله لومةُ لائم، ولم يَكتُموا شيئًا منه مخافةَ سوطٍ ولا عصًا، ولا أميرٍ ولا والٍ، كما هو معلومٌ لِمَن تأمَّله من هَدْيِهم وسِيرَتِهم؛ فقد أنكر أبو سعيدٍ على مَرْوانَ، وهو أميرٌ على المدينة، وأنكر عُبادةُ بن الصامت على معاويةَ، وهو خليفةٌ، وأنكر ابنُ عمر على الحَجَّاجِ مع سطوتِه وبأسِه، وأنكر على عمرِو بن سعيد، وهو أميرٌ على المدينة، وهذا كثيرٌ جدًّا من إنكارِهم على الأُمَراء والولاة إذا خرَجوا عن العَدْلِ؛ لم يخافوا سوطَهم ولا عُقوبتَهم) ((إعلام الموقعين عن رب العالمين)) (٤/ ١١٠).

(٣) رواه البخاري (٧١٩٩)، ومسلم (١٨٤٠).

(٤) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٦).

حِكمتُه سبحانه[١].

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

أي: واللهُ تعالى واسعٌ في جميعِ صِفاتِه، ومِن ذلك سَعةُ عَطائِه وفَضلِه وإحسانِه، عليمٌ بمَن يستحقُّ ذلك فيُعطِيه[٢].

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝٥٥﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِمَا قَبلَها:

لَمَّا نهى اللهُ تعالى عن ولايةِ الكفَّارِ من اليهودِ والنَّصارى وغيرِهم، وذكَر مآلَ تولِّيهم أنَّه الخسرانُ المُبين- أخبر تعالى بمَن يجبُ ويتعيَّن تولِّيه، وذَكَر فائدةَ ذلك ومصلحَتَه[٣]، فقال:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

أي: ليس لكم- أيُّها المؤمنون- ناصرٌ إلَّا اللهُ تعالى ورسولُه عليه الصَّلاة والسَّلام والمؤمنون، فأمَّا اليهودُ والنَّصارى، فليسوا لكم بأولياءَ ولا نُصَراءَ[٤].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٢٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٣٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٢٨-٥٢٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٣٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٦).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٢٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٣٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥١).

قال ابنُ عثيمينَ: (فإنْ قال قائلٌ: ولايةُ الله عزَّ وجلَّ صالحةٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ، لكن كيفَ ولايةُ الرَّسول؟

الجواب: أمَّا ما كان في حياتِه؛ فالولايةُ واضحةٌ ظاهرةٌ، وأمَّا بعدَ وفاتِه فإنَّ تمسُّكَنا بسنَّته مِن تولِّيه لنا؛ لأنَّنا نُنْصَر بها، ونُعان بها، فكأنَّه عليه الصلاةُ والسَّلام معنا يناصرُنا ويُعينُنا) ((تفسير

كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١]. وقال سبحانه: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

ثمَّ ذكَر اللهُ تعالى صِفاتِ المؤمنينَ الذين تَنبغي ولايتُهم، فقال عزَّ وجلَّ:

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

أي: وهم الذين اتَّصفوا- بالإضافةِ إلى إيمانِهم- بأداءِ الصَّلاةِ بشُروطِها وواجباتِها وأركانِها ومستحبَّاتها، وببَذْلِ الزكاةِ من أموالِهم، لأهلِها المستحقِّين لها(١).

﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾.

أي: ومِن صِفاتهم أيضًا: أنَّهم للهِ تعالى خاضِعون ذَليلون، وله مُنقادُون(٢).

﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

أي: أيُّ امرِئٍ يتَّخذِ اللهَ تعالى ورسولَه وعِبادَه المؤمنينَ أولياءَ له(٣).

ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٢).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٣٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٣٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥١- ٥٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٣٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٣٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٦).

قال ابنُ عثيمين: (فإنْ قال قائل: قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ﴾؛ هل اللهُ في حاجة لأنْ يتولَّاه أحد؟

﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾.

أي: فإنَّه مِن أنصارِ اللهِ تعالى، وأنصارُه هم المُفْلِحون المنصورون، الذين لهم العاقبةُ في الدُّنيا والآخِرة(١).

كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

الفَوائِدُ التَّربويَّة:

١- في قوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ الثَّناءُ على مَن كان ذليلًا على المؤمنين، وهو الذي يَخفِضُ جناحَه لهم ويتطامَن ويتواضَع؛ فإنَّ هذه من الصفاتِ التي يحبُّها الله عزَّ وجلَّ، أما ترفُّعُ الإنسانِ على إخوانِه المسلمينَ فليس محمودًا عندَ اللهِ، بل ولا عندَ الخَلْق؛ وكلَّما ازدادَ الإيمان ازدادَ التواضع، وكلَّما ازدادَ العِلمُ ازدادَ التواضعُ(٢).

٢- قال تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا

الجواب: الله عزَّ وجلَّ ليس بحاجة لأنْ يتولَّاه أحد، لكنَّ الدِّين بحاجة إلى أن يتولَّاه أهلُه، ومَن تولى دِينَ الله فقد تولَّى اللهَ كما قال الله عزَّ وجلَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧]، ومن المعلوم أنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يحتاجُ إلى نصرٍ، لكن ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ﴾، أي: تنصروا دِينَه ﴿يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

وقوله: ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ الرسول عليه الصَّلاة والسَّلام يحتاج إلى مَن يتولَّاه في حياته، ويتولَّى سُنَّته ويدافع عنها بعد وفاتِه، فيكون تولِّي الرسولِ بمعنى تولِّي سُنَّته ونَصْرِها، كما قلنا: إنَّ تولِّي الله يعني تولِّي دِينه، ونُصرةَ دِينه.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ تولِّي المؤمنين إلى يوم القيامة؛ لأنَّه لا تزال طائفةٌ من هذه الأُمَّة على الحقِّ حتى تقومَ الساعةُ، وحتى يُقبضوا قبلَ قيام الساعة؛ لأنَّ الساعة لا تقومُ إلَّا على شِرار الخَلْق)) ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٧).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٣٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٣٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٣).

﴿يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٍ...﴾ يُفهم من هذه الآياتِ أنَّ المؤمنَ يجبُ عليه ألَّا يَلينَ إلَّا في الوقتِ المناسِب للِّين، وألَّا يشتدَّ إلَّا في الوقتِ المناسب للشدَّة؛ لأنَّ اللِّينَ في مَحلِّ الشدَّةِ ضَعْفٌ وخَوَرٌ، والشدَّةَ في محلِّ اللِّين حُمقٌ وخَرَق، وقد قال أبو الطيب المتنبي:

إذا قِيلَ حِلْـمٌ قُلْ فلِلْحِلْـمِ مَوضِعٌ وحِلْمُ الفَتَى في غَيرِ مَوْضِعِه جَهْلُ[١]

وفيها إيماءٌ إلى أنَّ صِفاتِهم تُسيِّرُها آراؤُهم الحصيفةُ؛ فلَيْسُوا مُندفِعين إلى فِعلٍ ما إلَّا عن بصيرةٍ، ولَيْسُوا ممَّن تنبعِثُ أخلاقُه عن سَجيَّةٍ واحدةٍ بأنْ يكون ليِّنًا في كلِّ حالٍ، وهذا هو معنى الخُلُق الأقوم، وهو الذي يكونُ في كلِّ حالٍ بما يُلائِم ذلك الحالَ[٢].

٣- قَوْلُه: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ فيه الثناءُ على عِزَّة النَّفسِ وقوَّة الشخصيةِ أمامَ الكفَّار، وأنْ نكونَ أعِزَّةً عليهم، نرى في أنفسنا العلوَّ عليهم، والظهورَ عليهم لا بذَواتِنا، ولكن بما معنا من الدِّين[٣].

٤- الإشارةُ إلى الإخلاصِ؛ لقوله: ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ لأنَّ الجهاد -وهو القِتالُ- يحملُ عليه عِدَّةُ أسباب، والجهادُ المحمودُ هو الجهادُ في سبيلِ اللهِ[٤].

٥- أفاد قوله تعالى: ﴿وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾ بعد قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أنَّه لا بدَّ أنْ يقترنَ بهذه الأعمالِ الصالحةِ الذلُّ والخضوعُ للهِ عزَّ وجلَّ، بحيث يَشعرُ الإنسانُ أنَّه مُتعبِّدٌ للهِ خاضعٌ له، وهذا يَفوتُ كثيرًا من النَّاسِ؛ فيؤدِّي الواحدُ منهم العبادةَ على أنَّها مفروضةٌ عليه فقط، ولا يَشعُرُ بأنَّه متعبِّدٌ

(١) يُنظر: ((أضواء البيان)) للشنقيطي (١/ ٤١٦).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٣٨)
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٣).
(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٤٥).

لله بذلك[١].

٦- قوله: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾، لم يقُلْ عزَّ وجلَّ: (ومَن يتولَّ اللهَ ورسولَه والذِين آمنوا فإنَّه الغالب)، بل قال: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ﴾؛ ليكون دالًّا على شَيئين: الشيء الأوَّل: أنَّ مَن تولَّى اللهَ ورسولَه والذين آمنوا فهو مِن حزبِ اللهِ. الشيء الثاني: إرادةُ العمومِ أنَّ حزبَ اللهِ لا بدَّ أن يكون غالبًا؛ لأنَّ دِينَ الله لا بدَّ أن يكون غالبًا، فالمتمسِّك بدِين الله؛ هو مِن حِزبِ الله، وهو غالبٌ ولا بدَّ، لكنَّ الغَلَبَة قد تكونُ في حالِ الحياةِ، وقدْ تكون بعدَ الموتِ؛ ولهذا نجِدُ الأئمَّةَ الذين لم يُقدَّرْ لهم أن يَظهروا ظهورًا كاملًا في حياتِهم؛ ظَهَروا ظهورًا كاملًا بعدَ وفاتِهم؛ كالإمام أحمد، وابن تيميَّة، وغيرِهما من العلماءِ والأئمَّة، الذين لَحِقَهم من الإهانةِ مِن وُلاةِ السُّوءِ ما لَحِقَهم، وكانتِ الغَلَبَةُ لهم؛ إمَّا في الحياةِ، وإمَّا بعدَ المماتِ[٢].

٧- يُستفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ أنَّ للهِ تعالى حِزبًا، وحزبُه الذي يُقابِلُ حَربَه؛ لأنَّ اللهَ له حِزبٌ وله حَرْبٌ، فمَن أقام على شريعتِه فهو حِزبُه، ومَن خالَفَ شريعتَه فهو حَربُه، فإعلانُ المخالفةِ حربٌ لله، لا سيَّما فيما نصَّ على أنه حربٌ لله عزَّ وجلَّ، كالرِّبا وقَطْع الطريقِ، وما أشبهها[٣].

٨- في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ بشارةٌ عظيمة لِمَن قام بأمْرِ الله وصارَ مِن حِزبِه وجُندِه، أنَّ له الغَلَبَةَ، وإنْ أُديلَ عليه في بعضِ الأحيان لِحكمةٍ يُريدها الله تعالى، فآخِرُ أمرِه الغَلَبَةُ والانتصارُ، ومَن أصدقُ من الله قيلًا[٤]؟!

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٣٩٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٤).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٧).
(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٥٨).
(٤) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٦).

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِف:

١- التَّحذيرُ مِن الرِّدَّة؛ لقوله: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ...﴾(١).

٢- يُستفادُ من قولِه: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ أنَّ الله غنيٌّ عن العِباد؛ فلو ارتدَّ قومٌ جاء الله بقومٍ آخرينَ؛ كما قال الله: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾(٢) [محمد: ٣٨].

٣- قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ ...﴾ مِن أدلِّ الدَّلائلِ على فسادِ مذهبِ الإماميَّة مِن الرَّوافضِ؛ فمذهبُهم أنَّ الذين أقرُّوا بخِلافة أبي بكرٍ وإمامَتِه كلهم كَفَروا وصاروا مرتدِّينَ، فنقول: لو كان كذلك لجاءَ اللهُ تعالى بقومٍ يُحارِبونهم ويَقهرونهم ويردُّونهم إلى الدِّين الحقِّ؛ بدليل قوله: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ ...﴾ إلى آخِرِ الآية، وكلمةُ (مَن) في معرضِ الشَّرْط للعمومِ، فلو كان الذين نَصَّبوا أبا بكر للخلافةِ قد ارتدُّوا لوجَبَ بحُكم الآيةِ أنْ يأتيَ اللهُ بقومٍ يقهرونهم، ويُبطِلون مَذهبَهم، ولَمَّا لم يكُنِ الأمرُ كذلك، بل الأمرُ بالضدِّ؛ فإنَّ الروافضَ هم المقهورونَ المَمْنوعونَ عن إظهارِ مَقالاتِهم الباطلةِ أبدًا منذ كانوا- عَلِمْنا فسادَ مَقالتِهم ومذهبِهم، وهذا كلامٌ ظاهرٌ لِمَن أنصَفَ(٣).

٤- أنَّ المرتدِّين مَبغوضونَ عندَ اللهِ؛ لقوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾(٤).

٥- قوله: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ ...﴾ مِن الكائناتِ التي أخْبَرَ عنها في القرآنِ

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٣).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٤).
(٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٣٧٨).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٤).

قبلَ كونِها، وقد وقَع المخبَرُ به على وَفْقِها، فيكون معجزًا[١].

٦- إثباتُ أفعالِ اللهِ الاختياريَّة، يعني: التي يَفعلُها سُبحانَه باختياره؛ لقوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي﴾ وسوف: للمُستقبَل[٢].

٧- إثباتُ المحبَّة مِن اللهِ ولله؛ مِن اللهِ في قوله: ﴿يُحِبُّهُمْ﴾، ولله في قوله: ﴿وَيُحِبُّونَهُ﴾، وهذه الآية جمَعتْ بين محبَّة اللهِ لعبادِه الصالحين، ومحبَّةِ العبادِ الصالحين للهِ[٣].

٨- يُستفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ أنَّه يَنبغي للإنسانِ ألَّا تأخذَه في اللهِ لومةُ لائمٍ؛ فما دام على حقٍّ، فلا يُهمَّنَّه أحدٌ؛ لأنَّه لا بدَّ لكلِّ عابدٍ من عدوٍّ، لكن ذلك مع وجوبِ الحِكمة؛ لأنَّ التهوُّرَ يَحصُل منه انعكاسُ المقصودِ[٤].

٩- قولُه: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ فيه أنَّ خوفَ الملامةِ ليس عذرًا في تركِ أمرٍ شرعيٍّ[٥].

١٠- يُستفادُ من قولِه: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ أنَّ الوصفَ بالمحبَّة، والذلَّة، والعِزَّة، والمجاهَدة، وانتفاءِ خوفِ اللائمة- حصَل بفضلِ الله تعالى، وهذا يدلُّ على أنَّ طاعاتِ العبادِ مخلوقةٌ للهِ تعالى[٦].

١١- قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾، ولم يقُل: (أولياؤكم) للتنبيهِ على أنَّ

(١) يُنظر: ((تفسير القاسمي)) (٤/ ١٦٨).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤١).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٢).
(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٤٧).
(٥) يُنظر: ((الإكليل)) للسيوطي (ص: ١١٣).
(٦) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٣٩٥).

الولايةَ للهِ على الأصالةِ، ولرسولِه وللمؤمنينَ على التَّبَع؛ إذ التقديرُ: إنَّما وليُّكم اللهُ وكذا رسولُه والمؤمنونَ، ولو قيل: (إنما أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا) لم يكُن في الكلامِ أصلٌ وتبعٌ(١).

١٢- يُستفادُ من قولِه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فضيلةُ الصَّلاةِ؛ لأنَّ الصَّلاةَ دائمًا في المقدِّمة، فهي أفضلُ العبادات بعدَ التوحيدِ، والشهادةِ بالرِّسالة(٢).

١٣- يُستفادُ من قولِه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أنَّ مرتبةَ الزكاةِ في دِينِ الإسلامِ بعدَ مرتبةِ الصَّلاةِ، وهكذا في الآياتِ الكريمةِ وفي الأحاديثِ النبويَّة؛ تأتي الزكاةُ بعد الصَّلاةِ(٣).

١٤- لَمَّا كان لقبُ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يشملُ كلَّ مَن أسلمَ في الظاهرِ، وصَفَ هؤلاء الأولياءَ بقولِه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾، أي: دون المنافقين الذين قالوا آمنَّا بأفواهِهم، ولم تُؤمنْ قلوبُهم، والذين يأتون بصورةِ الصَّلاةِ دون رُوحِها ومعناها، فإذا قاموا إليها ﴿قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾(٤) [النساء: ١٤٢].

١٥- الثَّناءُ التامُّ على رسولِ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم وعلى المؤمنين، وأنَّ تولِّيهم من أسبابِ الغَلَبَة، أمَّا تولي اللهِ فهو شأنٌ فوقَ ذلك؛ لقوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾(٥).

---

(١) يُنظر: ((تفسير الشربيني)) (١/ ٣٨٢).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٢).
(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٥٣).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٣٩٦)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ١٩٣)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا ((٦/ ٣٦٥).
(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٨).

بَلاغَةُ الآياتِ:

١- قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ ﴾ جملةٌ معترِضة بين ما قَبلَها وبين قوله: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ دعَت لاعتراضِها مناسبةُ الإنذارِ في قوله: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾[١].

٢- قوله: ﴿ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾

- فيه مناسَباتٌ حَسنةٌ لطيفةٌ في التَّقديمِ والتَّأخيرِ؛ حيث قَدَّمَ مَحبَّةَ اللهِ تعالى لهم ﴿ يُحِبُّهُمۡ ﴾ على مَحبَّتهم له ﴿ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾؛ لشَرفِ مَحبَّةِ الله لهم، وسَبْقِها على مَحبَّتهم إيَّاه. وقدَّمَ الوَصْفَ بالمحبَّةِ مِنهم ولهم على وَصْفِهم بأذلَّةٍ على المؤمِنين، وأَعِزَّة على الكافِرين؛ لأنَّهما ناشِئتانِ عن المحَبَّتَينِ. ولَمَّا كان الوصفُ الذي بَينَ المؤمِن وربِّه أشرفَ مِن الوصفِ الذي بَينَ المؤمِن والمؤمِن؛ لِذَا قدَّم قولَه: ﴿ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ على قولِه: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾. وقدَّمَ وَصْفَهم المتعلِّقَ بالمؤمِنينَ ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ على وصْفِهم المتعلِّقِ بالكافرينَ ﴿ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾؛ لأنَّ المتعلِّقَ بالمؤمِنينَ آكَدُ وألزَمُ من المتعلِّقِ بالكافِرين، ولشَرفِ المؤمنِ أيضًا[٢].

- ووقَعَ الوَصفُ في جانبِ المحبَّةِ بالجُملةِ الفِعليَّة ﴿ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾؛ لأنَّ الفعلَ يَدُلُّ على التجدُّدِ والحدوثِ، وهو مُناسبٌ؛ فإنَّ محبَّتهم للهِ تعالى تُجَدِّدُ طاعاتِه وعبادتَه كلَّ وقتٍ، ومَحبَّةُ اللهِ إيَّاهم تُجَدِّدُ ثوابَه وإنعامَه عليهم كلَّ وقتٍ، بَيْنمَا وقَع الوَصفُ في جانبِ التواضُعِ للمُؤمنين والغِلظة على الكافِرينَ بالاسمِ الدالِّ على المبالَغةِ؛ دَلالَةً على ثُبوتِ ذلك واستقرارِه،

(١) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٣٤).

(٢) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٩٧، ٢٩٩)، ((الدر المصون)) للحلبي (٤/ ٣١٠)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٣٨٨).

وأنَّه عزيزٌ فيهم؛ فالاسمُ يدلُّ على الثُّبوتِ والاستقرارِ[١].

- ولَمَّا كان ذلُّهم هذا إنَّما هو الرِّفقُ ولِينُ الجانبِ لا الهوانُ، كان في الحقيقةِ عِزًّا، فأشارَ إليه بحَرْفِ الاستعلاءِ (على)، في قوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ ففيه مناسبةٌ حَسنةٌ؛ حيث جاء التعبير بـ ﴿عَلَى﴾ وليس باللام، فلم يقل: (أذلَّة للمؤمنين)؛ لأنَّه قد ضُمِّن الذُّلُّ معنى الشَّفقة والحُنوِّ والعطَف، مُبيِّنًا أنَّ تواضُعَهم عن علوِّ منصبٍ وشرفٍ، كأنَّه قيل: عاطِفين عليهم على وجْه التَّذلُّلِ والتواضُع، أو: أنَّهم مع شَرفِهم وعلوِّ طبقتِهم وفضلِهم علَى المؤمنينَ خافِضونَ لهم أجنِحَتَهم[٢].

٣- وقوله: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ **فيه:** تعريضٌ بالمنافقين؛ فإنَّهم كانوا إذا خرَجوا في جيشِ المسلمين خافوا أولياءَهم اليهودَ، فلا يكادون يَعمَلون شيئًا يَلحَقُهم فيه لَوْمٌ من جِهَتِهم[٣].

- وفي تنكيرِ ﴿لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ مبالغةٌ، كأنَّه قيل: لا يَخافون شيئًا قطُّ مِن لومٍ أحدٍ من اللُّوَّام[٤]، و﴿لَوْمَةَ﴾ للمرَّة الواحدةِ من اللَّومِ، وهي نَكِرةٌ في سياقِ النفي؛ فتَعُمُّ؛ فهم لا يَخافون جميعَ أنواعِ اللَّومِ مِن جميعِ اللَّائمين[٥].

٤- قوله: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ تذييلٌ، وفيه إشارةٌ إلى ما تقدَّمَ

(١) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٢٩٩)، ((الدر المصون)) للحلبي (٤/ ٣١٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٤٧)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ١٩١)، ((تفسير الشربيني)) (١/ ٣٨٢).

(٣) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٥٢).

(٤) ينظر: ((المصدر السابق))، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٣٨).

(٥) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٠٠)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٥٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٣٨).

من الأوصافِ الجليلةِ، والتعبيرُ باسم الإشارةِ ﴿ذَٰلِكَ﴾ وما فيه من معنى البُعد؛ للإيذانِ ببُعد منزلتِها في الفَضلِ(١).

٥- **قوله:** ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ الجملة اعتراضٌ تذييليٌّ مُقرِّر لِمَا قبله، وإظهارُ الاسمِ الجليلِ ﴿ٱللَّهِ﴾ في موضِع الإضمار؛ للإشعارِ بالعِلَّة، وتأكيدِ استقلالِ الجُملةِ الاعتراضيَّة(٢).

- وقوله: ﴿وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ الواسِع فيه إشارةٌ إلى كَمالِ القُدرة، والعليمُ فيه إشارةٌ إلى كمالِ العِلمِ، وجاء على صِيغة (فعيل)؛ للمبالغة في وصْفه بالعِلم بجميعِ الأشياء التي مِن جُملتِها مَن هو أهلٌ للفضل والتوفيق؛ فلمَّا أخبر الله تعالى أنَّه سيجيء بأقوامٍ هذا شأنُهم وصِفتُهم، أكَّد ذلك بأنَّه كاملُ القُدرةِ؛ فلا يَعجِزُ عن هذا الموعودِ، كاملُ العلم؛ فيمتنع دخولُ الخُلفِ في أخبارِه ومواعيدِه(٣).

٦- **قوله:** ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ... فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ **فيه:** وضْعُ الظاهِرِ موضعَ المضمَر- حيث لم يقُل: (فإنَّهم هم الغالبون)- وفائدة وضْع الظاهِرِ موضعَ المضمَرِ هنا الإضافةُ إلى اللهِ تعالى، فيُشرَّفون بذلك، ويَصيرون بذلِك أعلامًا، وفيه تنبيهٌ على البُرهان عليه، فكأنَّه قيل: ومَن يتولَّ هؤلاءِ فهم حزبُ اللهِ، وحزبُ اللهِ هم الغالبون؛ ففيه تنويهٌ بذِكرهم، وتَعظيمٌ لشأنِهم، وترغيبٌ في ولايتِهم، وتعريضٌ لِمَن يُوالي غيرَ هؤلاء بأنَّه حزبُ الشَّيطانِ(٤).

---

(١) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٥٢)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ١٩٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٣٩).

(٢) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٥٢).

(٣) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٣٨٢)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٥٢).

(٤) ينظر: ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١٣١)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٠١) ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ١٩٤).

وهذا الوجه بناءً على القول بأنَّ جوابَ ﴿مَنْ﴾ هو قوله: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ...﴾، وأمَّا على القولِ

الآيات (٥٧ - ٦١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٥٧) وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (٥٨) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (٥٩) قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (٦٠) وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ (٦١)﴾.

غريبُ الكَلِمات:

﴿هُزُوًا﴾: أي: سُخريًّا واستِهزاءً وتلعبًا[(١)].

﴿تَنْقِمُونَ﴾: تَكرَهُونَ وتُنكِرون وتَعيبون، مِن نَقِمْتُ الشَّيءَ: إذا أنكرْتَه، إمَّا باللِّسانِ، وإمَّا بالعقوبةِ، وأَصْلُ (نقم): يدلُّ على إنكارِ شيءٍ وعَيبِه[(٢)].

﴿أُنَبِّئُكُم﴾: أُخْبِرُكم، والنَّبأ: الخبرُ الذي له قَدرٌ، وفائدةٌ عظيمةٌ، ويحصُل به علمٌ أو غَلَبَةُ ظنٍّ، وأَصْلُ (نبأ): الإتيانُ من مكانٍ إلى مكانٍ؛ وسُمِّي الخبَرُ نبأً لانتقالِه من مكانٍ إلى مكانٍ[(٣)].

بأنَّ جوابَ ﴿مَنْ﴾ محذوفٌ؛ لدلالةِ ما بَعدَه عليه، أي: يكُن مِن حزبِ اللهِ ويَغْلِب؛ فليس فيه هذا الوجهُ.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٣٣)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (١/ ٢٣٣)، ((المفردات)) للراغب (١/ ٨٤١).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١٣٩)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٤٦٤)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٢٢)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨٤)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٥٢)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٣٢٢).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (١/ ٤٦١)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٣٨٥)،

﴿مَثُوبَةً﴾: أي: جزاءً ثابتًا، أو ثوابًا، وهو عبارةٌ عن المنفعةِ الخالِصةِ المقرونةِ بالتعظيمِ، والمثوبةُ مختصَّةٌ بالخيرِ؛ كما أنَّ العقوبةَ مختصَّةٌ بالشرِّ(١).

﴿لَّعَنَهُ﴾: طَردَه وأبْعَدَه، واللَّعْن: الطردُ والإبعادُ على سَبيل السَّخطِ(٢).

﴿ٱلطَّٰغُوتَ﴾: الطَّاغُوتُ هو كُلُّ ذِي طُغْيَانٍ عَلَى الله، فكلُّ مَعْبُودٍ مِن دُونِ الله إذا لم يَكُنْ كارِهًا لذلك: طاغوتٌ؛ إنَسانًا كان ذلك المعبودُ، أو شَيْطانًا، أو وَثنًا، أو صَنَمًا كَائِنًا ما كان من شيءٍ، والمُطاعُ في معصيةِ اللَّهِ طاغوتٌ، وكذلك السَّاحِرُ والكاهِنُ، واشتقاقُه من الطُّغْيان: وهو الظُّلْم والبغْيُ، يقال طَغَا فُلانٌ يَطْغَى: إذا عَدا قَدْرَه فتجاوَز حَدَّه(٣).

مُشكِلُ الإعرابِ:

١- قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَ﴾

﴿وَٱلۡكُفَّارَ﴾: قُرِئ بالنَّصب وبالجرِّ؛ فعلى النَّصب فهو عطفٌ على ﴿ٱلَّذِينَ﴾

((المفردات)) للراغب (ص: ٧٨٨- ٧٨٩).

(١) يُنظر: ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٨٧)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٣٢٧، ٨٨١).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٤٠٠)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٢٥٢)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٧٤١).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٢٨)، ((تفسير ابن جرير)) (٤/ ٥٥٨)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٣١٦)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٤١٢)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٥٢١)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٢٨/ ٢٠٠) ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١١٣).

وقال ابنُ القيِّم: (والطاغوتُ: كلُّ ما تَجاوَزَ به العبدُ حَدَّه مِن معبودٍ، أو مَتبوعٍ، أو مطاعٍ؛ فطاغوتُ كلِّ قومٍ مَن يَتحاكَمون إليه غيرِ اللهِ ورسولِه، أو يَعبُدونه مِن دون الله، أو يَتَّبعونه على غيرِ بصيرةٍ مِن الله، أو يُطيعونه فيما لا يَعلمون أنَّه طاعةٌ لله؛ فهذه طواغيتُ العالمِ ...) ((أعلام الموقعين)) (١/ ٤٠).

المنصوبة في قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا...﴾، أي: لا تَتَّخِذوا المُسْتَهْزِئينَ ولا الكُفَّار أولياءَ؛ فيَخرُجون مِن الوَصفِ بالهزُء واللَّعِبِ. وعلى الجرِّ فهو عَطفٌ على ﴿ٱلَّذِينَ﴾ المجرورةِ في قولِه: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾؛ ومعناها: أنَّه نَهاهُم أن يَتَّخِذوا المُستهزئينَ أولياءَ، وبيَّنَ أنَّ المُستهزئينَ صِنفانِ: أهلُ كِتابٍ مُتقَدِّمٍ؛ وهم اليَهودُ والنَّصارى، وكُفَّارٌ عبَدَةُ أوثانٍ؛ فيكونونَ موصوفينَ باللَّعب والهزء، كما وُصِف به الَّذين أُوتوا الكِتابَ؛ والمعنيانِ صَحيحانِ[1].

٢- قوله: ﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾

﴿أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ﴾: ﴿أُنَبِّئُكُم﴾ فِعلٌ وفاعِلٌ، والكاف مَفعولٌ أوَّلُ، و﴿بِشَرّٖ﴾ جارٌّ ومَجرورٌ، وهو في مَحلِّ نَصبٍ مَفعولٌ ثانٍ لـ(أُنَبِّئ)[2].

﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾: ﴿مَن﴾: موصولةٌ بمَعْنَى الذي، وقد حَمَلَ على لفظِها فأفرَدَ في قوله: ﴿لَّعَنَهُ﴾ و﴿عَلَيۡهِ﴾، ثمَّ حَمَل على معناها فجَمَع في قوله: ﴿مِنْهُمُ القِرَدَةَ﴾. ويجوزُ في إعرابِ ﴿مَن﴾: أنْ يكونَ في محلِّ رفع على أنَّه خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ، أي: هو مَن لَعَنه اللهُ. ويجوز أنْ يكون ﴿مَن﴾ في موضِع جرٍّ على البَدلِ مِن لَفْظِ ﴿بِشَرّٖ﴾ بدَلَ الشَّيءِ من الشَّيء، والتقدير: (أَؤُنَبِّئُكُمْ بِمَنْ لَعَنَهُ اللهُ). ويجوزُ أنْ يكونَ في مَوضِع نصْبٍ على البَدلِ مِن مَحلِّ قولِه:

---

(١) يُنظر: ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (١/ ٢٣٠)، ((التبيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/ ٤٤٦)، ((إعراب القرآن الكريم)) للدعاس (١/ ٢٦٣).

(٢) وذلك لأنَّ أصْلَ الفِعل (نَبَّأ وأنبأ) يَتعدَّى لمفعولَينِ؛ فيتعدَّى إلى المفعولِ الأوَّل بنَفْسِه، وإلى الثَّاني بحَرْفِ الجرِّ كما هنا، ونحوه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ﴾، وقدْ يُحْذَفُ الجارُّ تَخفيفًا، نحوُ قولِه تعالى: ﴿مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا﴾، وقد يُحذَفُ المفعولُ الأوَّل؛ للدَّلالةِ عليه، كقولِه تعالى: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ﴾، حيثُ تعدَّى لمفعولَينِ حُذِفَ أوَّلُهما، والثاني مجرورٌ بالباء، أي: نَبَّأتْ به غيرَها. يُنظر: ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (١٠/ ٣٦٤).

﴿بِشَرٍّ﴾؛ إذ محلُّه النَّصبُ، أو في مَوضِع نَصْبٍ بِفعلٍ مَحذوفٍ دلَّ عليه ﴿أُنَبِّئُكُم﴾، أي: أُعرِّفكم مَن لَعَنَه اللهُ[١].

المَعنَى الإجْمالِيُّ:

يَنهَى اللهُ تعالى المؤمنينَ عن اتِّخاذِ أعدائِهم حُلفاءَ وأنصارًا وأعوانًا، الذين مِن صِفاتهم أنَّهم يَستهزِئونَ بشعائرِ الدِّينِ القويم ويَحتقرونها؛ مِن اليهودِ والنصارى وغيرِهم من الكفَّارِ، ثم يَأمُرُهم بتقواه في ذلك، إنْ كانوا حقًّا مؤمنينَ.

ثم يُخبِرُ اللهُ تعالى المؤمنين عن بعض مظاهرِ استهزاءِ هؤلاء الأعداءِ بالدِّين، فهم إذا سمِعوا الأَذانَ يُنادَى للصَّلاةِ اتَّخذَها هؤلاءِ الكفارُ من اليهودِ والنصارى، والمشركين سُخريةً ولعبًا؛ وذلك لكونِهم قومًا لا يَعقلونَ.

ثم يَأمُرُ اللهُ نبيَّه محمدًا صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنْ يقولَ لأهلِ الكتابِ: يا أهلَ الكتابِ إنَّكم بمعاداتِكم لنا، وحَرْبِكم علينا، ما تَكْرَهون منَّا، ولا تَعِيبونَ علينا إلا إيمانَنا باللهِ، وبالقرآنِ الذي أُنزِل علينا، وإيمانَنا بما أُنْزِلَ مِن قبلُ كالتَّوراةِ والإِنجيلِ، وأنَّ أكثرَكم فاسقونَ.

ويأمُرُ اللهُ نبيَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أن يَقولَ لهم أيضًا: هل أُخْبِرُكم- يا معشرَ اليهودِ والنَّصارى- بِشَرٍّ مِن ذَلِكَ الذي نقَمَتُم فيه علينا ثوابًا وجزاءً، مع التنزُّلِ معكم؟ مَن طردَهم اللهُ مِن رَحْمتِه، وأنزل عليهم غضبَه، ومسخَ بعضَهم إلى قرودٍ وخنازيرَ، وجعَل منهم مَن عَبَدَ الطاغوتَ؛ هؤلاء الذين عدَّد اللهُ أوصافَهم هم شرٌّ منزلةً في الدُّنيا والآخِرة من المؤمنينَ الذين نقَموا عليهم إيمانَهم.

ثم يُخبرُ اللهُ الذين آمنوا أنَّ المنافقين من اليهودِ إذا أَتَوهم قالوا لهم كَذِبًا:

---

(١) ينظر: ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (١/ ٢٣١)، ((التبيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/ ٤٤٨)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٣٢٦).

إنَّهم آمنوا، والحقيقة أنـَّهم متمسِّكون بكُفرِهم، قد دخلوا بكُفرِهم عليكم، وخرَجوا به كما قد دَخَلوا، لم ينفعْهم ما يَسمَعونه عندَكم من العِلم والمواعِظ، واللهُ تعالى هو أعلمُ بما يُسرُّونه ويُخفونَه.

تَفْسيرُ الآياتِ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٥٧﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَ﴾.

أي: لا تتَّخذوا- أيُّها المؤمنونَ- الَّذين يَستهزِئون بشعائرِ دِينكم، ويَرمُقونها بعينِ الاحتقارِ والسُّخرية، ويعتقدونها ضَربًا من اللَّهوِ والعبثِ في نظرِهم الفاسدِ؛ مِن اليهودِ والنَّصارى ومن سائرِ الكفَّارِ والمشركين- لا تتَّخذوا هؤلاءِ ولا هؤلاءِ أنصارًا لكم وحُلفاءَ وأعوانًا[1].

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

مُناسَبَتُها لِما قَبْلَها:

لَمَّا نهَى الله تعالى المؤمنين عن اتِّخاذِ أهلِ الكتابِ والكفَّار أولياءَ، أمَرَهم بتقواه؛ فإنَّها هي الحاملةُ على امتثالِ الأوامرِ، واجتنابِ النواهي، أي: اتَّقوا اللهَ في موالاة الكفَّار، ثم نبَّه على الوصفِ الحاملِ على التقوى، وهو الإيمانُ[2]، فقال تعالى:

(١) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٤٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٤١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٦٢- ٦٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٠٢).

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

أي: امتَثِلوا ما أمَرَكم اللهُ تعالى به، واجتنِبوا ما نهاكم عنه، ومن ذلك ترْكُ اتِّخاذِ هؤلاءِ الأعداءِ لكم ولدِينِكم أولياءَ، إنْ كنتم مؤمنين حقًّا بشَرْعِ اللهِ عزَّ وجلَّ الذي اتَّخذَه هؤلاءِ هُزُوًا ولعبًا[1].

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِمَا قَبلَها:

لَمَّا حَكَى اللهُ تعالى في الآيةِ الأُولى عن أهلِ الكِتابِ والكفَّارِ أنَّهم اتَّخذوا دِينَ المسلمين هُزوًا ولعبًا، ذكَر هاهنا بَعضَ ما يتَّخِذونه مِن هذا الدِّينِ هُزوًا ولعبًا[2]، فقال:

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾.

أي: وإذا أذَّنْتُم للصَّلاة- أيُّها المؤمنون- سَخِرَ منها هؤلاءِ الكفَّارُ من اليهود والنصارى والمشركين، واعتقدوها ضَربًا من اللَّهوِ والعبثِ[3].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾.

أي: إنَّما تقَعُ منهم السُّخريةُ بالصَّلاةِ، ويَتَّخذونُها لَعبًا؛ لعدمِ عَقلِهم، ولجهلِهم العظيم بربِّهم، وبمعاني عِبادَتِه وحَقيقةِ شرائِعِه، وإلَّا فلو كانتْ لهم عقولٌ راشدةٌ لعظَّموا هذه العبادةَ العظيمةَ[4].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٣٥- ٥٣٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٤٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٦- ٢٣٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٦٤).

(٢) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٣٨٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٤٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٦٩).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٤٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٧)، ((تفسير ابن عثيمين-

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِمَا قَبلَها:

لَمَّا حَكَى تعالى عنهم في الآيةِ السَّابقةِ أنَّهم اتَّخذوا دِينَ الإسلامِ هُزوًا ولَعِبًا، أمَرَ بسؤالهم: ما الذي تَنقِمون من هذا الدِّينِ، وما الذي تَجِدون فيه ممَّا يوجِبُ اتخاذَه هُزوًا ولعبًا[1]؟! فقال تعالى:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

أي: قلْ- يا محمَّدُ- لهؤلاءِ الذين اتَّخذوا دِينكم هزوًا ولعبًا من أهل الكِتابِ: يا معشرَ اليهودِ والنَّصارى، ما لكم علينا مِن مطعَنٍ أو عيبٍ إلَّا إيمانُنا باللهِ تعالى وبالقرآنِ الذي أُنزِلَ إلينا وبالكتُبِ الإلهيَّة السابقةِ التي أُنْزِلَت مِن قبلنا، وإلَّا إيمانُنا بأنَّ أكثرَكم خارجونَ عن طاعةِ اللهِ العظيم، ناكِبون عن الطَّريق المستقيم؛ فهل يُعدُّ هذا عيبًا؟! وكيف تَعيبوننا بهذا الذي هو أوجبُ الواجباتِ، وأعظمُ المهمَّات[2]؟!

كما قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البروج: ٨-٩].

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِمَا قَبلَها:

سورة المائدة)) (٢/ ٦٩- ٧٠).

(١) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٣٨٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٣٧- ٥٣٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٧٦- ٧٩).

لَمَّا بكَّتَ اللهُ اليهودَ والنصارَى، وأقامَ الحُجَّة على هُزْئهم ولَعِبِهم بما تقدَّم، انتقَل عزَّ وجلَّ إلى ما هو أشدُّ تبكيتًا وتشنيعًا عليهم، بما فيه مِن التذكيرِ بسوءِ حالهم مع أنبيائهم، وما كان من جزائِهم على فِسقِهم، وتمرُّدِهم بأشدِّ ما جازَى اللهُ تعالى به الفاسقينَ الظَّالِمين لأنفسِهم، وهو اللَّعنُ والغَضَب، والمسخُ الصوريُّ أو المعنويُّ، وعبادةُ الطاغوتِ[١].

وأيضًا لَمَّا ذكَر أنَّ أهلَ الكتابِ يعيبونَ المسلمينَ بالإيمانِ باللهِ ورُسُلِه- ذكَر عيوبَ أهلِ الكتابِ في مقابلةِ ذلك ردًّا عليهم[٢]، فقال:

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ﴾.

أي: قل- يا محمَّدُ- هل أنبِّئكم يا أهلَ الكتابِ بشرٍّ عندَ اللهِ مِن الذي نَقَمتُم فيه علينا ثوابًا وجزاءً[٣]؟

﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾.

أي: هو مَن طَردَه اللهُ تعالى وأَبْعَدَه مِن رَحمتِه، وأحلَّ عليه غضبَه[٤].

﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾.

أي: ومَسَخَ بعضَهم إلى قردةٍ وخنازيرَ؛ خِزيًا ونكالًا في الدُّنيا[٥].

﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾.

---

(١) ينظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٣٧٠).

(٢) ((تفسير ابن جزي)) (١/ ٢٣٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٣٨)، ((التفسير الوسيط)) للواحدي (٢/ ٢٠٤) ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٤٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٧).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٤٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٤٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٨٢- ٨٤).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٤٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٨٤).

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسير:

في قولِه تعالى: ﴿عَبَدَ﴾ قِراءتان:

١- ﴿عَبُدَ﴾ بجَعْل ﴿عَبُد﴾ اسمًا مُفردًا ليس بجَمْع، على وزن (فَعُل)، الذي يُفيدُ معنى المبالغةِ والكثرةِ؛ فالعَبُدُ هو المبالِغُ في العُبوديةِ المنتهِي فيها؛ كما يُقال: فَطُن وحَذُر، للبليغِ في الفِطنة والحَذَر، فيكون (وَعَبُدَ) اسمًا مُضافًا إلى الطَّاغوتِ، وهو منصوبٌ عطفًا على ﴿ٱلْقِرَدَةَ﴾[١]، وقيل: إنَّ (عَبُد) جمْع (عَبْد)، أي: خَدَمًا للطَّاغوتِ[٢].

٢- ﴿عَبَدَ﴾ بجَعْل ﴿عَبَدَ﴾ فعلًا ماضيًا عطفًا على ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ ونُصِبَ ﴿ٱلطَّٰغُوتَ﴾ به[٣].

﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾.

أي: ومَن عبَدوا الطَّاغوتَ، (وهو كلُّ ما تجاوزَ به العبدُ حَدَّه مِن معبودٍ أو مَتبوعٍ أو مطاعٍ ورضِي بذلك)[٤].

---

(١) قرأ بها حمزة. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٦).

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: ٢٣١)، ((الكشف)) لمكي (١/ ٤١٤)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٣٢٧) ((إبراز المعاني)) (٢/ ٧٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٤١)، ((الحجة)) لابن خالويه (ص: ١٣٣).

(٣) قرأ بها الباقون. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٦).

قال ابنُ خالويه: (الحُجَّة لِمَن فتَح الباء: أنه جعله فعلًا ماضيًا مردودًا على قوله: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ ومَن عبَدَ الطاغوتَ) ((الحجة)) (ص: ١٣٣).

وقال مكيُّ بن أبي طالبٍ: (وحُجَّة مَن فتَح الباء والتاء [أي التاء في كلمة الطاغوت] أنَّه جعَله فعلًا ماضيًا، وعطَفَه على فِعلٍ ماض، وهو غضِبَ ولَعَن وجَعَل، ونصب الطاغوتَ به). ((الكشف)) (١/ ٤١٤).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٤٤)، ((أعلام الموقعين)) لابن القيم (١/ ٤٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٤٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٨٥- ٨٧).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

أي: هؤلاءِ الذين وصَفَهم اللهُ تعالى هُم في الحَقيقةِ شرٌّ مكانًا ومنزلةً في الدُّنيا والآخِرة عند اللهِ تعالى مِنَ المؤمنين؛ الذين نَقَمتُم عليهم إيمانَهم باللهِ وبما أُنزل إليهم وبما أُنزل مِن قَبلِهم، وهم أيضًا أشدُّ بُعدًا عن الطَّريقِ القويم[1].

﴿وَإِذَا جَآءُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلۡكُفۡرِ وَهُمۡ قَدۡ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكۡتُمُونَ ٦١﴾.

﴿وَإِذَا جَآءُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلۡكُفۡرِ﴾.

أي: وإذا جاءَكم- أيُّها المؤمنون- هؤلاءِ المنافقون من اليهودِ[2]، قالوا لكم بألسنتِهم كذبًا ومكرًا: آمنَّا، والحالُ أنَّهم دخلوا وهم مُقيمونَ على كُفْرِهم الذي تَنطوي عليه قلوبُهم[3].

قال ابنُ تَيميَّة: (فـ «جعَل» معطوف على «لعَن»، ليس المراد: وجعَل منهم مَن عبَدَ الطاغوت، كما ظنَّه بعضُ الناس، فإنَّ اللَّفظ لا يدلُّ على ذلك والمعنى لا يناسبه، فإنَّ المراد ذَمُّهم على ذلك لا الإخبار بأنَّ الله جعَلَ فيهم مَن يَعبُد الطاغوت؛ إذ مجرَّد الإخبار بهذا لا ذمَّ فيه لهم، بخِلاف جعْله منهم القردةَ والخنازير، فإنَّ ذلك عقوبةٌ منه لهم على ذُنوبهم، وذلك خزيٌ لهم، فعابَهم بلعنة الله وعقوبته بالشِّرْك الذي فيهم، وهو عبادةُ الطاغوت) ((منهاج السنة النبوية)) (١/ ٤٨٥).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٤٥- ٥٤٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٤٣- ١٤٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٨٧- ٩٠).

وقيل: قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ جوابٌ مِن الله تعالى، وممَّن اختار هذا القولَ: ابنُ جرير في ((تفسيره)) (٨/ ٥٤٥-٥٤٦)، وابنُ عثيمين في ((تفسير سورة المائدة)) (٢/ ٨٧).

وقيل: ذلِك من كلام المؤمنين. وممَّن اختار هذا القول: ابنُ كثير في: ((تفسيره)) (٣/ ١٤٣).

(٢) وهذا اختيار ابن جرير في ((تفسيره)) (٨/ ٥٤٦)، والواحدي في ((الوجيز))، (ص: ٣٢٦)، وابن عاشور في ((تفسيره)) (٦/ ٢٤٧)، وابن عثيمين في ((تفسير سورة المائدة)) (٢/ ٩٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٤٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٤٤)، ((تفسير السعدي))

﴿وَهُمۡ قَدۡ خَرَجُواْ بِهِۦ﴾.

أي: وقدْ خرَجوا بالكُفرِ مِن عندِكم كما دَخَلوا به عليكم، لم يَرجِعوا بمجيئِهم إليكم عن كُفرِهم الكامِنِ فيهم، فلم يَنتفعوا بما قد سَمِعوا منكم من العِلم، ولا نجعتْ فيهم المواعظُ[١].

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكۡتُمُونَ﴾.

أي: واللهُ عالمٌ بما انطوتْ عليه قلوبُهم، وإنْ أظهروا للناسِ خلافَ ذلك؛ فإنَّ عالمَ الغيبِ والشَّهادة أعلمُ بهم منهم، وسيُجازيهم على ذلك[٢].

الفَوائِدُ التَّربويَّة:

١- التَّحذيرُ التَّامُّ مِن اتِّخاذِ أهلِ الكتابِ والكفَّارِ أولياءَ، وذلك بإثارة الحميَّة والغَيرةِ في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا﴾؛ لأنَّ أيَّ إنسانٍ يشعرُ بأنَّ شخصًا يَهْزَأُ به في دِينه ويقول: هذا الدِّين لعبٌ لا فائدةَ منه؛ لا شكَّ أنَّه سيثورُ[٣].

٢- أنَّ العِلمَ قد يكون وبالًا على صاحبِه؛ لقوله: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ فإنَّ هؤلاءِ أُعطُوا العِلْمَ، ووُصِفَ لهم الرسولُ محمَّدٌ صلَّى الله عليه وسلَّم في التَّوراة والإنجيل وصفًا يَجعلهم يَعرِفونه كما يَعرِفون أبناءَهم، ومع ذلك لم ينفعْهم هذا العلمُ[٤].

(ص: ٢٣٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٩٧).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٤٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٤٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٩٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٤٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٦٥)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٤٠٠).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٦٦).

٣- أنَّ الإيمانَ الحقيقيَّ مُقتضٍ للتَّقْوى؛ لقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[(١)].

٤- يُستفادُ من قولِه: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ تعظيمُ الصَّلاةِ حيث يُنادَى لها، وحتى يَعلمَ الناسُ دُخولَ وقتِها؛ فيُصلُّوا ويحضُروا إنْ كانوا ممَّن يجِبُ عليهم الحضورُ للجماعة[(٢)].

٥- أنَّ القيام بالصَّلاة دليلٌ على كمالِ العقل، وأنَّ مَن لم يهتمَّ بها فإنَّ ذلك دليلٌ على نقْصِ عقلِه؛ لقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ فتكونُ إقامةُ الصلاةِ مِن تمامِ العقولِ، والتهاونُ بها مِن نقصِ العقولِ، كما أنَّه نقصٌ في الدِّينِ[(٣)].

٦- أنَّه ينبغي للمؤمِنِ أن يكونَ صريحًا، فلا يُداهِن؛ لقوله: ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾، وهذه مقابلةٌ صريحةٌ بوصفهم بالفِسْق[(٤)].

٧- أنَّ العِبرةَ إنَّما تكون بالمنزلةِ عندَ الله لا عند النَّاس؛ لقوله: ﴿مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾، ويتفرَّع على هذا: أنَّه يَنبغي لنا ألَّا ننظُرَ إلى منزلتنا عند النَّاسِ، وإنما ننظُرُ إلى منزلتِنا عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ، وإذا صحَّحنا ذلك كفانا اللهُ مؤونةَ النَّاسِ[(٥)].

٨- يُستفادُ مِن قَوْلِه: ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ﴾ التَّحذيرُ مِن المنافقين؛ لأنَّ اللهَ لم يَقصَّ علينا قَصَصَهم أو حالَهم إلَّا لنحْذرَ، لا لنعلمَ فقط[(٦)].

٩- أنَّه ليس لنا أن نَحكُمَ إلَّا بما ظهَر؛ لقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾؛

(١) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٦٧).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٧٦).
(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).
(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٧٩).
(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٩١).
(٦) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٩٨).

لأنَّ اللهَ لم يُخبِرْنا إلَّا لنحذرَ، ولو أنَّنا بَقِينا على ما يَبدو لنا لكانَ هؤلاءِ مؤمنينَ حسَبَ ما يقولون، لكنَّ اللهَ أخبَرَنا بهذا لنحذرَهم(١).

١٠- يُستفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكۡتُمُونَ﴾ تحذيرُ المرءِ مِن أن يُبطِنَ في قلبِه ما يُخالِفُ لسانَه، وهذه مسألةٌ يجب علينا أن نُعالِجَ أنفسَنا منها، احذرْ أن تُضمرَ في قلبِك ما يُخالِفُ ما تَنطِقُ به بلسانِك، أو تفعله بجوارِحِك؛ يجب أن تُصفِّيَ القلبَ أوَّلًا، وتُطهِّر القلبَ، ثم بعدَ ذلك تَبني أعمالَك على حسَبِ هذه التصفيةِ(٢).

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِف:

١- يُستفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا﴾ إظهارُ عداوةِ هؤلاءِ الكفَّار من أهل الكتاب والكفَّار للإسلام، وأنَّ عداوَتَهم ظاهرةٌ(٣).

٢- مشروعيَّةُ النِّداءِ للصَّلاة؛ لقوله: ﴿وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾، والنداء يعني الأذانَ، ففيه دلالةٌ على ثُبوتِ الأذانِ بنصِّ الكتابِ لا بالمنامِ وحْدَه(٤).

٣- يُستفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أنَّه إذا كان النِّداءُ للصَّلاة مشروعًا، كان عبادةً يتقرَّب به المنادي إلى اللهِ، وهو كذلك، فالأذانُ مِن أفضلِ الأعمالِ(٥).

٤- قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗا﴾ أصلٌ في تكفيرِ المُستهزئ بشيءٍ من

(١) يُنظر: ((المصدر السابق)).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٩٨).
(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٦٦)
(٤) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٣٨٨)، ((تفسير الشربيني)) (١/ ٣٨٣)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٤٠٢)، ((الإكليل في استنباط التنزيل)) للسيوطي (ص: ١١٣)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٣٦٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٧١).
(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٧١)

الشَّريعةِ(١).

٥- في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ سؤال: كيف يَنقِم اليهودُ على المسلمين مع كونِ أكثرِ اليهودِ فاسقين؟ والجواب من وجوه:

الأوَّل: قوله: ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ تخصيصٌ لهم بالفِسق، فيدلُّ على سبيلِ التعريض أنَّهم لم يتَّبعوهم على فِسقهم، فكان المعنى: وما تَنقِمون منَّا إلَّا أنَّ آمنَّا، وما فسَقْنا مثلَكم.

الثاني: لَمَّا ذكَر تعالى ما يَنقِمُ اليهودُ عليهم مِن الإيمانِ بجميعِ الرُّسل، وليس ذلك ممَّا يُنقَم، ذكَر في مقابله فِسقَهم، وهو ممَّا يُنقَم، ومِثل هذا حسنٌ في الازدواج؛ يقول القائل: هل تنقم منِّي إلَّا أني عفيفٌ وأنك فاجرٌ، وأنِّي غنيٌّ وأنت فقيرٌ، فيَحسُن ذلك لإتمامِ المعنى على سبيلِ المقابلة.

والثَّالث: أنْ يكونَ الواو بمعنى (مع)، أي: وما تَنقِمون منَّا إلَّا الإيمانَ بالله مع أنَّ أكثرَكم فاسقون، فإنَّ أحدَ الخَصمين إذا كان موصوفًا بالصفات الذميمةِ، واكتسب الثاني شيئًا كثيرًا من الصِّفات الحميدة، كان اكتسابُه للصفات الحميدة مع كونِ خصمِه مكتسِبًا للصفات الذَّميمة أشدَّ تأثيرًا في وقوعِ البُغض والحسَد في قلبِ الخَصم.

والرابع: أن يكونَ على تقديرِ حذْفِ المضافِ، أي: واعتقاد أنَّكم فاسقون.

الخامس: أن يكونَ التقدير: وما تنقمون منَّا إلَّا بأنْ آمنَّا بالله وبأنَّ أكثرَكم فاسقون، يعني بسبب فِسقكِم نَقَمتُمُ الإيمانَ علينا.

السادس: يجوز أن يكون تعليلًا معطوفًا على تعليلٍ محذوف، كأنَّه قيل: وما

---

(١) يُنظر: ((الإكليل في استنباط التنزيل)) للسيوطي (ص: ١١٣).

تَنقِمون منَّا إلَّا الإيمانَ؛ لقلَّة إنصافِكم، ولأجْلِ أنَّ أكثرَكم فاسقون[١].

٦- يُستفاد مِنْ قَوْلِه: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ فضيلةُ هذه الأمَّة، وأنَّ هذه الأمَّةَ لها فَضلٌ ومَزيةٌ على الأُمم السَّابقة؛ لأنَّها تؤمنُ بالله وما أُنْزِلَ إليها وما أُنْزِلَ من قبلُ، وهذا لا يوجدُ في أممٍ آخرين؛ لا يُوجد إلَّا في هذه الأُمَّة[٢].

٧- قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾ النبأ إنما يُرادُ به الشيءُ المهمُّ العظيمُ؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ﴾ [ص: ٦٧]، بخلاف الخَبَر، الذي قد يكونُ في أمورٍ تافهةٍ، لكنَّ النبأَ لا يكون إلَّا في أمورٍ مهمَّة؛ ولعلَّ ذلك- واللهُ أعلم- لأنَّ أحد اشتقاقاتِه مِن النَّبْوَة، والنَّبوة: بمعنى الارتفاع[٣].

٨- في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ...﴾ الآية، قد يتساءَلُ متسائلٌ: المثوبةُ مختصَّةٌ بالإحسان؛ فكيف جاءتْ في الإساءةِ؟ فالجواب: أنَّ هذا مِن الكلامِ الذي يُقصَد به الاستهزاءُ الزائد في غَيظِ المستهْزَأِ به كما يقول الرجلُ لعدوِّه: أبْشِرْ بقتْلِ ذُرِّيَّتِك ونهْبِ مالك! فهي على سبيلِ التهكُّم، أو لأنَّ المثوبةَ هنا وُضِعتْ موضِعَ عُقوبة[٤].

٩- مسَخ بعضَهم إلى قِردةٍ وخنازيرَ، كما في قوله: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ لما لنوعَي القِردةِ والخنازيرِ مِن الخسَّة والحَقارة، وما لهما في صدورِ الدَّهماءِ والخاصَّة من القُبحِ والتشويهِ، وشَناعةِ المنظَر، ونذالَة النَّفْس،

(١) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٣٨٩)
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٧٩).
(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٨١).
(٤) ينظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٥١-٦٥٢)، ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٣٩٠) (٢/ ٣٥٧)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٤١٠)، ((تفسير الشربيني)) (١/ ٣٨٣).

وحقارة القَدْر، ووضاعة الطَّبْع، وقُبح الصوتِ، ودناءةِ الهمَّة، ممَّا ليس لغيرِهما مِن سائرِ أنواع الحيوانِ(١).

١٠- لا نَسْلَ لِمَن مُسِخوا قردةً وخنازيرَ(٢)، فعن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه، ((أنَّ رجلًا قال: يا رسولَ اللهِ، القردةُ والخنازيرُ، هي ممَّا مُسِخَ؟ فقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لم يُهلِكْ قومًا، أو يُعذِّب قومًا، فيجعل لهم نَسلًا، وإنَّ القردةَ والخنازيرَ كانوا قبلَ ذلك))(٣).

١١- أنَّ اسمَ التَّفضيل قد يقَعُ بين شيئين لا يَشترِكان في أصلِ المعنى، فيكون المرادُ به مطلقَ الاتصاف، لا معنى التفضيل؛ لقوله سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾؛ لأنَّ المعنى: بأشرَّ مِن ذلك، وكذلك في الخَيرِ ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٌ مُّسۡتَقَرًّا﴾ [الفرقان: ٢٤]، ولا خيرَ في مستقرِّ أهلِ النارِ(٤). وقيل: إنَّ مكان هؤلاء في الآخرة شرٌّ وأضلُّ من مكان المؤمنين في الدنيا؛ لِمَا يَلحقُهم فيها من الشرِّ والضلال الحاصلِ لهم بالهموم الدنيويَّة، كسماع الأذى وغيره، أو أنَّ ذلك على سبيلِ التنزُّلِ والتسليمِ للخَصمِ على زعْمِه إلزامًا بالحُجَّة(٥)؛ فيكون فيه إخراجُ الكلامِ على حسَبِ قولِهم واعتقادِهم؛ لأنَّهم لَمَّا حَكموا بأنَّ دينَ الإسلام شرٌّ، فقيل لهم: هَبُوا الأمرَ كذلك، ولكنْ لَعنةُ الله تعالى وغضبُه، والإبعادُ عن رحمتِه، والطردُ من ساحة رِضاه، ومَسْخُ الصورةِ إلى أقبحِ أنواعِ الحيوانِ وأرذَلِه، شرٌّ مِن ذلك الذي تَزعُمون أنَّه شرٌّ(٦).

---

(١) ينظر: ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحيي الدين درويش (٢/ ٥١٤).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٨٤- ٨٥).
(٣) رواه مسلم (٢٦٦٣).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٤٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٩١).
(٥) يُنظر: ((تفسير الشربيني)) (١/ ٣٨٤).
(٦) ينظر: ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحيي الدين درويش (٢/ ٥١٤).

١٢- إثباتُ الغَضبِ للهِ عزَّ وجلَّ؛ لقوله: ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾، وهو من الصِّفات الفعليَّة(١).

١٣- يُستفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ أنَّ كلَّ مَن عبدَ غيرَ الله فقد عبدَ الطاغوت، يعني: عبَد عِبادةَ الطاغوت، يعني الطغيانَ(٢).

بَلاغَةُ الآياتِ:

١- قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ﴾

- الجُملةُ استئنافيَّة، جاءتْ لتأكيدِ بَعضِ مضمونِ الكلامِ الذي قَبْلَها(٣).

- وقد رتَّب النَّهيَ عن موالاتِهم على اتِّخاذهم دِينَهم هزوًا ولعبًا؛ إيماءً إلى العلَّة، وتنبيهًا على أنَّ مَن هذا شأنُه بعيدٌ عن الموالاةِ، جديرٌ بالمعاداةِ والبغضاءِ(٤).

٢- قوله: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ فيه: بيانٌ للمُستهزئين، والتعرُّض لعنوانِ إيتاءِ الكِتابِ؛ لبيانِ كَمالِ شَناعتِهم، وغايةِ ضلالتِهم؛ لأنَّ إيتاءَ الكتابِ وازعٌ لهم عن الاستهزاءِ بالدِّين المؤسَّسِ على الكتابِ المصدِّقِ لكتابِهم(٥).

٣- قوله: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا...﴾ هذه الآيةُ كالتوكيد للآيةِ قبلَها(٦).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٩١).
(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٩٦).
(٣) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٤١).
(٤) ينظر: ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١٣١).
(٥) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٥٣).
(٦) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٠٣).

- وفيه: بيانٌ لاستهزائِهم بحُكم خاصٍّ من أَحكامِ الدِّينِ، بعدَ بيانِ استهزائِهم بالدِّين على الإطلاقِ؛ إظهارًا لكَمالِ شَقاوتِهم[(١)].

٤- قوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾:

- في هذه الآيةِ نوعٌ طَريفٌ مِن البَلاغة، وهو توكيدُ المدحِ بما يُشبِه الذمَّ[(٢)]، وهو ذائعُ الشُّهرة، ولكنَّه قَليلُ الأمثلةِ، ومنه هذه الآيةِ؛ فإنَّ الاستثناءَ بعدَ الاستفهامِ الجاري مَجرَى التوبيخِ على ما عابوا به المؤمنين مِن الإيمان يُوهِم بأنْ يأتي بعدَ الاستفهامِ ما يجب أن يُنقَمَ على فاعِلِه بما يُذَمُّ به، فلمَّا أتى بعد الاستفهامِ ما يُوجِبُ مدْحَ فاعِلِه، كان الكلامُ متضَمِّنًا تأكيدَ المدحِ بما يُشْبِه الذمَّ؛ فكأنَّه قال: أنتُم لا تَعيبونَ علينا شيئًا هو عيبٌ، بل تَعيبونَ علينا شيئًا هو كمالٌ، وهو الإيمانُ باللهِ وبما أُنزل إلَيْنا[(٣)]!

- وفي قوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ﴾ أمرٌ لرَسولِ الله بطريقِ تلوينِ الخِطابِ حيثُ قال: ﴿قُلْ﴾ مُخاطبًا الرَّسول، بعدَ نهي المؤمنينَ عن تولِّي المستهزئينَ، في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا ...﴾ [المائدة: ٥٧] فأمَرَه أنْ يُخاطِبَهم، ويُبيِّن أنَّ الدِّينَ مُنزَّهٌ عمَّا يُصحِّح صدورَ ما صدَر عنهم من الاستهزاءِ، ويُظهِرُ لهم سَببَ ما ارتكبوه،

(١) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٥٣).

(٢) تأكيدُ المدحِ بما يُشبه الذمَّ- أو بعبارة أتْقَن: تأكيد الشَّيءِ بما يُشبه ضِدَّه-: وهو عند عُلماءِ البلاغةِ استِثناءُ صِفة مَدْحٍ مِن صِفةِ ذمٍّ منفيَّةٍ عن الشَّيء، بتقديرِ دُخولِها في صِفة الذمِّ المنفيَّة. ينظر: ((البرهان)) للزركشي (٣/ ٥١)، ((الإتقان)) للسيوطي (٣/ ٣٠٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٥٨)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحيي الدين درويش (٢/ ٥١١).

(٣) ينظر: ((تفسير القاسمي)) (٤/ ١٨٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (١٩/ ٥٨)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحيي الدين درويش (٢/ ٥١١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٧٧).

ويُلْقِمهم الحجرَ! أي: قُلْ لأولئك الفَجَرةِ[١].

- والاستفهامُ في قوله: ﴿هَلۡ تَنقِمُونَ﴾ إنكاريٌّ وتعجُّبي؛ فالإنكارُ دلَّ عليه الاستثناءُ، والتعجُّبُ دلَّ عليه أنَّ مفعولاتِ ﴿تَنقِمُونَ﴾ كلَّها محامِدُ لا يحقُّ نَقمُها، أي: لا تجِدون شيئًا تنقِمونه غير ما ذُكِر[٢].

٥- قوله: ﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ...﴾

- فيه عرْضُ الخِطابِ بصِيغةِ الاستفهام ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُم﴾؛ لأنَّ ذلك أمكَنُ في النَّفْسِ، وأحضَرُ للقلب[٣].

٦- قوله: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ﴾ فيه: وضْعُ الاسمِ الجليلِ ﴿ٱللَّهُ﴾ موضعَ الضَّمير؛ لتربيةِ المهابةِ، وإدخالِ الرَّوعةِ، وتهويلِ أمْرِ اللَّعن وما تبِعه، والموصول ﴿مَن﴾ عبارةٌ عن المخاطبَين؛ حيث أبعدَهم اللهُ تعالى من رحمتِه، وسَخِط عليهم بكُفرِهم وانهماكِهم في المعاصي بعدَ وضوحِ الآياتِ[٤].

٧- قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ جُعِلتِ الشَّرارةُ للمَكانِ، وهي لأهْلِه؛ ليكونَ أبلغَ في الدَّلالةِ على شَرارتِهم؛ ففي قوله: ﴿شَرّٞ مَّكَانٗا﴾ مبالغةٌ ليستْ في قولِ: (أولئك شرٌّ وأضلُّ)؛ لدخولِه في بابِ الكِنايةِ[٥].

- واسمُ الإشارةِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ عبارةٌ عمَّن ذُكِرت صفاتُهم الخبيثةُ، وما فيه مِن معنى البُعد؛ للإيذانِ ببُعدِ مَنْزلتِهم في الشَّرارةِ[٦].

---

(١) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٥٣- ٥٤).

(٢) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٤٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٩٠)

(٤) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٥٥).

(٥) ينظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٥٣)، ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١٣٣)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٥٦).

(٦) ينظر: ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١٣٣)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٥٦).

٨- قوله: ﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ﴾: أفاد دخولُ ﴿قَدْ﴾- مع إفادتِها تقريبَ الماضي مِن الحالِ؛ ليصحَّ أن يقعَ حالًا لِمَا فيها من التوقُّع-: أنَّ أمارةَ النِّفاقِ كانتْ لائحةً عليهم[١].

٩- قوله: ﴿وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ﴾ فيه تأكيد وصْفِهم بالكُفر بتكرار المسنَدِ إليه ﴿وَهُمْ﴾؛ تَنْبيهًا على تحقُّقهم بالكُفْر، وتماديهم عليه؛ وأنَّ رُؤية الرَّسولِ- إن كان الخطاب في ﴿جَآءُوكُمْ﴾ للرسول- لم تُجْدِ معهم، ولم يتأثَّروا لها، وكذلك إنْ كان ضميرُ الخطاب في: ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ للمؤمنين؛ كان يَنبغي لهم أن يُؤمنوا ظاهرًا وباطنًا لِمَا يرونَ مِن المؤمنين من التصديقِ للرَّسولِ، والاعتمادِ على الله تعالى، والرَّغبة في الآخرة، والزُّهد في الدُّنيا، وهذه حالُ مَن ينبغي موافقتُه؛ فكان يَنبغي لهم ألَّا يَخرُجوا بالكفر؛ لأنَّ رُؤيتَه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كافيةٌ في الإيمانِ، ألَا ترى إلى قولِ بعضِهم حين رأى الرسولَ: علمتُ أنَّ وجْهَه ليس بوجهِ كذَّابٍ، مع ما يَظهَرُ لهم مِن خوارقِ الآياتِ، وباهِرِ الدَّلالاتِ، فكان المناسبُ أنَّهم وإنْ كانوا دخلوا بالكفر ألَّا يَخرُجوا به، بل يخرجون بالرسولِ مُؤمِنينَ ظاهرًا وباطنًا، وكان ينبغي إذْ شاهدوهم أن يَتَّبعوهم على دِينهم، وأن يكونَ إيمانُهم بالقولِ موافقًا لاعتقاد قلوبِهم[٢]. وفيه- مع تأكيد إضافةِ الكُفرِ إليهم- نفْيُ أن يكونَ من النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم في ذلك فِعلٌ[٣].

١٠- قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾ خبرٌ الغرضُ منه المبالغةُ فيما في

(١) ينظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٥٢)، ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٣٩٢)، ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١٣١).

(٢) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣١٠، ٣١١).

(٣) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٣٩٢).

قلوبِهم من الجدِّ والاجتهادِ في المكرِ بالمسلمين، والكيدِ بهم، والبُغض والعداوةِ لهم(١)، وفيه: وعيدٌ شديدٌ لهم؛ فعِلمُه محيطٌ بهم وسَيجزيهم عليه(٢).



(١) ينظر: ((المصدر السابق)).
(٢) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٥٧)، ((تفسير القاسمي)) (١/ ٤١١).

الآيات (٦٢ - ٦٤)

﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ
لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ
بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا
وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا
ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾.

غريبُ الكَلِمات:

﴿مَغْلُولَةٌ﴾: مُمسِكَةٌ مُنقبِضةٌ عن العَطاء، وأصل الغَلَلِ: تدرُّعُ الشيءِ وتوسُّطه، ويدلُّ على تَخلُّلِ شيءٍ، وثَباتِ شيءٍ، كالشَّيءِ يُغرَز؛ يقال: غَلَلَ الشَّيءَ في الشَّيءِ، إذا أَثْبَتَه فيه، كأنَّه غَرَزَه[(١)].

﴿مَبْسُوطَتَانِ﴾: أي: مَمدوتانِ بالبَذلِ والإعطاءِ، وأَرزاقِ عِبادِه، وأقواتِ خَلْقِه، وأَصْلُ (بسط): يدلُّ على امتدادِ الشَّيءِ، في عَرْض أو غيرِ عَرْض[(٢)].

﴿طُغْيَٰنًا﴾: أي: مُجاوزةً للحدِّ في العِصيان[(٣)].

﴿ٱلْعَدَٰوَةَ﴾: أي: اختلافَ القلوبِ والنِّيَّات والتباعُد بها، والعَداوةُ أخصُّ من البَغضاء؛ لأنَّ كلَّ عَدوٍّ مبغِضٌ، وقد يُبغَض مَن ليس بعدوٍّ، مأخوذةٌ مِن عَدْوَتي الجَبل، وهما طَرَفاه؛ سُمِّيَا بذلك لبُعد ما بينهما، وقيل: مِن عدا، أي: ظَلَم[(٤)].

---

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٤)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٣٧٥-٣٧٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦١٠)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٥٣- ٥٥٧)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٢٤٧)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٢٣).

(٣) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٤١٢)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٥٢٠).

(٤) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٥٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٥٥٣)، ((التبيان))

﴿وَٱلۡبَغۡضَآءَ﴾: أي: البُغضَ، وهو نفارُ النَّفسِ عن الشيءِ الذي تَرغَبُ عنه، وأصلُ البُغض: خلافُ الحبِّ[1].

المَعنَى الإجْمالِيُّ:

يقولُ اللهُ تعالى لنبيِّه محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ترى- يا محمَّدُ- كثيرًا من اليهودِ يُبادرونَ إلى ارْتِكابِ المعاصي، والاعتداءِ على حقوقِ الخَلْقِ، وأكْلِ الأموالِ بالباطِلِ؛ لَبِئسَ هذا العملُ الذي يعملونه! هلَّا يَنهاهم الربَّانيُّون منهم، وأحبارُهم عن قولِهم الإثمَ وأكْلِهم المالَ الحرامَ! لبئسَ هذا الصنيعُ مِن هؤلاءِ العلماءِ في ترْكِهم نهيَ اليهودِ عن أفعالِهم المنكَرة!

ثمَّ يُخبِرُ تعالى عن اليهودِ- قاتلَهم اللهُ- أنَّهم وصَفوا اللهَ تعالى بالبُخل، وزَعَموا أنَّ يدَه مقبوضةٌ عن الإنفاقِ، تعالى اللهُ عن ذلِك علوًّا كبيرًا، فردَّ عليهم سبحانه قائلًا: قُبِضتْ أيديهم، وطُرِدُوا من رحمةِ اللهِ بما قالوه من كذب وافتراءٍ؛ فالأمْر ليس كما زعَمُوا، بل يداه مبسوطتانِ بالبذلِ والعطاءِ، يُنفِقُ كما أراد.

ثمَّ أخبر اللهُ نبيَّه محمدًا صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَّ ما أنزله إليه مِن القرآن، إذا سمعه اليهودُ سيَزيدُهم تجاوزًا لحدودِ اللهِ وكُفرًا، وأخبر عزَّ وجلَّ أنَّه جَعَل بين اليهودِ عَداوةً وتباغضًا، ولا يزال ذلك مُستمرًّا بينهم إلى يَومِ القيامةِ، وأنَّهم كلَّما أرادوا إشعالَ حَربٍ؛ أطفأَها اللهُ سُبحانَه، وأنَّ اليهودَ يُسارعون في نشْرِ الفسادِ في الأرض، واللهُ سُبحانَه لا يحبُّ المفسِدين.

تَفْسيرُ الآياتِ:

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ

لابن الهائم (ص: ٦٨)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٦٤٤).

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٥٦)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٢٧٣)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٣٦)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٩).

يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾.

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾.

أي: وتُبصِر - يا محمَّدُ - كثيرًا من هؤلاءِ اليهودِ يَتسابَقون في ارتكابِ معاصِي اللهِ لا يَتحاشَوْنَ شيئًا منها، ويُبادرون إلى تعدِّي حدودِه؛ ممَّا أحلَّ لهم وحرَّمَ عليهم، ومن ذلك: الاعتداءُ على حقوقِ المخلوقين، وأكْلُ الأموالِ بالباطلِ، كالرَّشاوَى التي يتلقَّوْنَها[(١)].

﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

أي: واللهِ لَبِئسَ العملُ ما كانَ هؤلاءِ اليهودُ يَعملونه في مسارعتِهم في الإثمِ والعُدوانِ، وأكْلِهم السُّحتَ[(٢)].

﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾.

﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾.

أي: هلَّا يَنهاهم الربانيُّون (وهم العلماءُ الحُكماءُ العُبَّاد الذين يُربُّون الناسَ بصغارِ العلمِ قبلَ كبارِه)، والأحبارُ (وهم العلماءُ الكبارُ ذَوو العلمِ الواسِع، المحكِمُون لعِلمهم) عنِ الوقوعِ في الكذبِ والزُّورِ؛ ومِن ذلك قولُهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، وأكلِ المالِ الحرامِ، كالرِّشوة![(٣)].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٤٨-٥٤٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٤٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٤٧-٢٤٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٩٩- ١٠٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٤٥٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٤٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٠٠- ١٠١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٥٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٤٤)، ((تفسير السعدي)) (ص:

﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

أي: واللهِ لَبِئسَ الصَّنيعُ ما كان يَصنعُه هؤلاءِ الربَّانيُّونَ والأحبارُ في ترْكهم نهيَ كثيرٍ من اليهودِ- الذين يُسارِعونَ في الإثمِ والعدوانِ وأكْلِ السُّحتِ- عن تعاطِي ذلك[١].

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٦٤)﴾.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾.

أي: وقالتِ اليهودُ- عليهم مِن الله ما يستحقُّون-: إنَّ اللهَ يَبخَلُ علينا، ويَحبِسُ عطاءَه، ويَقبِضُ خيرَه عنَّا، تعالى اللهُ عمَّا قال أعداءُ اللهِ عُلوًّا كبيرًا[٢].

ثم قال اللهُ تعالى على وجه الإخبارِ[٣]:

---

٢٣٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٠١).

وقال ابنُ عُثَيمين: (الإثمُ الذي يقولونه أعظمُه وأشدُّه أنَّهم يُنكِرون رسالةَ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأعظمُ مِن ذلك أنهم يقولون: إنَّ عُزيرًا ابنُ الله، والمسيحَ ابنُ الله، والقائل: عزيرٌ ابن الله اليهودُ، والقائل: المسيحُ ابن الله النَّصارى؛ هذا قولُ الإثم، كذلك يقولون الكَذِب، كما سبَق أنهم يقولون لعوامِّهم قولًا يُكذِّبون به الرسولَ، ويَستمِعون للكذبِ، وقوله: ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ يعني: أكْل المال المحرَّم، سواء بالرِّشوة أو بالرِّبا، أو غير ذلك) ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٠١).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٥٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٥٢- ٥٥٣)، ((الجواب الصحيح)) لابن تيمية (٤/ ٤١٢- ٤١٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٤٥- ١٤٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٠٨).

(٣) قال ابنُ عُثيمين: (هذا خبرٌ وليس دعاءً؛ لأنَّه صادرٌ من عند الله عزَّ وجلَّ، والله سبحانه وتعالى

﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾.

أي: قُبِضتْ أيديهم عن العَطاءِ والخَيرِ والإحسانِ، وطُرِدوا من رَحمةِ اللهِ تعالى؛ وهذا الغَلُّ لأَيديهم، ولَعْنُهم؛ جَزاءٌ لهم بسَبَبِ ما قالوه مِن كُفرٍ وافتراءٍ على اللهِ عزَّ وجلَّ(١).

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾.

أي: ليسَ الأمرُ كما يَزعُمون، بل يداه سبحانه مبسوطتانِ بالبذلِ والعطاء، غير مقبوضتَينِ، فهو الواسعُ الفضلِ، الجزيلُ العطاءِ، لكنَّه يُعطي ويمنعُ بحسَبِ ما تَقتضيه حِكمتُه سبحانه(٢).

كما قال تعالى: ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وعن أبي هُرَيرَةَ رَضِي اللهُ عنه، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، قال: ((إنَّ

يُخبر ولا يدعو، هذا هو الأصلُ؛ أنَّ ما أخبر الله به عن نفْسِه فهو خبرٌ عن نفْسه ووقوعٌ- أي: وقوع الشيء- إلَّا إنْ دلَّ دليلٌ... على أنَّ الله جلَّ وعلا عَلَّمَ العبادَ أن يَدْعُوا، وأمَّا أن يسألَ نفسَه أن يفعلَ؛ فلا يَرِد) ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٠٩)، وينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٥٣) ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٣٩٤).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٥٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٤٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٠٩).

قال ابنُ كثيرٍ: (... وهكذا وقَعَ لهم؛ فإنَّ [ما] عندهم من البُخلِ والحسدِ والجُبن والذِّلَّة أمرٌ عظيمٌ، كما قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا * أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا * فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ٥٣-٥٥]، وقال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ الآية [آل عمران: ١١٢]) ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٤٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٥٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٤٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٠٩- ١١٠).

يَمِينَ اللهِ مَلأى، لا يَغيضُها[١] نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ[٢] اللَّيْلَ وَالنَّهارَ، أَرَأَيْتُم ما أَنْفَق مُنْذُ خَلَقَ السَّمَواتِ والأرْضَ ، فإنَّه لم يَنْقُصْ ما في يَمينِه))[٣].

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾.

أي: إنَّ كثيرًا من هؤلاءِ اليهودِ- يا محمَّدُ- يَزدادون بسماعِهم القرآنَ العظيمَ تجاوُزًا لحُدودِ اللهِ تعالى، وكفرًا بالحقِّ[٤].

كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقال سُبحانَه: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤].

---

(١) لا يَغيضها: أي لا يَنقُصُها. يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (٣/ ٤٠١).

(٢) سحاءُ: أي: دائمةُ الصَّبِّ والهَطْل بالعَطاءِ. يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (٢/ ٣٤٥)، ((تاج العروس)) للزبيدي (٦/ ٤٥٩).

(٣) رواه البخاري (٧٤١٩)، واللفظ له، ومسلم (٩٩٣).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٥٧-٥٥٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٤٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١١٠، ١٦١).

قال السعديُّ: (تكونُ لمِثل هذا زِيادةَ غيٍّ إلى غيِّه، وطُغيانٍ إلى طُغيانه، وكفرٍ إلى كُفره؛ وذلك بسببِ إعراضه عنها، وردِّه لها، ومعاندتِه إيَّاها، ومعارضته لها بالشُّبه الباطلة) ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٨).

وقال ابنُ عاشور: (وهذا بيانٌ للسبب الذي بعثَهم على تلك المقالة الشَّنيعة، أي: أعماهم الحسدُ، فزادهم طغيانًا وكفرًا، وفي هذا إعدادٌ للرسول عليه الصَّلاة والسَّلام لأخْذِ الحذرِ منهم، وتسليةٌ له بأنَّ فَرْطَ حَنقِهم هو الذي أنطقَهم بذلك القولِ الفظيع) ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٥١).

﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

أي: وجعَلْنا بين اليهودِ عداءً لبعضِهم بأفعالِهم، وتباغضًا بينَهم بقلوبِهم، ولا يزالونَ كذلك إلى وقوعِ القِيامة[1].

﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾.

أي: كلَّما عقَدَ اليهودُ أسبابًا وأمورًا لحربِ أعدائِهم أبْطَلَها اللهُ عزَّ وجلَّ، فانحلَّ عزْمُهم، وكلَّما أقاموا حَرْبًا ردَّ اللهُ تعالى كَيدَهم في نُحورِهم، فانْخَذلوا وانْهَزموا[2].

﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾.

أي: ويُسارِعونَ ويَجتهِدون في اكتسابِ الفسادِ بالكُفرِ، وعمَلِ المعاصي، ومحاربةِ الإسلامِ وأهلِه، ونشْرِ الباطِل، وغير ذلك من الأعمالِ الفاسِدة[3].

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

---

(١) يُنظر: ((الوجيز)) للواحدي (ص: ٣٢٧)، ((تفسير ابن عطية)) (٢/ ٢١٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٤٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٨)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (١/ ٤١٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١١١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٥٩)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: ٣٢٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٤٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٨)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٥١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١١١- ١١٢).

قال ابنُ تَيميَّة: (﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ فهذا اللفظُ أصلُه: أنَّ المحاربين يُوقدون نارًا يجتمع إليها أعوانُهم، ويَنصُرون وليَّهم على عدوِّهم، فلا تتمُّ محاربتُهم إلا بها، فإذا طُفِئت لم يجتمعْ أمرهم، ثم صار هذا كما تُستعمل الأمثالُ في كلِّ محاربٍ بطَل كيدُه) ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٢٠/ ٤٧١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٦١)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: ٣٢٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٤٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٨)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ١٨٢، ١٨٣، ٢٥٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١١٢).

أي: واللهُ تعالى لا يُحبُّ هؤلاءِ؛ لأنَّهم مُفسِدونَ، ولا يحبُّ كلَّ مُفسدٍ من اليهودِ وغيرِهم، بل يُبغضهم، وسيُجازِيهم على ذلك[(١)].

الفَوائِدُ التَّربويَّة:

١- أنَّ مَن سارَعَ في الإثمِ والعُدوانِ وأكْل السُّحت ففيه شَبَهٌ من اليهود؛ لقولِه: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾[(٢)].

٢- يُستفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾ التحذيرُ مِن الكسْبِ المحرَّم؛ وجهه: أنَّ اللهَ سمَّاه سُحتًا؛ فاحْذرْ أن تخسرَ الدُّنيا والآخِرةَ بأكْلِ المحرَّم[(٣)].

٣- أنَّه لا حرَجَ أنْ نذُمَّ الأفعالَ المكروهةَ بقَطْعِ النَّظرِ عن فاعِليها؛ لقولِه تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[(٤)].

٤- عِظمُ مسؤوليَّة المربِّين والعلماءِ؛ لقوله: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾، فجعَلَ اللهُ اللومَ على الربانيِّين والأحبارِ؛ لأنَّهم لم يقوموا بما أوجبَ اللهُ عليهم مِن نَهْيِ هؤلاءِ عن قولِهم الإثمَ وأكْلِهم السُّحتَ، فيجبُ على العُلماءِ أن يُبيِّنوا الحقَّ بقطْعِ النَّظرِ عن مكانتِهم الشخصيَّة، حتى لو فُرِض أنهم أُهينوا أو أُذلُّوا بسببِ ذلك، فالعاقبةُ لهم؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[(٥)] [هود: ٤٩].

٥- قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ فيه توبيخُ العُلماءِ التَّاركينَ للأمرِ بالمَعروفِ، والنَّهي

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٦١)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٤٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١١٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٠٢).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ١٠٣).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ١٠٣، ١٠٤).

عن المنكرِ؛ فليَفتَحِ العُلماءُ لهذه الآيةِ مَسامِعَهم، ويُفرِجُوا لها عن قُلوبِهم؛ فإنَّها قد جاءَتْ بما فيه البَيانُ الشَّافي لهم: بأنَّ كَفَّهم عن المعاصي مع تَرْكِ إنكارِهم على أهلِها؛ لا يُسمِنُ ولا يُغني مِن جُوعٍ، بل هم أشَدُّ حالًا، وأعظَمُ وبالًا مِنَ العُصاةِ، فرَحِمَ اللهُ عالِمًا قام بما أوجَبَه اللهُ عليه مِن فريضةِ الأمرِ بالمَعروفِ والنَّهيِ عنِ المُنكَرِ؛ فهو أعظَمُ ما افترَضه اللهُ عليه، وأوجَبُ ما أوجَبَ عليه النُّهوضُ به(١).

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِف:

١- عبَّر بالأكْلِ في قولِه: ﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾؛ لأنَّه هو الغالبُ؛ ولأنَّ أعْلى ما يمكن أن ينتفعَ به الإنسانُ بالمالِ هو الأكلُ؛ لأنه يُغذِّي البَدن ويُنمِّيه، بخلاف اللِّباسِ والمساكِنِ والنِّكاحِ؛ فعبَّر به لهذا الوجهِ(٢).

٢- قوله: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ فيه دلالةٌ على كونِ الكفِّ فِعلًا؛ فترك الربانيِّين والأحبارِ نهيَهم عن قولِ الإثمِ وأكلِ السُّحتِ سمَّاه اللهُ جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة صُنعًا، في قوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾، أي: وهو تركُهم النهيَ المذكورَ، والصنع أخصُّ مِن مُطلقِ الفِعلِ؛ فصراحةُ دَلالةِ هذه الآيةِ الكَريمةِ على أنَّ الترْكَ فِعلٌ في غايةِ الوُضوحِ(٣).

٣- بيانُ عُدوانِ اليهودِ، وأنَّهم يُصرِّحون بالعدوانِ والاعتداءِ، حتى في حقِّ الخالِقِ عزَّ وجلَّ؛ لقولِهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾(٤).

---

(١) ينظر: ((فتح القدير)) للشوكاني (٢/ ٦٤).
(٢) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٠٢).
(٣) يُنظر: ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٦/ ٤٨).
(٤) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١١٢).

٤- يُستفادُ من قولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ أنَّ اليهودَ يُقرُّون بصِفات اللهِ عزَّ وجلَّ الحقيقيَّة؛ لأنَّه لا يُقال: يدُ أحدٍ مغلولةٌ إلَّا لِمَن له يدٌ(١).

٥- يُستفادُ من قولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ الإشارةُ إلى حِرصِ اليهودِ على المالِ؛ وجه الدَّلالة: أنَّهم لم يَحملْهم على هذا القولِ إلَّا الجشعُ والطمعُ(٢).

٦- في قوله: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾ لم يُبيِّن اللهُ عزَّ وجلَّ مَن اللاعِنُ؛ لإفادةِ العُمومِ؛ أنَّ اللهَ يَلعَنُهم ويَلعنُهم اللاعِنون أيضًا(٣).

٧- قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ...﴾ الآية أصلٌ في تكفيرِ مَن صدَر منه في جانبِ الباري تعالى ما يُؤذِنُ بنقْصٍ(٤).

٨- إثباتُ اليدينِ للهِ عزَّ وجلَّ؛ لقوله سبحانه: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾(٥).

٩- كثرةُ عطاءِ اللهِ وَجُودِه؛ لقوله: ﴿مَبْسُوطَتَانِ﴾ لا يُمكن أن تُقبضَا بالنسبةِ للعطاء، وأنَّ عطاءَ اللهِ ومَنْعَه تابعٌ لمشيئتِه؛ لقولِه: ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾(٦).

١٠- قال تعالى: ﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ وقوله: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ مُتعلِّق بـ ﴿أُنزِلَ﴾، وإنَّما قَيَّدَ إنزالَ القُرآنِ بكونِه مِن الرَّبِّ تعالى؛ ليدلَّ على أنَّ القُرآنَ نزَلَ مِنه سُبحانَه لا مِن غَيرِه من مَخلوقاتِه، وأنَّ نُزولَ القرآنِ ليسَ كنُزول غيرِه، فقَدْ فرَّق اللهُ تعالى بين ما نَزَّله منه وما نَزَّله مِن بعضِ المخلوقاتِ كالمطرِ، بأنْ قال: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [الرعد: ١٧]، فذَكَر المطرَ في غيرِ موضعٍ، وأخبر أنَّه

(١) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١١٢).
(٢) ينظر: ((المصدر السابق)).
(٣) ينظر: ((المصدر السابق)).
(٤) ينظر: ((الإكليل في استنباط التنزيل)) للسيوطي (ص: ١١٣).
(٥) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١١٥).
(٦) ينظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ١١٨).

نَزَّلَه مِن السَّماء، وأخبَر بتنزيل مُطلَق في مِثل قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ [الحديد: ٢٥]، وأمَّا القرآنُ فأَخْبَرَ أنَّه مَنزَّلٌ منه، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢]، وروحُ القُدسِ هو جبريلُ؛ فبَيَّن أنَّ جِبريلَ نزَّلَه مِنَ اللهِ لا مِن هواه ولا مِن لَوحٍ ولا مِن غيرِ ذلك، وكذلك سائرُ آياتِ القرآنِ فقدْ بَيَّن في غير موضِعٍ أنَّه مُنزَّلٌ مِن الله، كقوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١]؛ فمَن قال: إنَّ القرآنَ مُنزَّلٌ مِن بعضِ المخلوقاتِ كاللَّوحِ أو الهواء، فهو مُفترٍ على الله، مُكذِّبٌ لكتاب الله، مُتَّبعٌ لغير سبيل المؤمنين(١).

١١- تحريمُ الفَسادِ في الأَرضِ؛ لقوله: ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾، وهكذا كلُّ شيءٍ نفَى اللهُ مَحبَّته فإنَّه حرامٌ؛ فالفسادُ في الأرضِ حرامٌ(٢).

١٢- يُستفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ أنَّ الشيء إذا ثبَت لوصفٍ، ثبَت ضدُّه لضدِّ ذلك الوَصف، فعلى هذا نقول: إذا كان اللهُ لا يحبُّ المفسِدين، فإنَّه يحبُّ المصلِحين(٣).

١٣- عنايةُ اللهِ عزَّ وجلَّ بالرسولِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ؛ وذلك بقوله: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾؛ فإنَّ هذه الربوبيَّةَ خاصَّةٌ، تَقتضي العنايةَ التامَّةَ والأقْوى والأشدَّ(٤).

١٤- أنَّ اللهَ تعالى ألْقَى العَداوةَ والبَغضاءَ بين اليهود؛ لقوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤]، ولذلك هم أحزابٌ شتَّى، وحتى داخلَ الحزبِ الواحدِ مُتفرِّقون؛ لأنَّهم لا يُمكن أن يجتمِعوا وقد ألْقَى اللهُ بينهم العداوةَ والبغضاءَ، فاجتماعُهم الآن ليس

---

(١) ينظر: ((الفتاوى الكبرى)) لابن تيمية (٥/ ٤٠-٤٣)، ((مجموع الفتاوى)) ابن تيمية (١٢/ ١٢٨).
(٢) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٢٥).
(٣) ينظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ١٢٦).
(٤) ينظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ١٣٢).

لأنَّهم متحابُّون متآلِفون، لكنَّهم اجتمعوا لهدفٍ واحدٍ ومصلحةٍ واحدةٍ ضدَّ عدوٍّ واحدٍ للجميع، وهذا الاجتماعُ لا شكَّ أنَّه اجتماعٌ ظاهريٌّ فقط، مقصودٌ لغيرِه، وليس مقصودًا لذاتِه(١).

١٥- قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ في هذا الخَبرِ الإيماءُ إلى أنَّ اللهَ عاقبَهم في الدُّنيا على بُغضِهم المسلمين، بأنْ ألْقَى البغضاءَ بين بعضِهم وبعضٍ؛ فهو جزاءٌ من جِنس العملِ، وهو تسليةٌ للرسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ألَّا يُهِمَّه أمرُ عداوتِهم له؛ فإنَّ البغضاءَ سجيَّتُهم حتى بينَ أقوامِهم، وأنَّ هذا الوصفَ دائمٌ لهم، شأنُ الأوصافِ التي عَمِيَ أصحابُها عن مُداواتِها بالتخلُّق الحسَنِ(٢).

١٦- لَمَّا كان الإخبارُ باجتماعِ كَلمتِهم على شقاوةِ الكفرِ- في قوله: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا﴾- ربَّما أحْدَث خوفًا من كيدِهم، نفَى ذلك بقوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾، ولَمَّا كانتِ العداوةُ ربَّما زالتْ بزوالِ السَّبب، أفاد أنَّها لازمةٌ لا تنفكُّ بقوله: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾(٣).

١٧- في قولِه تعالى: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ سُمِّي ذلك اليَومُ الآخِرُ بيومِ القِيامة لوجوهٍ ثلاثة؛ الوجه الأوَّل: أنَّ الناس يقومون فيه مِن قُبورِهم لربِّ العالَمِين. الوجه الثاني: أنَّه يُقامُ فيه العدلُ. والثالث: أنَّه يُقام فيه الأشهادُ؛ تُستشهَدُ الرُّسلُ، ثم الأُممُ، ثم الجلودُ والأعضاءُ، ويَتبيَّن الأمرُ وينكشِف، ويَظهرُ ما في الصُّدور؛ فلذلك سُمِّي يومَ القيامةِ(٤).

---

(١) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٣٣)

(٢) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٥١).

(٣) ينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٢٢٢).

(٤) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٣٤).

١٨- البُشرى التامَّة للمسلمين بأنَّ اليهود لن تقومَ لهم قائمةٌ في الحروب؛ لأنَّهم: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾ ولم ينالوا بها مقصودَهم، وإنْ كانوا قد يَنالون بعضَ الشيء، لكنَّهم لن ينالوا المقصودَ الذي يُريدونه بإشعالِ نارِ الحربِ(١).

١٩- إثباتُ الأفعالِ الاختياريَّة للهِ عزَّ وجلَّ؛ لقولِه: ﴿أَطۡفَأَهَا﴾، وإطفاؤُها يكون بعدَ إيقادِها، وهذا فعلٌ مُتجدِّد(٢).

٢٠- محبَّةُ اليهودِ للفسادِ في الأرضِ، وسَعيُهم في ذلك سعيًا حثيثًا؛ لقوله: ﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ﴾(٣).

بَلاغَةُ الآياتِ:

١- **قوله تعالى:** ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾

- قوله: ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ...﴾ عبَّر هنا بلفظ (المسارعة)- مع أن أكثرَ استِعمالِه يكونُ في الخَيرِ- ولم يُعبِّر بلفظ (العجلة) مع أنه يكون في الشَّرِّ في الأغلب؛ قيل: للإشارة إلى أنَّ هذه المعاصي كأنها عِندَهم مِن قَبيل الطاعاتِ؛ فلذلك يُسارِعونَ فيها، أو إلى أنَّهم كانوا يُقدِمون على هذه المنكراتِ كأنَّهم مُحقُّون فيها(٤).

- وقال تعالى: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي﴾ ولم يقُل: (يُسارعون إلى)؛ ذلك لأنَّ المسارعَ إلى الشيءِ يكون خارجًا عنه، فيُقبِلُ عليه بسرعةٍ، وهؤلاءِ غارقونَ

(١) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٣٥).
(٢) ينظر: ((المصدر السابق)).
(٣) ينظر: ((المصدر السابق)).
(٤) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٣٩٢) ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣١١) ((تفسير الخازن)) (٢/ ٥٩).

في الإثمِ والعُدوان، وإنَّما يُسارِعون في جزئيَّات وقائعِهما، كلَّما قدَروا على إثمٍ أو عُدوانٍ ابْتَدَروه(١).

- وقوله: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَ﴾ خَصَّ ﴿الْعُدْوَانَ﴾ و﴿ٱلسُّحۡتَ﴾ بالذِّكر مع اندراجِهما في الإثمِ، وهو يَتناولُ جميعَ المعاصي والمنهيَّات؛ للدَّلالةِ على أنَّ هذينِ النَّوعينِ أعظمُ أنواعِ المعصية، وللمبالغةِ في التَّقبيح(٢).

٢- قولِه تعالى: ﴿لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾

- قوله: ﴿لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ...﴾ فيه تَحضيضٌ مُرادٌ منه هنا التَّوبيخُ والتَّنديمُ لعُلمائِهم على سُكوتِهم عنِ النَّهيِ عن معاصِي اللهِ تعالى(٣).

---

(١) ينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٢١٥)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٣٧٣).

(٢) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٣٩٢) ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١٣١)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣١١) ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٤٨).

(٣) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣١٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٤٨).
(لولا) التَّحضيضيَّة حَرْفٌ يَدلُّ على طَلبِ الفِعل بحَثٍّ وحضٍّ، وهي تَنقسِمُ قِسمين؛ الأولى: أنْ تَدخُل على فِعلٍ مضارعٍ، أو فِعلٍ يَكونُ مُمكنًا تَداركُه، مُمكنًا فِعلُه؛ فهذه تُفيدُ التحضيضَ فقط. الثانية: أنْ تَدخُل على فِعلٍ ماضٍ أو فِعلٍ فاتَ تَداركُه، ولم يَبقَ فِعلُه مُمكنًا؛ لأنَّ فُرصتَه ضاعَتْ ومَضَتْ، ولم يُمكِنْ تَداركُه؛ ولم يَبقَ مُمكِنًا أبدًا؛ فهذه يَنقلِبُ تَحضيضُها إلى التوبيخِ والتنديمِ؛ وتارةً يُوبَّخ بها موجودٌ، كقولِه للَّذين تكلَّموا في عائشةَ وصفوانَ رضِي الله عنهما: ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ﴾ [النور: ١٦]؛ لأنَّهم قدْ تكلَّموا بما لا يَليقُ، فكأنَّه يُوبِّخُهم ويُندِّمُهم على ما فَرَط منهم. وتارةً يكونُ الموبَّخُ بها قدْ مات، وليس موجودًا، كقوله: ﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾ [الأنعام: ٤٣]؛ لأنَّ وقتَ نُزولِ الآيةِ هؤلاءِ الأممُ قدْ ماتوا وانْقَضَوْا في أزمانٍ متناهيةٍ، قد مَضَوْا في الزَّمانِ الماضي؛ فلا يُمكنُ حُصولُ الفعلِ منهم، وليسوا موجودِينَ حتَّى يَسمَعوا التوبيخَ، ولكنَّ المقصودَ مِن توبيخِ هذا الذي غابَ وماتَ؛ ليعتبرَ به غيرُه؛ ولذا كان من الحَسن أن يُوبَّخ أولئك؛ لنعتبرَ بتَوبيخِهم، فنَجتَنِبَ ذلِك الأمرَ الذي استحقُّوا التَّوبيخَ مِن أجْلِه. يُنظر: ((مغني اللبيب)) لابن هشام (ص: ٣٦١)، ((العذب النمير)) للشنقيطي (١/ ٢٤٨).

- وفي قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ اقتصَر في تَوبيخِ الرَّبَّانيِّين على تَرْك نَهيِهم عن قَولِ الإثمِ وأكْلِ السُّحتِ، ولم يَذكُر العُدوانَ؛ إيماءً إلى أنَّ العُدوانَ يَزجُرهم عنه المسلِمون، ولا يَلتجِئون في زَجْرِهم إلى غيرهم؛ لأنَّ الاعتِمادَ في النُّصرةِ على غير المجنيِّ عليه ضَعفٌ[1].

٣- قوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وقوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾: فيه مُناسَبةٌ حَسنةٌ؛ فإنَّه لَمَّا ذكَر قوله: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ...﴾ ختَم بقولِه: ﴿يَعْمَلُونَ﴾، ولَمَّا ذكَر قولَه: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ...﴾ ختَم بقولِه: ﴿يَصْنَعُونَ﴾؛ وذلك لأنَّ في الأُولى مَعاصِي العوامِّ، وهي مِن قبيلِ ما يَحصُل بالطَّبعِ؛ لأنَّه اندفاعٌ مع الشَّهوةِ بلا بَصيرةٍ، أمَّا الثانيةُ فهي مَعصيةُ العلماءِ بتَرْك النَّهيِ عن المنكَرِ والأمرِ بالمعروفِ، وهذا مِن قَبيلِ الصناعة المتكلَّفة لفائدةٍ للصانعِ فيها، يلتمسها ممَّن يَصنَعُ له؛ فما ترَكَ العلماءُ النهيَ عن المنكَرِ وهم يعلمون ما أَخَذ اللهُ عليهم من الميثاقِ، إلَّا تكلُّفًا لإرضاءِ النَّاس، وتحاميًا لتَنفيرِهم منهم؛ فهو إيثارٌ لِرضا النَّاسِ على رِضوانِ اللهِ وثَوابِه، والأقربُ أن يكونَ ﴿يَصْنَعُونَ﴾ مِن الصُّنع، لا مِن الصِّناعة، وهو العَملُ الذي يُقدِّمه المرءُ لغيرِه يُرضيه به[2]، والصُّنع أيضًا عَملُ الإنسان بعدَ تدرُّب فيه، وتَروٍّ وتحرِّي

---

(١) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٤٨).

(٢) ينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٢١٧)، ((تفسير الشربيني)) (١/ ٣٨٤)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٣٧٣).

قال ابنُ عُثيمين: (وقوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ الصُّنع والفعل بينهما خصوصٌ وعموم مُطلَق؛ لأنَّ الصنع إنما يكون فِعلًا بترتيبٍ، وإعدادٍ للقول أو للفعل، بخلاف الفِعل المجرَّد، فالفعل يُطلق على كلِّ فِعل، سواء كان عن قصدٍ أو عن غيرِ قصد، حتى البهيمة لو أكَلَتْ قلنا: إنها فعلت، لكن الصُّنع لا يكونُ إلَّا بتدبيرٍ وتنسيقٍ وإصلاح؛ وذلك أنَّ هؤلاء الربانيِّين والأحبار يصنعون ما يصنعون مِن كتمان الحقِّ وعدم الأمر به؛ يُريدون أن يَبقَوا وجهاءَ في قومهم؛ لأنَّ الشيطان يقول لهم: إنْ نهيتموهم صِرتُم أعداءً لهم، ولم تحصُل لكم الرئاسةُ؛ فلذلك تجدهم

إجادةٍ؛ ولذلك ذُمَّ به خَواصُّهم (الربَّانيُّون والأحْبار)، ولأنَّ ترْكَ الحِسْبةِ أقبحُ من مُواقعةِ المعصية؛ لأنَّ النفسَ تلتذُّ بها وتَميل إليها، ولا كذلك تركُ الإنكارِ عليها، فكان جديرًا بأبلغِ الذمِّ[١].

- والجمْع بين صِيغتي الماضي ﴿كَانُوا۟﴾ والمستقبل ﴿يَصْنَعُونَ﴾؛ للدِّلالةِ على الاستمرارِ[٢].

٤- قوله: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ فيه: تمثيلٌ وكنايةٌ حسَنة؛ حيث عبَّر بإيقادِ النار عن إظهارِ الحقدِ والكيدِ والمكرِ بالمؤمنين والاغتيالِ والقتالِ، فشبَّه به حالَ التهيُّؤ للحربِ والاستعدادِ لها، والحزامةِ في أمرها، بحالِ مَن يُوقِدُ النارَ لحاجةٍ بها فتنطفئ، وعبَّر بإطفائِها عن صَرْفِ الله عنهم ذلك، وتفرُّقِ آرائهم، وحلِّ عزائِمِهم، وتفرُّق كلمتِهم، وإلقاءِ الرُّعبِ في قلوبِهم؛ فشبَّه حالَ انحلالِ عزمِهم، أو انهزامِهم وسُرعة ارتدادِهم عنها، وإحجامِهم عن مقاتلةِ أعدائِهم، بحالِ مَن انطفأتْ نارُه التي أوقدَها[٣].

٥- قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ فيه: بيانُ فظاعةِ سوءِ أدبِ اليهود؛ حيث عبَّروا عن إمساكِ الإحسانِ بأنَّه صادرٌ من مقهورٍ على الإمساكِ؛ فإنَّ لفظةَ ﴿مَغْلُولَةٌ﴾ تدلُّ على القَهر؛ إذ لا يغلُّ إلَّا المقهورُ[٤].

يعملون هذا العملَ عن ترتيبٍ وعن سياسةٍ - كما يقولون) ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ١٠٢).

(١) ينظر: ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١٣١).

(٢) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٥٧).

(٣) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣١٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٥١)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحيي الدين درويش (٢/ ٥٢٠).

(٤) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣١٤).

٦- **قوله:** ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾: ثُنيِّت اليدُ هنا، بالرغمِ مِن كونها أتتْ مفردةً في قولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌ﴾؛ ليكونَ ردُّ قولهم وإنكارُه أبلغَ وأدلَّ على إثباتِ غاية السَّخاءِ له، ونفْي البُخل عنه سبحانه؛ وذلك أنَّ غاية ما يبذله السخيُّ بماله مِن نفْسه، وأنْ يُعطيه بيديه جميعًا[1].

٧- **قوله:** ﴿يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾ جملةٌ مستأنَفَة واردةٌ لتأكيدِ كمالِ جُودِه، وللتنبيهِ على سرِّ ما ابتُلوا به من الضِّيقِ الذي اتَّخذوه- من غايةِ جهلِهم وضلالِهم- ذَريعةً إلى الاجتراءِ على الله بهذه المقالة الشنيعة، والمعنى أنَّ ذلك ليس لقصورٍ في فيضِه، بل لأنَّ إنفاقَه تابعٌ لمشيئتِه، المبنيَّةِ على الحِكَمِ، التي عليَها يدورُ أمرُ المعاشِ والمعادِ، ففي قوله: ﴿يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾ دلالةٌ على أنَّه لا ينفقُ إلَّا على مقتضى الحِكمةِ والمصلحةِ[2].

٨- **قوله:** ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ...﴾ جُملةٌ واقعةٌ في جَوابِ القَسمِ؛ وعليه فالجُملةُ مُؤكَّدةٌ بثَلاثةِ مؤكِّدات: القَسَم المقدَّر تقديره: (وَاللَّهِ)، واللام، ونُون التَّوكيد؛ وإنَّما أكَّد اللهُ ذلك لأهميَّتِه، ولئلَّا يُنكِرَ مُنكِرٌ أنْ يكونَ النازلُ شِفاءً لِمَا في الصُّدور- وهو القرآن- يَزيدُ هؤلاءِ طُغيانًا وكفرًا[3].

- وفيه تقديمُ المفعولِ ﴿كَثِيرٗا﴾ على الفاعِلِ ﴿مَّآ﴾- بمعنى الذي-؛ للاعتناءِ

---

(١) ينظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٥٥)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣١٥).
مع تقرير أنَّ لله تعالى يَدينِ حقيقيتينِ تليقانِ بكمالِه وجلالِه، وهذه الآية كغيرها من آياتِ الصِّفات عندَ أهل السُّنة والجماعةِ؛ تُمَرُّ كما جاءتْ مِن غيرِ تعطيلٍ أو تحريفٍ، ومن غيرِ تمثيلٍ أو تكييفٍ، وغالبُ البلاغيِّين والمفسِّرينَ من أهلِ الكلامِ يتَّجهونَ في هذا الموضِعِ إلى نَفْيِ هذِه الصِّفةِ بالتأويلِ المخالِفِ لاعتقادِ أهلِ السُّنةِ والجماعةِ، ولهم في ذلك تأويلاتٌ متعدِّدة، كلُّها مردودةٌ.
(٢) ينظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٥٦)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٥٨).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١١٠).

به، وتخصيصُ الكثيرِ منهم بهذا الحُكمِ؛ لأنَّ بعضَهم ليس كذلك[١].

- وتأخيرُ قولِه: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ عن ﴿إِلَيْكَ﴾ مع أنَّ حقَّه أن يَتقدَّم؛ لاقتِضاءِ المقامِ الاهتمامَ ببيانِ المنتهي؛ لأنَّ مدارَ زِيادةِ طُغيانِهم وكُفرِهم هو النُّزولُ إليه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، كما في قولِه تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾[٢] [النمل: ٦٠].

- والتعرُّض لعنوانِ الرُّبوبيَّة مع الإضافةِ إلى ضَميرِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ في قوله: ﴿رَّبِّكَ﴾؛ لتشريفِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ[٣].



(١) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٥٨).

(٢) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٥٨).

(٣) ينظر: ((المصدر السابق)).

الآيات (٦٥ - ٦٨)

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ
مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ
سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (٦٦) يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ
فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ
(٦٧) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ
إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا
تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٦٨)﴾.

غريبُ الكَلِمات:

﴿مُقْتَصِدَةٌ﴾: عادلةٌ غيرُ غاليةٍ ولا مُقصِّرةٍ، أو مؤمنةٌ، والاقتصادُ: الاستواءُ في العملِ من غيرِ إفراطٍ ولا تفريطٍ[1].

﴿سَاءَ﴾: أي: قَبُحَ، والسُّوء: اسمٌ جامعٌ للآفاتِ، ثم استُعمِلَ في كلِّ ما يُستقبَحُ، وهو أيضًا كلُّ ما يغمُّ الإنسانَ[2].

﴿يَعْصِمُكَ﴾: يَمنعُك، وأصلُ العِصمةِ: المنعُ- ومنه يُقال: عَصَمَه الطَّعامُ؛ أي: منعَه من الجوعِ-، والإمساكُ والملازمةُ[3].

---

(١) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٩٥)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨٥)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٥٢)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٨٨٣).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٢٣)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ١١٣)، ((المفردات)) للراغب (١/ ٤٤١)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٧٣).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (١/ ١٠٨)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (١/ ٥٠٤)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٣٣١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٥٧٠)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٧)، ((التبيان)) لابن الهائم (١/ ١٢٧).

﴿تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾: أي: تُوفُّوا حُقوقَهما بالعِلمِ والعَملِ؛ وإقامةُ الشيء: توفية حقِّه[1].

﴿فَلَا تَأۡسَ﴾: أي: لا تَحزَنْ؛ يُقال: أسيتُ على كذا، أي: حزنتُ، فأنا آسَى أسًى، والأَسى: الحُزنُ[2].

المَعنى الإجْمالِيُّ:

يقولُ اللهُ تعالى: لو آمَن أهلُ الكِتابِ من اليهودِ والنَّصارى حقًّا، واتَّقَوا ربَّهم سبحانه؛ لَمَحَا اللهُ عنهم ما اقترَفوه من سيِّئاتٍ، ولأدخَلَهم الجَنَّة، ولو عمِلوا بما في التوارةِ والإنجيلِ والقرآنِ، لأفاض عليهم بركاتِ رِزقه، وعمَّهم الخيرُ مِن كلِّ جهةٍ؛ بأن يُرسِلَ عليهم المطرَ من السَّماء، ويُخْرِجَ لهم الثمراتِ من الأرضِ، ثمَّ أخبَرَ تعالى أنَّ مِن أهلِ الكتابِ جماعةً مستقيمةً على طريق الحقِّ، قائمةً بالواجبِ الذي كُتِب عليها، مقتصرةً عليه، وأنَّ كثيرًا منهم قدْ أساؤوا العملَ.

ثم أمَر اللهُ تعالى نبيَّه محمدًا صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنْ يُبلِّغَ كلَّ ما أنزلَه إليه، فإنْ لم يفعلْ ذلك، فما امتثل أمْرَه عزَّ وجلَّ بتبليغِ رِسالتِه، وطَمْأنَه سبحانه بأنَّه سيَمْنَعُه مِن الناسِ؛ فلا ينبغي أن يَثْنِيَه عن إبلاغِ شريعةِ اللهِ خوفُه من المخلوقينَ؛ إنَّ اللهَ لا يَهدي القومَ الكافرينَ. وأمَرَه أيضًا أنْ يقولَ لأهلِ الكتابِ: إنَّهم ليسوا على شيءٍ ممَّا يَدَّعون أنَّهم عليه من الدِّينِ، حتى يَعملوا بالتوارةِ والإنجيلِ والقرآنِ، وأخْبَره تعالى أنَّ كثيرًا من اليهود يَزدادون بسماعِ القرآن تجاوزًا لحدودِ اللهِ وكفرًا، فلا تحزنْ- يا نبيَّ اللهِ- على القومِ الكافرين.

---

(١) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٤٣)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٩٠، ٦٩٢).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٢)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ١٠٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٧٧)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٥٠)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٩٧٥).

تَفْسيرُ الآياتِ:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِمَا قَبلَها:

لَمَّا بالَغَ اللهُ تعالى في ذمِّ أهلِ الكتابِ، وفي تَهجينِ طريقتِهم؛ بَيَّن أنَّهم لو آمَنوا واتَّقَوْا لوجَدوا سعاداتِ الآخرةِ والدُّنيا[١].

وأيضًا لَمَّا أثبتَ بقولِه: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا﴾ أنَّهم كانوا كَفرةً قبلَ إتيانِ هذا الرسولِ عليه السَّلامُ، وكرَّر ما أعَدَّه لهم من الخِزْيِ الدائمِ على نحوِ ما أخبَرَهم به كتابُهم؛ وعَظَهم ورَجَّاهم سبحانه؛ لئلَّا يَيْئسوا من رَوحِ اللهِ على عادةٍ منه في رحمتِه لعبادِه، ورأفتِه بهم[٢]، فقال تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾.

أي: ولو أنَّ أهلَ التَّوراةِ والإنجيلِ آمَنوا حقًّا بكلِّ ما يجبُ الإيمانُ به- ومِن ذلك: الإيمانُ باللهِ تعالى وبرسولِه محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ- وفَعَلوا ما أمَرَهم اللهُ تعالى به، واجتَنَبوا ما نهاهم عنه[٣].

﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾.

أي: لَمَحوْنا عنهم ذُنوبَهم، ولو كانتْ ما كانت، فغطَّيْنا عليها، ولم نَفْضَحْهم بها[٤].

---

(١) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٣٩٨).
(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٢٢٤).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٦١)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٤٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٣٦).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٦٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٣٧).

﴿وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾.

أي: ولأدْخلناهم في الآخِرةِ جَنَّاتٍ تَنعَمُ فيها قلوبُهم وأبدانُهم بأنواعِ النَّعيم، ممَّا تَشتهيه الأنفسُ، وتلَذُّ الأعينُ[1].

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِمَا قَبلَها:

لَمَّا رغَّبهم اللهُ تعالى في الآيةِ السَّابقةِ في مَوعودِ الآخِرةِ؛ مِن تكفيرِ السيِّئاتِ، وإدخالِهم الجَنَّة- رغَّبهم عقبَ ذلك في موعودِ الدُّنيا؛ ليجمَعَ لهم بين خَيْرَيِ الدُّنيا والآخِرَةِ[2]، فقال تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾.

أي: ولو أنَّ اليهودَ والنَّصارى عمِلوا بما في التوراةِ والإنجيلِ، وعَمِلوا بالقُرآنِ الذي أُنزِلَ إليهم مِن اللهِ تعالى، فصدَّقوا به، وامْتَثلوا أوامرَه واجتنبوا نواهيَه[3].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٦٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٣٧- ١٣٨).

(٢) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٣٩٨)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣١٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٦٢- ٥٦٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٤٧- ١٤٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٨)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (١/ ٤١٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٤٠- ١٤١).

قال ابنُ جرير: (فإنْ قال قائلٌ: وكيف يُقيمون التَّوراةَ والإنجيل وما أُنزل إلى محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم، مع اختلافِ هذه الكتُب ونَسْخ بعضها بعضًا؟ قيل: وإنْ كانت كذلك في بعض أحكامها وشرائعها، فهي متَّفقةٌ في الأمْر بالإيمان برُسل اللهِ، والتَّصديقِ بما جاءتْ به من عند الله؛ فمعنى إقامتِهم التوراةَ والإنجيلَ وما أُنزِل إلى محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم تصديقُهم بما فيها، والعملُ بما هي متَّفقةٌ فيه، وبكلِّ واحدٍ منهما في الحِين الذي فُرِض العملُ به) ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٦٢- ٥٦٣).

﴿لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾.

أي: لأدرَّ اللهُ تعالى عليهم الرِّزقَ؛ بأنْ يُرسِلَ عليهم المطرَ من السَّماءِ، ويُخرِجَ لهم الثَّمراتِ من الأرضِ[1].

كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وكإخْبارِه تعالى عن نُوحٍ عليه السَّلام أنَّه قالَ لقَومِه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠- ١٢].

﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾.

مناسبتُها لما قبلَها:

لَمَّا كان ما مضى قبلَ هذه الآيةِ مِن ذمِّ أهلِ الكتابِ ربَّما أَفْهَم أنَّه لِكُلِّهم، قال- مستأنفًا جوابًا لِمَن يسألُ عن ذلك[2]:

﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾.

أي: مِن أهلِ الكِتابِ جَماعةٌ قائمةٌ بالواجبِ الذي عليها، فتَمتثِلُ ما أُمرَتْ به، وتجتنِبُ ما نُهيَتْ عنه، بلا زيادةٍ على ذلِك ولا نَقصٍ[3].

﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٦٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٤٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٨- ٢٣٩)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (١/ ٤١٦).

(٢) ينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٢٢٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٦٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٩)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (١/ ٤١٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٤٢).

أي: وكثيرٌ من اليَهودِ والنَّصارى قدْ أساؤوا العملَ[١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾.

مناسَبَةُ الآيةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا قال تعالى: ﴿لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ ... وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا﴾ وعَلِم أنَّ مَن أُريدتْ سَعادتُه يُؤمِنُ ولا بدَّ، ومَن أُريدتْ شقاوتُه لا يُؤمِنُ أصلًا، وكان ذلك ربَّما أدَّى إلى الفُتورِ عن الإبلاغ؛ لذا أمَرَ اللهُ تعالى نبيَّه بالإبلاغِ وحثَّه عليه[٢].

وأيضًا لَمَّا حَكَى اللهُ تعالى في الآياتِ السَّابقةِ ما كان عليه أعداءُ الإسلامِ- سواء مِن أهل الكتاب من اليهودِ والنَّصارى، أو مِن المنافقين- مِن دَسائسَ، ومِن استهزاءٍ بتعاليمِ الإسلامِ، ومِن حِقْدٍ على المؤمنين، ومِن سوءِ أدبٍ مع الله، وكان الفريقان متظاهرَين على الرسول صلى الله عليه وسلم: فريق مجاهر، وفريق متستر- أتبَعه بتوجيهِ نِداءٍ إلى الرسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وأمَرَه فيه بأنْ يَمضِيَ في تبليغِ رِسالتِه إلى النَّاسِ، دون أن يَلتفِتَ إلى مكرِ الماكرين، أو حِقْد الحاقِدين؛ فإنَّه سبحانه قد حماهُ وعَصَمه منهم[٣]، فقال:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾.

أي: يا محمَّدُ، أبلِغْ جميعَ ما أَرسلَك اللهُ تعالى به، فلا تترُكْ ولا تكتُمْ شيئًا منه[٤].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٦٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٩)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (١/ ٤١٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٤٢).

(٢) ينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٢٢٩).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٥٦، ٢٥٧)، ((التفسير الوسيط)) لطنطاوي (٤/ ٢٢٢).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٤٧).

عن عائشةَ رضِي اللهُ عنها قالت: ((مَن حدَّثك أنَّ محمدًا صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كَتَم شيئًا ممَّا أُنزِل عليه فقَدَ كذَبَ؛ واللهُ يقولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ الآية))[١].

وعنها رضِي اللهُ عنها، قالت: ((ولوْ كانَ محمَّدٌ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ كاتِمًا شيئًا ممَّا أُنْزِلَ علَيهِ، لَكَتمَ هذِهِ الآيةَ: ﴿وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ﴾ [الأحزاب:٣٧]))[٢].

وعن جابرٍ رضِي اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال في حَجَّة الوداع: ((تركتُ فيكم ما لَنْ تَضِلُّوا بعدَه إنِ اعتصمتُم به: كتابَ اللهِ، وأنتُم تُسألونَ عنِّي، فما أنتُم قائلونَ؟ قالوا: نَشهَدُ أنَّكَ قد بلغْتَ وأدَّيتَ ونَصحْتَ، فقال بإصبَعِه السبَّابةِ، يَرفعُها إلى السَّماءِ، ويَنكتُها إلى الناسِ[٣]: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ! ثلاثَ مراتٍ))[٤].

﴿وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾.

أي: وإنْ لم تُؤدِّ إلى الناسِ جميعَ ما أُرْسِلتَ به، فما امتثلتَ أمْرَه[٥].

﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾.

أي: بلِّغْ أنتَ رِسالةَ اللهِ تعالى، واحْرِصْ على تَبليغِها، ولا يَثْنِيَنَّكَ عن ذلِك

(١) رواه البخاري (٤٦١٢).
(٢) رواه مسلم (١٧٧).
(٣) يَنْكُتُها إلى النَّاسِ: أي: يشيرُ بها إليهم، كالذي يَضرِبُ بها الأرضَ. يُنظر: ((مِرقاة المفاتيح)) للملا الهروي (٥/ ١٧٧٣).
(٤) رواه مسلم (١٢١٨).
(٥) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٤٨).

خوفٌ من المخلوقينَ؛ فإنَّ اللهَ تعالى يَحفَظُك، ويمنعُ أعداءَك مِن أن ينالوكَ بسوءٍ، أو أن يَضرُّوك بشيءٍ(١).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

أي: بلِّغْ أنتَ؛ فما عليكَ إلَّا البَلاغ، واللهُ تعالى لا يُوفِّقُ للحقِّ الكافرينَ المصرِّين على كُفرِهم؛ بسببِ كُفرِهم، وإعراضِهم عنِ الهُدى والحقِّ(٢).

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ * وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦- ٩٧].

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٨﴾.

مناسَبةُ الآيةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا أمَرَ اللهُ تعالى نبيَّه محمدًا صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بالتبليغِ، سواءٌ طابَ للسَّامعِ أو ثَقُل عليه، أمَرَه أنْ يَقولَ لأهلِ الكِتابِ هذا الكلامَ، وإنْ كان ممَّا يَشقُّ عليهم جدًّا(٣)، فقال:

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾.

أي: قل يا مُحمَّدُ: يا أهلَ التَّوراةِ والإنجيلِ، لستُم على شيءٍ ممَّا تَدَّعون أنَّكم

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٧١)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥١- ١٥٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٤٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٧٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٠١).

عليه من الدِّين، إلى أنْ تُؤمِنوا حقًّا- معشرَ اليهودِ- بالتوراةِ، ومَعشرَ النَّصارى بالإنجيلِ، وتَعمَلوا بما فيهما- ومِن ذلك اتِّباعُ محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ- وحتى تُؤمِنوا بالقرآنِ أيضًا وتَعمَلوا به؛ فقد جاءَ مِن ربِّكم الذي أنعمَ عليكم بإنزالِه؛ فالواجبُ عليكم أن تَقومُوا بشُكرِ اللهِ تعالى على ذلِك بأنْ تُؤمِنوا بالقرآنِ وتَتَّبِعوه[1].

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا﴾.

أي: إنَّ كثيرًا مِن هؤلاءِ اليَهودِ والنَّصارى- يا محمَّدُ- يَزدادون بسَماعِهم القرآنَ العظيمَ تجاوزًا لحدودِ اللهِ تعالى، وكُفرًا بالحقِّ[2].

كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤].

﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾.

أي: فلا تحزنْ- يا محمَّدُ- على هؤلاءِ الكفَّارِ مِن اليهودِ والنَّصارى الذين

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٧٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٥٥- ١٥٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٧٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٤٧، ١٥٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٥٧، ١٥٨).

كذَّبوك، وردُّوا رِسالتَك، وإنَّما أدِّ ما عليك، وبلِّغ الرسالةَ[١].

الفَوائِدُ التَّربويَّة:

١- قولُه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ بالرغمِ مِن أنَّ الإيمانَ وحْدَه سببٌ مستقلٌّ لتكفيرِ السيِّئات، وإعطاءِ الحَسنات، إلَّا أنَّه ضَمَّ شَرطًا آخَرَ، وهو التقوى؛ لأنَّ المرادَ من الإيمانِ تحقيقُ التقوى والطاعة، لا لغرضٍ آخَر من الأغراضِ العاجلةِ، كما يفعله المنافِقون[٢].

٢- أنَّ التائبَ مِن الذَّنبِ يُثاب ثَوابَينِ: ثواب الدُّنيا، وثواب الآخرة: أمَّا ثواب الآخِرة؛ فلقولِه: ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾، وأمَّا ثواب الدُّنيا؛ فلقوله: ﴿لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾[٣].

٣- يُستفادُ من قولِه: ﴿لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ أنَّه يجوزُ ترغيبُ النُّفوسِ البَشريَّة في فِعل الطاعاتِ بما يُذكَر من ثوابِ الدُّنيا، وعلى هذا فلو أنَّ إنسانًا عمِلَ عملًا صالحًا يُريد أن يَنالَ حُسنَ الدُّنيا والآخِرة، فإنَّه لا يُلامُ؛ لأنَّه لو كان هناك لَوْمٌ، ما ذكَر اللهُ سبحانه وتعالى ما يَحصُل من ثوابِ الدُّنيا؛ يَبقَى ذِكرُه شبيهًا باللفظِ الذي ليس له معنًى، وعلى العكسِ مِن هذا المحرَّماتُ، تجِدُ أنَّ الله تعالى جعَلَ لها روادعَ تَردَعُ عنها؛ حتى لا يَفعلَها الإنسانُ، فتجد الرجلَ قد يترُكُ الزِّنا مثلًا خوفًا من العقوبةِ، ولولا هذا لَمَا كان للعقوبةِ فائدةٌ[٤].

٤- يُستفادُ من قولِه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ وجوبُ إبلاغِ الشَّريعةِ على أهلِ العِلم؛ وجه ذلك: أنَّ العلماءَ وَرَثةُ الأنبياءِ، وإذا كانوا ورثةَ

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٧٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٥٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٤٣٤).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٣٩).

(٤) ينظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ١٤٣).

الأنبياءِ وجَبَ عليهم أن يَقوموا بحقِّ الإرثِ، فيُبلِّغوا ما علِموا مِن شريعةِ اللهِ وجوبًا؛ إمَّا بالقولِ وإمَّا بالفِعل، إمَّا بالكتابةِ وإمَّا بالإشارة؛ بأيِّ وسيلةٍ، يجب عليهم أن يُبلِّغوا ما أُنزِلَ إلى الرسولِ عليه الصَّلاة والسَّلام[١].

٥- الإشارةُ إلى أنَّ القلوبَ بِيَدِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وأنَّ أفعالَ الخَلقِ تابعةٌ لإرادةِ الله؛ لقوله: ﴿يَعْصِمُكَ﴾؛ لأنَّ عِصمةَ الرسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم من الناس تنقسِمُ إلى قِسمين: إمَّا عدَم الإرادة: بأنْ يصرفَ اللهُ القلوبَ عن قتْلِه، وإمَّا بالعجزِ: بأنْ يُحاولَ الفاعلُ ولكن يَعجِز[٢].

٦- يُستفادُ من قولِه: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أنَّ العبرةَ للمُسلمِ في الآيةِ أنْ يعلمَ أنَّ المسلِمينَ لا يكونونَ على شيءٍ يُعتدُّ به مِن أمْرِ الدِّين حتى يُقيموا القرآنَ، وما أُنزِلَ إليهم مِن ربِّهم فيه، ويهتدوا بهدايتِه؛ فحُجَّةُ اللهِ على جميعِ عِبادِه واحدةٌ، فإذا كان اللهُ تعالى لا يَقبَلُ مِن أهلِ الكِتاب قَبْلَنا تلك التقاليدَ التي صَدَّتْهم عمَّا عندَهم مِن وحيِ اللهِ تعالى على ما كان قد طرَأَ عليه من التَّحريفِ بالزِّيادةِ والنُّقصانِ، فألَّا يَقْبَلَ منَّا مِثلَ ذلك مع حِفظه لكتابِنا أَوْلى[٣].

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِف:

١- قُدِّم الإيمانُ في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾؛ لأنَّه أساسُ جميعِ الأعمال، فقدَّمه إعلامًا بأنَّه لا نجاةَ لأحدٍ إلَّا بتصديقِ محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ[٤].

٢- كمالُ عدْلِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وأنَّ كلَّ مَن آمَنَ واتَّقى ولو بَعدَ الكفرِ والعنادِ؛

---

(١) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٥١).
(٢) ينظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ١٥٤).
(٣) ينظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٣٩٤).
(٤) ينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٢٢٤).

فإنَّ اللهَ تعالى يتوبُ عليه؛ لقولِه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[١].

٣- قولُه سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ فيه دلالةٌ على سَعةِ رَحمةِ اللهِ تعالى، وفتْحِه بابَ التوبةِ لكلِّ عاصٍ، وإنْ عَظُمتْ معاصيه، وبلَغتْ مبالغَ سيِّئاتِ اليهودِ والنَّصارى[٢].

٤- إنَّ الإسلامَ يَهدِم ما قَبْلَه من السيِّئاتِ وإنْ جَلَّتْ وعَظُمتْ؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾[٣].

٥- يُفيدُ قولُه تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ أنَّ الكتابيَّ لا يَدخُل الجنَّةَ ما لم يُسلِمْ[٤].

٦- إثباتُ أفعالِ اللهِ سبحانه وتعالى الاختياريَّةِ؛ لقوله: ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾؛ لأنَّ هذا التَّكفيرَ يكونُ بعدَ إيمانِهم وتَقواهم، فيكونُ فيه دليلٌ على إثباتِ أفعالِ اللهِ الاختياريَّة؛ فاللهُ عزَّ وجلَّ يَفعَلُ ما يشاءُ في أيِّ وقتٍ، وعلى أيِّ كيفيَّةٍ[٥].

٧- أنَّ الجزاءَ يكونُ بالنَّجاةِ من المرهوبِ، وحُصولِ المطلوب؛ يشيرُ إلى الأوَّل قولُه: ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾، وإلى الثاني قولُه: ﴿وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾؛ فالأوَّل به النجاةُ من المرهوبِ، والثاني فيه حُصولُ المطلوبِ[٦].

---

(١) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٣٩).

(٢) ينظر: ((تفسير الشربيني)) (١/ ٣٨٥).

(٣) ينظر: ((المصدر السابق)).

(٤) ينظر: ((المصدر السابق)).

(٥) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٣٩).

(٦) ينظر: ((المصدر السابق)).

٨- أنَّ إقامةَ الشريعةِ في كلِّ زمان سببٌ لكلِّ خير؛ لقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ...﴾ إلى آخره[١].

٩- أنَّه يجب على أهلِ الكتابِ أنْ يُقيموا القرآنَ، كما يجبُ أنْ يُقيموا التوراةَ والإنجيل؛ لقولِه: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ وهو كذلِك؛ ولهذا نقولُ لأهلِ الكتابِ الذين يَدَّعون أنَّهم مؤمِنون باللهِ واليومِ الآخِر: إنَّكم إنْ لم تؤمنوا بالرَّسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم، ما نفَعَكم ذلك الإيمانُ؛ لأنَّكم لم تُتِمُّوا إيمانَكم[٢].

١٠- إقامةُ الدَّليلِ على أهلِ الكِتاب أنَّه يلزمُهم أنْ يُؤمِنوا بالقرآنِ؛ لقوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾؛ فإنَّ لازمَ كونِه ربًّا لهم أنْ يقوموا بأمْرِه، ويَلْتَزِموا بحُكمِه؛ لأنَّه ربٌّ، والربُّ لا بدَّ له من مربوبٍ، وهو سبحانه وتعالى السيِّدُ؛ والإنسانُ عبدٌ؛ فلا بدَّ أنْ يقوموا بمقتضى هذه الرُّبوبيَّة، فيُؤمنوا بما أَنزلَ اللهُ تعالى على محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم[٣].

١١- انقسامُ أهلِ الكِتابِ إلى قِسمين: قِسمٍ مُقتصدٍ؛ قائمٍ بالواجبِ، تاركٍ للمُحرَّمِ، ولكن ليس عندَهم سَبْقٌ إلى الخيرات، وقِسمٍ آخَر: سيِّئٍ مُسيءٍ في عملِه؛ إمَّا بترْك الواجباتِ، وإمَّا بفِعل المحرَّماتِ؛ لقوله: ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾[٤].

١٢- في قوله: ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ جعَلَ أعْلى مقاماتِ أهلِ الكتابِ الاقتصادَ، وهو أوسطُ مَقاماتِ هذه الأمَّة، وفوق ذلك رتبةُ السَّابقينَ؛ كما في قولِه تعالى:

(١) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٤٣).

(٢) ينظر: ((تفسير المنار))، ((تفسير الشربيني)) (١/ ٣٨٧)، (٦/ ٣٨١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٤٤).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٤٥).

(٤) ينظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ١٤٦).

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ۞ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ...﴾(١) [فاطر: ٣٢-٣٣]؛ فدلَّ على فَضْلِ هذه الأمَّةِ على غيرِها من الأُمَم.

١٣- التعبيرُ في قولِه: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ بالعملِ؛ لأنَّهم يَزعُمون أنَّه لا يَصدُرُ منهم إلَّا عن عِلمٍ، وهم الذين حرَّفوا الكلمَ عن مواضعِه، وارْتَكبوا العظائمَ في عداوةِ اللهِ ورسولِه(٢).

١٤- يُستفادُ مِن تصديرِ الخطاب بالنِّداءِ في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾ الدلالةُ على الاهتمامِ بالخطابِ والعنايةِ به، كذلك قولُه تعالى: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾(٣).

١٥- قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ وصَفَه بالرِّسالةِ إشارةً إلى أنَّ هذا الوصفَ مقتضاه- وإنْ لم يُؤمَرْ بالإبلاغِ- أنْ يكون مُبلِّغًا(٤).

١٦- قوله: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ فيه عنايةُ الله عزَّ وجلَّ بالرسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم، والإشارة إلى أنَّ كونَه مربوبًا لله عزَّ وجلَّ يستلزمُ أن يُبلِّغ، وأيضًا لأنَّ رُبوبيةَ اللهِ عزَّ وجلَّ لرسولِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ رُبوبيَّةٌ خاصَّة(٥).

١٧- شِدَّةُ تأكيدِ اللهِ عزَّ وجلَّ على إبلاغِ شَريعتِه؛ لأنَّ هذه الجملةَ: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ﴾ شديدةٌ جدًّا؛ ممَّا يدلُّ على أنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يَرضَى لعِبادِه

(١) ينظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٤٩).
(٢) ينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٢٢٨).
(٣) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٤٦، ١٥١).
(٤) ينظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ١٤٦).
(٥) ينظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ١٤٧، ١٥١).

أن يتركوا شريعتَه غيرَ مبلَّغةٍ[1].

١٨- أنَّ كتْمَ شيءٍ من الشريعةِ كَكَتْم جميعِها؛ لقوله: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[2].

١٩- عنايةُ اللهِ تعالى بالرسولِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ في عِصمتِه من الناسِ؛ لقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[3].

٢٠- يُستفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أنَّ مَن عَلِمَ اللهُ تعالى منه الكفرَ فإنَّه لا يُهدَى ولا يُوفَّق؛ فتكون هذه الآية كقولِه تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[4] [الصف: ٥].

٢١- أنَّه لا تتمُّ إقامةُ التوراةِ والإنجيلِ إلَّا بإقامةِ القرآن؛ لأنَّ اللهَ اشترَط ثلاثة أشياء: ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ فمَن ادَّعى أنَّه مُقيمٌ للتوراةِ وهو كافرٌ بالإنجيل، قلنا: هذا غيرُ صحيحٍ، ودعواه باطلةٌ، ومَن ادَّعى أنَّه مؤمنٌ بالإنجيلِ ولم يُؤمِن بالقرآنِ، قلنا: هذه دَعوَى باطلةٌ[5].

٢٢- أنَّه يلزمُ مَن أقرَّ بالربوبيَّةِ أنْ يُقرَّ بالألوهيَّةِ والشريعةِ؛ لقوله: ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعني: مِن ربِّكم الذي لا تُنكِرون رُبوبيَّته، وإذا كنتم لا تُنكِرون رُبوبيَّته لزِمَكم أن تَقوموا بأمْرِه[6].

(١) ينظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ١٥٢).

(٢) ينظر: ((تفسير الشربيني)) (١/ ٣٨٦)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٢٢٩)، ((تفسير المنار)) (٦/ ٣٨٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٥٣).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٤٤٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٥٣).

(٤) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٥٥).

(٥) ينظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ١٥٩).

(٦) ينظر: ((المصدر السابق)).

٢٣- قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ فيه إضافةُ ربوبيَّة اللهِ للكافرين، لكنْ هذه الإضافةُ ليستْ إضافةَ تشريفٍ، ولكنَّها إضافةٌ لإقامةِ الحُجَّة عليهم؛ لأنَّه إذا كان اللهُ هو ربَّكم، لزِمكم أن تقيموا ما أَنزَل إليكم منه؛ لأنَّه ربُّكم وسيِّدكم وإلهُكم(١).

٢٤- يُستفادُ من قولِه: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ﴾ أنَّ كثيرًا مِن أهلِ الكتابِ لا يَزدادون بالقُرآنِ إلَّا طُغيانًا وكفرًا؛ إمَّا بالتكذيبِ، وإمَّا بالعِصيانِ، ويُفهَم منه أيضًا أنَّ بَعضَهم لا يَزيدُه طغيانًا وكفرًا، بل لا يَزيده إلَّا إيمانًا(٢).

٢٥- العدلُ في كلامِ اللهِ وعدمُ المجازفةِ؛ لقوله: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم﴾ ولم يقُل: (كلهم)؛ لأنَّ الواقعَ أنَّ بعضَهم يزدادُ بالقرآن إيمانًا(٣).

٢٦- جوازُ توكيدِ الكلامِ بما يُثبت صِدقَه، وإنْ كان في الأصلِ صِدقًا؛ لقوله: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم﴾، مع أنَّ خبر الله وإنْ لم يكُن مؤكَّدًا فهو صدقٌ بلا شكٍّ، ووجهُ تأكيده: أنَّه قد يُستغرَبُ أن يكونَ هذا القرآنُ الذي هو هدًى للناس لا يَزيد هؤلاءِ إلا طغيانًا وكفرًا، فلمَّا كان هذا محلَّ استغرابٍ، أكَّده اللهُ عزَّ وجلَّ؛ لأنَّ تأكيدَ الكلامِ إذا كان صادرًا من صادقٍ لا بدَّ أن يكون له سببٌ، وإلَّا لكان التوكيدُ لغوًا(٤).

٢٧- أنَّ الكفرَ يَزيد ويَنقُص، وجهه: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ﴾، وفيه دليلٌ على أنَّ الإيمانَ يَزيد ويَنقُص؛ لأنَّ الكفرَ إذا كان يَزيدُ ويَنقُص فبإزائِه الإيمانُ؛ فلا بدَّ أن يكون مِثلَه يَزيدُ ويَنقُص، والذي عليه

(١) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٦٠).
(٢) ينظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ١٦٠، ١٦١).
(٣) ينظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ١٦٠).
(٤) ينظر: ((المصدر السابق)).

أهلُ السُّنَّة والجماعة أنَّ الإيمانَ يَزيدُ ويَنقُص، سواء بالأقوالِ أو بالأفعالِ أو باليَقينِ(١).

٢٨- الفَرْقُ بين نِسبةِ إنزالِ القُرآنِ إلى الرَّسولِ في قوله: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾، ونسبة إنزالِه إليهم في أوَّل الآيةِ في قولِه: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾، هو أنَّ خِطابهم بإنزالِ القرآنِ إليهم يُراد به أنَّهم مخاطَبون به، ومَدْعوُّون إليه، وأمَّا إسنادُ إنزالِه إلى الرسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فليس لإفادةِ أنَّه أُوحي إليه فقط، بل يُشعر مع ذلك بأنَّ إنزالَه إليه سببٌ لطُغيانهم وكُفرهم، وأنَّهم لم يَكفُروا به لأجْلِ إنكارِهم لعقائدِه وآدابِه وشرائعِه، أو استقباحِهم، بل لعَداوةِ الرَّسولِ الذي أُنزِلَ إليه، وعداوةِ قومِه العربِ. وقيل: إنَّه يُفيد براءتَهم منه، وأنَّه لا حظَّ لهم فيه(٢).

بَلاغَةُ الآياتِ:

١- قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾: ذكَرَ اليهودَ والنَّصارى بقوله: ﴿أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ تأكيدًا للتشنيعِ؛ فإنَّ أهليَّةَ الكتاب تُوجِبُ إيمانَهم به، وإقامتَهم له لا محالةَ، فكفرُهم به وعدمُ إقامتِهم له، وهم أهلُه، أقبحُ مِن كلِّ قبيحٍ، وأشنعُ من كلِّ شَنيعٍ(٣).

- وتَكريرُ اللَّامِ في ﴿وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ﴾؛ لتأكيدِ الوعدِ(٤).

(١) ينظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ١٦١).
(٢) ينظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٣٩٤).
(٣) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٥٩).
(٤) ينظر: ((المصدر السابق)).

- وفيه: تعريضٌ؛ حيثُ عقَّب نَهيَهم وذمَّهم بدَعوتِهم للخيرِ[١].

٢- قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾:

في هذه الآيةِ حذفانِ بَليغانِ: الأوَّل: حذْفُ المضافِ في قوله: ﴿أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾، والمرادُ أحكامُ التوراةِ والإنجيلِ وحُدودُهما، وما انطوى تحتَهما من حِكَمٍ بالِغة، وعِبَر شائِعة. والثاني: حذفُ المفعولِ به في قوله تعالى: ﴿لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾؛ لقصْدِ التَّعميم، أو للقصدِ إلى نَفْسِ الفِعل، كَما في قَولِه: (فُلانٌ يُعطي ويَمنَعُ) بعد (أو للقصدِ إلى نَفْسِ الفِعل)[٢].

٣- قوله: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ فيه: إيجازٌ بالحذفِ؛ حيث حُذِف مُتعلِّقُ ﴿بَلِّغْ﴾؛ لقصدِ العموم، أي: بلِّغْ ما أُنزِلَ إليك جميعَ مَن يحتاجُ إلى معرفتِه، وهو جميعُ الأمَّة[٣].

٤- قوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ يُفيد المبالغةَ التامَّة، يعني: أنَّه لا يُمكنُ أن يُوصَفَ ترْكُ التبليغِ بتهديدٍ أعظمَ من أنَّه تَرْكُ التبليغِ، فكان ذلك تنبيهًا على غايةِ التهديدِ والوعيدِ[٤].

٥- قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ﴾ أتى بصيغة المضارِع في ﴿يَعْصِمُكَ﴾؛ لأنَّ المضارع يدلُّ على الديمومةِ والاستمرارِ[٥].

---

(١) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٥٢).
(٢) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٣٩٨)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٦٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٥٤)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحيي الدين درويش (٢/ ٥٢٢- ٥٢٣).
(٣) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٥٨).
(٤) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٠٠).
(٥) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٢٣).

٦- **قوله:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ **فيه:** تعليلٌ لعِصمتِه تعالى له صلَّى الله عليه وسلَّم، وإيماءٌ إلى أنَّ سببَ عَدَمِ هِدايَتِهم هو كُفْرُهم.

- وإيرادُ الآية الكريمةِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ ...﴾ في تَضاعيفِ الآياتِ الواردةِ في حقِّ أهل الكتاب؛ لأنَّ الكلَّ قوارعُ يَسوءُ الكفَّارَ سماعُها، ويَشُقُّ على الرسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم مشافَهَتُهم بها، وخصوصًا ما يَتْلُوها من النصِّ النَّاعي عليهم كمالَ ضلالتِهم[1].

٧- **قوله:** ﴿لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ﴾ تنكيرُ ﴿شَيۡءٍ﴾ يُفيد التَّقليلَ والتحقيرَ، أي: لستُم على شيءٍ يُعتدُّ به حتى تُقيموا أحكامَ التوراةِ والإنجيلِ، وفي هذا التعبيرِ من التَّحقيرِ والتصغيرِ ما لا غايةَ وراءَه[2].

٨- **قوله:** ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا﴾ جملةٌ مُستأنَفةٌ مبيِّنةٌ لشِدَّةِ شَكيمتِهم، وغُلوِّهم في المكابرةِ والعنادِ، وعدمِ إفادةِ التبليغِ نفعًا، وتصديرُها بالقَسَم- الذي دلَّت عليه اللامُ في (لَيَزيدَنَّ)-؛ لتأكيد مضمونِها، وتحقيقِ مدلولِها، ونِسبةُ الإنزالِ إلى رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم مع نِسبتِه فيما مرَّ إليهم؛ للإنباءِ عن انسلاخِهم عن تِلك النِّسبة[3].

٩- قوله: ﴿فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ **فيه:** إقامةُ الظاهرِ مَقامَ المضمَر- حيثُ قال: ﴿عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، ولم يقُل: (عَلَيهم)- وفائدتُه: التنبيهُ على العِلَّة الموجِبةِ لعدمِ التأسُّف[4].

---

(١) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٦١).
(٢) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٦١)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحيي الدين درويش (٢/ ٥٢٥).
(٣) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٦٢).
(٤) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٢٤)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٦٢).

الآيات (٦٩ - ٧١)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾.

غريبُ الكَلِمات:

﴿ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ ﴾: هم قومٌ لا دِينَ لهم، وإنَّما بَقُوا على فِطرتِهم، يَقولون: لا إلهَ إلَّا اللهُ، وليس لهم دِينٌ مُقرَّرٌ لهم يتَّبعونَه، وقِيل: هم قومٌ يَعبُدون المَلائكةَ، وقيل: هم طائفةٌ مِن أهلِ الكِتابِ، والصَّابِئون جمْعُ صابِئ، وهو الخارجُ من دِينِه إلى دِينٍ آخَرَ، وأصلُه: الخُروجُ؛ يُقال: صَبأتِ النُّجُومُ، إذا خرجتْ من مطالِعِها(١).

﴿ تَهْوَىٰٓ ﴾: تميلُ، والهوى: ميلُ النَّفسِ إلى الشَّهوةِ، وأصلُه: الخلوُّ والسُّقوط، ومنه قِيلَ للآراء الزَّائِفة: أهواءٌ(٢).

﴿ فِتْنَةٌ ﴾: أي: شرٌّ وعذابٌ، وتُطلَق الفِتنةُ أيضًا على الضَّلال والشِّرْك والكُفر، والفِتنةُ في الأصلِ: الاختِبارُ والابتلاءُ والامتِحانُ، مأخوذةٌ من الفَتْن: وهو إدخالُ الذَّهبِ النَّارَ؛ لتظهَرَ جَودتُه مِن رَداءتِه(٣).

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢/ ٣٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٧٥)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ١٨)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٧٩).

(٢) ينظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١٣٤، ٤٩١)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦/ ١٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٤٩)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٠٦)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٢١١).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (١/ ٧٦، ١٠١)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس

﴿فَعَمُواْ﴾: أي: لم يَعْمَلوا بما سَمِعوا، فصارُوا كالعُمْيِ، والعَمَى يُقال في افتِقادِ البَصرِ والبَصيرةِ[1].

﴿وَصَمُّواْ﴾: أي: لم يُصْغوا إلى الحقِّ، فصاروا كالصُّمِّ، والصَّمَمُ: فقدانُ حاسَّةِ السَّمع، وبه يُوصَفُ مَن لا يُصغِي إلى الحقِّ، ولا يَقبلُه، وأصلُه: الصَّلَابةُ، وقيل: السَّدُّ[2].

مُشكِلُ الإعرابِ:

١- قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿الصَّابِئونَ﴾: مَرفوعٌ على أنَّه مُبتَدأٌ، وخبرُه محذوفٌ؛ لدَلالةِ خَبرِ ﴿إِنَّ﴾ عليه- وهو جُملةُ الشَّرطِ وجوابِه كما سيأتي- والنيَّةُ به التأخيرُ؛ والتقديرُ: إنَّ الذينَ آمَنُوا والذين هادُوا والنَّصارى مَنْ آمَنَ باللهِ واليومِ الآخِرِ... إلى آخِرِه، والصَّابئونَ كذلِك، وقوله: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ مع خَبرِه المحذوفِ (كَذلِك) جُملةٌ اسميَّةٌ مَعطوفةٌ على جُملة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الاستئنافيَّة؛ فلا محلَّ لها مِن الإعرابِ، كما لا مَحلَّ للتي عُطِفَتْ عليها. وَقيلَ: إنَّه مرفوعٌ عطفًا على محلِّ اسمِ (إنَّ): ﴿ٱلَّذِينَ﴾؛ لأنَّه قبلَ دُخولِها مرفوعٌ بالابتداءِ. وقِيل غيرُ ذلك.

﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: ﴿مَنْ﴾ اسمُ شَرْطٍ، وهو في محلِّ رفعٍ مُبتدأٌ، وجملة ﴿ءَامَنَ﴾ خَبرَ ﴿مَنْ﴾، وجملة

(٤/ ٤٧٢- ٤٧٣)، ((المفردات)) للراغب (١/ ٦٢٤)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (١/ ٢٩، ١٣٩-١٤٠)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٦٩٢).

(١) يُنظر: ((المفردات)) للراغب (ص: ٥٨٨)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨٥).

(٢) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٢٧٧)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٩٢)، ((التبيان)) لابن الهائم (١/ ٥٣).

﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ جوابُ الشَّرْطِ، وجملةُ الشَّرْطِ وجوابِه في محلِّ رفْع خبر ﴿إِنَّ﴾، والرابطُ مُقدَّر، أي: مِنهم[١].

٢- قوله: ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾.

﴿وَحَسِبُوٓاْ﴾: فِعلٌ وفاعلٌ، وفِعل (حَسِب) يأتي بمعنى الشَّكِّ، ويأتي بمعنى اليَقين.

﴿أَلَّا تَكُونَ﴾: ﴿أَلَّا﴾ مُكوَّنةٌ من (أنْ) و(لا)، و﴿تَكُونَ﴾ فِعلٌ مُضارعٌ تامٌّ بمعنى تَقَع أو تُصِيب، وقدْ قُرِئَ بالنَّصبِ والرَّفع؛ فعَلى قِراءة النَّصبِ؛ فـ(أَنْ) مَصدريَّةٌ ناصبةٌ للفِعل، و ﴿تَكُونَ﴾ منصوبٌ بها، وعلى هذا ففِعلُ ﴿حَسِبُوا﴾ بمعنى الظَّنِّ والشَّكِّ. و﴿فِتۡنَةٞ﴾: فاعِلُ ﴿تَكُونَ﴾، والتَّقديرُ: ظَنُّوا ألَّا يَقعَ مِنَ الله عزَّ وجَلَّ ابتلاءٌ واختِبارٌ بالشَّدائدِ. أو: لا تُصيبُهم فتنةٌ نتيجةَ فِعلِهم المذكورِ في الآيةِ السَّابقة.

وعلى قِراءةِ (تَكُونُ) بالرَّفع، فـ(أَنْ) هي المخفَّفةُ مِن الثَّقيلةِ، واسمُها ضَميرُ الشأنِ محذوفٌ، والتقديرُ: أنَّه، و(لَا) نافيةٌ، و﴿تَكُونَ﴾ فِعلٌ مُضارعٌ مرفوعٌ، وهو تامٌّ أيضًا، و﴿فِتۡنَةٞ﴾ فاعلُه، وجُمل (تَكُونُ فِتْنَةٌ) في مَحلِّ رفْعٍ خبَرُ (أنْ)؛ فهي مُفسِّرةٌ لضَميرِ الشأنِ، وعلى هذا ففِعل (حَسِب) هنا لليَقينِ لا للظَّنِّ والشَّكِّ[٢]، وعلى كِلَا التَّقديرينِ فإنَّ (أَنْ) وما بَعدَها سَدَّ مَسدَّ مَفعولَيْ ﴿حَسِبُوا﴾[٣].

(١) يُنظر: ((التبيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/ ٤٥٠-٤٥٢)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٣٥٣، ٣٦٣)، ((إعراب القرآن الكريم)) للدعاس (١/ ٢٦٨).

(٢) لأنَّ (أن) المخفَّفة مِن الثقيلة لا تأتي مع أفعالِ الشكِّ والطَّمع، ولا تَأتي (أنْ) النَّاصبة للفِعل مع (عَلِمت) وما كان في معناها. ((التبيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/ ٤٥٢).

(٣) يُنظر: ((التبيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/ ٤٥٢)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٣٦٥)، ((تفسير الشوكاني)) (٢/ ٧٢)، ((إعراب القرآن الكريم)) للدعاس (١/ ٢٦٨).

المَعنَى الإجْمالِيُّ:

يُخبِرُ اللهُ تعالى أنَّ المسلمين مِن أمَّة محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، واليهودَ قبلَ نسْخِ دِينهم، والصَّابئة الحُنفاءَ الذين بقُوا على فِطرتِهم بتوحيدِ اللهِ عزَّ وجلَّ، محرِّمين للظلمِ والفواحِشِ، وغير ذلك، ولم يتقيَّدوا بمِلَّةٍ ولا نِحلةٍ، والنَّصارى قَبلَ نَسْخِ دِينهم؛ هؤلاءِ الأصنافُ الأربعةُ مَن آمَن منهم باللهِ واليومِ الآخِرِ وعمِلَ عَملًا صالحًا، فلا خوفٌ عليهم ممَّا يَستقبِلونه، ولا هم يَحزنون على ما يُخلِّفونه.

ثمَّ أخْبَر تعالى أنَّه أخَذَ العَهدَ المؤكَّدَ من بَني إسرائيل بالإيمانِ باللهِ تعالى والقيامِ بما أَوْجبَه عليهم، وأرسلَ إليهم بذلِك رُسلَه، لكنَّهم قابلوا ذلك بأنَّهم كلَّما جاءَهم رسولٌ بما لا يُوافِقُ أهواءَهم ورغباتِهم، كذَّبوا بعضًا من المرسَلين، وقتَلوا آخَرين.

وظنُّوا ألَّا تَحيقَ بهم فِتنةٌ وعُقوباتٌ وشرٌّ نتيجةَ ما فعلوه؛ فاستمرُّوا على طُغيانهم، فعَمُوا عن رؤيةِ الحقِّ، وصَمُّوا عن سماعِه، ثم تابَ اللهُ عليهم، ثم بعدَ ذلك رجَعَ كثيرٌ منهم لحالتِهم السيِّئةِ الأولى، وعادُوا لضلالِهم السَّابقِ، فعَمُوا مُجدَّدًا عن رؤيةِ الحقِّ، وصمُّوا عن سَماعِه، واللهُ مطَّلِعٌ على جميعِ أعمالِهم، وسيُجازيهم عليها.

تَفْسيرُ الآياتِ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٦٩﴾.

مناسَبَةُ الآيةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا بيَّنَ اللهُ تعالى أنَّ أهلَ الكِتابِ ليسُوا على شيءٍ ما لم يُؤمِنوا؛ بَيَّن أنَّ هذا الحُكمَ عامٌّ في الكلِّ، وأنَّه لا يَحصُلُ لأحدٍ فضيلةٌ ولا مَنقَبَةٌ إلَّا إذا آمَن باللهِ

واليومِ الآخِرِ، وعَمِلَ صالحًا[١].

وأيضًا لَمَّا كان ما مَضَى في هذِه السُّورةِ غالبًا في فَضائحِ أهلِ الكتابِ لا سيَّما اليهود، وبيانِ أنَّهم عَضُّوا على الكُفرِ، ومَرَدُوا على الجَحدِ، وتمرَّنوا على البُهت، وعَتَوْا عن أوامرِ الله- أخْبَرَ أنَّ البابَ مفتوحٌ لهم ولغيرِهم من جميعِ أهلِ المِلل، وأنَّه إذا أَخْلَصوا أُذِن في دُخولِهم، ونُودِي بقَبولِهم[٢]، فقال:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾.

أي: إنَّ المسلمين- وهم أمَّةُ محمَّد صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ- واليهودَ قَبل نَسْخ دِينهم، وقبلَ تحريفِه، والصَّابئين- وهم فِرقٌ؛ منها: الصَّابئة الحُنفاءُ، الذين بَقُوا على فِطرتِهم بتوحيدِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وتحريم الظُّلمِ والفواحِش، وغيرِ ذلك، من غير تَقيُّدٍ بمِلَّة ولا نِحلة، ودون أنْ يُحدِثوا كُفرًا- والنَّصارى قَبلَ نَسْخ دِينهم، وقبل تحريفِه[٣].

﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾.

أي: مَن آمَنَ مِن أتْباعِ هذه المِللِ باللهِ تعالى حقًّا، وآمَن بالمعادِ والجزاءِ يومَ

---

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٠٣).

(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٢٤٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٧٥)، ((الصفدية)) لابن تيمية (٢/ ٣٠٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٦٣- ١٦٥).
واختارَ تفسيرَ الصابئة بنحوِ ما ذُكر: ابنُ تيمية في ((الجواب الصحيح)) (٣/ ١٢٣)، وابن القيم في ((إغاثة اللهفان)) (٢/ ٢٥٠- ٢٥٢)، وابن كثير في ((تفسيره)) (١/ ٢٨٧)، وابن عثيمين في ((تفسير الفاتحة والبقرة)) (١/ ٢٢٢).
قال ابنُ كَثير: (وأظهرُ الأقوالِ- والله أعلم- قولُ مجاهدٍ ومتابعيه، ووهْبِ بن مُنبِّه: أنَّهم قومٌ ليسوا على دِينِ اليهود ولا النصارى ولا المجوسِ ولا المشركين، وإنَّما هم قومٌ باقون على فِطرتهم، ولا دِينٌ مُقرَّرٌ لهم يتَّبعونه ويَقتفونه؛ ولهذا كان المشركون يَنبِزون مَن أسلم بالصابئيِّ، أي: إنَّه قد خرَج عن سائرِ أديان أهلِ الأرضِ إذ ذاك) ((تفسير ابن كثير)) (١/ ٢٨٧). وممَّن ذهَب من السلفِ في تفسيرِ الصَّابئة إلى نحوِ ما ذُكر: ابنُ زيد. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٢/ ٣٦).

الدِّين، وعمِلَ عملًا صالحًا، بأنْ يكون خالصًا لله تعالى، مُوافقًا لشريعتِه التي وجَبَ عليه اتِّباعُها[١].

وهذا الحُكمُ بينَ هذه الطَّوائفِ مِن حيثُ هي؛ فكلُّ مَن اتَّبع رسولَه المرسَلَ إليه في زَمانِه- قَبل بَعثةِ محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّمَ- فهو على هُدًى ونجاةٍ، فأمَّا بعدَ بَعثةِ محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّمَ، فلا يُعدُّ مُؤمنًا مَن لم يُؤمنْ بِرسالتِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، ولم يَعملْ بمقتضاها[٢].

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

أي: فلا خَوفٌ عليهم ممَّا يَستقبِلونه، ولا هُم يَحزنونَ على ما يُخلِّفونَه[٣].

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (٧٠)﴾.

مناسَبَةُ الآيةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا كانتِ البِشارةُ في الآيةِ السابقةِ مُوجِبةً للدُّخولِ في الإيمانِ، والتعجُّبِ ممَّن لم يُسارعْ إليه، وكان أكثرُ أهلِ الكتابِ إنَّما يُسارِعون في الكُفرِ، كان الحالُ مقتضيًا لتذكُّرِ ما مضَى مِن أخْذِ الميثاقِ عليهم، وزِيادةِ العَجَبِ منهم مع ذلِك، فأعادَ سبحانه الإخبارَ به مؤكِّدًا له؛ تحقيقًا لأمْره، وتفخيمًا لشأنه، مُلتفِتًا مع التذكيرِ بأوَّلِ قَصصِهم في هذه السُّورةِ إلى أوَّلِ السُّورةِ ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[٤]

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٧٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٦٦- ١٦٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٦) (١/ ٢٨٤- ٢٨٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٦٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٧٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٦٩).

(٤) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٢٤٣) وينظر أيضًا: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٠٤).

[المائدة: ١]، فقال:

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا﴾.

أي: واللهِ لقدْ أخَذْنا على اليهودِ عهدًا ثَقيلًا مؤكَّدًا، بالإيمانِ باللهِ تعالى وتوحيدِه، والقيامِ بما أوجبَه عليهم، وأرسَلْنا إليهم بذلك رُسلًا، يَتوالَون عليهم بالدَّعوة، ويتعاهدونهم بالتوجيهِ، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[1] [المائدة: ١٢].

﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾.

أي: كلَّما أتاهم رسولٌ مِن أولئك الرُّسلِ الكِرامِ عليهم السَّلام، بما لا تَشتهيه نُفوسُهم، ولا يُوافق رَغباتِهم، نقَضوا تلك العُهودَ والمواثيقَ، وعانَدوا تِلك الرُّسلَ وعادَوْهم، فقاموا بتكذيبِ بعضِهم، وقتَلوا بعضًا آخَرين[2].

﴿وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ٧١﴾.

﴿وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾.

أي: وظنَّ بنو إسرائيلَ ألَّا يترتَّبَ- جرَّاءَ ما كانوا يَفعلونَ مِن نَقضِ المواثيقِ،

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٧٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٨٢- ١٨٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٧٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٨٣- ١٨٤).

وتكذيبِ رُسلِ الله تعالى وقتْلهم- شرٌّ وعُقوباتٌ تَحيقُ بهم[١].

﴿فَعَمُواْ وَصَمُّواْ﴾.

أي: فترتَّبَ على ظنِّهم الفاسدِ هذا: أنِ استمرُّوا على طُغيانهم، فَعَمُوا عن رُؤيةِ الحقِّ، وَصَمُّوا عن سَماعِه، فلا يَسمعونَ حقًّا، ولا يَهتدُون إليه[٢].

﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾.

أي: ثمَّ وفَّقهم اللهُ تعالى للتَّوبةِ، وقَبِلَها منهم، ورفَعَ عنهم الفتنةَ التي عاقَبَهم بها، فأنابوا ورَجَعوا عمَّا كانوا عليه من الهَوى إلى الهُدَى[٣].

﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ﴾.

أي: ثمَّ بعدَ توبةِ اللهِ تعالى عليهم، واستنقاذِهم من الهَلَكةِ لم يَستمرَّ كثيرٌ منهم على التَّوبةِ، فانقلبوا إلى حالِهم القبيحةِ الأولى، وعادوا إلى ضلالِهم القديمِ، فعَمُوا مجدَّدًا عن رؤيةِ الحقِّ، وصمُّوا عن سماعِه[٤].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٧٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٨٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٧٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٨٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٧٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٧٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٨٨- ١٨٩).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٧٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٧٧).

قال ابنُ عاشور: (وقد وقَف الكلامُ عند هذا العَمى والصَّمم الثاني، ولم يذكرْ أنَّ الله تابَ عليهم بعده؛ فدلَّ على أنهم أعرضوا عن الحقِّ إعراضًا شديدًا مرةً ثانيةً، فأصابتهم فتنةٌ لم يتُبِ اللهُ عليهم بعدها) ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٧٧).

وقال الشِّنقيطيُّ: (ذكَر تعالى في هذه الآية الكريمة أنَّ بني إسرائيل عَمُوا وصمُّوا مرَّتين، تَتخلَّلهما توبةٌ من الله عليهم، وبيَّن تفصيلَ ذلك في قوله: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

أي: إنَّ اللهَ تعالى مُطَّلِعٌ على جميعِ أعمالِهم لا يَخفَى عليه شيءٌ منها، ويُجازِيهم عليها يومَ القيامةِ(١).

الفَوائِدُ التَّربويَّة:

١- يُستفادُ من قولِه: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أنَّ ثواب اللهَ عزَّ وجلَّ لا يَنبني على حَسَبٍ ولا نسبٍ، وإنَّما يَنبني على الإيمانِ والعملِ الصَّالحِ؛ كما قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(٢) [الحجرات: ١٣].

٢- يُستفادُ من قولِه: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًاۖ

لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۞ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۞ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۞ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤-٧]، وبيَّن التوبةَ التي بينهما بقولِه: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾، ثم بيَّن أنَّهم إنْ عادُوا إلى الإفساد عاد إلى الانتقامِ منهم بقوله: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: ٨]، فعادوا إلى الإفسادِ بتكذيبه صلَّى الله عليه وسلَّم، وكتْمِ صِفاته التي في التوراة، فعاد اللهُ إلى الانتقامِ منهم، فسلَّط عليهم نبيَّه صلَّى الله عليه وسلَّم فذَبح مُقاتِلةَ بني قريظة، وسبَى نساءَهم وذراريَّهم، وأجْلى بني قَيْنُقاع وبني النَّضير، كما ذكَر تعالى طرفًا من ذلك في سورة الحشر، وهذا البيانُ الذي ذكَرْنا في هذه الآية ذكَرَه بعضُ المفسِّرين، وكثيرٌ منهم لم يَذكُرْه، ولكن ظاهر القرآن يَقتضيه؛ لأنَّ السياق في ذِكر أفعالهم القبيحة الماضية، من قتْل الرسل، وتكذيبهم؛ إذ قبل الآية المذكورة: ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾) ((أضواء البيان)) (١/ ٤١٧- ٤١٨) وينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٧٧- ٢٧٨).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٧٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٣٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٧٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٩٠).

(٢) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٧٠).

﴿كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ﴾ التَّحذيرُ ممَّا فعلتْ بنو إسرائيلَ مِن تكذيبِ الرُّسلِ والعُدوانِ عليهم؛ لأنَّ اللهَ لم يقُصَّ قَصصَ الأنبياءِ وقَومِهم للعِلمِ بالتَّاريخ فقط؛ بل للاعتبارِ بها؛ كما قال تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[1] [يوسف: ١١١].

٣- الحذرُ مِن هوى النَّفْس، وأنَّ هوى النَّفْسِ قد يؤدِّي إلى الهلاكِ، وإلى فِعْلِ ما يَقبُحُ شرعًا وعقلًا؛ لقوله: ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ﴾[2].

٤- التحذيرُ مِن الأمنِ مِن مَكْرِ اللهِ، وأنَّ ذلك مِن خُلُقِ اليهودِ؛ وذلك بأنْ يأمنَ الإنسانُ مِن مكرِ الله، ويظنَّ أنَّ معصيتَه لا يَعقبُها عقابٌ؛ لقوله: ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾[3].

٥- أنَّ الله تعالى قد يتوبُ على المرءِ بعدَ عَماهُ وصَمَمِه؛ لقوله: ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ بعدَ أنْ ذكرَ أنَّهم عَموا وصمُّوا[4].

٦- الحذرُ مِن بَطَرِ النِّعمةِ بالعَوْدِ إلى الفُسوقِ والكُفرانِ؛ لأنَّ اللهَ هدَّدَهم بقولِه: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾[5].

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائف:

١- يُستفادُ مِن قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ أنَّه يَنبغي التعبيرُ عن اليهودِ بـ(اليهود) وعن النَّصارى بـ(النَّصارى)؛ لأنَّ ذلك

(١) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٨٦).

(٢) ينظر: ((المصدر السابق)).

(٣) ينظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ١٩١).

(٤) ينظر: ((المصدر السابق)).

(٥) ينظر: ((المصدر السابق)).

استخدامُ القُرآنِ واستعمالُه[١].

٢- قال تعالى في سُورةِ البَقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٦٣]، وهنا قال في سورةِ المائدة: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾؛ فإنَّ النصارى أفضلُ مِن الصَّابئين، فلمَّا قُدِّموا عليهم نصبَ لفظ (الصَّابئين)، ولكن (الصَّابئون) أقدمُ في الزَّمان فقُدِّموا هاهنا؛ لتقدُّمِ زمنِهم، ورُفِعَ اللَّفظ؛ ليكونَ ذلك عَطفًا على المحلِّ؛ فإنَّ المعطوفَ على المحلِّ مرتبتُه التأخيرُ؛ ليُشعِرَ أنَّهم مؤخَّرون في المرتبةِ، وإنْ قُدِّموا في الزمنِ واللَّفظ[٢].

٣- يُستفادُ مِن قولِه: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا﴾ أنَّه مِن رحمةِ اللهِ تبارَك وتعالى بعبادِه أنَّه لم يَكِلْهم سبحانه وتعالى إلى ما عَلِموه بفِطَرِهم، بل أرسلَ إليهم الرُّسلَ؛ لتؤكِّدَ ذلك[٣].

٤- أنَّ المتكلِّمين الذين بنَوا أصولَ عَقيدتِهم على العقلِ فيهم شَبَهٌ من اليهود؛ لقوله: ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ﴾ إلى آخِرِه؛ فإنَّهم إذا أتاهم النصُّ بما لا يَرَون كذَّبوه إنِ استطاعوا إلى ذلك سبيلًا، أو حرَّفوه إنْ لم يستطيعوا إلى ذلِك سبيلًا؛ لأنَّهم يرون مرجعَ ما أخبَر الله به عن نفْسِه العقلَ، فإذا جاءَ النصُّ بما لا يَهْوَونَ حسَبَ عقولهم كذَّبوه وأنكروه[٤].

٥- في قولِه تعالى: ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ لطيفةٌ جليلةٌ؛ حيث بُدِئ بالعَمى لأنَّ أوَّلَ ما يَعرِض للمُعرِض عن الشَّرائعِ أنْ لا يُبصِر مَن أتاه بها

(١) ينظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ١٧٠).

(٢) ينظر: ((الصفدية)) لابن تيمية (٢/ ٣٠٤).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٨٥)

(٤) ينظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ١٨٦).

مِن عند الله، ثم لو أبْصَره لم يَسمَعْ كلامَه، فعرَض لهم الصَّممُ عن كلامِه، ولَمَّا كانوا قبلَ ذلك على طريقِ الهدايةِ، ثم عرَضَ لهم الضَّلالُ، نُسِبَ الفعلُ إليهم وأُسْنِد لهم، فقال: ﴿عَمُواْ وَصَمُّواْ﴾، ولم يقُلْ سبحانَه وتعالى: (فأَعْماهُم اللهُ وأصمَّهم)[1].

بَلاغَةُ الآياتِ:

١- قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ فيه: تقديمٌ وتأخير- على أحدِ أوجهِ الإعرابِ في الآية-، كأنَّه قيل: إنَّ الذين آمنوا والذين هادُوا والنَّصارى حُكمُهم كذا، والصَّابِئون كذلك، وفائدتُه: التنبيهُ على أنَّ الصَّابئين يُتابُ عليهم إنْ صَحَّ مِنهم الإيمانُ والعَملُ الصَّالح؛ فما الظنُّ بغَيرِهم[2]؟!

٢- قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فيه: تكريرٌ؛ حيث قال في أوَّل الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ثم قال في آخِرها: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾، وفي هذا التكريرِ فائدتان؛ الأولى: أنَّ المنافقين كانوا يَزعُمون أنَّهم مؤمنونَ، فالفائدةُ في هذا التكريرِ إخراجُهم عن وعْدِ عدمِ الخوفِ، وعدمِ الحُزن. الفائدة الثَّانية: أنَّه تعالى أطْلَقَ لفْظَ الإيمان، والإيمان يَدخُلُ تحتَه أقسامٌ، وأشرفُها الإيمانُ باللهِ واليومِ الآخِر، فكانتِ الفائدةُ في

(١) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٢٨).

(٢) ينظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٦٠).
وهذا الوجْهُ على القولِ بأنَّ الصَّابئين مِن المشركينَ كانوا يَعبُدون الملائكةَ أو الكواكبَ؛ فيكون الصَّابئونَ أشدَّ الفِرَقِ المذكورينَ في هذِه الآيةِ ضلالًا، فكأنَّه قيل: كلُّ هؤلاء الفِرق إنْ آمنوا وعمِلوا صالحًا قَبِلَ اللهُ توبتَهم وأزالَ ذَنبَهم، حتى الصَّابئون؛ فإنَّهم إنْ آمنوا كانوا أيضًا كذلك. ينظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٠٢).
وأمَّا على القولِ بأنَّ الصابئةَ حُنفاءُ مِن الذين بَقُوا على فِطرتهم بتوحيدِ اللهِ تعالى؛ فليس فيه هذا الوجهُ.

الإعادةِ التنبيهَ على أنَّ هذينِ القِسمينِ أشرفُ أقسامِ الإيمانِ[(١)].

٣- قوله: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا﴾ استئنافٌ عادَ به الكلامُ على أحوالِ اليهودِ وجَراءتِهم على اللهِ وعلى رُسلِه، وفيه: تعريضٌ باليأس مِن هَديهم بما جاء به محمَّدٌ صلَّى الله عليه وسلَّم، وبأنَّ ما قابَلوا به دَعوتَه ليس بِدْعًا منهم، بل ذلك دأْبُهم جيلًا بعدَ جيلٍ[(٢)].

٤- قوله: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾: عبَّر أوَّلًا بالفِعلِ الماضي ﴿كَذَّبُوا۟﴾ لتقريرِ الأمْرِ الواقِع، ثمَّ عبَّر بالفِعل المضارِع ﴿يَقْتُلُونَ﴾ على حِكايةِ الحالِ الماضية؛ استفظاعًا للقتْلِ، واستحضارًا لِتلك الحالِ الشَّنيعةِ؛ للتعجُّب منها، وللتَّنبيهِ على أنَّ ذلك دَيْدنُهم المستمِرُّ؛ ففيه تصويرُ جُرمِ القَتلِ الشَّنيع، واستحضارُ هَيئتِه المنكَرَة كأنَّه واقعٌ في الحال؛ للمبالغة في النَّعيِ عليهم، والتوبيخِ لهم؛ فقد أفادت الآيةُ أنَّهم بلغوا من الفسادِ، واتِّباعِ أهوائهم مبلغًا كبيرًا، حتى لم يَعُدْ يؤثِّر في قلوبِهم وعْظُ الرسل وهديُهم، بل صارَ يُغريهم بزيادةِ الكُفر والتكذيبِ، وقتْلِ أولئك الهُداةِ الأخيارِ، وفيه إشارةٌ إلى استمرارِ قتْلِهم للأنبياءِ، وأنه أصبح دَيدنَهم المستمرَّ؛ لأنَّ الفعلَ المضارع يدلُّ على الاستمرارِ. أو يكونُ الفِعل المضارع ﴿يَقْتُلُونَ﴾ حالًا على حقيقتِه؛ لأنَّهم حاوَلَوْا قتْلَ نَبيِّنا مُحمَّدٍ عليه أفضلُ الصلاةُ والسَّلام؛ فيكونُ في هذا- والله أعلم- إشارةٌ إلى أنَّهم لا يَزالون يَقتُلون الأنبياءَ حتى آخِرهم عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، وهو محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم. وفي التعبيرِ بالفِعلِ المضارِع ﴿يَقْتُلُونَ﴾ أيضًا مُحافظةٌ على رُؤوس الآي الكريمةِ[(٣)].

---

(١) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٠٤).

(٢) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٧٢).

(٣) ينظر: ((تفسير الزمخشري- مع الحاشية)) (١/ ٦٦٢-٦٦٣)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٦٣)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٣٩٨)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٧٤)، ((تفسير

- وقوله: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ أيضًا فيه نوعٌ مِنَ الالتِفات، وهو التفاتٌ مِن الإخبارِ بالفِعل الماضي إلى الإخبارِ بالفِعلِ المضارع، وهذا مِن أدقِّ الأمورِ، ولا يُتاحُ في الاستعمالِ إلَّا للعارفِ برموزِ الفصاحةِ والبلاغةِ(١).

- وتقديمُ المفعولِ ﴿فَرِيقًا﴾ في الموضعَينِ؛ للاهتِمامِ به، وتشويقِ السَّامعِ إلى ما فَعَلوا به لا للقَصر(٢)؛ فقدَّم المفعولَ هنا؛ لأنَّ التقديمَ إنَّما يكونُ لشِدَّة العنايةِ؛ فالتكذيبُ والقتلُ وإنْ كانَا مُنكَرينِ إلَّا أنَّ تكذيبَ الأنبياءِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ وقتلهم أقبحُ، فكان التقديمُ لهذه الفائدةِ(٣).

٥- قوله: ﴿وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ **فيه:** إيجازٌ بديعٌ؛ لأنَّه ثَمَّةَ مجرورٌ مُقدَّرٌ دالٌّ عليه السِّياق، أي: ظنُّوا ألَّا تَنزِلَ بِهم مَصائبُ في الدنيا، فأَمِنوا عِقابَ الله في الدنيا، بعد أن استخفُّوا بعذاب الآخِرة، وتوهَّموا أنَّهم ناجون منه؛ لأنَّهم أبناءُ اللهِ وأحباؤه، وأنَّهم لن تمسَّهم النارُ إلَّا أيامًا معدودة؛ فمِن بديع إيجاز القرآن أنْ أوْمَأَ إلى سُوءِ اعتقادِهم في جزاءِ الآخِرة، وأنَّهم نبَذوا الفِكرةَ فيه ظِهريًّا، وأنَّهم لا يُراقبون اللهَ في ارْتِكابِ القبائحِ، وإلى سوءِ غَفلتِهم عن فِتنة الدُّنيا، وأنَّهم ضالُّون في كِلا الأمْرَينِ(٤).

- وعطَف ﴿فَعَمُوا۟﴾ على ﴿حَسِبُوٓا﴾ بالفاءِ؛ للدَّلالةِ على تَرتيبِ ما بعدَها

ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٨٤)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحيي الدين درويش (٢/ ٥٣٠)، وينظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٠٥).

(١) ينظر: ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحيي الدين درويش (٢/ ٥٣٠).

(٢) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٦٣).

(٣) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٠٥).

(٤) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٧٦).

على ما قَبْلَها، أي: أمِنوا بأسَ الله تعالى، فتمادَوا في فُنونِ الغَيِّ والفساد، وعمُوا عن الدِّينِ بعدما هداهم الرُّسل إلى معالِمه الظَّاهرة، وبيَّنوا لهم مناهِجَه الواضِحَة[١].

- وعطَفَ قولَه: ﴿فَعَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ الأوَّل بالفاءِ، وعَطَفَ قولَه: ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ الثاني بـ(ثم)، وهو معنًى حَسَنٌ؛ ففي العَطفِ بالفاءِ دليلٌ على أنَّهم عَقيبَ الحُسبانِ، حصَل لهم العَمى والصَّمم من غيرِ تراخٍ، وفي العطف بـ﴿ثُمَّ﴾ دليلٌ على أنَّهم تَمادَوْا في الضلالِ زمانًا إلى أنْ تابَ اللهُ عليهم[٢].

- وأَسْنَدَ الفِعلَ الحسَنَ الشَّريفَ ﴿تَابَ﴾ في قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ إلى نَفْسِه سُبحانَه، ولم يقُل: (تَابُوا)؛ إظهارًا للاعتناءِ بهم، ولُطفِه تعالى بِهم. وأَسْندَ الفِعلَين ﴿عَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ إليهم، بخِلافِ قولِه: ﴿فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ [محمد: ٢٣]؛ لأنَّ هذا فيمَن لم يَسْبِقْ له هِدايةٌ[٣].

٦- قوله: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾: الجُملةُ تذييلٌ أُشيرَ به إلى بُطلانِ حُسبانِهم المذكورِ، ووقوعِ العذابِ مِن حيثُ لم يَحتسِبوا؛ إشارةً إجماليَّةً اكتُفيَ بها تعويلًا على ما فُصِّل نوعَ تفصيلٍ في سورة بني إسرائيل، والتقدير: حسِبوا ألَّا يُصيبَهم عذابٌ ففعَلوا ما فعَلوا من الجناياتِ العظيمةِ المستوجبةِ لأشدِّ العقوباتِ، واللهُ بصيرٌ بتفاصيلِها؛ فكيفَ لا يُؤاخِذُهم بها، ومِن أينَ لهم ذلِك الحسبانُ الباطلُ[٤]؟!

---

(١) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٦٤).

(٢) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٢٨)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٣٧٣)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٤٥٧).

(٣) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٢٨)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٣٧٣)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٤٥٧).

(٤) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٦٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٧٩).

- وناسَب ختْمُ الآيةِ بهذه الجُملةِ ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ المشتمِلةِ على ﴿بَصِيرُۢ﴾؛ إذ تَقدَّم قبلَه ﴿فَعَمُواْ﴾[1].

- وقوله: ﴿يَعۡمَلُونَ﴾ جاءَ على صِيغةِ المضارعِ لحِكايةِ الحالِ الماضية؛ استحضارًا لصورَتِها الفَظيعة، ورِعايةً للفَواصِل[2]؛ ففائدةُ التعبيرِ بقولِه: ﴿يَعۡمَلُونَ﴾ بمعنى الماضي، استحضارُ صُورةِ أعمالِهم في ماضيهم، وتمثيلُها لهم ولغيرِهم في حاضرِهم، وإنَّما تَحسُنُ هذه النكتةُ في العملِ المعيَّنِ المهمِّ الذي يُراد التذكيرُ به بعدَ وقوعِه، بجَعْل الزمنِ الحاضرِ مرآةً للزمنِ الغابرِ، ولا يظهرُ هذا الحُسن في الأعمالِ المطلَقةِ المُبهمَةِ[3].



(١) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٢٨).
(٢) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٦٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٧٩).
(٣) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٣٩٩).

الآيات (٧٢ - ٧٧)

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ
يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ
الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ
قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا
يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى
اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ
إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ
الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ
(٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا
تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ
السَّبِيلِ (٧٧)﴾.

غريبُ الكَلِمات:

﴿وَمَأْوَاهُ﴾: مَصِيرُه الَّذِي يَأوي إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَصِيرُ فِيهِ؛ يُقال: أَوى إلى كذا، أي: انضمَّ إليه يأوي أويًا ومأوًى، وأصْله: التَّجمُّع[١].

﴿لَيَمَسَّنَّ﴾: ليُصيبَنَّ، والمسُّ يُقال في كلِّ ما يَنال الإنسانَ مِن أذًى[٢].

﴿صِدِّيقَةٌ﴾: كَثُر منها الصِّدقُ والتَّصدِيقُ، والصِّدِّيقُ يُقال لِمَن لا يَكذبُ قطُّ، وقيل لِمَن لا يَتأتَّى منه الكذبُ؛ لتعوُّدِه الصِّدقَ، وقيل لِمَن صدَقَ بقوله

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٦/ ٣٢٥)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ١٥١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٠٣).

(٢) يُنظر: ((المفردات)) للراغب (ص: ٧٦٧)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٨٣).

واعتقادِه وحقَّق صِدقَه بفِعلِه، وأَصْلُ (صدق) يدلُّ على قوَّةٍ في الشيءِ قولًا كان أو غيرَه[١].

﴿يُؤْفَكُونَ﴾: أي: يُصرَفون عن الحقِّ، ويعدلون عنه؛ يُقال: أفِكَ الرجلُ عن كذا: إذا عدَلَ عنه، والإفك: كلُّ مصروفٍ عن وجهِه الذي يحقُّ أن يكونَ عليه، وأَصْلُ (أفك): يدلُّ على قلبِ الشيءِ، وصرْفِه عن جِهتِه[٢].

﴿لَا تَغْلُواْ﴾: أي: لا تُجاوِزوا الحدَّ المسموحَ لكم به، ولا تَرتفِعوا عن الحقِّ، أو لا تَزيدوا ولا تُفرِطوا فيه، والغلوُّ: الإفراطُ والزيادةُ، ومجاوزةُ الحدِّ المسموحِ به[٣].

﴿ضَلُّواْ﴾: عَدَلُوا عن الطريقِ المستقيم؛ فالضَّلالُ: خِلافُ الهُدى، وضَياعُ الشَّيءِ وذَهابُه في غيرِ حقِّه[٤].

﴿وَأَضَلُّواْ﴾: أَوْقَعوا النَّاسَ في الضَّلالِ[٥].

﴿سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾: أي: قصْدِ الطريقِ ووسَطِه[٦].

مُشكِلُ الإعرابِ:

١- قوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾.

(١) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٣٣٩)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٧٩).
(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٥)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ١١٨)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٧٩)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨٥).
(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٦١٣)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦١٣)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٧)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٥)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٩٧٥).
(٤) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٣٥٦) (٦/ ٤٢)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٥٠٩).
(٥) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦/ ٤٢) و(٣/ ٣٥٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٥٠٩).
(٦) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤١)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٢٥٨)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٨٩، ١٤٩).

﴿مِنۡ إِلَٰهٍ﴾: ﴿مِنۡ﴾ صِلةٌ في المبتدأِ لوجودِ الشَّرطين، وهما كونُ الكلامِ منفيًّا، وتنكيرُ المجرورِ بها. و﴿إِلَٰهٍ﴾ مُبتدأٌ مجرورٌ لفظًا بـ ﴿مِنۡ﴾، مرفوعٌ محلًّا.

﴿إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: ﴿إِلَٰهٌ﴾ مرفوعٌ على أنَّه بدلٌ مِن مَحلِّ ﴿إِلَٰهٍ﴾؛ لأنَّه مَرفوعٌ محلًّا، مَجرورٌ لَفْظًا بـ ﴿مِنۡ﴾ الاستغراقيَّة، والتَّقديرُ: وما إلهٌ مُستَحِقٌّ للعبادَةِ إلَّا إلهٌ متَّصِفٌ بالوحدانيَّة[1].

٢- قوله: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾.

﴿غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾: ﴿غَيۡرَ﴾ مَنصوبٌ، وفي نَصْبِه أوجُهٌ؛ منها: أنَّه نائِبٌ عن المفعولِ المُطْلَق؛ لأنَّه نَعْتٌ لِمَصدرٍ محذوفٍ؛ أي: لا تَغْلُوا في دِينِكم غُلُوًّا غيرَ الحَقِّ. ومنها: أنَّه مَنصوبٌ على الحالِ مِن ضَميرِ الفاعِلِ (واو الجماعة) في ﴿تَغۡلُواْ﴾ أي: لا تَغْلوا مُجاوِزينَ الحَقَّ. وقيل غيرُ ذلك[2].

المَعنَى الإجْمالِيُّ:

يؤكِّدُ اللهُ تعالى كُفْرَ النَّصارى، الذين جعَلوا اللهَ تعالى هو المسيحَ عيسى عليه السَّلامُ، وقدْ قال المسيحُ عيسى لبني إسرائيلَ: اعبُدوا اللهَ وحْدَه؛ فهو ربِّي وربُّكم؛ إنَّه مَن يَعبُد مع اللهِ غيرَه، فقدْ حرَّم عليه اللهُ دُخولَ الجَنَّةِ، ومُستقَرُّه النارُ، وليس لِمَن ظلَمَ نفْسَه بالشِّركِ من نصيرٍ يمنعُه من عذابِ اللهِ، أو يُنقِذُه منه.

كما يُؤكِّدُ سبحانه كُفرَ الَّذين زعَموا من النَّصارى أنَّ عيسى وأمَّه إلَهانِ مع اللهِ تعالى، فجعلوه جلَّ وعلا ثالثَهم، تعالى اللهُ عن ذلِك! فما من معبودٍ بحقٍّ

(١) يُنظر: ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (١/ ٢٣٥)، ((التبيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/ ٤٥٣)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٣٧٤- ٣٧٥).

(٢) يُنظر: ((التبيان في إعراب القرآن)) للعُكبري (١/ ٤٥٤)، ((الدر المصون)) للسَّمين الحلبي (٤/ ٣٨٠)، ((المجتبى من مُشكل إعراب القرآن)) للخراط (١/ ٢٤١).

سواه، ثم بيَّن سبحانه سوءَ عاقبةِ هؤلاءِ الضَّالينَ الذين قالوا ما قالوا، وأنَّه إن لم يرجعْ هؤلاءِ عن هذه المقولةِ الكُفْريَّةِ، والفِريةِ العظيمةِ، فسيُصيبُ الذين كفروا منهم- بتمسُّكهم بِها- عذابٌ مؤلِم مُوجِعٌ، وبعدَ هذا التَّرهيبِ الشَّديدِ للكافرينَ مِن العَذابِ الأليمِ، فتَح لهم سبحانه بابَ رحمتِه؛ حيثُ رغَّبَهم في الإيمانِ، وحضَّهم على التَّوبةِ والاستغفارِ؛ فإنَّ الله سبحانه غفورٌ رحيمٌ.

ثم بَيَّن تعالى حقيقةَ المسيحِ وأُمِّه؛ فهما ليسَا كما زعَم هؤلاءِ الكَفَرةُ مِن النَّصارى، بل المسيحُ هو ابنُ مريمَ، وهو رسولٌ مِن رُسُلِ اللهِ كسائرِ عِبادِ اللهِ المرسَلينَ الذين كانوا مِن قَبلِه، وأمُّه صِدِّيقةٌ، كانَا يأكلانِ الطعامَ، ويَحتاجانِ للتغذيةِ كغيرهما مِن بني آدَمَ، فانظرْ- يا محمَّدُ- كيف يُبيِّن اللهُ لهم الأدلَّةَ والحُجج، ثم انظرْ كيف يُصرَفون عن الحقِّ، ويَضِلُّون عن هذه الأدلَّةِ الواضحة، وقلْ- يا مُحمَّدُ- لهؤلاءِ الكَفَرةِ من النَّصارى مُنكرًا عليهم: أَتعبُدونَ غيرَ اللهِ ممَّن لا يَملِك لكم ضرًّا ولا نفعًا، واللهُ هو السَّميعُ العليمُ؟!

وأمَرَ اللهُ سبحانه نبيَّه أن ينهاهم عن الغُلوِّ الباطِلِ في دِينِهم، وألَّا يَتَّبِعوا أهواءَ أكابرِهم ورُهبانِهم الجَهَلةِ الذين ضلُّوا من قبلُ، وأضلُّوا كثيرًا غيرَهم، وانحرَفوا عن الطَّريقِ المستقيمِ.

تَفْسيرُ الآياتِ:

﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ٧٢﴾.

مناسَبَةُ الآيةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا تكلَّم اللهُ عن اليهودِ في الآياتِ السَّابقةِ، شرَعَ في الكلامِ هاهنا عن

النَّصارى[1] فقال تعالى:

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾.

أي: لقد كفَر النَّصارى[2] الَّذين جعَلوا اللهَ تعالى هو عَبْدَه ورسولَه المسيحَ

(١) ينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٢٤٧)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٤٠٠)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٤٥٨).

(٢) مِن المفسِّرين مَن ذهَب إلى أنَّ قولَه تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ في طائفةٍ من النَّصارى، وأنَّ قولَه: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ في طائفةٍ أُخرَى منهم. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٧٩)، ((تفسير الثعلبي)) (٤/ ٩٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٨١- ٢٨٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٠٤).
ورجَّح ابنُ تيميةَ أنَّ هذه الأقوالَ جميعَها قولُ طوائفِ النصارى.
قال ابنُ تيميةَ: (مِن النَّاس مَن يظنُّ أنَّ هذا قولُ طائفةٍ منهم، وهذا قولُ طائفةٍ منهم، كما ذكَره طائفةٌ مِن المفسِّرين، كابنِ جريرٍ الطبريِّ والثعلبيِّ وغيرِهما، ثم تارةً يحكون عن اليعقوبيةِ أنَّ عيسَى هو اللهُ، وعن النسطوريةِ أنَّه ابنُ الله، وعن المريوسيةِ أنَّه ثالثُ ثلاثةٍ، وتارةً يحكون عن النسطوريةِ أنَّه ثالثُ ثلاثةٍ، وعن الملكيةِ أنَّه الله، ويفسِّرون قولَهم: ثالثُ ثلاثةٍ بالآب والابنِ ورُوح القُدسِ. والصوابُ أنَّ هذه الأقوالَ جميعَها قولُ طوائفِ النَّصارى المشهورةِ: الملكية واليعقوبية والنسطورية). ((الجواب الصحيح)) لابن تيمية (٢/ ١١).
وقال أيضًا: (وأمَّا استدلالُه بقولِه: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾، فهذا يَسلُكه طائفةٌ مِن النَّاس، ويقولون: قولُه تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ إشارةٌ إلى أحدِ أقوالهم الثلاثة، وهو قولُ اليَعاقبة القائلين بأنَّ اللاهوت والناسوت صارَ جوهرًا واحدًا كالماءِ واللبن، وقوله: ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ إشارةٌ إلى قولِ الملكيَّة، وقوله: ﴿ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ إشارةٌ إلى قول النسطوريَّة الذين يقولون بالحلولِ، وهو قولُهم بالأقانيمِ الثَّلاثة. وليس الأمرُ كما قال هؤلاءِ، بل ما ذكَره اللهُ تعالى هو قولُ النَّصارى جملةً؛ فإنَّهم يقولون: إنَّه اللهُ باعتبارٍ، وإنَّه ابنُ اللهِ باعتبارٍ آخَرَ، وقولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ بدليل المراد بقوله: ﴿يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ فعبَدوا معه المسيحَ وأُمَّه، فصارَ ثالثَ ثلاثةٍ بهذا الاعتبارِ) ((درء تعارض العقل والنقل)) (١٠/ ٢٣٨).
وقال أيضًا: (... وعلى هذا فتكون كلُّ آيةٍ ممَّا ذكَره الله من الأقوال تعمُّ جميعَ طوائفهم، وتعمُّ أيضًا بتثليث الأقانيم، وبالاتحادِ والحلول، فتعمُّ أصنافَهم وأصنافَ كُفرِهم، ليس يختصُّ كلُّ

عِيسى ابنَ مريمَ عليه السَّلام، الذي خلَقَه الله عزَّ وجلَّ بشرًا مثلَهم معروفًا نَسبُه وأصلُه[1].

﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾.

والحالُ أنَّ عيسى عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ قد ناداهم أنِ اعبدوا- يا بني إسرائيلَ- اللهَ المستحِقَّ وحْدَه للعِبادة، الذي أنا وأنتم عبيدٌ له مَربُوبون؛ فهو مالكُنا وخالقُنا، ومُدبِّرُ أمورِنا جميعًا سبحانَه وتعالى[2].

﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾.

أي: إنَّ مَنْ يقعْ في شَرَك الشِّركِ، فيَعبُد معَ اللهِ تعالى غيرَه، فحرامٌ عليه دخولُ الجَنَّةِ في الآخِرَة، وإنَّما تكونُ النارُ مقامَه الذي يستحقُّه، ودارَه التي يَأْوِي إليها[3].

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾.

أي: ولَيس لِمَن ظلَمَ نفْسَه بشِركِه باللهِ تعالى، ولا لأيِّ ظالمٍ كان، أيُّ ناصرٍ

آية بصنفٍ، كما قال مَن يزعم ذلك، ولا تختصُّ آيةٌ بتثليث الأقانيم، وآيةٌ بالحلول والاتِّحاد، بل هو سبحانه ذكَر في كلِّ آيةٍ كُفرَهم المشترَكَ، ولكنْ وصَفَ كُفرَهم بثلاثِ صِفاتٍ، وكل صِفة تستلزمُ الأخرى؛ أنَّهم يقولون: المسيحُ هو الله، ويقولون: هو ابنُ الله، ويقولون: إنَّ الله ثالثُ ثلاثة، حيث اتَّخذوا المسيحَ وأمَّه إلهينِ مِن دونِ الله، هذا بالاتِّحاد، وهذه بالحلول، وتَبيَّن بذلك إثباتُ ثلاثةِ آلهةٍ منفصلةٍ غيرِ الأقانيم) ((الفتاوى الكبرى)) (٦/ ٥٨٩- ٥٩٠).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٧٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٩٣- ١٩٤).
قال السعديُّ: (يُخبِر تعالى عن كُفرِ النَّصارى بقولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ بشُبهةِ أنَّه خرج من أُمٍّ بلا أَبٍ، وخالَف المعهودَ مِن الخِلقة الإلهيَّة) ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٧٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٨٠)، ((تفسير ابن عثيمين-سورة المائدة)) (٢/ ١٩٣- ١٩٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٧٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٩٣- ١٩٤).

يمنعُ عنه عذابَ اللهِ تعالى، أو يُنقِذُه منه(١).

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣﴾.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾.

أي: كفَر النَّصارَى الَّذين جعَلوا المسيحَ وأُمَّه إلهيْنِ مع اللهِ سبحانه، فجَعَلوا اللهَ تعالى وتقدَّس ثالثَهم(٢).

كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٧٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٩٨).

قال ابنُ عاشور: (وجملة ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٖ﴾ يحتمل أيضًا أن تكونَ من كلامِ المسيحِ عليه السَّلامُ على احتمالِ أن يكون قولِه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ مِن كلامه، ويحتمل أنْ تكونَ من كلام اللهِ تعالى؛ تذييلًا لكلام المسيح على ذلك الاحتمالِ، أو تذييلًا لكلامِ الله تعالى على الاحتمالِ الآخَر) ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٨١)، وينظر ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٩٧- ١٩٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٧٩-٥٨٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٠٤).

قال ابنُ عُثَيمين: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾ مَن هؤلاء الثلاثة؟ هؤلاءِ ذكَرهم اللهُ تعالى في هذه السُّورة: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦].

قوله: ﴿إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: معَ الله، فإذا كانَا إلهينِ من دونِ اللهِ واللهُ صاروا ثلاثةً؛ إذًا ﴿ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾ هو: الله، والمسيح، وأمُّه، هؤلاءِ هم الثلاثة، فسَّر ذلك القرآن، والقرآنُ يُفسِّر بعضُه بعضًا. وأمَّا ما قيل: إنَّه الابنُ والأب ورُوح القدس؛ ففيه نظرٌ، يعني: لا نُفسِّره بالقرآن، وإنْ كان قد يكونُ منهم، أو من المتأخِّرين منهم مَن يقول: إنَّ هؤلاءِ هم الثلاثة) ((تفسير ابن عثيمين-سورة المائدة)) (٢/ ٢٠٤-٢٠٥). ويُنظر: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٢/ ٤٤٤).

ثمَّ ردَّ اللهُ تعالى عليهم هذا القولَ الباطلَ(١)، فقال عزَّ وجلَّ:

﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾.

أي: ليسَ لكم- أيُّها الناسُ- معبودٌ بحقٍّ إلَّا معبودٌ واحدٌ غيرُ متعدِّدٍ، مُتَّصفٌ بكلِّ صِفةِ كمالٍ، مُنزَّهٌ عن كلِّ عيبٍ ونقص؛ ومنها: أنَّه ليس بوالدٍ لشيءٍ، ولا مولودٍ منه، بل هو خالقُ كلِّ والدٍ ومولودٍ، سبحانه(٢).

كما قال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

أي: وإنْ لم يَكُفَّ قائلو هذه المقالةِ الكُفريةِ عن القولِ بهذه الفِريةِ واعتقادِها، ليُصيبَنَّ مَن استمرَّ على كُفرِه منهم- بالتمسُّكِ بها- عذابٌ مؤلِمٌ، موجِعٌ لقلوبِهم وأبدانِهم في الآخِرة(٣).

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٧٤﴾.

مناسَبَةُ الآيةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا توعَّدَهم اللهُ تعالى، أعقبَ الوعيدَ بالتَّرغيبِ في الهدايةِ(٤)، فقال سبحانه:

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٢٠٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٨٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٠٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٨٠-٥٨١)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٨)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٨٣- ٢٨٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٠٧).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٨٤).

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥ﴾.

أي: هلَّا أنابوا إلى اللهِ تعالى، ورَجَعوا عمَّا كانوا يقولونَه مِن الشِّركِ والافتراءِ، إلى ما يُحبُّه اللهُ عزَّ وجلَّ ويَرضاه؛ مِن الإيمانِ به وتوحيدِه، والإقرارِ بأنَّ عيسى عبدُ اللهِ ورسولُه، ويَطلُبونَ منه سبحانه المغفرةَ[1]؟

كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

أي: واللهُ تعالى أهلٌ لأنْ يتوبوا إليه ويَستغفِروه؛ فإنَّهم إنْ فعَلوا تابَ عليهم وغفَر لهم؛ لأنَّه غفورٌ يَستُر ذنوبَ عِبادِه، ويتجاوزُ عن مؤاخَذتِهم بها. رحيمٌ بهم، ومِن رحمتِه أنْ يَعرِض عليهم التوبةَ إليه، ويَقبَلَها منهم[2].

﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥﴾.

﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾.

أي: ليس الأمرُ كما قال هؤلاءِ الكفرةُ في المسيحِ عليه السَّلام، بل الحقُّ أنَّه ابنُ مريمَ التي ولدتْه ولادةَ الأمَّهات لأبنائهنَّ، كغيرِه من البَشَرِ، وهو للهِ تعالى رسولٌ مثلُ سائرِ عبادِه المرسَلين، الذين كانوا قبلَه ثم مَضَوا، فهذه غايتُه ومَبْلَغُ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٨١)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢١٠- ٢١١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٣٢، ٥٨١- ٥٨٢)، ((التفسير الوسيط)) للواحدي (٢/ ٢١٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢١١).

أمْرِه، وليس هو اللهَ ولا ابنَ الله، كما يَزعُمون[١].

﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ﴾.

أي: وأمُّ المسيحِ مَريمُ عليها السَّلام صادقةٌ، مُصدِّقةٌ بآياتِ الله، مؤمنةٌ بعيسَى عليه السلام، مُصدِّقةٌ له، قد صدَّقت قولَها بفعلِها، وهذا أعْلى مقاماتِها[٢].

فإذا كان عيسى عليه السَّلامُ مِن جنسِ الرُّسلِ مِن قَبلِه، وأُمُّه صِدِّيقة؛ فكيف يتَّخذُهما النَّصارى إلهينِ مع الله سبحانه؟! تعالى عمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا[٣].

﴿كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾.

أي: كانَا محتاجَينِ إلى التغذيةِ بالطَّعامِ، وإلى خُروجِه منهما، كغيرِهما من بني آدَمَ، وليسَا بإلهينِ كما زعَم النَّصارى؛ إذ لو كانَا كذلك حقًّا لاستَغْنيَا عن الطعامِ؛ فالمفتقرُ إلى الغذاءِ قِوامُه بغيرِه، وفي قوامِه بغيرِه وحاجتِه إلى ما يُقيمه دليلٌ ظاهرٌ على عَجْزِه، والعاجزُ لا يكونُ ربًّا، بل مربوبٌ؛ فإنَّ الإلهَ الحقَّ مُستغنٍ عن غيرِه، كما وصَفَ اللهُ تعالى نفْسَه بقولِه: ﴿وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ﴾ [الأنعام: ١٤][٤].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٨٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢١٧- ٢١٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٨٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢١٨).

قال ابنُ القَيِّم: (والصِّديقيَّةُ هيَ كَمالُ الايمان بما جاءَ به الرَّسُولُ عِلمًا وتَصْديقًا وقيامًا؛ فهي راجعةٌ إلى نفْسِ العِلمِ؛ فكلُّ مَن كان أعلمَ بما جاءَ به الرسولُ وأكملُ تصديقًا له، كان أتَمَّ صِدِّيقيَّةً؛ فالصِّدِّيقيَّة شجرةٌ أصولُها العلمُ، وفُروعُها التصديقُ، وثَمرتُها العملُ). ((مفتاح دار السعادة)) (١/ ٨٠).

قال السعديُّ: (والصديقيَّة، هي العِلمُ النافعُ المثمِرُ لليقينِ والعَملِ الصَّالح) ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٠).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٨٢- ٥٨٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢١٨).

﴿انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾.

أي: انظُرْ - يا محمَّدُ- نظرَ تدبُّرٍ وإقرارٍ؛ كيف نُورِدُ لهؤلاءِ الكفرةِ الأدلَّةَ والحُججَ المجلِّيَةَ للحقِّ، الموضِّحةَ لبُطلانِ ما يَفترُون على ربِّهم[1].

﴿ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾.

أي: ثم انظُرْ - يا محمَّدُ- كَرَّةً أخرى نظرَ تعجُّبٍ وإنكارٍ؛ كيف يُصرَفونَ عن الحقِّ فيَضلُّون مع هذه البراهينِ الجليَّةِ التي لا تَدَعُ مجالًا للشكِّ؟! ومِن أينَ يتطرَّقُ إليهم الصرفُ عن الاعتقادِ الحقِّ، بعدَ هذا البيانِ البالغِ غايةَ الوضوح[2]؟!

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦)﴾.

مناسَبَةُ الآيةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا بيَّن تعالى بدَليلِ النَّقلِ والعقلِ انتفاءَ الإلهيَّةِ عن عِيسى عليه السَّلام، وكان قد توعَّدَ مَن زعَم ذلك، ثمَّ استَدْعاهم للتوبةِ، وطلبِ الغُفرانِ- أنكرَ عليهم، ووبَّخهم مِن وجهٍ آخرَ، وهو عجزُ عِيسى عليه السلام، وعدَمُ اقتدارِه على دفْعِ أيِّ ضررٍ، وجَلْبِ أيِّ نفعٍ، وأنَّ مَن كانَ لا يَدفعُ عن نفْسِه حريٌّ ألَّا يَدفعَ عنكُم[3]، فقال:

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾.

أي: قلْ -يا محمَّدُ- منكرًا على هؤلاءِ الكَفَرةِ مِن النصارى وغيرِهم:

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٨٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢١٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٨٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٨٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢١٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٣٤).

أَتعبدُونَ سوى اللهِ -الذي يَملِكُ ضرَّكم ونَفْعَكم- شيئًا لا يَقدِرُ على إلحاقِ أيِّ ضَررٍ بكم، ولا جَلْبِ أيِّ نفعٍ لكم[1]؟!

﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

أي: واللهُ عزَّ وجلَّ هو السَّميعُ لكلِّ شيءٍ، ومِن ذلِك أقوالُكم، العليمُ بكلِّ شيءٍ، ومِن ذلك أعمالُكم، فلِمَ عَدلْتُم عن إفرادِه سبحانه بالألوهيَّة، إلى تأليهِ مَن ليستْ هذه صِفتَه؟! فإنَّ الكاملَ الذي هذِه أوصافُه هو الإلهُ الحقُّ الذي يستحقُّ أنْ يُعبدَ وحْدَه[2].

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٧٧﴾.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾.

أي: قلْ - يا محمَّدُ - لهؤلاءِ النَّصارى الذين آتاهُم اللهُ تعالى كتابًا ينطِقُ بالحقِّ: لا تُفرِطوا فيما تَدينون به مِنَ الحقِّ في أمْرِ المسيحِ عليه السَّلام، ولا تُطْرُوا هذا الذي أُمرتُم بتعظيمِه فتُبالِغوا في شأنِه، وتتعدَّوْا فيه الحقَّ إلى الباطِلِ، فتُخرِجوه عن حيِّزِ النبوَّةِ إلى مقامِ الألوهيَّةِ[3].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٢٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٢٤- ٢٢٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٨٤- ٥٨٥)، ((الجواب الصحيح)) لابن تيمية (٤/ ٣٨٤- ٣٨٥)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (١٠/ ٥١٥- ٥١٦)، ((مدارج السالكين)) لابن القيم (١/ ٣٤- ٣٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤١).
وقد اختارَ ابنُ جرير، وابنُ تيميَّة، وابنُ القيِّم، وابنُ كثيرٍ، والسعديُّ: أنَّ الخطابَ في الآيةِ للنَّصارى. يُنظر المصادر السَّابقة.
واختارَ ابنُ عاشور، وابنُ عُثَيمين: أنَّ الخطابَ هنا لليهودِ والنَّصارى، ينظر: ((تفسير ابن عاشور))

﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

أي: ولا تَنقادُوا للأهواءِ المخالفةِ للحقِّ الصادرةِ مِن أكابرِكم ورُهبانِكم الجَهَلةِ[١] الذين كانوا مِن قبلِكم[٢]، وقد ابتَدعوا بِدَعًا بدَّلوا بها شَرْعَ المسيحِ عليه السَّلام، فحادوا عن طريقِ الهُدى، وصَرَفوا عنه كثيرًا من الناسِ، وانحرَفوا عنِ الصِّراطِ المستقيمِ[٣] المعتَدِلِ، الذي ليس فيه غلوٌّ ولا تفريطٌ[٤].

قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

الفَوائِدُ التَّربويَّة:

١- أنَّ إقرارَ الإنسانِ على غيرِه غيرُ مَقبولٍ؛ لأنَّهم ادَّعوا أنَّ اللهَ هو المسيحُ،

(٦/ ٢٩٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٢٩).

(١) ذهَب ابنُ جرير إلى أنَّ الذين ضلُّوا من قبل وأضلُّوا كثيرًا هم اليهودُ الذين بَهَتوا مريمَ عليها السلام، وكذَّبوا عيسى ومحمدًا عليهما الصَّلاة والسَّلام. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٨٥).
وممَّن ذهب إلى ذلِك من السَّلف مجاهد. ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٨٥)، ((تفسير ابن أبي حاتم)) (٤/ ١١٨١).

(٢) وقيل: قبل مجيءِ الإسلام.
قال ابنُ تيميَّة: (فذكَر سبحانه أنَّهم أضلُّوا مِن قبلِ مبعثِ محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم) ((الجواب الصحيح)) (٤/ ٣٨٤).
قال ابنُ عاشور: (قد ضلُّوا في دِينهم من قبلِ مجيءِ الإسلام) ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٩١).

(٣) وقيل: سواء السَّبيل: هو الإسلام.
قال ابنُ عاشور: (قوله: ﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ مقابل لقولِه: ﴿قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ فهذا ضلالٌ آخرُ، فتعيَّن أنَّ سواء السبيل الذي ضلُّوا عنه هو الإسلام... أي: قد ضلُّوا في دِينهم من قبلِ مجيء الإسلام، وضلُّوا بعد ذلك عن الإسلام) ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٩١).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٣٠- ٢٣٣).

وعيسى ابنُ مريمَ أنكرَ ذلك، فقال: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡ﴾؛ فأنا لستُ إلهًا تَعبدونني، بل أنا وأنتم على حدٍّ سواءٍ، كلُّنا مربوبون للهِ عزَّ وجلَّ[١].

٢- الاستدلالُ الملزِم للخَصم، وأنَّه يَنبغي للإنسانِ عند المجادلةِ أنْ يتَّبع أوضحَ الأدلَّةِ وأشدَّها إلزامًا للخَصم؛ لقوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ لم يقل: (اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)، قال: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡ﴾ إلزامًا لهم بعبادتِه؛ لأنَّهم مُقرُّون بالربوبيَّة، وهذا كقولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [البقرة: ٢١]، فقال: اعبُدوا ربَّكم إلزامًا لهم بالعبادةِ؛ لأنَّ اللهَ هو الذي خلقَهم، وهو الذي يَحكُم فيهم ويَحكُم بينهم[٢].

٣- فتْحُ بابِ التوبةِ لكلِّ مَن أساءَ وإنْ عظُمت إساءتُه؛ لقوله: ﴿وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ...﴾ الآية، فالله تعالى حكَى عنهم الكُفرَ، مع ذلِك عرَض عليهم أنْ ينتهوا عمَّا يقولون[٣].

٤- يُستفادُ من قولِه: ﴿كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ الاستدلالُ بالأوضحِ الأجْلَى دون الأَخْفى؛ لأنَّ أكْلَهما للطعامِ أمرٌ لا يُنكَر، لكن لو جِيء بأدلَّةٍ عقليَّةٍ أخرى ربَّما يكونُ فيها جدلٌ، لكنَّ الاستدلالَ بالمحسوسِ أبلغُ من الاستدلالِ بالمعقولِ؛ لأنَّ المعقولَ يمكن فيه الجدلُ، لكنَّ المحسوسَ لا يمكن فيه الجدلُ[٤].

(١) ينظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٤٠٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٩٩).

(٢) ينظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٤٥٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٠٠).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٠٩).

(٤) ينظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٤٦٣)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٤٠٣)، ((تفسير

٥- قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾، إذا نُهي أهلُ الكتاب عن الغُلوِّ، والغلوُّ في ذاتِه مَفسدةٌ، فكذلِك يُنهى غيرُهم؛ ولهذا حذَّرَ النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم من الغُلوِّ في الدِّين، وحذَّر من الغُلوِّ فيه نفْسِه[1].

٦- أنَّ الذي يَحمِلُ الإنسانَ على الضلالِ هو الهوى، وإلَّا لو كان الإنسانُ يقول بالعدل، ويَحكُم بالقِسط، ما ضلَّ عن الصِّراطِ المستقيم، لكن يَغلِبه هواه حتى يضلَّ؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟﴾، ثم بَيَّنَ ضلالَهم بقولِه: ﴿وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[2].

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِف:

١- قوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ...﴾ جاءَ مؤكَّدًا بثلاثةِ مؤكِّدات: القسَمُ المقدَّر، واللام، و(قَدْ)، على عادةِ اللِّسانِ العربيِّ في تأكيدِ ما يستحقُّ التأكيد، وإلَّا فخبرُ اللهِ عزَّ وجلَّ حقٌّ، ثم إنَّ هذا أيضًا، أي: قوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ﴾ ليس خبرًا مجرَّدًا، بل هو خبرٌ وحُكم؛ فقد حَكَم عليهم بالكُفرِ؛ لقولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ فهو مؤكَّد؛ لئلَّا يُعارِضَ معارِضٌ فيقول: ليس هذا بكُفرٍ[3].

٢- أنَّ أحكامَ القُرآنِ الكريم يُؤتَى بها غالبًا بحُكمٍ عامٍّ مَنُوطٍ بالعلَّة، بمعنى: لو شاءَ الله تعالى لقال: لقدْ كفَرَ النَّصارَى، لكنَّه قال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ سواءٌ كانوا من بني إسرائيلَ الذين هم

ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٢١).

(١) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٣١).

(٢) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٣٢).

(٣) ينظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٤٠١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٩٣).

النَّصارى أو مِن غيرِهم[1].

٣- أنَّه لا كُفرَ إلَّا بعدَ قِيامِ الحُجَّةِ بناءً على أنَّ الواو في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ﴾ حاليَّةٌ، يعني: أنَّهم كفَروا، وقدْ بُيِّنَ لهم الأمرُ[2].

٤- لَمَّا كانتْ دعوى الاتِّحادِ أشدَّ في الكفرِ، وأنْفى للإلهِ مِن دعوى التثليث، قدَّمها الله تعالى، فقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾، ثم قال بعدَها في الآيةِ التالية: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾[3].

٥- في قولِه تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ أمرُ المسيحِ لهم بأداءِ الحقِّ لأهلِه مُذكِّرًا لهم بعظمتِه بقوله: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾، ثم ذكَّرهم بإحسانِه، وأنَّه وإيَّاهم في ذلِك سواء، فقال مقدِّمًا لِمَا يتعلَّقُ به؛ لأنَّه أهمُّ لإنكارهم له ﴿رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾[4].

٦- يُستفادُ من قولِه: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ إقامةُ الحُجَّةِ على أهلِ الشِّركِ؛ حيثُ أشركوا بالله مع أنَّه ربُّهم، وأنَّ الأصنامَ ليس لها شأنٌ في الربوبيَّةِ إطلاقًا؛ فهي لا تَسمعُ ولا تُبصِرُ، ولا تَنفع ولا تَضرُّ، كما قال تعالى: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾[5] [النحل: ٢١].

٧- أنَّه لا حظَّ لعيسى في الأُلوهيَّةِ والرُّبوبيَّة، ولا حقَّ له فيهما؛ لقوله: ﴿ٱعْبُدُواْ

---

(١) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٩٨).

(٢) ينظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ١٩٩).

(٣) ينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٢٤٧) هذا على قولِ بعضِ المفسِّرين أنَّ كلَّ آية في طائفةٍ مِن النَّصارى.

(٤) ينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٢٤٧).

(٥) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٠٠).

ٱللَّهَ﴾ هذا في الألوهيَّةِ ﴿رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ وهذا في الرُّبوبيَّة، وكذلك غيرُه من الرسلِ وغيرُه من الناسِ، وبهذا نَعرِفُ ضلالَ أولئك القومِ الذين يدَّعون أنَّ أولياءَهم هم الذين يُدبِّرون الكونَ، وهم الذين يُصرِّفونَه، وأنَّهم على ضَلالٍ مبينٍ[١].

٨- قوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡ﴾ ذكَر العِبادةَ ثمَّ ذكَر الرُّبوبيَّة؛ إشارةً إلى أنَّ الربوبيَّة تستلزمُ الأُلوهيَّةَ، أي: إنَّ توحيدَ الرُّبوبيَّةِ يستلزمُ توحيدَ الألوهيَّة، فمَن أقرَّ للهِ عزَّ وجلَّ بالرُّبوبيَّة لزِمَه أن يُقِرَّ بالعبادةِ؛ لأنَّ الربَّ يجبُ أن يكونَ معبودًا؛ لأنَّ له الأمرَ وله الحُكم، فإذا كان كذلك يجبُ أن يُعبَدَ كما شرَع[٢].

٩- يُستفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ أنَّ عِقابَ الفُسَّاقِ لا يكون مخلَّدًا؛ لأنَّه تعالى جعَل أعظمَ أنواعِ الوعيدِ والتهديدِ في حقِّ المشركينَ، وهو أنَّ الله تعالى حرَّم عليهم الجنَّةَ ومأواهم النَّار، وأنَّه ليس لهم ناصرٌ يَنصرُهم، ولا شافعٌ يَشفَعُ لهم، فلو كان حالُ الفُسَّاقِ من المؤمنين كذلك لَمَا بقِي لتهديدِ المشركين على شِركهم بهذا الوعيدِ فائدةٌ[٣].

١٠- أنَّه لا مأوى للخَلقِ إلَّا أحدُ أمرين: إمَّا الجنَّة، وإمَّا النار، ليس هناك شيءٌ وسطٌ؛ لقولِه: ﴿فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾[٤].

١١- لَمَّا كان المنعُ مِن دار السُّعداءِ مُفهِمًا لكونه في دارِ الأشقياء، صرَّح

(١) ينظر: ((المصدر السابق)).
(٢) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٩٦).
(٣) ينظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٤٥٨).
(٤) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٠١).

به فقال: ﴿وَمَأْوَىٰهُ﴾، أي: محلُّ سُكناه ﴿ٱلنَّارُ﴾، ولَمَّا جرَتْ عادةُ الدنيا بأنَّ مَن نزَلَ به ضيمٌ يَسعى في الخَلاصِ منه بأنصارِه وأعوانِه، نفَى ذلك سبحانه مُظهِرًا للوصفِ المقتضي لشَقائِهم تعليلًا وتعميمًا، فقال: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ لا بفِداءٍ ولا بشفاعةٍ[1].

١٢- الإشارةُ إلى أنَّ الشِّركَ ظلمٌ؛ لقوله: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ وقد جاءَ ذلك صريحًا في القرآنِ الكريم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[2] [لقمان: ١٣].

١٣- فائدةُ جمْعِ الأنصارِ في قوله: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾- مع كونِ النَّكِرة المفردةِ تُفيدُ العمومَ في سِياقِ النَّفيِ- هي التَّنبيهُ على كونِ النَّصارى كانوا يتَّكِلونَ على كثيرٍ مِن الرُّسلِ والقِدِّيسينَ؛ إذ كانتْ وثنيةُ الشَّفاعةِ قدْ فشَتْ فيهم، وإنْ لم تكُن من أصلِ دِينِهم[3].

١٤- أنَّ الظالِمينَ لا ناصِرَ لهم؛ لقوله: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾، و(مِن) هنا حرفُ جرٍّ جاء لإفادةِ العمومِ والتوكيد؛ فإنْ قال قائل: كيفَ يَستقيمُ هذا النفيُ المؤكَّد مع أنَّ الكفَّارَ قد يُنصَرون، والمشركين قدْ يُنصَرون؟ الجواب: أنَّ هذا نصرٌ مؤقَّتٌ؛ ليبتليَ اللهُ به المؤمنين، وليس نصرًا دائمًا؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]، وقال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ [البقرة: ١٦٦]، وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨]، ولا يُمكِن أنْ يتناصرَ

(١) ينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٢٤٩).
(٢) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٠٣).
(٣) ينظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٤٠٠).

الكفَّارُ في دفْعِ العذاب عنهم يومَ القِيامة، وحينئذٍ فلا إشكالَ[(١)].

١٥- أَبطَلَ اللهُ قولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ بقوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾، وهذا خبرٌ مِن أصدقِ المخبِرينَ، خبَرٌ مؤكَّد بحَرفِ الجرِّ الزائِدِ وبالحَصْر، وطريقُ الحصرِ النفيُ والإثبات، وهذا الحصرُ مؤكَّد بـ«من» الزائدة، وكلُّ الحروفِ الزائدة مؤكِّدة[(٢)].

١٦- إثباتُ عدْلِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وأنَّه لا يُعذِّبُ إلَّا مَن استمرَّ على كُفرِه ومعصيتِه؛ لقوله: ﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[(٣)].

١٧- التَّحذيرُ البليغُ من الاستمرارِ على الكفرِ والشِّركِ، وأنَّ مَن استمرَّ عليه فله العذابُ الأليمُ؛ لقولِه: ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[(٤)].

١٨- في قوله: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ﴾ بعد قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ... عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بيانُ لُطفِ اللهِ تعالى بعِبادِه؛ حيث صدَّر دَعوتَهم إلى التوبةِ بالعَرضِ الذي هو غايةُ اللُّطفِ واللِّين؛ فمع هذه الفِريةِ العُظمَى والوقوعِ في جنابِ اللهِ جلَّ وعلا بهذا الأمْرِ الهائلِ العظيمِ، فاللهُ مع هذا يَستعطِفُهم ويَتلطَّفُ بهم للتوبةِ أحسنَ استعطافٍ وألْطفَه[(٥)].

---

(١) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٠٣).

(٢) ينظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٢٤٩)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٤٠١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٠٥).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٠٩).

(٤) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٠٩).

(٥) ينظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٠)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (١/ ٤١٨)، ((العذب النمير)) للشنقيطي (١/ ٣٤٠- ٣٤١).

١٩- في قولِه تعالى: ﴿... وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾ استدلالٌ على فسادِ قولِ النصارى بألوهيَّة عيسى وأُمِّه، وبيانُه مِن وجهين: الأوَّل: أنَّ عيسى عليه السلامُ له أمٌّ، وكلُّ مَن له أُمٌّ فقدْ حدَث بعدَ أنْ لم يكُنْ، وكلُّ من كان كذلك كان مخلوقًا لا إلهًا، والثاني: أنَّ عيسى وأمَّه كانا محتاجَيْنِ إلى الطَّعامِ، والإلهُ الحقُّ غنيٌّ عن جميعِ الأشياء(١).

٢٠- ممَّا يُستفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ﴾ أنَّ الهوى لا يكاد يُذكَرُ إلَّا في موضعِ الشرِّ، فلا يكاد يُقال: فلان يَهوى الخيرَ، إنَّما يُقال: يريدُ الخيرَ ويُحبُّه، وقيل: سُمِّيَ الهوى هوًى؛ لأنَّه يَهوِي بصاحبِه إلى النَّارِ(٢).

٢١- قولُه: ﴿قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ﴾ فيه الردُّ على الجبْريَّةِ الذين قالوا: إنَّ ضلالَ الإنسانِ لا يُنسَبُ إليه، وإنَّه مَجبورٌ عليه، ولا اختيارَ له فيه؛ لأنَّ الآيةَ صريحةٌ بأنهم ضلُّوا وأضلُّوا(٣).

٢٢- إثباتُ الأسبابِ؛ لقوله: ﴿وَأَضَلُّواْ﴾ فإنَّ هذا إضلالٌ ليس عن قوَّةٍ وإجبارٍ وإكراهٍ، لكنَّه عن سببٍ، يُزيِّنون به الباطلَ حتى يُضلُّوا به غيرَهم(٤).

٢٣- أنَّ الدِّينَ الصَّحيحَ وسَطٌ بين الغالي فيه والجافي عنه؛ لقوله: ﴿وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾، أي: عن مُستقِيمِ السَّبيلِ، الذي ليس فيه غُلوٌّ ولا تفريطٌ(٥).

بَلاغَةُ الآياتِ:

١- قوله: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ﴾ استئنافٌ

---

(١) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٠٩، ٤١٠).

(٢) ينظر: ((تفسير الشربيني)) للبقاعي (١/ ٣٩٠).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٣٢).

(٤) ينظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٣٣).

(٥) ينظر: ((المصدر السابق)).

ابتدائيٌّ، وفيه: شروعٌ في تفصيلِ قَبائحِ النَّصارى، وإبطالِ أقوالهم الفاسدةِ بعدَ تفصيلِ قبائحِ اليهودِ[١].

٢- قوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾ على القَوْلِ بأنَّ هذه الجملةَ حِكاية لكلامٍ صدَر من عيسى عليه السَّلام، فتكون تعليلًا للأمْر بعبادَةِ الله، ووقوع ﴿إِنَّ﴾ في مِثل هذا المقامِ تُغني غَناءَ فاءِ التفريعِ، وتُفيد التَّعليل، وفي حكايتِه تَعريضٌ بأنَّ قولَهم ذلك قد أوْقَعهم في الشِّرْكِ، وإنْ كانوا يظنُّون أنَّهم اجتنبوه؛ حذرًا من الوقوعِ فيما حذَّر منه المَسيحُ؛ لأنَّ الذين قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ﴾ أرادوا الاتِّحادَ باللهِ، وأنَّه هو هو. وعلى القول بأنَّ الجملةَ من كلامِ اللهِ تعالى فهو تذييلٌ لإثباتِ كُفرِهم، وزيادةُ تنبيهٍ على بُطلانِ معتقدِهم، وتعريضٌ بهم بأنَّهم قد أشْركوا باللهِ مِن حيثُ أرادوا التوحيدَ، والضمير المقترن بـ(إنَّ) ضميرُ الشَّأنِ يدلُّ على العِناية بالخبرِ الواردِ بعدَه[٢].

٣- قوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾: خبرٌ، المرادُ منه الوعيدُ والتهديدُ، وهذا مِن بابِ التَّحذيرِ؛ فالجُملةُ هنا استئنافيَّةٌ للتَّحذيرِ[٣].

- وفيه: إظهارُ الاسمِ الجَليلِ ﴿ٱللَّهُ﴾ في مقامِ الإضمارِ؛ لتهويلِ الأمرِ، وتربيةِ المهابةِ[٤].

٤- قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

(١) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٦٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٨٠).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٨٠- ٢٨١).
(٣) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٢٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ١٩٧).
(٤) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٦٦).

- قوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ فيه: تأكيدٌ أنَّه لا يكونُ إلهٌ في الوُجودِ مستحِقٌّ للعبادَةِ إلَّا إلهٌ واحدٌ موصوفٌ بالوحدانيَّة، مُتعالٍ عن قَبول الشَّرِكةِ، وأكَّد ذلك بزيادةِ ﴿مِنْ﴾ الاستغراقيَّة التي تُؤكِّد عمومَ النَّفْي[(١)]، وحَصْرِ إلهيَّتِه- بأداتَي الحصْرِ (ما) و(إلَّا)- في صِفة الوحدانيَّة؛ فانتفى التثليثُ المحكيُّ عنهم[(٢)].

- وعبَّر بالمضارعِ في قولِه: ﴿يَنتَهُواْ﴾؛ لأنَّه المناسِبُ للانتهاءِ؛ إذ الانتهاءُ إنَّما يكونُ عن شيءٍ مستمرٍّ، وناسَب التعبيرُ بالماضي في قولِه ﴿قَالُوٓاْ﴾ مع قولِه ﴿لَّقَدْ كَفَرَ﴾؛ لأنَّ الكُفرَ حصَلَ بقولِهم ذلك ابتداءً من الزَّمنِ الماضي[(٣)].

- وأكَّد الوعيدَ بلامِ القَسَم في قَوْلِه: ﴿لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ ...﴾؛ ردًّا لاعتقادِهم أنَّهم لا تَمسُّهم النارُ؛ لأنَّ صَلْبَ عيسى كان كفَّارةً عن خَطايا بني آدَمَ[(٤)].

- وفي قوله: ﴿لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ﴾ إقامةُ الظَّاهِرِ مقامَ المضمَرِ- حيثُ لم يقُلْ: (وليمسنَّهم)- وفائدتُه: تكريرُ الشَّهادةِ عليهم بالكُفرِ في قولِه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا...﴾، وفيه فائدةٌ أخرى، وهي: الإعلامُ أنَّهم بمكانٍ مِن الكُفرِ، أي: ليمسنَّ الذين كَفروا من النَّصارى خاصَّةً نوعٌ شديدُ الألمِ من العَذابِ[(٥)].

---

(١) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٣٠).
(٢) ينظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٦٣)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٣٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٨٢- ٢٨٣).
(٣) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٨٣).
(٤) ينظر: ((المصدر السابق)).
(٥) ينظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٦٣)، ((تفسير القاسمي)) (٤/ ٢١٤)، ((تفسير ابن عاشور))

٥- **قوله:** ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥ﴾ الاستفهامُ فيه؛ قيل: معناهُ الإنكارُ والتعجُّبُ مِن إصرارِهم؛ كيفَ لا يَتوبونَ ويَستغفِرون مِن هذه المَقالةِ الشَّنعاءِ؟! والإنكارُ هنا إنكارٌ للواقِعِ منهم لا إنكارُ الوقوعِ؛ فمدارُ الإنكارِ والتعجُّبِ عَدَمُ الانتهاءِ، وعَدمُ التَّوبةِ معًا. وقيل: معنى هذا الاستفهامِ الأمرُ والتَّحضيضُ؛ لأنَّ المفهومَ مِن الصِّيغةِ طَلَبُ التَّوبةِ والحثُّ عليها، فمعناه: تُوبوا إلى اللهِ واستغفِرُوه مِن ذَنبِكم[1].

٦- **قوله:** ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ جملةٌ حاليَّةٌ مِن فاعِل ﴿يَسْتَغْفِرُونَهُ﴾، وهي مؤكِّدةٌ للإنكارِ والتعجُّبِ من إصْرارِهم على الكُفرِ، وعدمِ مُسارعتِهم إلى الاستغفارِ، أي: والحالُ أنَّه تعالى مبالِغٌ في المغفرةِ، فيَغفرُ لهم عندَ استغفارِهم، ويَمنحُهم من فضلِه؛ فكيف لا تُوجَدُ التوبةُ مِن هذا الذَّنبِ، وطَلَبُ المغفرةِ، والمسؤولُ منه ذلك مُتَّصفٌ بالغُفرانِ التامِّ، والرحمةِ الواسعةِ لهؤلاء وغيرِهم[2]؟!

٧- قوله: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ﴾ استئنافٌ لتبيانِ وصْفِ المسيحِ في نَفْسِ الأمرِ، ووصْفِ أمِّه؛ زيادةً في إبطالِ مُعتقَدِ النصارى إلهيَّةَ المسيحِ، وإلهيةَ أمِّه[3].

٨- قوله: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞ﴾ جاءَ قولُه: ﴿صِدِّيقَةٞ﴾ على بِناءٍ مِن أبنيةِ المبالَغةِ (فِعِّيل)؛ للدَّلالةِ على مُبالغَتِها في الصِّدْقِ والتَّصديقِ[4].

(٦/ ٢٨٢- ٢٨٣).

(١) ينظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٦٤)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٣١)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٣٧٧)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٦٧).

(٢) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٣١)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٦٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٨٤).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٨٥).

(٤) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٣٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٨٦).

٩- قوله: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ قِيل: فيه كنايةٌ حَسَنةٌ؛ حيثُ كنَّى عن قَضاءِ الحاجةِ بأكْلِ الطَّعامِ، وقصَدَ مِن ذلك أنَّهما- صلواتُ اللهِ عليهما- بَشَرٌ، فاكتفَى بذِكرِ أكْلِ الطَّعامِ عن كلِّ هذا؛ لأنَّهما منه مُسبَّبانِ؛ إذ لا بدَّ للآكلِ منهما، لكن استُقبِح في المخاطَبِ ذِكرُ الغائطِ فكنَّى به عنه؛ تهذيبًا وتصوُّنًا، وهذا مِن غريبِ الكناياتِ في اللُّغة العربيَّة، وفيها أيضًا تشنيعٌ وبشاعةٌ على مَن اتَّخذهما آلهةً[1]. وقيل: بلْ هو على حَقيقتِه، ويَكفِي حاجتُهما إلى الطعامِ دَلالةً على بشريَّتِهما؛ إذ هذه الحاجةُ من أقوى الدلائلِ على أنَّه ليس بإلهٍ؛ فلا حاجةَ إلى الكنايةِ[2].

١٠- قوله: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾

- الجُملة استئنافٌ للتعجُّب مِن حالِ الذين ادَّعَوُا الإلهيَّةَ لعيسى عليه السلامُ[3].

- والتكريرُ في قوله: ﴿ثُمَّ ٱنظُرْ﴾ بعد قوله: ﴿ٱنظُرْ﴾؛ للدَّلالةِ على الاهتمامِ بالنَّظر والتدبُّر، وإن اختلفتِ النَّظرتانِ؛ فالأُولى متعلِّقة بكيفيَّةِ إيضاحِ اللهِ لخَلْقِه الآياتِ، والثانية متعلِّقةٌ بانصرافِهم عنها، وصُدوفِهم عن التأمُّلِ في مراميها وأهدافِها؛ إذ تكريرُ الأمرِ بالنظرِ للمبالغةِ في التعجُّب، و﴿ثُمَّ﴾ لإظهارِ ما بين العجبينِ من التفاوتِ، أي: إنَّ بيانَنا للآياتِ أمرٌ بديعٌ في بابه، بالغٌ لأقاصي الغاياتِ القاصية من التحقيق والإيضاح، وإعراضَهم عنها- مع انتفاءِ ما يُصحِّحه بالمرَّةِ، وتعاضُد ما يُوجِب قَبولَها- أعجبُ وأبدعُ[4].

---

(١) ينظر: ((البرهان في علوم القرآن)) للزركشي (٢/ ٣٠٤- ٣٠٥)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحيي الدين درويش (٢/ ٥٣٤- ٥٣٥).

(٢) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٠٩- ٤١٠)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٣٣).

(٣) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٨٧).

(٤) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٦٨)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحيي الدين درويش (٢/ ٥٣٥).

١١- قوله: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ فيه: استفهامٌ غرضُه التوبيخُ والإنكارُ؛ فإنَّه لَمَّا بيَّن تعالى انتفاءَ الإلهيَّة عن عيسى، وكان قدْ توعَّدَهم، ثمَّ استدعاهم للتوبةِ وطلَبِ الغفرانِ- أنكرَ عليهم، ووبَّخهم من وجهٍ آخر، وهو عجزُه وعدمُ اقتدارِه على دفْع أيِّ ضررٍ، وجَلْب أيِّ نفعٍ، وأنَّ مَن كان لا يدفَعُ عن نفْسِه حريٌّ ألَّا يدفعَ عنكم(١).

- وتقديمُ قولِه تعالى: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ على قولِه تعالى: ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾؛ للاهتمامِ بالمقدَّم، والتشويقِ إلى المؤخَّر، والاسمُ الموصول ﴿مَا﴾ عبارةٌ عن عيسى عليه السلام، وإيثارُه على كلمة ﴿مَن﴾؛ لتحقيقِ ما هو المرادُ من كونِه بمعزلٍ من الألوهيَّة رأسًا ببيانِ انتظامِه عليه السَّلام في سِلْكِ الأشياءِ التي لا قُدرةَ لها على شيءٍ أصلًا، وهو عليه السَّلامُ وإنْ كان يملِك ذلك بتمليكِه تعالى إيَّاه، لكنَّه لا يملكُه مِن ذاتِه، ولا يملك مِثلَ ما يضرُّ به اللهُ تعالى من البلايا والمصائِب، وما ينفعُ به من الصحَّةِ والسَّعةِ(٢).

- وتقديمُ الضَّرِّ على النَّفع في قولِه: ﴿ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ من بابِ تقديمِ الأهمِّ؛ لأنَّ التحرُّزَ عنه أهمُّ من تحرِّي النفعِ، ولأنَّ أدْنى درجاتِ التأثيرِ دفْعُ الشرِّ، ثم جلْبُ الخيرِ(٣).

١٢- قوله: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ حالٌ من فاعل ﴿أَتَعْبُدُونَ﴾ وفيه تأكيدٌ للإنكار والتوبيخ، وتقريرٌ للإلزامِ والتَّبكيت، والرَّابط هو الواو، أي: تُشركون بالله تعالى ما لا يَقدِرُ على شيءٍ مِن ضرِّكم ونَفْعِكم، والحالُ أنَّ الله تعالى هو المختصُّ بالإحاطةِ التامَّة بجميعِ المسموعاتِ والمعلوماتِ، التي مِن

(١) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٣٤).
(٢) ينظر: ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١٣٩)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٦٨).
(٣) ينظر: ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١٣٨)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٦٨).

جُملتها ما أنتُم عليه من الأقوالِ الباطِلَة، والعقائدِ الزائغَةِ، والأعمالِ السيِّئة، وبالقُدرة الباهِرة على جميعِ المقدوراتِ، التي مِن جُملتها مضارُّكم ومنافعُكم في الدُّنيا والآخرة(١).

١٣- قوله: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾

- فيه تلوينُ الخِطاب وتَوجيهٌ له إلى أهلِ الكتابِ بطَريقِ الالتفاتِ على لِسانِ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم بعدَ إبطالِ مسالكهم؛ للمبالغةِ في زَجْرِهم عمَّا سلَكوه مِن المسلك الباطِلِ، وإرشادِهم إلى الطَّريقِ الحقِّ الذي يُرضي اللهَ تعالى(٢).

- وتَنكيرُ ﴿قَوۡمٖ﴾ تحقيرًا لهم(٣).

- وفيه تَكرارُ وصْفِ أهلِ الكتابِ بالضَّلالِ؛ وأنَّهم ضلُّوا قديمًا في دِينِهم مِن قَبلِ مجيءِ الإسلامِ، وأضلُّوا كثيرًا مِن أتْباعِهم، ثمَّ أكَّد ذلك بتكرار قولِه: ﴿وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾، وأنَّهم ضلُّوا بعد ذلك عن الإسلامِ(٤).



(١) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٦٨).
(٢) ينظر: ((المصدر السابق)).
(٣) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٣٦).
(٤) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٣٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٩٠).

الآيات (٧٨ - ٨١)

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ٨٠ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨١﴾.

مُشكِلُ الإعرابِ:

قوله: ﴿لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾.

﴿أَن سَخِطَ﴾: ﴿أَن﴾: حرفٌ مَصدريٌّ ناصِبٌ، و﴿سَخِطَ﴾: فِعلٌ ماضٍ تَعلَّق به الجارُّ والمجرورُ ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾، وَ﴿أَن سَخِطَ﴾: مَصدرٌ مؤوَّلٌ، ومحلُّه الرفْع على أنَّه مبتدأٌ مؤخَّرٌ، وخبرُه المقدَّمُ جملةُ الفِعلِ الجامِدِ (بِئْسَ)، والتقديرُ: سَخَطُ اللهِ عليهم بِئْسَ ما قدَّمتْه لهم أنفُسُهم. وقيل: ﴿أَن سَخِطَ﴾: مَصْدر مُؤَوَّلٌ في محَلِّ رفعٍ خَبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ تقديرُه (هو)، والتقديرُ: بِئسَ ما قدَّمتْه لهم أنفُسُهم هو سَخَطُ اللهِ. وقيل غير ذلك(١).

المَعنَى الإجْماليُّ:

يُخبِرُ تعالى أنَّه لَعَن كفَّارَ بني إسرائيلَ بأنْ طرَدَهم مِن رَحمتِه على لِسانِ نَبيَّين كَريمين؛ هما داودُ وعيسى عليهما السَّلامُ، وذلك بسببِ عِصيانِهم لخالقِهم، واعتدائِهم على حُقوقِ العِبادِ، ثمَّ فسَّر سبحانه عِصيانَهم وعُدوانَهم بأنَّهم كانوا

(١) يُنظر: ((التبيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/ ٤٥٤)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٣٨٤-٣٨٦)، ((إعراب القرآن الكريم)) للدعاس (١/ ٢٧٢).

لا يَنهَى بعضُهم بعضًا عن ارتكابِ المعاصِي والموبِقات، لبئسَ فِعلًا تَركُهم التَّناهي عن المعاصِي.

ثمَّ يحَكِي الله تعالى ما كان يقومُ به اليهودُ في العَهْدِ النبويِّ من تحالفٍ مع المشركين ضدَّ المسلمين، وأنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم كان يرَى كثيرًا من اليهودِ يُوالونَ الكفَّارَ والمشركين، ولبِئسَ الشيء الذي قدَّمته لهم أنفسُهم ليوم المعاد هو ما استحقُّوا به سَخطَ اللهِ عز وجل عليهم، وفي عَذابِ جهنَّمَ هم خالدونَ، ولو أنَّ اليهودَ يُؤمِنون باللهِ تعالى حقًّا وبمحمدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وبالقرآنِ الكريمِ، ما والَوُا الكفَّارَ، ولكنَّ كثيرًا منهم فاسِقونَ.

تَفْسيرُ الآياتِ:

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ ﴾.

مناسَبَةُ الآيةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا ذكَرَ اللهُ سبحانَه في الآيةِ السابقَةِ أنَّهم ﴿قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ﴾، دلَّل على ذلِك بلَعْنِهم مِن أنبيائِهم[١]، فقال:

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ ﴾.

أي: إنَّ اللهَ تعالى قد طَرَدَ كُفَّارَ بني إسرائيلَ، وأَبْعدَهم عن رَحمتِه بدَعوةِ نبيَّيْهِ داودَ وعِيسى عليهم بذلِك[٢].

(١) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٩٢).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٨٦، ٥٩١)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٦٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤١)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٩٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٢٣٤).

﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾.

أي: إنَّ ذلِك اللَّعنَ قدْ وقَع عليهم بسببِ عِصيانهم للهِ تعالى، وظُلمِهم لعبادِه[١].

ثم بَيَّن اللهُ تعالى حالَهم فيما كانوا يَعتمِدونَه في زَمانِهم، مِن عُدوانٍ ومعاصٍ أحَلَّتْ بهم الْمَثُلاتِ، وأوقعتْ بهم العُقوباتِ[٢]، فقال سبحانه:

﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾.

﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُ﴾.

أي: كان لا يَنهى بعضُهم بعضًا عن رُكوبِ المعاصِي وارتكابِ المُحرَّمات[٣].

﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾.

أي: واللهِ بِئسَ الشَّيءُ الذي كانوا يَفعلونَه، وهو ترْكُهم النَّهيَ عن معاصِي اللهِ تعالى[٤].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٩١)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٦٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٣٤- ٢٣٥).

وممَّن جعَلَ الإشارة في قولِه: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى اللَّعن: ابنُ عطية في ((تفسيره)) (٢/ ٢٢٤)، والقرطبيُّ في ((تفسيره)) (٦/ ٢٥٣)، وابنُ عاشور في ((تفسيره)) (٦/ ٢٩٢)، وابن عثيمين في ((تفسير سورة المائدة)) (٢/ ٢٣٤- ٢٣٥).

وممَّن جعَلَ الإشارةَ في قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى الكفرِ واللَّعن معًا: السعديُّ في ((تفسيره)) (ص: ٢٤١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٦٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٣٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٦٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٣٥- ٢٣٦).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٦٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٩٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٣٦).

﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ٨٠﴾.

مناسَبَةُ الآيةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا وصَفَ اللهُ تعالى أسلافَهم بما تَقدَّمَ بأنَّهم ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ وأخْبَرَ أنهم كانوا يُقرُّون المنكراتِ، ودلَّل على ذلك بأمرٍ ظاهرٍ منهم، فوصَف الحاضرينَ منهم بأنَّهم يَتولَّوْن الكفَّارَ وعبدةَ الأوثانِ[(١)]، فقال:

﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

أي: ترَى- يا مُحمَّدُ[(٢)]- كثيرًا من اليهودِ يتَّخذون الكفَّارَ والمشركين أولياءَ لهم[(٣)].

﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾.

أي: واللهِ بِئسَ الشَّيءُ الذي قدَّمتْه لهم أنفسُهم لِمَعادِهم في الآخِرة،

(١) ينظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤١٢)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٢٦٦).

(٢) قال ابنُ عَطيَّةَ: (وقوله تعالى لمحمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا﴾ يحتمل أنْ يكون رؤيةَ قلبٍ، وعلى هذا فيحتمل أنْ يُريد من الأسلاف المذكورين، أي: ترَى الآن إذا خبرناك، ويحتمل أنْ يُريد من مُعاصري محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم؛ لأنَّه كان يرى ذلك من أمورِهم ودلائلَ حالهم، ويحتمل أنْ تكونَ الرؤيةُ رؤيةَ عينٍ، فلا يريد إلَّا معاصري محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم) ((تفسير ابن عطية)) (٢/ ٢٢٤). ويُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٤٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٩٢)، ((تفسير القرطبي)) (٦/ ٢٥٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٤٤- ٢٤٥).

قال ابنُ عثيمين: (ومِن هؤلاء اليهودُ حينما ساعَدوا قريشًا عامَ غزوة الأحزاب؛ فإنَّهم تولَّوا الذين كفروا وساعدوهم وعاونوهم، ومِن هذا تولِّي اليهود للنصارى في وقتنا الحاضِر، هذا إذا قلنا: إنَّ «ترَى» عامَّة؛ لأنَّ النصارى من الذين كفروا؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [البينة: ٦]، وهذا بيانٌ للذين كفروا). ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٤٥).

بموالاتِهم الكافرينَ والمشركين، وهو سَخَطُ اللهِ تعالى عَليهم سَخَطًا مُستمرًّا إلى يَومِ القِيامةِ؛ الذي يَنتقلونَ فيه إلى عذابٍ أبديٍّ(١).

﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾.

مناسَبَةُ الآيةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا كانَ تولِّيهم الكفَّارَ قدْ يكون دليلًا على كُفرِهم؛ لقوله: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ أكَّدَ ذلك الكُفرَ بقوله: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ....﴾(٢).

﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾.

أي: ولوْ أنَّ اليهودَ آمنوا حقًّا باللهِ تعالى وبمحمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وبالقرآنِ العظيمِ، لَمَا جعَلوا الكفَّارَ أولياءَ لهم مِن دون المؤمنين؛ فإنَّ الإيمانَ بذلِك يُوجِبُ على العَبدِ موالاةَ ربِّه سبحانه وأوليائِه المؤمنين، وبُغضَ أعدائِه الكافِرين ومعاداتَهم(٣).

﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾.

أي: ولكنَّ كثيرًا مِن هؤلاءِ أهلُ خُروجٍ عن الإيمانِ بما يجِبُ عليهم الإيمانُ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٩٢)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: ٣٣١)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٩٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢١٧- ٢١٨).

(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٢٦٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٩٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٦٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٥١- ٢٥٢).

به إلى الكُفرِ به، وعن طاعةِ اللهِ تعالى إلى مَعصيتِه سبحانه(١).

الفَوائِدُ التَّربويَّة:

١- يُستفادُ من قولِه تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ... كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُ﴾ أنَّ السُّكوتَ عن المنكرِ مع القُدرةِ موجِبٌ للعقوبة؛ لِمَا فيه من المفاسدِ العظيمة، التي منها:

أولًا: أنَّ مجرَّدَ السُّكوت فِعلُ معصيةٍ، وإنْ لم يباشِرْها السَّاكتُ؛ فإنَّه- كما يجبُ اجتنابُ المعصيةِ- يجبُ الإنكارُ على مَن فعَلَ المعصيةَ، وعدمُ الإنكارِ يدلُّ على التهاوُنِ بالمعاصي، وقِلَّةِ الاكتراثِ بها.

ثانيًا: أنَّ ذلك يُجرِّئ العصاةَ والفَسَقةَ على الإكثارِ من المعاصي إذا لم يُردَعوا عنها، فيزدادُ الشرُّ، وتعظُم المصيبةُ الدِّينيَّة والدُّنيويَّة، ويكون لهم الشوكةُ والظهور، ثم بعدَ ذلك يَضعُف أهلُ الخيرِ عن مُقاومةِ أهلِ الشرِّ؛ حتى لا يَقدِروا على ما كانوا يَقدِرون عليه أوَّلًا.

ثالثًا: أنَّ في ترْكِ الإنكارِ للمُنكَر اندِراسَ العِلم، وكثرةَ الجَهل؛ فإنَّ المعصية- مع تكرُّرِها وصُدورِها من كثيرٍ من الأشخاص، وعدَم إنكارِ أهلِ الدِّين والعِلم لها- يُظَنُّ أنَّها ليستْ بمعصية، وربَّما ظنَّ الجاهلُ أنَّها عبادةٌ مُستحسَنةٌ، وأيُّ مفسدةٍ أعظمُ مِن اعتقادِ ما حرَّم اللهُ حلالًا، وانقلابِ الحقائقِ على النُّفوسِ، ورؤيةِ الباطل حقًّا؟!

رابعًا: أنَّ السكوت على معصيةِ العاصين، ربَّما يُزيِّن المعصيةَ في صُدورِ النَّاسِ، ويقتدي بعضُهم ببعضٍ؛ فالإنسانُ مُولَع بالاقتداءِ بأضرابِه وبَني جِنسِه(٢).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٩٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٦٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤١)، ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٩٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٥٢).

(٢) ينظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤١).

٢- التَّحذيرُ من موالاةِ الكافرينَ؛ لقوله: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ ...﴾، وموالاةُ الكافرين أنواعٌ كثيرة، منها ما يصِلُ إلى الكُفرِ، ومنها ما هو دون ذلك[1].

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائف:

١- أنَّ تَرْكَ التَّناهي عن المنكَرِ سببٌ لِلَعنةِ اللهِ للعَبدِ وطَرْدِه وإبعادِه من رَحمتِه، والعياذُ باللهِ؛ لقوله: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ... كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾[2].

٢- قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ قد تقرَّر في غير موضعٍ مِن القرآنِ ما جرَى في مُدَّة موسى عليه السَّلامُ مِن كُفرِ بعضِهم وعُتوِّهم، وكذلك أمرُهم مع محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم كان مشاهدًا في وقتِ نُزولِ القرآن، فخَصَّت هذه الآيةُ داودَ وعيسى؛ إعلامًا بأنَّهم لُعِنوا في الكتُبِ الأربعةِ، وأنَّهم قدْ لُعِنوا على لِسانِ غيرِ موسى ومحمَّد عليهما السَّلامُ[3].

٣- أنَّ مِن بني إسرائيلَ قبل مَبعَث النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم مَن هو كافرٌ، ومنهم مَن هو مؤمنٌ؛ لقوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، وهذا هو الواقعُ؛ فإنَّ منهم مؤمنِين، كالحواريِّين لعيسى عليه الصَّلاة والسَّلام، وكالقومِ الذين اختارَهم موسى سَبعينَ رجلًا، وغير ذلك[4].

٤- أنَّ الله سبحانه وتعالى لا يَظلِمُ الناسَ شيئًا، وأنَّه لا يُعاقِبُ أحدًا بعقوبةٍ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٤٧).
(٢) يُنظر: ((تفسير الشربيني)) (١/ ٣٩٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٣٨).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (٢/ ٢٢٣).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٣٧).

إلَّا بذنبٍ؛ لقولِه: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾[١].

٥- يُستفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُ﴾ الإخبارُ بفُشُوِّ المنكراتِ فيهم، وانتشارِ مَفاسدِها بينهم؛ لأنَّ وجودَ العِلَّة يَقتضي وجودَ المعلولِ، ولولا استمرارُ وقوعِ المنكرات لَمَا صحَّ أن يكونَ تركُ التناهي شأنًا من شؤونِ القومِ، ودأْبًا من دُؤوبهم[٢].

٦- قال تعالى: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ أطْلَق على ترْكِ التناهي لفظَ الفِعل في قوله: ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ مع أنَّه ترْكٌ؛ لأنَّ السُّكوتَ على المنكرِ لا يَخلو من إظهارِ الرِّضا به والمشاركةِ فيه[٣]، وعلى القولِ بأنَّ التركَ فعلٌ، فلا يحتاجُ لهذا التَّوجيهِ.

٧- في قولِه تعالى: ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ ما يدلُّ على سُوءِ ما عليه بعضُ المسلمين في إعراضِهم عن بابِ التَّناهي عن المناكيرِ، وقِلَّة اهتمامِهم به؛ كأنَّه ليس مِن مِلَّةِ الإسلامِ في شَيءٍ مَع ما يَتْلُونَ مِن كلامِ اللَّهِ، وما فيه مِنَ المبالغاتِ في بابِ الأمرِ بالمعروفِ، والنهيِ عن المنكَرِ[٤].

٨- الردُّ على الجَبريَّة؛ لقوله: ﴿قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾، وقوله أيضًا: ﴿يَتَوَلَّوۡنَ﴾[٥].

٩- إثباتُ صِفة السَّخَطِ للهِ عزَّ وجلَّ على ما يَليقُ بكَمالِه وجَلالِه؛ لقوله: ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾[٦].

(١) يُنظر: ((المصدر السابق)).
(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٢٦٥)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٤٠٦).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٩٤).
(٤) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٦٧).
(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٢٤٨).
(٦) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٢٤٩).

١٠- أنَّ اتِّخاذَ الكافرينَ أولياءَ مُنافٍ للإيمانِ باللهِ ورسولِه وكتابِه؛ لقوله: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾[١].

١١- الاستدلالُ بالمحسوسِ على المعقولِ، وإن شئتَ فقُل: بالمشاهَدِ على الخفيِّ؛ لقوله: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ وجه ذلك: أنَّ الإيمانَ في القلبِ، ولا أحدَ يَعلمُ عن الإيمانِ الذي في القَلبِ، لكنَّ الآثارَ تدلُّ عليه، والأثَر الذي دلَّنا على أنَّهم لم يُؤمنوا هنا، هو تولِّي الكفَّارِ، واتِّخاذهم أولياءَ[٢].

١٢- أنَّ الفِسقَ يُطلقُ على الكفرِ؛ لقولِه: ﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾، ودليلُ ذلِك أيضًا قولُه تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ [السجدة: ٢٠]، في مقابلِ الذين آمنوا، وإذا جاءَ الفسقُ في مقابلِ الإيمانِ، والوعيدُ في مقابل الوعدِ؛ فالمراد به الكفرُ[٣].

بَلاغَةُ الآياتِ:

١- **قوله:** ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ ...﴾ جملةٌ مستأنفةٌ استئنافًا ابتدائيًّا فيها تخلُّص بديعٌ؛ لتخصيصِ اليهودِ بإلقاءِ اللَّوْم عليهم، وذِكرهم بالسُّوء دون النَّصارى[٤].

- وجاء التَّعبير بحرف الجرِّ (على) في قوله: ﴿عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ﴾ بدلًا من باءِ الملابسة؛ لإظهارِ تمكُّنِ الملابسةِ، وقصْدِ المبالغةِ فيها، أي: لُعِنوا بلسانِ

(١) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٤٠٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٥١).

(٢) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٦/ ٤٠٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٥٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٥٥).

(٤) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٩٢).

داودَ، أي: بكلامِه المُلابسِ لِلسانِه[1].

٢- **قوله:** ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾ الجملةُ مستأنَفة واقعةٌ موقعَ الجوابِ عمَّا نشَأ مِن الكلامِ، كأنَّه قيل: بأيِّ سببٍ وقعَ ذلك؟ فقيل: ذلك اللعنُ الهائلُ الفظيعُ بسببِ عِصيانِهم واعتدائِهم المستمرِّ، كما يُفيدُه الجمعُ بين صِيغتي الماضي والمستقبَل[2].

- و(ما) في قوله ﴿بِمَا عَصَواْ﴾ مصدرية، أي: بعصيانهم وكونهم معتدِين، فعدل عن التعبيرِ بالمصدرين إلى التعبيرِ بالفِعلين مع (ما) المصدريَّة؛ ليُفيدَ الفعلانِ معنى تجدُّدِ العصيان، واستمرارِ الاعتداءِ منهم، ولتفيد صِيغةُ المضيِّ أنَّ ذلك أمرٌ قديم فيهم، وصيغةُ المضارع أنَّه متكرِّرُ الحدوث، وإنما عبَّر في جانبِ العصيانِ بالماضي فقال: ﴿عَصَواْ﴾؛ لأنَّه تقرَّر فلم يقبلِ الزيادة، وعبَّر في جانبِ الاعتداءِ بالمضارع فقال: ﴿يَعۡتَدُونَ﴾؛ لأنَّه مستمرٌّ؛ فإنَّهم اعتدَوْا على محمَّد صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بالتكذيبِ والمنافقةِ، ومحاولةِ الفَتْك والكيدِ[3].

- وإيثارُ اسمِ الإشارةِ ﴿ذَٰلِكَ﴾ على الضَّمير- حيث لم يقُل: (هو بما عصوا)-؛ للتَّنبيهِ على كَمالِ ظهورِه، وامتيازِه عن نظائرِه، وانتظامِه بسببِه في سلكِ الأمورِ المشاهَدة، وما فيه مِن معنى البُعدِ؛ للإيذانِ بكَمالِ فظاعتِه، وبُعدِ درجتِه في الشَّناعةِ والهولِ[4].

- وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾ فيه تأكيدٌ على سَببِ

(١) ينظر: ((المصدر السابق)).
(٢) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٦٩).
(٣) ينظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٦/ ٢٩٣).
(٤) ينظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٦٩).

اللَّعنِ، أي: ذلك اللَّعنُ كان بسَببِ عِصيانهم وعُدوانِهم، وذُكِر هذا على سَبيلِ التوكيدِ، مع أنَّه قد فُهِمَ سَببُ اللَّعنةِ بإسنادِها إلى مَن تَعلَّقَ به الوصفُ الدالُّ على العِليَّة، وهو ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[(١)].

- وفي قولِه: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾ خَصَّ العُدوانَ بالذِّكر مع أنَّه مِن المعاصِي؛ لكونِ العُدوانِ أَشدَّ وأقبحَ مِن مُجرَّدِ المعصيةِ[(٢)].

٣- قوله: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾:

- قوله: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُ﴾ فيه تَوبيخٌ لهم، حيثُ تَضمَّنَ الإخبارَ بأمرينِ قَبيحينِ، أحدُهما: أنَّهم كانوا يَفعلون المناكِير، والآخَر: أنَّهم كانوا تارِكين للنَّهْيِ عنها، أي: عن أمثالِها في المستقبَل، وأفادَ قوله: ﴿فَعَلُوهُ﴾، التَّصريحَ بوقوعِ المُنكراتِ منهم، ولو لم يُذكَر قولُه: ﴿فَعَلُوهُ﴾ لكان المصرَّحُ به فقط هو تَرْكَ النَّهيِ عن المنكَر عند استِحقاقِ النَّهيِ؛ فانتظَمَ ثُبوتُ الأمرينِ جميعًا على أخصرِ وجهٍ وأَبْلَغِه[(٣)].

- وأفادَ تنكيرُ ﴿مُّنكَرٖ﴾ في سياقِ النفيِ بيانَ إغراقِهم في عدمِ المبالاةِ[(٤)].

- وقوله: ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ خبرٌ فيه تعجُّبٌ من سُوء فِعلهم، وفيه تأكيدٌ بالقَسم؛ فاللام في ﴿لَبِئۡسَ﴾ رابطةٌ في جوابِ قَسَمٍ مَحذوفٍ، أي: أُقسم لَبِئسَ ما كانوا يفعلون- يعني: مِن ارتكاب المعاصي والعُدوان[(٥)].

(١) ينظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٣٧).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٣٧).
(٣) يُنظر: ((تفسير الزمخشري- حاشية ابن المنير)) (١/ ٦٦٧).
(٤) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٢٦٥).
(٥) ينظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٦٧)، ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١٣٨)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٣٨)، ((تفسير الخازن)) (٢/ ٦٧).

الآيات (٨٢ - ٨٦)

﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ
وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ
بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ
مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ
رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ
وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾.

غريبُ الكَلمات:

﴿قِسِّيسِينَ﴾: جمْع قِسِّيس، وهو العالمُ العابِدُ مِن رُؤوس النَّصارى، على وزْن فِعِّيل، مِن: قَسَسْت الشَّيْء وقَصَصْته إذا تتبَّعْته؛ وسُمِّي القِسِّيسُ بهذا لتتبُّعه كِتابَه، وآثارَ مَعَانِيه، وأصل (قسس): تتبُّع الشَّيء وطلبُه[1].

﴿وَرُهۡبَانًا﴾: رُهبانُ النَّصارَى هم المبالِغونَ في الْعِبَادَة، والانقطاعِ عَن النَّاس، جمْع رَاهِبٍ، وهو الذي يَرهَبُ اللهَ، أي: يخافه، وأصل (رهب): يدلُّ على خَوفٍ[2].

﴿تَفِيضُ﴾: تَسيل، وأصل (فيض): يدُلُّ على جَرَيانِ الشَّيءِ بِسُهولةٍ[3].

---

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٣٨٥)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٧٠)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٨٥).

(٢) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٤٤٧)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٥٣)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٤٧٨).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١٤١)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٤٦٥)،

﴿ فَأَثَبَهُمُ ﴾: أي: فَجازَاهم، والإثابةُ: ما يرجِعُ للإنسانِ من ثوابٍ، وتُستعمَل في المحبوبِ والمكروهِ[1].

﴿ ٱلْجَحِيمِ ﴾: أي: النَّارِ، والجحيمُ أيضًا الجَمر، والجُحْمَة: شدَّةُ تأجُّج النَّار، وأصْل (جحم): عِظَمُ الحرارة وشِدَّتها[2].

المَعنَى الإجماليُّ:

يقول اللهُ تعالى لنبيِّه محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: لَتجِدَنَّ اليهودَ والمشركينَ أشدَّ الناسِ بُغضًا وكراهيةً وعداوةً للمؤمِنين، ولتَجِدَنَّ النَّصارى أقربَ الناسِ مودَّةً للمؤمنينَ من أهلِ الأديانِ المخالِفةِ للإسلامِ؛ والسَّببُ أنَّ منهم عُلماءَ وعُبَّادًا، وأنَّهم لا يَستكبرون.

وإذا سَمِعوا القرآنَ الكريم ترَى أعيُنَهم تَسيلُ دمعًا؛ لأنَّهم عرَفوا أنَّ ما يُتلى عليهم هو الحقُّ؛ يقولون: ربَّنا آمنَّا، فاكتبْنا مع محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وأمَّتِه.

ويقولُ هؤلاء النَّصارى: وأيُّ مانعٍ يمنعُنا مِن الإيمانِ باللهِ، وبما جاءنا على لسانِ رسولِه محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم مِن قرآنٍ يهدي إلى الرُّشدِ، ونحن نطمَعُ بسببِ إيمانِنا أن يُدخِلَنا ربُّنا مع القومِ الصَّالحين، فجزاهم اللهُ بما قالوا من الإيمانِ، ونَطَقوا من الحقِّ، جنَّاتٍ تجري من تحتِها الأنهارُ، ماكثينَ فيها أبدًا، وذلك جزاءُ مَن أحسَنَ في عِبادة ربِّه، وكان مُحْسنًا إلى الخَلقِ، وأمَّا مَن كفَر

((المفردات)) للراغب (ص: ٦٤٨)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٢٢٧).

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١١٤)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٨٠)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٥١)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٤١).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٣٧٢)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٤٢٩)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٨٧).

وكذَّب بآياتِ اللهِ تعالى، فأولئك سكَّانُ نارِ جهنَّمَ، الملازِمونَ لها.

تَفسيرُ الآياتِ:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٨٢﴾.

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا ذكَرَ اللهُ تعالى مِن أحوالِ أهلِ الكِتاب من اليهودِ والنَّصارى ما ذكَرَه في الآياتِ السَّابقةِ؛ ذكَرَ في هذه الآيةِ أنَّ اليهودَ في غايةِ العداوةِ مع المسلمينَ؛ ولذلك جعَلَهم قُرَناءَ للمشركينَ في شِدَّة العداوةِ، بل نبَّه على أنَّهم أشدُّ في العداوةِ من المشركينَ مِن جِهة أنَّه قَدَّم ذِكرَهم على ذِكْر المشرِكينَ[1] فقال تعالى:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾.

أي: لَتجِدَنَّ -يا محمَّدُ- أعظمَ النَّاسِ عداوةً للمُؤمنينَ وأكثرَهم سعيًا في إلحاقِ الضَّررِ بهم؛ لشِدَّة بُغضِهم وبَغيِهم وحسَدِهم لهم؛ اليهودَ والمشركينَ[2].

---

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤١٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٩٣-٥٩٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٦٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٦٠-٢٦٢).

قال ابنُ عُثيمين: (الخطابُ يحتمل أنْ يكون للرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وعلى هذا فيختصُّ الحُكم بهؤلاء الذين في عهْد الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم، ويحتمل العمومَ، ويكون المرادُ الجِنسَ، ليس كلَّ فرد، فلا نقول: كلُّ يهودي أشدُّ الناس عداوةً للمؤمنين، ولا كلُّ نصراني أقرَبُ الناس مودَّةً) ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٦٠).

وقال الشِّنقيطيُّ: (قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ﴾، فدلَّت هذه الآيةُ على المغايرة بين المشركين وأهلِ الكتاب، والتحقيقُ: أنَّ الكتابيِّين نوعٌ من المشركين، وقد أوْضَحَ الله في هذه السورة الكريمة أنَّ أهل الكتاب من المشرِكين؛ حيث قال فيهم: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ

﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾.

أي: ولَتجِدَنَّ- يا محمَّد- أقربَ النَّاسِ وِدادًا لأهلِ الإيمانِ مِن أهل المِلَلِ المخالِفةِ للإسلامِ، النَّصارى[1].

إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، فصرَّح تعالى بأنَّهم مشرِكون، إلَّا أنَّهم نوعٌ خاصٌّ من المشركين، ربما أُدخل في عمومهم، وربما أُفرِدَ منهم، كأنَّه غيرُ داخل فيهم؛ للفوارق التي بين الكتابيِّين وعَبَدةِ الأصنام- كما هو معروف) ((العذب النمير)) (٥/ ٢٧٠).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٦٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٦٢-٢٦٤).

وقال ابن عثيمين: (لا تعمُّ كلَّ يهوديٍّ بعينِه أو نصرانيٍّ بعينِه أو كلَّ مسلم بعينِه، لكن هذا الحكم على سبيلِ العُموم، والأحكامُ تأتي دائمًا على سبيلِ العمومِ، كما تقولُ: الرجالُ خيرٌ مِن النِّساء، يعني هذا الجنسُ خيرٌ مِن هذا الجنسِ، ويوجدُ في النِّساء مَن هو خيرٌ مِن كثيرٍ مِن الرِّجال، ويوجدُ في الرجالِ مَن هو شرٌّ مِن كثيرٍ مِن النِّساء) ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٢٦٠).

وقال أيضًا: (هنا قال: ﴿أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً﴾ ولم يقلْ: (أشدَّهم مودةً)؛ يعني ليس عندهم مودةٌ لكنهم قريبونَ، يعني أنَّ الله عزَّ وجلَّ قال في اليهودِ أنهم: ﴿أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً﴾، لكن هؤلاء قال هنا: ﴿أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً﴾، ومعلومٌ أنَّ القربَ ليس هو الوصولَ، فهم ليس عندهم مودةٌ للمؤمنين أعني: النَّصارى، لكنهم أقربُ مِن غيرِهم مودةً، ولو كان عندهم مودةٌ لقال: (أشدَّ النَّاس مودةً) أو ما أشبه ذلك) ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٢٦٢).

قال ابنُ تيميةَ: (وأمَّا قولُه في أوَّلِ الآيةِ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ [المائدة: ٨٢] فهو كما أخبرَ- سبحانَه وتعالى- فإنَّ عداوةَ المُشركينَ واليهودِ للمُؤمنينَ أشَدُّ مِن عَداوةِ النَّصارى، والنَّصارى أقرَبُ مودَّةً لهم، وهذا معروفٌ مِن أخلاقِ اليَهودِ؛ فإنَّ اليَهودَ فيهم مِنَ البُغضِ والحَسَدِ والعَداوةِ ما ليس في النَّصارى، وفي النَّصارى مِنَ الرَّحمةِ والمودَّةِ ما ليس في اليَهودِ، والعداوةُ أصلُها البُغضُ، فاليهودُ كانوا يُبغِضونَ أنبياءَهم، فكيف ببُغضِهم للمؤمنينَ؟!

وأمَّا النَّصارى فليس في الدِّينِ الذي يَدينونَ به عداوةٌ ولا بُغضٌ لأعداءِ اللهِ، الذين حارَبُوا اللهَ ورسولَه، وسَعَوْا في الأرضِ فسادًا، فكيف بعَداوَتِهم وبُغضِهم للمُؤمنينَ المُعتدلينَ، أهلِ مِلَّةِ إبراهيمَ، المؤمنينَ بجميعِ الكُتُبِ والرُّسُلِ؟

وليس في هذا مَدحٌ للنَّصارى بالإيمانِ باللهِ، ولا وَعدٌ لهم بالنَّجاةِ مِنَ العَذابِ، واستحقاقِ الثَّوابِ، وإنَّما فيه أنَّهم أقرَبُ مودَّةً، وقولُه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: بسبَبِ هؤلاء، وسبَبِ تَركِ الاستكبارِ يَصيرُ فيهم مِنَ المودَّةِ ما

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾.

مُناسَبَتُها لِما قَبْلَها:

لَمَّا ذكَر الله تعالى التفاوتَ الحاصِلَ بين اليهودِ والنَّصارى، فقال في حقِّ اليهودِ: ﴿أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ﴾، وقال في حقِّ النَّصارى: ﴿أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ﴾ أعْقَبَ ذلك بعِلَّة هذا التَّفاوتِ[1]، فقال سبحانه:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾.

أي: قرُبَتْ مودَّتُهم للمؤمنين مِن أجْلِ أنَّ منهم علماءَ وعُبَّادًا- فالعبادةُ تُلَطِّف القلبَ وتُرقِّقه- كما أنَّهم يَتواضعونَ للحقِّ إذا عرَفوه، ولا يَستكبِرون عن قَبولِه، والانقيادِ إليه إذا تبيَّنوه[2].

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨٣﴾.

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾.

يُصَيِّرُهم بذلك خيرًا مِنَ المشركينَ، وأقرَبَ مودَّةً مِنَ اليَهودِ والمُشركينَ.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣] فهؤلاء الذينَ مَدَحَهُم بالإيمانِ ووَعَدَهم بثَوابِ الآخِرَة). ((الجوابُ الصَّحيحُ)) (٣/ ١٠٧- ١١٠).

وذهب بعضُ المفسِّرين -منهم ابنُ جريرٍ والواحديُّ والبغويُّ- إلى أنَّه لم يُرِدْ بقولِه: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ جميع النَّصارى، بل الآيةُ فيمَن أسلَم منهم، مثل النَّجاشيِّ وأصحابِه أو غيرِهم. ينظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٩٧)، ((الوجيز)) للواحدي (١/ ٣٣١)، ((تفسير البغوي)) (٢/ ٧٤).

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤١٣، ٤١٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٥٩٤-٦٠٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٦٧-١٦٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤١-٢٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٦٤-٢٦٥).

قال ابنُ عاشور: (الأمَّة التي فيها أمثالُ هؤلاء تكون قريبةً من مودَّة المسلمين). ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٩).

أي: وإذَا سَمِعوا[١]، ما أُنزِل إلى مُحمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مِن القرآنِ الكريمِ يُتْلَى[٢].

﴿تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ﴾.

أي: ترَى[٣] أعينَهم قد امتلأتْ دُموعًا فتسيلُ منها؛ وذلك لأنَّهم عرَفوا أنَّ الذي يُتلَى عليهم مِن كِتاب اللهِ تعالى حقٌّ، ومِن ذلك: بَعْثةُ النبيِّ الموعودِ به- محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ- الذي خبرُه من جُملةِ الحقِّ الذي جاءَ به عيسى عليه السلامُ، والنبيُّون مِن قَبلِه[٤].

وفي حديثِ بَدْءِ الوحيِ عن عائشةَ رضي الله عنها: ((أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لَمَّا رجَعَ إلى خَديجةَ يرجُفُ فؤادُهُ، انطلقتْ به إلى وَرقةَ بنِ نوفلٍ- وكان رجلًا تنصَّرَ يَقرأُ الإنجيلَ بالعربيَّةِ- فقال وَرَقةُ: ماذا ترَى؟ فأخبرَهُ، فقال ورقةُ: هذا الناموسُ[٥] الذي أَنزلَ اللهُ على موسى، وإنْ أدركني يومُكَ أنصُرْكَ

---

(١) قال ابن تيمية: (الضميرُ وإن عادَ إلى المتقدِّمينَ، فالمرادُ جِنسُ المُتقَدِّمينَ، لا كلُّ واحدٍ منهم). ((الجوابُ الصَّحيحُ)) (٣/ ١١٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٠١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢).

(٣) قال ابنُ عاشور: (الخطاب في قوله: ﴿تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ﴾ للنبي صلَّى الله عليه وسلَّم- إنْ كان قد رأى منهم مَن هذه صِفتُه- أو هو خطابٌ لكلِّ مَن يصحُّ أن يرى؛ فهو خطابٌ لغير مُعيَّن؛ ليعمَّ كلَّ مَن يُخاطَب) ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ١٠).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٠١)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٦٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ١٠-١١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٦٦).

قال ابنُ عاشور: (أي: ففاضتْ أعينُهم من انفعال البهجة بأنْ حضروا مشهدَ تصديق عيسى فيما بَشَّر به، وأنْ حضروا الرسولَ الموعود، به ففازوا بالفضيلتين) ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ١٠).

(٥) الناموس: يقصد جِبريلَ عليه السلام- وهكذا يُسمِّيه أهل الكتاب. والناموس: هو صاحبُ سرِّ الخير؛ وناموسُ الرجُل: صاحبُ سرِّه الذي يُطلعه على باطنِ أمْره، ويَخصُّه بما يَستُرُه عن غيره. يُنظر: ((الصحاح)) للجوهري (٣/ ٩٨٦)، ((النهاية)) لابن الأثير (٥/ ١١٩).

نصرًا مؤزَّرًا))[١].

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

أي: والحالُ أنَّهم يقولون: يا ربَّنا، آمنَّا بالحقِّ؛ فلأجْلِ هذا الإيمانِ اجْعَلْنا مع محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وأُمَّتِه، وأَثبِتْنا معهم في عِدادهم؛ فهم الذين يَشهَدون للهِ تعالى بالتوحيدِ، ولرُسلِه بالرِّسالة، وصحَّةِ ما جاؤُوا به، وأنَّهم بلَّغوا أُممَهم، ويَشهَدون على الأُممِ السَّابقة بالتصديقِ أو التَّكذيب[٢]، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٢-٥٣].

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾﴾.

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ﴾.

أي: قال هؤلاءِ النَّصارى الذين أسْلَموا: وما الذي يَمنعُنا من الإيمانِ بالله تعالى، وما أتانا مِن الحقِّ، الذي لا يَقبَلُ الشكَّ والرَّيبَ[٣]؟!

(١) رواه البخاري (٣٣٩٢) واللفظ له، ومسلم (١٦٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٠٣-٦٠٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٦٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ١١)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٢٦٦-٢٦٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٠٤-٦٠٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٦٧).

قال ابنُ عاشور: (قوله: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ﴾، هو مِن قولهم؛ فيحتمل أنَّهم

كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩].

وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٢-٥٣].

﴿وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾.

أي: ونحنُ نَطمعُ بإيمانِنا أن يُدخِلَنا ربُّنا مع المؤمنِين بالله، المُطيعين له، جَنَّتَه يومَ القيامة[1].

﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٨٥)﴾.

﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾.

أي: فجَزاهم اللهُ تعالى بما تَفوَّهوا به من الإيمانِ، ونَطقوا به من الحقِّ في قولِهم: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ... مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ جنَّاتٍ تَجري الأنهارُ من تحتِ أشجارِها وقُصورِها، وهم ماكثونَ فيها على الدَّوام[2].

يقولونه في أنفسهم عندما يُخامرهم التردُّدُ في أمْر النُّزوع عن دِينهم القديم إلى الدُّخول في الإسلام، وذلك التردُّد يَعرِض للمعتقِد عند الهمِّ بالرجوع في اعتقاده... ويحتمل أنَّهم يقولونه لِمَن يُعارضهم مِن أهل مِلَّتهم أو مِن إخوانهم، ويُشكِّكهم فيما عزَموا عليه، ويحتمل أنَّهم يقولونه لِمَن يُعيِّرهم من اليهود أو غيرهم بأنَّهم لم يَتصلَّبوا في دِينهم) ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ١١-١٢).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٠٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٦٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٠٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٦٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٦٩-٢٧١).

ولَمَّا كانتِ اللَّذةُ لا تَكمُل إلَّا بالدَّوامِ، قال تعالى[١]:

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾.

أي: ماكثينَ فيها على الدَّوام، لا يخْرُجون منها، ولا يُحوَّلونَ عنها[٢].

﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

أي: هذا الذي جَزيتُ به أولئك القومَ من الخُلودِ في الجنَّاتِ، جزاءُ كلِّ مُحسِنٍ في عِبادة الله تعالى، أو مُحسنٍ إلى عِبادِه[٣].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾﴾.

مُناسَبةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا بيَّن اللهُ تعالى في آخِرِ الآيةِ السَّابقة أنَّ ما أثابَ به أولئك النَّصارى، الذين آمنوا بالرَّسولِ الأعظمِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، هو جزاءُ جميعِ المحسِنين عندَه، الذين آمنوا كإيمانِهم، وخشَعوا للحقِّ كخُشُوعهم- عقَّب عليه بذِكْر جزاءِ الـمُسيئينَ إلى أَنفُسهم بالكُفر والتكذيبِ؛ على سُنَّةِ القرآن في الجَمْع بين الوعدِ والوعيدِ[٤]، فقال تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾﴾.

أي: وأمَّا الكُفَّارُ والمكذِّبون بآياتنا فإنَّهم سُكَّانُ النَّارِ الشَّديدةِ التأجُّجِ والحرارةِ، الملازِمون لها[٥].

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٢٧١).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٠٥)، ((تفسير ابن عثيمين-سورة المائدة)) (٢/ ٢٦٩-٢٧١).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٠٥ - ٦٠٦)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٢٧١ - ٢٧٢).
(٤) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/ ١٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٧٢).
(٥) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٠٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٦٩)، ((تفسير ابن عثيمين-

الفَوائِدُ التَّربويَّة:

١- أنَّ قُربَ مودَّة النصارى للمُؤمنين له أسبابٌ؛ منها: أنَّ منهم قِسِّيسين ورهبانًا، فيُستفادُ من هذا: أنَّ العِلم نافعٌ حتَّى لغَيْرِ المسلمين، وكذلك العبادةُ تُرقِّق القلبَ، وتُزيلُ ما فيه من الجَفاء والغِلْظة، فالرَّاهِبُ إنَّما سلَك هذا الطريقَ، يُريد رضا الله، أمَّا الأوَّلُ فيُؤخَذ مِنْ قَوْلِه: ﴿بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ﴾، وأمَّا الثاني فيُؤخَذُ مِنْ قَوْلِه: ﴿وَرُهۡبَانًا﴾[(١)].

٢- أنَّ مِن أسباب قَبول الحقِّ والمودَّة للمؤمنين التواضُعَ؛ لِقَوْلِه: ﴿وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾؛ حيث إنَّ الاستكبارَ سببٌ لردِّ الحقِّ، والتواضُع سببٌ لقَبُولِه، فالمتواضِعَ أقربُ إلى الخيرِ من المستكبِر، وأقربُ إلى سماعِ الحقِّ منه[(٢)].

٣- يُستفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ فضيلةُ هؤلاء القومِ الذين يُؤمنون بالرَّسولِ عليه الصَّلاةُ والسَّلام، وأنَّهم إذا سمِعوا ما أُنزِلَ إلى الرَّسولِ ترى أعينَهم تَفيضُ من الدَّمع، ولا شكَّ أنَّ فَيْضَها من الدَّمعِ دليلٌ على الإيمانِ والتَّصديق والتأثُّر؛ لأنَّ الإنسانَ كلَّما آمَن ازداد خُشوعًا، فالإيمانُ كلَّما قوِيَ صارَ المؤمنُ كأنَّما يُشاهِدُ الشيءَ بعينه، فيَزدادُ إيمانًا وخشوعًا وبكاءً[(٣)].

٤- أنَّ تأثُّرَ هؤلاء إنَّما كان بسببِ مَعرفتِهم الحقَّ؛ ولهذا قال: ﴿مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾، والإنسانُ كلَّما عَلِمَ بالحقِّ ازداد إيمانُه به، وازداد تأثُّره به[(٤)].

سورة المائدة)) (٢/ ٢٧٢-٢٧٤).

(١) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٧٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٧٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٨٠).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٢٨٢).

٥- قَوْلُه تعالى: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا ...﴾ فيه الثَّناءُ على هؤلاء الذين آمنوا بما أُنزِلَ على الرَّسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم، بأنَّهم يُعْلنونَ الإيمانَ، ولا يُخفونَه؛ فالمؤمِنُ حقًّا يُعلِنُ إيمانَه، لا سيَّما إذا كانوا قِسِّيسين ورُهبانًا؛ لأنَّهم قدوةٌ للنَّاسِ[(١)].

٦- يَنبغي للإنسانِ أن يَدفعَ اللَّومَ عن نفْسِه، ولا يُبْقِي عِرْضَه لعِبادِ الله يَعملونَ ما يَشاؤون فيه؛ لِقَوْلِه: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾، ولهذا أصْلٌ من السُّنَّة؛ فإنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّمَ لَمَّا قام يَقلِبُ إحْدى زوجاتِه، وهي صَفيَّةُ رضي الله عنها، بعدَ أنْ بَقِيَتْ عنده قام يَقْلِبُها[(٢)]، فمرَّ به رجلانِ من الأنصارِ، فلمَّا رأيَا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ معه أهلُه خَجِلَا وسارَا بسرعةٍ، فقال لهما: ((على رِسْلِكما! إنَّها صفيَّةُ بنتُ حُيَيٍّ، فقالا: سبحانَ الله، سبحانَ الله!- يعني: لا يُمكن أنْ يقعَ في قُلوبِنا شيءٌ- فقال لهما: إنَّ الشيطانَ يَجري مِن ابنِ آدَمَ مجرَى الدَّمِ، وإنِّي خَشيتُ أنْ يَقذِفَ في قُلوبِكما شرًّا- أو قال:- شيئًا))[(٣)].

٧- أنَّ الإنسانَ لا يَنبغي أن يُعجَبَ بعملِه؛ فيشهدَ لنَفْسه أنَّه من أهل الجَنَّة؛ لقولهم: ﴿وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا﴾، ولم يَجزِموا بذلك؛ ولهذا مهما يعمَل الإنسانُ مِن عملٍ صالح مبنيٍّ على الإيمان فلا يُزكِّ نفْسَه؛ لا يَدري فلعلَّ هناك سرًّا في القلبِ لا يَشعُر به - أعاذنا الله مِن النِّفاق- قال رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ((وإنَّ الرَّجُلَ ليَعْمَلُ بعملِ أهلِ الجَنَّة فيما يَبدو للنَّاسِ، وهو مِن أهلِ النَّارِ))[(٤)].

---

(١) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/ ١١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٨٢).

(٢) يَقْلِبها: يَردُّها ويَرْجِعُها ويَصْرِفُها إلى بيتِها. يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (٤/ ٩٦)، ((مختار الصحاح)) للرزاي (ص: ٢٥٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٩٠).
والحديث أخرجه البخاريُّ (٢٠٣٥)، ومسلمٌ (٢١٧٥) من حديث صَفيَّة زَوجِ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم ورضِي الله عنها.

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٩١).

٨- أنَّه يَنبغي اختيارُ الرَّفيقِ الصَّالح؛ لِقَوْلِه: ﴿وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، وهذا أمرٌ دلَّت عليه السُّنَّةُ دلالةً صريحةً؛ فإنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال: ((مَثَلُ الجَليسِ الصَّالحِ كحَامِلِ المِسكِ؛ إمَّا أنْ يَبيعكَ أو يُحذِيَك، أو تَجِدَ منه رائحةً طيِّبة))[1].

٩- الحثُّ على الإحسانِ؛ لِقَوْلِه: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ الإحسانُ في عِبادَة اللهِ والإحسانُ إلى عِبادِ الله؛ قال رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ((وَلا تَحْقِرَنَّ من المعروفِ شيئًا، ولو أنْ تَلقَى أخاكَ بوجهٍ طَلْقٍ))[2].

١٠- يُستفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ * وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ أنَّه ينبغي للواعظِ ألَّا تكونَ موعظتُه للنَّاسِ بالترغيب دائمًا أو بالترهيبِ دائمًا؛ لأنَّه إنْ أدام الترغيبَ أوْقَعَهم في الأمْنِ مِن مَكْرِ الله، وإنْ أدام الترهيبَ أوْقَعَهم في القُنوطِ مِن رحمةِ الله؛ فالواعِظُ في الحقيقةِ كالطَّبيب، إنْ أعْطَى جرعةً زائدةً هلَك المريضُ، وإنْ نقَصَ لم يَبرأِ المريضُ، فلا بدَّ للواعظِ أنْ يُراعِيَ الأحوالَ، لا يَقتصِر على الترغيبِ دائمًا، ولا على الترهيبِ دائمًا، فمِن النَّاسِ مَنِ الأَوْلى في حقِّه التَّرغيبُ، ومِن النَّاس مَنِ الأَوْلى في حَقِّه التَّرهيبُ[3].

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائف:

١- قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ

والحديث أخرجه البخاري (٢٨٩٨)، ومسلم (١١٢) من حديث سَهلِ بن سَعد رضي الله عنه.
(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٩٢).
والحديث أخرجه البخاريُّ (٥٥٣٤)، ومسلمٌ (٢٦٢٨) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٩٤).
والحديث أخرجه مسلمٌ (٢٦٢٦) من حديث أبي ذَرٍّ رضي الله عنه .
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٩٥).

﴿أَشْرَكُواْ﴾ ذكَر المشركينَ مع اليهودِ لمناسبةِ اجتماعِ الفريقَينِ على عداوةِ المسلمينَ؛ فقد ألَّف بينَ اليهودِ والمشركينَ بُغْضُ الإسلامِ؛ فاليهودُ للحسَدِ على مجيءِ النُّبوة مِن غيرِهم، والمشرِكون لحَسَدِهم النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم على نُبُوَّتِه، وحَسَدِهم المسلمين على أنْ سبَقُوهم بالاهتداءِ إلى الدِّين الحقِّ، ونَبْذِ الباطِل، وكذا الكِبْرُ والأَنَفَةُ لدى الفريقينِ[١].

٢- أنَّ عداوةَ هؤلاءِ اليهودِ والمشركين ظاهرةٌ؛ لقوله سبحانه: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً﴾، لكنَّ الظُّهورَ والخَفاءَ أمرانِ نِسبيَّان، بمعنى أنَّ بعضَ الناسِ يَظهَرُ له ما يَخفَى على آخَر، وبعضُ الناس يَخفى عليه ما يَظهَرُ للآخَر، لكن مَن سَبَرَ الأمورَ ونظَر باعتبارٍ تَبيَّن له ذلك[٢].

٣- أنَّ الكفَّار يتفاوتونَ في العداوةِ للمُسلمينَ؛ لِقَوْلِه: ﴿أَشَدَّ﴾ و(أشد) اسمُ تفضيلٍ، يدلُّ على أنَّ هؤلاءِ الأعداءَ يختلفون، وهو كذلك، هذا هو الواقِعُ[٣]. واللهُ تعالى ذَكَرَ طَرَفينِ في مُعاملةِ المسلمين، وبَينَ الطَّرفينِ فِرَقٌ مُتفاوتَةٌ في بُغضِ المسلمين؛ مِثل: المجوس، وعبَدَة الأوثان، والمُعطِّلة[٤].

٤- أنَّ كلَّ حُكْم له سببٌ، وهذا مُطَّرِد؛ فكلُّ حُكمٍ شرعيٍّ أو قدَريٍّ له سببٌ، لكن مِن الأسباب ما يُعلَم، ومِن الأسبابِ ما لا يُعلَم؛ لأنَّ الله تعالى لم يُطلِعْنا على كلِّ شيءٍ؛ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ ...﴾ إلى آخِره[٥].

٥- في قولِه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا﴾ كيفَ مدَحَهم اللهُ تعالى بذلِك مع قولِه: ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا﴾ [الحديد: ٢٧]؟

---

(١) يُنظر: ((تفسير الشربيني)) (١/ ٣٩١)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٧٤).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٦).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٧٥).

قيل: إن ذلكَ ممدوحٌ في مُقابلةِ طريقةِ اليهودِ في القَسَاوةِ والغِلظة، ولا يلزم مِن هذا القَدْرِ كونُه ممدوحًا على الإطلاقِ(١).

٦- يُستفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ حُسْنُ تعليمِ اللهِ عزَّ وجلَّ في كِتابِه العزيزِ؛ لأنَّه إذا ذكَر الحُكْمَ ذكَرَ العِلَّةَ أحيانًا؛ فهنا ذكَر حُكمًا قَدَريًّا، وهو قُربُ النَّصارى من مودَّة المسلمين، وذكَر له عِلَّةً ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ ...﴾. كذلك ذكَر الله تعالى أحكامًا شرعيَّة كثيرةً مقرونةً بالحِكمَةِ منها؛ ومِن ذلك قولُه تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾(٢) [البقرة: ٢٢٢].

٧- التنويهُ بالرَّسولِ محمَّد صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؛ لِقَوْلِه: ﴿ٱلرَّسُولِ﴾؛ لأنَّ (أل) هنا للعهدِ الذِّهني، يعني كونَه رسولًا معلومًا لا يَخفى على أحدٍ(٣).

٨- اعترافُ الأُمم بأنَّ هذه الأمَّةَ هي الشَّاهدةُ على الأُمَمِ؛ لِقَوْلِه: ﴿مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾، وهم أمَّةُ محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾(٤) [البقرة: ١٤٣].

٩- ﴿مِن﴾ في قوله ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ يَحتملُ أن يكونَ صلةً، أي: (تجري تحتَها الْأَنْهَارُ)، ويحتمَلُ أن يكونَ المرادُ أنَّ ماءَها مِنها لا يجري إليها مِن موضعٍ آخرَ، فيقالُ: هذا النهرُ منبعُه مِن أين؟ يقال: مِن عينِ كذا، مِن تحتِ

---

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤١٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٧٥).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٢٨١).

(٤) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٢٧٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٨٢).

جبلِ كذا[١].

١٠- قول الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ يَقتضِي تخصيصَ الكفَّار بالدَّوام فيه؛ لأنَّ هذه الصِّيغةَ تُفيدُ الحصر، أي: أولئك أصحابُ الجحيمِ لا غيرُهم، والمُصاحِبُ للشيءِ هو الملازمُ له الذي لا ينفكُّ عنه[٢].

بَلاغةُ الآياتِ:

١- قَوْلُه: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ جملةٌ مُستأنَفةٌ مَسوقةٌ لتقريرِ ما قَبْلَها مِن قبائحِ اليهودِ، وعَراقتِهم في الكُفْر، وسائرِ أحوالِهم الشَّنيعة، التي مِن جُملتها موالاتُهم للمشركينَ، وأُكِّدتْ الجملةُ بالتوكيدِ القَسَمي؛ اعتناءً ببيانِ تحقُّق مضمونِها؛ فاللامُ في قوله: ﴿لَتَجِدَنَّ﴾ لامُ القَسم ويُقصَد منها التأكيدُ، وزادتْه نونُ التوكيدِ تأكيدًا[٣].

- وفي جَعْلِ اليهودِ قُرَناءَ للمُشركينِ بيانٌ لشدَّةِ عداوةِ اليهودِ للمُؤمنين، وتقديمُهم في الذِّكرِ على المشركين: إشعارٌ وتَنبيهٌ على تقدُّمِ اليهودِ في العداوةِ على الَّذين أشْركوا، كما أنَّ في تقديمِهم عليهم في قولِه تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ [البقرة: ٩٦] إيذانًا بتقدُّمِهم عليهم في الحِرصِ[٤].

- وقد أُعيدَ الموصولُ مع صِلتِه ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في قوله: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ رَوْمًا لزيادةِ التَّوضيحِ والبيانِ[٥].

---

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٢٨/ ٤٤).
(٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤١٦)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٤٨٨).
(٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٧١)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٥).
(٤) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٦٨)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٧١).
(٥) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٧١).

٢- **قولُه:** ﴿تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ﴾ **فيه:** مبالغةٌ في التَّمييزِ، وهي مِن أبلغِ التراكيب؛ لأنَّ الترقيةَ فيه تَترقَّى ثلاثَ مراتبَ، فالأُولى: فاضَ دَمْعُ عينِه، والثانية في تحويلِ الفاعِل تمييزًا: فاضتْ عينُه دَمْعًا، والثالثة: في إبرازِ التَّمييزِ في صورةِ التعليلِ كما في الآية ﴿تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ﴾؛ فأفادَ إلى جانبِ التمييزِ التعليلَ[(١)].

٣- **قَوْلُه:** ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ﴾ **فيه:** استفهامُ إنكارٍ واستبعادٍ لانتفاءِ الإيمانِ مع قيامِ موجبِه والدَّاعي له، وهو الطَّمعُ في إنعامِ اللَّهِ عليهم بصُحبةِ الصَّالحينَ[(٢)].

٤- **قَوْلُه:** ﴿وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ **فيه:** إيجازٌ بالحَذْفِ؛ حيثُ إنَّ تقديرَ الآية: ونَطْمع أنْ يُدخِلَنا ربُّنا مع القومِ الصَّالحينَ جنَّتَه ودارَ رِضوانه، إلَّا أنَّه حَسُن الحذفِ؛ لكونه معلومًا[(٣)].

٥- **قَوْلُه:** ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ التعبيرُ باسمِ الإشارةِ ﴿ذَٰلِكَ﴾، وما فيه من مَعنَى البُعد؛ للدَّلالةِ على علوِّ مرتبة هذا الجزاءِ[(٤)].

٦- **قَوْلُه:** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ التعبيرُ باسم الإشارةِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ وما فيه من معنى البُعد؛ للإشارةِ إلى بُعدِهم في السُّفولِ[(٥)].

---

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري - حاشية ابن المنير)) (١/ ٦٦٩)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحيي الدين درويش (٣/ ٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٧٠)، ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١٣٩)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٧٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤١٥).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٩٤).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٢٧٣).

الآيات (٨٧ - ٨٩)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾.

غريبُ الكَلِمات:

﴿ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ ﴾: الأيمانُ اللَّاغيةُ هي التي لا يَقصِدها الحالفُ، بل تَجرِي على لِسانه عادةً من غير تَعقيدٍ ولا تأكيدٍ[(١)]. واللَّغْو: ما يَجري في الكلامِ على غيرِ عَقْدٍ ولا قصْدٍ، ويُطلق اللَّغوُ على الباطِل من الكَلامِ[(٢)]. والأَيْمَان: جمْع يمينٍ، وهو القَسَم، وأصلُه مِن اليُمْن، أي: البركة، سمَّاها اللهُ تعالى بذلِك؛ لأنَّها تَحفَظُ الحُقوقَ[(٣)].

﴿ عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَ ﴾: وثَّقتُموها باللَّفظِ مع العزمِ عليها، والعقدُ: الجمْعُ بين أطرافِ الشَّيء، وأصلُ (عقد): يَدلُّ على شَدٍّ، وشِدَّةِ وُثوقٍ[(٤)].

﴿ أَوۡسَطِ ﴾: أي: أَعْدَل، في المقدارِ، أو في الجِنس، أو في القِلَّة والكَثْرةِ،

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (١/ ٦٠١).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٨٥)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (١/ ٤٠١)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٢٤٩).

(٣) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٨٦)، ((تفسير القرطبي)) (٦/ ٢٦٤).

(٤) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٢٦)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٨٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٥٧٦)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٦٤١).

وأصل (وسط) يَدُلُّ عَلَى العَدْلِ والنِّصْفِ[١].

﴿تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ﴾: أي: إعتاقُها؛ يُقال: حررتُ المملوك، أي: أعْتَقْته، وأصل (حرر): ما خالَف العُبوديَّة، وما بَرِئَ من العيبِ والنَّقْص، والرقبةُ تُطلَق على الإنسانِ المملوكِ[٢].

مُشكِلُ الإعرابِ:

قوله: ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ﴾.

﴿فَصِيَامُ﴾: الفاءُ رابطةٌ في جَوابِ الشَّرْطِ (مَنْ)، و(صِيام) مرفوعٌ، على أنَّه مبتدأٌ لخبرٍ محذوف، والتقديرُ: فعَليهِ صِيامُ ثلاثةِ أيَّام، أو على أنَّه خبَرٌ لمبتدأ محذوفٍ، والتقدير: فواجبُه صِيامُ ثلاثةِ أيَّام، أو مرفوعٌ على أنَّه فاعلٌ لفِعلٍ محذوفٍ، والتقدير: فيَجِبُ عليه صيامُ ثلاثةِ أيَّامٍ[٣].

المَعنَى الإجماليُّ:

يَنهى اللهُ المؤمنين أن يُحرِّموا على أنفُسِهم طيِّباتٍ أحلَّها لهم، ويَنهاهم أنْ يَتجاوَزوا حُدودَه تعالى فيما أحلَّه لهم، أو حرَّمه عليهم؛ فإنَّ اللهَ تعالى لا يُحبُّ مَن يَتعدَّى حُدودَه.

كما يَأمرُهم سبحانه أنْ يأكلوا مِن الرِّزقِ الحلالِ الطيِّبِ الذي رزقَهم إيَّاه، وتفضَّلَ عليهم به، وأن يتَّقوا اللهَ الذي آمَنوا به.

---

(١) يُنظر: ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٧٣، ١٧٤).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٤٥٧)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١٥٧)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٣٦١) ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٢١)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٣١٠).

(٣) يُنظر: ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (١/ ٢٣٦)، ((التبيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/ ٣٨١)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٧٢)، ((إعراب القرآن الكريم)) للدعاس (١/ ٢٧٥).

ثم يُخبر الله جلَّ وعلا أنَّه لا يُؤاخِذُ على اللَّغْوِ في اليمينِ، وهو ما يجري على الألْسِنَةِ بدونِ قصدٍ، لكنَّ مُؤاخذتَه تعالى على ما عُقِدَ العزمُ عليه، وقُصِدَ من الأيمانِ، فإذا ما حنَث أحدٌ في أيمانٍ معقودةٍ فكفَّارةُ ذلك أنْ يُطعِمَ عَشَرة مساكينَ، طعامًا وسَطًا بين الجيِّد والرَّديءِ ممَّا يُطعِمُ أهلَه منه، أو كسوةُ عَشَرةِ مَساكينَ، أو عِتقُ رَقَبةٍ مؤمنةٍ، فمَن لم يجِدْ ما يكفِّرُ به مِن إطعامٍ أو كساءٍ أو تحريرِ رقبةٍ فعليه حينئذٍ صِيامُ ثلاثةِ أيَّام تكفِّر يمينَه، فهذه الخِصالُ المذكورةُ هي كفَّارةُ الأَيْمانِ المعقودة. ثمَّ أمَر الله عِبادَه بأنْ يَحفظوا أيمانَهم بتَرْك الحَلِف كذبًا، وترْك الإكثارِ من الحَلِف، وعدَم الحِنْث في اليَمينِ إلَّا إذا كان خيرًا، فإذا حنثوا فيها كفَّروا كفَّارةَ اليمينِ، فبذلك تُحفَظُ أيمانُهم، كذلك يُوضِّحُ اللهُ آياتِه لعِبادِه؛ ليَشْكُروه سبحانَه على ذلك.

تَفسيرُ الآياتِ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا تَقدَّم الثناءُ على القِسِّيسين والرُّهبان، وكان مِن سُنَّتِهم المبالغةُ في الزُّهدِ، وقدْ أحْدَثوا رهبانيَّةً من الانقطاعِ عن التَّزُّوجِ، وعن أكْلِ اللُّحومِ، وكثيرٍ من الطيِّبات وغير ذلك- نبَّه اللهُ تعالى المؤمنينَ على أنَّ الثناءَ على الرُّهبان والقِسِّيسين بما لهم مِن الفَضائلِ لا يَقتضي اطِّرادَ الثناءِ على جميعِ أحوالِهم الرهبانيَّة(١)، فقال عزَّ وجلَّ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾.

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ١٣).

أي: يا أيُّها المؤمنونَ، لا تَحكُموا بالحُرمةِ على ما أباحه اللهُ تعالى لكم من مَلذَّاتٍ تَشتهيها النُّفوسُ مِن مناكِحَ ومطاعِمَ ومشارِبَ وغيرِها، فلا تردُّوا نِعمتَه عليكم بعدَمِ قَبولِها، واعتقادِ تَحريمِها، فتَجمعوا بذلك بين الكَذِبِ على الله تعالى، وكُفرِ نِعمتِه(١).

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦].

وعن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه، قال: ((جاءَ ثلاثةُ رَهْطٍ(٢) إلى بُيوتِ أزواجِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، يَسأَلونَ عن عِبادةِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فلمَّا أُخْبِروا كأنَّهم تَقالُّوها(٣)، فقالوا: أين نحنُ مِنَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؟ قدْ غفَرَ اللهُ له ما تَقدَّم من ذَنْبِه وما تأخَّر، قال أحدُهم: أمَّا أنا فإنِّي أُصلِّي اللَّيلَ أبدًا، وقال آخَرُ: أنا أصومُ الدَّهرَ ولا أُفطِرُ، وقال آخَرُ: أنا أَعتزِلُ النِّساءَ فلا أتزوَّجُ أبدًا، فجاءَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقال: أنتمُ الذين قُلتُم كذا وكذا؟ أمَا واللهِ إنِّي لَأخشاكم للهِ وأتْقاكم له، لكنِّي أصومُ وأُفطِرُ، وأُصلِّي وأرقُدُ، وأتزوَّجُ النِّساءَ؛ فمَن رغِبَ عن سُنَّتي فليس منِّي))(٤).

وعن سَعدِ بن أبي وقَّاصٍ رضي الله عنه، قال: ((أرادَ عُثمانُ بنُ مَظعونٍ أنْ

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٠٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ١٣، ١٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٩٩-٣٠٠).

(٢) الرَّهْطُ: ما دُونَ عَشَرةٍ مِنَ الرِّجالِ، ليس فيهِم امرأةٌ، وقيل: ما دونَ الأربعينَ. يُنظر: ((المصباح المنير)) للفيومي (١/ ٢٤١)، ((مرقاة المفاتيح)) للملا الهروي (١/ ٢٢٧).

(٣) تَقَالُّوها: استَقَلُّوها، وهو تفاعُلٌ مِنَ القِلَّة. يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (٤/ ١٠٤)، ((فتح الباري)) لابن حجر (٩/ ١٠٥).

(٤) رواه البخاري (٥٠٦٣) واللفظ له، ومسلم (١٤٠١).

يَتبتَّلَ(١)، فنهاه رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ولو أجازَ له ذلِك لاختَصَيْنا))(٢).

وعن عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رَضِيَ الله عنهما، أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال له: ((ألَمْ أُخبَرْ أنَّكَ تقومُ اللَّيلَ وتصومُ النَّهارَ؟ قلتُ: إنِّي أفعلُ ذلك، قال: فإنَّك إذا فعلتَ ذلِك، هَجَمَتْ(٣) عَيناك، ونَفِهَتْ(٤) نَفْسُكَ! لِعينِكَ حقٌّ، ولنَفْسِكَ حقٌّ، ولأهلِكَ حقٌّ؛ قُمْ ونَمْ، وصُمْ وأفطِرْ))(٥).

وعن أبي جُحَيفةَ وهْبِ بنِ عبدِ الله السُّوَائِيِّ، قال: ((آخَى النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بين سَلمانَ وأبي الدَّرداءِ، فزارَ سَلمانُ أبا الدَّرداءِ، فرأى أُمَّ الدَّرداءِ مُتبَذِّلَةً(٦)، فقال لها: ما شأنُكِ؟ قالتْ: أخوك أبو الدَّرداءِ ليس له حاجةٌ في الدُّنيا، فجاءَ أبو الدَّرداءِ، فصَنَع له طعامًا، فقال: كُلْ، قال: فإنِّي صائمٌ، قال: ما أنا بآكِلٍ حتى تأكُلَ، قال: فأكَل، فلمَّا كان اللَّيلُ ذهَب أبو الدَّرداءِ يَقومُ، قال: نَمْ، فنامَ، ثم ذهَبَ يَقومُ، فقال: نَمْ، فلمَّا كان مِن آخِرِ اللَّيلِ، قال سَلمانُ: قُمِ الآنَ، فَصلَّيَا، فقالَ له سَلمانُ: إنَّ لربِّك عليك حقًّا، ولنفْسِك عليك حقًّا، ولأهلِك عليك حقًّا، فأعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، فأتَى النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فذكَر ذلك له، فقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: صَدَق سَلمانُ))(٧).

(١) أرَادَ أنْ يَتبَتَّلَ: أي: أراد الانقطاعَ عن النِّساء وتَرْكَ النِّكاح. ينظر: ((النهاية)) لابن الأثير (١/ ٩٤).
(٢) رواه البخاري (٥٠٧٣)، ومسلم (١٤٠٢) واللفظ له.
(٣) هَجَمَتْ، أي: غَارَتْ ودَخَلَتْ في نُقْرَتِها من الضَّعْفِ. ينظر: ((النهاية)) لابن الأثير (٥/ ٢٤٧)، ((شرح النووي على مسلم)) (٨/ ٤٥).
(٤) نَفِهَت- بكسرِ الفاءِ، وفتْحُها لغةٌ-: أي: أعيتْ وكلَّتْ، وضَعُفَتْ وسَقَطَتْ. ينظر: ((الصحاح)) للجوهري (٦/ ٢٢٥٣)، ((النهاية)) لابن الأثير (٥/ ١٠٠)، ((تاج العروس)) للزبيدي (٣٦/ ٥٢٩).
(٥) رواه البخاري (١١٥٣)، ومسلم (١١٥٩) واللفظ له.
(٦) مُتبَذِّلَةً: أي: لابِسَةً ثيابَ البِذْلةِ- بكَسرِ الباءِ- وهي: المِهْنَةُ وزنًا ومعنًى، أي: أنَّها تارِكةٌ لِلِباسِ الزِّينةِ. والتَّبَذُّل: تَركُ التَّزيُّنِ والتَّهَيُّؤ بالهَيئةِ الحَسَنةِ الجَميلةِ. يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (١/ ١١١)، ((فتح الباري)) لابن حجر (٤/ ٢١٠).
(٧) رواه البخاري (١٩٦٨).

﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾.

أي: ولا تُجاوِزوا حدودَ الله تعالى فيما أَحلَّ لكم وحَرَّم عليكم؛ فإنَّ الله تعالى لا يُحبُّ مَن يَتعدَّى حدودَه سُبحانَه(١).

﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ٨٨﴾.

﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾.

أي: وكُلوا- أيُّها المؤمنونَ- مِن رِزق اللهِ تعالى الذي ساقَه إليكم، ويَسَّره لكم في حالِ كونِه حلالًا، غيرَ خَبيثٍ(٢).

كما قال تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وقال أيضًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾.

أي: واجْعَلوا بينكم وبين غضَبِ الله تعالى وعذابِه حاجزًا يَقيكم مِن ذلك

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٠٦، ٦٠٧، ٦١٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٠٠-٣٠١).
وقيل: ذِكرُ الاعتداءِ في مقابلة تحريم الطيِّبات يدلُّ على أنَّ المرادَ النهيُ عن تجاوُز حدِّ الإذن المشروع، كما قال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩]، فلمَّا نهى عن تحريمِ الحلال أَرْدَفَه بالنهيِ عن استحلالِ المحرَّمات، وذلك بالاعتداءِ على حُقوقِ الله تعالى، أو على حُقوقِ النَّاس، فعلى ذلك يكون المراد: كما لا تُحرِّمون الحلالَ فلا تعتدوا في تناول الحلال، بل خُذوا منه بقدْرِ كِفايتكم وحاجتكم، ولا تجاوزوا الحدَّ فيه، كما قال تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، وقد جعَل ابنُ كثيرٍ هذا المعنى ممَّا تحتملُه الآية. يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٧٢)، وذكره ابن عاشور في ((تفسيره)) (٧/ ١٧).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦١٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٧٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٠١).

بامتثالِ ما أمَرَ به، واجتنابِ ما نَهى عنه، ومِن ذلك اعتداءُ حدودِه؛ فإنَّ إيمانَكم باللهِ عزَّ وجلَّ يُوجِبُ عليكم تقواه(١).

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٨٩)﴾.

مُناسَبةُ الآيةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ...﴾؛ وكان التحريمُ يقعُ في غالِبِ الأحوالِ بأيمانٍ معزومةٍ، أو بأيمانٍ تَجري على اللِّسان لقصدِ تأكيدِ الكلامِ، أو تجري بسبب غضبٍ، عقَّب الله تعالى ذلك بقوله(٢):

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾.

أي: لا يُعاقِبُكم اللهُ تعالى بكفَّارةٍ تَلزمُكم في الدُّنيا، ولا بعُقوبةٍ تَحُلُّ بِكم في الآخِرة، على الأيْمانِ التي صدَرَتْ منكم على وجهِ اللَّغْو، وهي الأيْمانُ التي حلَف بها المُقسِمُ مِن غير نيَّةٍ ولا قَصْدٍ، أو عقَدَها يظنُّ صِدْقَ نفْسِه، فبان الأمرُ بخِلافِ ما ظنَّه(٣).

﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾.

القِراءاتُ ذاتُ الأثرِ في التَّفسير:

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦١٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٧٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٠١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ١٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٧٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٢٠-٤٢١).

في قوله تعالى: ﴿عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَـٰنَ﴾ قراءات:

١- ﴿عَاقَدْتُمُ﴾، أي: تَعاهدتُم، وتحالفتُم، وهو فعلٌ مِن اثنين[(١)].

٢- ﴿عَقَدْتُمُ﴾ -بتَخفيفِ القافِ-، أي: أَوْجَبْتُم، فالمعنى: أوجبتموها على أنْفُسِكم، وعَزَمتْ عليها قلوبُكم، وهذا يدلُّ على أنَّه أراد به عقْدَ مرَّةٍ واحدة؛ لأنَّ مَن حَلَف مرَّةً واحدةً لَزِمَه البِرُّ أو الكفَّارة[(٢)].

٣- ﴿عَقَّدْتُمُ﴾ -بتشديد القاف-، أي: وَكَّدتُم، فالتَّشديدُ يدلُّ على كثرةِ الفِعل؛ فهو يدلُّ على توكيدِ اليمينِ بالحَلِفِ على الشيءِ مرارًا[(٣)].

﴿وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَـٰنَ﴾.

أي: ولكن يُعاقِبُكم اللهُ تعالى بما عقدتُم العزمَ عليه، وقَصدتموه مِن الأيْمان[(٤)].

﴿فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ﴾.

أي: كفَّارةُ ما حَنِثْتُم فيه من اليمينِ المعقودةِ؛ إطعامُ عَشَرةِ مَحاويجَ ليس لَديهم ما يَكفِيهم، مِن صِنفٍ وَسَطٍ بين الجيِّد والرَّديء، ممَّا تُطعمون أَهْلِيكم[(٥)].

---

(١) قرأ بها ابنُ ذكوان. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٦).
ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: ٢٣٥)، ((البحر المحيط)) لأبي حيان (٤/ ٣٥١).

(٢) قرأ بها حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ، وأبو بكر. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٦).
ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦١٦)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: ٢٣٤)، ((الكشف)) لمكي (١/ ٤١٧).

(٣) قرأ بها الباقون. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٦).
ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((معاني القراءات)) للأزهري (١/ ٣٣٨)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: ٢٣٤)، ((الكشف)) لمكي (١/ ٤١٧)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٣٥٣).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦١٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٧٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٠٩).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٠)، ((تفسير ابن عثيمين-

﴿أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ﴾.

أي: وإمَّا كسوةُ عَشرةِ مَساكين(١).

﴿أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ﴾.

سورة المائدة)) (٢/ ٢١٧-٢١٨).

واختارَ أنَّ المراد بـ ﴿أَوۡسَطِ﴾: أي: وسطٌ بين الجيِّد والرَّديء: القرطبيُّ في ((تفسيره)) (٦/ ٢٧٦)، وابنُ عُثيمين في ((تفسير سورة المائدة)) (٢/ ٣١٠).

وممَّن قال بنحوِ هذا القولِ مِن السَّلف: ابنُ عُمر، والأسود، وعَبيدة، والحسن، وابنُ سِيرين، وشُريح. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٢٤- ٦٢٦)، ((زاد المسير)) لابن الجوزي (١/ ٥٨٠).

وقيل: وسطٌ بين القِلَّة والكثرةِ، وهو اختيارُ ابن جرير في ((تفسيره)) (٨/ ٦٣٦-٦٣٧).

وممَّن قال بنحو ذلك مِن السَّلف: عُمر، وعليٌّ، وابن عبَّاس، ومجاهد، وسعيد بن جُبَير، والضحَّاك. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٣٥)، ((زاد المسير)) لابن الجوزي (١/ ٥٧٩).

وقيل: المراد بالأوسط هنا: الأفضل والأجود. يُنظر: ((الوجيز)) للواحدي (ص: ٣٣٣).

وممَّن قال بذلك من السلفِ: عطاء. يُنظر: ((تفسير ابن أبي حاتم)) (٤/ ١١٩٢).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٣٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣١٠).

قال ابنُ جرير: (وأَوْلى الأقوالِ في ذلك عِندنا بالصِّحَّة وأشبهها بتأويل القرآن: قولُ مَن قال: عنَى بقوله: ﴿أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ﴾ ما وقَع عليه اسمُ كسوة ممَّا يكون ثوبًا فصاعدًا؛ لأنَّ ما دون الثوبِ لا خِلافَ بين جميعِ الحُجَّة أنَّه ليس ممَّا دخل في حُكم الآية، فكان ما دون قدْرِ ذلك خارجًا من أن يكونَ الله تعالى عناه بالنَّقْل المستفيض، والثوب وما فوقه داخلٌ في حُكم الآية؛ إذ لم يأتِ مِن الله تعالى وحيٌ، ولا مِن رَسولِه صلَّى الله عليه وسلَّم خبرٌ، ولم يكُن من الأمَّة إجماعٌ بأنَّه غيرُ داخلٍ في حُكمها، وغيرُ جائزٍ إخراجُ ما كان ظاهرُ الآية محتملَه من حُكم الآية إلَّا بحُجَّة يجب التسليمُ لها، ولا حُجَّة بذلك) ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٤٥).

وقال ابنُ عثيمينَ: (قوله: ﴿أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ﴾ معطوفةٌ على ﴿إِطۡعَامُ﴾، والكسوةُ ما يكسو به الإنسانُ بدنَه، وتختلفُ الكسوةُ باختلافِ الأزمانِ والبلدانِ والأحوالِ، ولذلك ترون في مواسم الحجِّ والعمرةِ اختلافًا كبيرًا في كسوةِ النَّاس، فيرجعُ في هذا إلى العرفِ، ففي بلادِنا الكسوةُ عبارةٌ عن قميصٍ وسروالٍ وغترةٍ وطاقيةٍ، هذه الكسوةُ، وإن نقص شيءٌ مِن ذلك فالكسوةُ ناقصةٌ. وقوله: ﴿أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ﴾ لم يقيَّد (من أوسط ما تكسون)، فيُؤخذ بما يعدُّ كسوةً) ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٣١٠).

أي: أو فكُّ عبدٍ مُؤمنٍ مِن أَسْرِ العُبوديَّة(١).

فمَتَى فعَل واحدًا مِن هذه الثلاثةِ التي هو مخيَّرٌ فيها، فقدِ انحلَّتْ يمينُه(٢).

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾.

أي: فمَن لم يَقْدِرْ على التَّكفيرِ عن يمينِه بواحدةٍ مِن هذه الخِصالِ الثَّلاث، فعليه أنْ يَعدِلَ إلى الصِّيامِ، فيصومَ ثلاثةَ أيَّام(٣).

﴿ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾.

أي: هذا الذي ذَكرتُه لكم مِن الخِصالِ الأربعِ (الإطعام، والكسوة، وتحرير رَقبة، والصِّيام)، يُكفِّرُ ما حَنِثْتُم فيه من الأيمانِ المعقودةِ(٤).

﴿وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ﴾.

أي: واحْفَظوا- أيُّها المؤمنون- أيمانَكم عن الحَلِف باللهِ تعالى كَذِبًا، وعن كثرةِ الحَلِف، وعن الحِنْثِ فيها- إلَّا إنْ كان الحِنثُ خَيرًا- وعن ترْكِ الكفَّارة إذا

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٤٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣١٠-٣١١).

واشترَط الإيمانَ في الرَّقبة المحرَّرة: الواحديُّ في ((الوجيز)) (ص: ٣٣٣)، والقرطبيُّ في ((تفسيره)) (٦/ ٢٨٠)، والسعديُّ في ((تفسيره)) (ص: ٢٤٢)، وابنُ عثيمين في ((تفسير سورة المائدة)) (٢/ ٣١١). وهذا قول الجمهور خلافًا للحنفية. يُنظر: ((بداية المجتهد)) لابن رشد (١/ ٤١٩)، ((المجموع)) للنووي (١٧/ ٣٦٨)، ((المغني)) لابن قدامة (٨/ ٢٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢).

ونقَل الإجماعَ على التخيير بين هذه الثلاثة: ابنُ جرير في ((تفسيره)) (٨/ ٦٤٨)، وابنُ كثير في ((تفسيره)) (٣/ ١٧٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٥٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٧٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣١١).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٥٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣١٢).

لِزِمَتْكُم[١].

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

أي: كمَا أوضحَ اللهُ تعالى لكم كفَّارةَ أيمانِكم، فإنَّه يُوضِّحُ لكم أيضًا آياتِه الشرعيَّةَ، وأعلامَ دينِه؛ لتَشْكُروه سبحانَه على ذلك حيثُ علَّمكم ما لم تكونوا تَعلمُون[٢].

الفَوائِدُ التَّربويَّة:

١- تَصديرُ الخِطابِ بالنِّداء في قولِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يدلُّ على أهميَّته؛ لأنَّ النِّداءَ يَستلزمُ انتباهَ المخاطَب، وإصدار الخِطابِ بوصْفِ الإيمان يدلُّ على أنَّ ما سيُذكَر مِن خِصال الإيمان، وأنَّ مُخالفتَه نقْصٌ في الإيمانِ، ثم إنَّ فيه إغراءً للامتثالِ؛ لأنَّك إذا وصفْتَ شخصًا بوصْفٍ لتأمُرَه أو تنهاه، فهذا من بابِ الإغراءِ بهذا الوَصْفِ؛ ولذلك تقولُ لشخصٍ: أنتَ رجلٌ؛ كيف تفعل كذا وكذا؟! فقولك: أنت رجل، يَعني: مُقتضى الرُّجولةِ ألَّا تَفعَلَ، وتقول: يا فلان، أنت كريمٌ، وهذا سائلٌ، يعني: فأَعْطِه[٣].

٢- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ النَّهي إنَّما هو عن تحريمِ ذلك على النَّفْس، أمَّا ترْك تناوُلِ بعضِ ذلك في بعضِ الأوقاتِ من غيرِ التزامٍ، ولقصدِ التربية للنَّفس على التصبُّرِ على الحِرمانِ عند عدم الوِجدانِ، فلا بأسَ به بمقدارِ الحاجةِ إليه في رِياضة النَّفسِ. وكذلك

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٥٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣١٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٥٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٧٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢-٢٤٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣١٢-٣١٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٢٩٩).

الإعراضُ عن كثيرٍ مِن الطيِّبات للتطلُّعِ إلى ما هو أعْلى؛ من عِبادةٍ أو شُغلٍ بعملٍ نافعٍ، وهو أعْلى الزُّهْدِ، وقد كان ذلك سُنَّةَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وخاصَّةٍ مِن أصحابِه، وهي حالةٌ تُناسِبُ مرتبتَه، ولا تتناسَبُ مع بعض مراتبِ النَّاس، فالتطلُّعُ إليها تعسيرٌ، وهو مع ذلك كان يتناولُ الطيِّباتِ دون تشوُّفٍ ولا تَطلُّعٍ، وفي تناولها شُكرٌ لله تعالى[1].

٣- قال تعالى: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ ولم يقُل تعالى: (وكلوا ما رزقكم الله)، وكلمة (مِن) للتبعيض، فكأنَّه قال: اقتَصِروا في الأكْل على البعضِ، واصْرِفوا البقيَّةَ إلى الصَّدَقات والخَيْرات؛ لأنَّه إرشادٌ إلى ترْك الإسرافِ، كما قال: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾[2] [الأنعام: ١٤١].

٤- قَوْلُه تعالى: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ يدلُّ على أنَّه تعالى قد تكفَّلَ برزقِ كلِّ أحد؛ فإنَّه لو لم يَتكفَّلْ برِزقه لَمَا قال: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾ وإذا تكفَّلَ اللهُ برزقه وجَبَ ألَّا يُبالَغَ في الطَّلَبِ، وأنْ يُعوَّلَ على وعْدِ الله تعالى وإحسانِه؛ فإنَّه أكرمُ مِن أن يُخلِفَ الوعدَ، ولذا ورَد: ((ألا فاتَّقُوا الله وأجْمِلوا في الطَّلَبِ))[3].

٥- يُستفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿حَلَالًا طَيِّبًا﴾ أنَّ ذلك القيد ﴿طَيِّبًا﴾ هو قيدٌ مُحذِّر ممَّا فيه شُبهةٌ؛ تنبيهًا على الوَرَع، ويكون معنى طِيبه تيقُّنَ حِلِّه، فيكون بحيث تتوفَّر الدَّواعي على تناوُله دِينًا توَفُّرَها على تناوُلِ ما هو نهايةٌ في اللَّذةِ شهوةً وطبعًا،

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ١٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤١٨).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

والحديث أخرجَه ابنُ ماجه (٢١٤٤)، والطبرانيُّ في ((المعجم الأوسط)) (٣١٠٩)، والحاكمُ (٢١٣٥) من حديث جابرٍ رضي الله عنه.

قال ابنُ عبد البرِّ في ((التمهيد)) (٢٤/ ٤٣٥): مُسنَدٌ حسَن. وضَعَّفَ إسنادَه البُوصِيريُّ في ((مصباح الزجاجة)) (٢/ ٦)، وصحَّحه الألباني في ((صحيح سنن ابن ماجه)) (٢١٤٤).

والحديث رُوي من طُرقٍ عن أبي أُمامةَ وابنِ مَسعودٍ وحذيفةَ رضي الله عنهم.

وأنْ يكون مُخرِجًا لِمَا تَعافُه النَّفسُ ممَّا أخَذَ في الفساد من الأطعمةِ؛ لئلَّا يضرَّ[١].

٦- أنَّ الإيمانَ بالله عزَّ وجلَّ مستلزِمٌ لتقواه؛ لِقَوْلِه: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾، أي: فلإيمانِكم يَلزمُكم التقوى، فالإيمانُ الحقيقيُّ مستلزِمٌ للتقوى، فمَن لم يَتَّقِ اللهَ، فهو إمَّا فاقدٌ للإيمانِ بالكليَّة، وإمَّا ناقصُ الإيمانِ[٢].

٧- قَوْلُه تعالى: ﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ في الأمْر بالتَّقوى في هذا المقامِ جمْعٌ بينَ حقوقِ الرُّوحِ والجَسد، وفيها دفْعٌ لِمَن قد يَستشكِل قائلًا: إنَّ الدِّينَ شُرِع لتزكيَةِ النُّفوس، والتمتُّعُ بالشَّهواتِ واللذَّات يُنافي التزكيةَ، وإنِ اقْتُصِرَ فيه على المباحاتِ؛ فكيف يكون الاستمتاعُ بالطيِّباتِ مطلوبًا شرعًا؟!

ووَجْهُ ذلِك الدَّفعِ: أنَّ تزكيةَ الأنفُس إنَّما تكونُ بإيقافِها عندَ حدِّ الاعتدالِ، واجتنابِ التَّفريطِ والإفراط، وقد خلَق اللهُ الإنسانَ مركَّبًا من رُوحٍ مَلكيَّة وجَسَد حيوانيٍّ، فلم يجعلْه مَلَكًا مَحضًا، ولا حيوانًا مَحضًا، وسخَّر له بهذه المزيَّة جميعَ ما في عالَمِه الذي يعيش فيه مِن الموادِّ والقُوى والأحياء، وجعَل مِن سُنَّته في خلْقه أنَّه تكونُ سلامةُ البدن وصحَّتُه من أسباب سلامةِ العقلِ وسائرِ قُوى النَّفْس؛ ولذلك حرَّم عليه ما يضرُّ بجَسَده، كما حرَّم عليه ما يضرُّ برُوحِه وعقلِه، فالتمتُّعُ بالطيِّبات من غيرِ إسرافٍ ولا اعتداءٍ لحدودِ الله وسُننِ فِطرته هو الذي يُؤدَّى به حقُّ الجَسدِ وحقُّ الرُّوح، ويُستعان به على أداءِ حُقوق اللهِ وحُقوقِ خَلْقه، فإنْ صَحِبَتْه التقوى فيه وفي غيرِه تتمَّ التزكيةُ المطلوبةُ[٣].

٨- قولُه تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾، وفي سورةِ البقرة:

---

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٢٨٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٠٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/ ٢٥).

﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥]، فيه دليلٌ على أنَّ العِبرة بما في القُلوب، وهذا كقولِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ((إنَّما الأعمالُ بالنيَّات، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى))[١]، ويَنبني عليه مسائلُ كثيرةٌ في الأيمانِ والطَّلاقِ والبيوع والأوقافِ وغيرِها[٢].

٩- يُستفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿وَاحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ أنَّه ينبغي تقليلُ الأيمانِ، وحِفظُ اليمينِ عن الحِنْث، هذا إذا لم يكُنْ حلَف بيمينِه على ترْكِ مندوبٍ أو فِعْلٍ مَكروهٍ، فإنْ حلَف على ترْك مندوبٍ أو فِعل مكروهٍ، فالأفضلُ أنْ يَحنثَ في يَمينِه، ويُكفِّرَ ويأتيَ الذي هو خيرٌ؛ لحديث أبي هُرَيرةَ رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال: ((مَن حلَف على يمينٍ فرَأى غيرَها خيرًا منها، فليأتِ الذي هو خيرٌ، وليُكفِّرْ عن يمينِه))[٣].

١٠- أنَّ العِلم مِن نِعَم الله التي يجبُ علينا شُكرُها؛ لأنَّ بيانَ الآياتِ به يَعلمُ الإنسانُ آياتِ الله، فإذا كان اللهُ يُبيِّنها لِنَشْكُرَه عليها، دلَّ ذلك على أنَّ العِلمَ بالشريعةِ وبآياتِ الله نعمَةٌ يجب على الإنسانِ أنْ يَشكُرَها؛ لقول الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٤].

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِف:

١- في قولِه تعالى: ﴿لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ تنبيهٌ لفُقهاءِ الأمَّة على الاحترازِ في القولِ بتحريم شيءٍ لم يَقُمِ الدليلُ على تحريمِه، أو كان دليلُه

---

(١) أخرجه البخاريُّ (١) واللفظ له، ومسلم (١٩٠٧).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣١٤).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٥٠٤)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٢٨٩)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/ ٣٤).
والحديث أخرجه مسلم (١٦٥٠).
(٤) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٢٦).

غيرَ بالغٍ قوَّةَ دليلِ النَّهيِ الواردِ في هذه الآيَةِ(١).

٢- الإشارةُ إلى مِنَّة اللهِ تبارَك وتعالى على عِبادِه بما أحلَّ لهم؛ لِقَوْلِه: ﴿طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾، ولو شاءَ اللهُ عزَّ وجلَّ لحرَّم علينا طيباتٍ أُحِلَّت لنا، كما حرَّم ذلك على بني إسرائيلَ؛ حيث قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ﴾ [النساء: ١٦٠]، وتحريمُ الطيِّباتِ الشرعيُّ بسببِ الظُّلمِ مِثلُه التحريمُ القَدَريُّ بسبب الظُّلم؛ فإنَّ الإنسانَ قد يُحرَم الطيِّباتِ تحريمًا قدريًّا كالمريضِ الذي يمتنعُ مِن أكلِ اللحمِ؛ لأنَّه يزيدُه مرضًا، وكما يمنعُ اللهُ نباتَ الأرضِ بسببِ المَعاصي، فهذا تحريمٌ قدريٌّ(٢).

٣- ذهَب بعضُ العُلماء إلى أنَّ مَن حرَّم مأكلًا أو مَشربًا أو شيئًا من الأشياءِ، فإنَّه يجب عليه بذلك كفَّارةُ يمينٍ، كما إذا الْتزمَ ترْكَه باليمينِ، فكذلك يُؤاخَذُ بمجرَّد تحريمِه على نفْسِه إلزامًا له بما الْتَزَمه؛ فإنَّه لَمَّا ذكَر هذا الحُكم ﴿لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ عقَّبه بالآيةِ المبيِّنة لتكفيرِ اليَمينِ؛ فدلَّ على أنَّ هذا مُنزَّلٌ منزلةَ اليمينِ في اقتضاءِ التَّكفير، وَكَمَا فِي قَوْلِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [التَّحرِيم: ١]، ثمَّ قال: ﴿قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡ ...﴾ [التَّحرِيم: ٢] واللهُ تعالى أعلم(٣).

٤- خَصَّ الله الأكلَ بالذِّكْرِ في قولِه: ﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾؛ بعدَ أنْ قال: ﴿لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ ...﴾؛ لأنَّ مُعظَمَ ما حرَّمه الناسُ على أنفُسِهم هو المآكِلُ(٤).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ١٦).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٠٢).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٧١).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ١٧).

٥- إثباتُ المحبَّة للهِ عزَّ وجلَّ؛ لِقَوْلِه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾؛ لأنَّ نفيَه محبَّةَ المعتدِين يدلُّ على ثُبوتِ أصل المَحبَّة، ولو كان لا يُحبُّ مُطلقًا لم يكن لنَفْيِ محبَّته للمعتدينَ فائدةٌ(١).

٦- في قولِه تعالى: ﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ أمْرُ الإنسانِ بالأكْلِ ممَّا رزَقَ اللهُ، وضدُّه عدمُ الأكْل، وعدمُ الأكلِ ممَّا رزق اللهُ ثلاثةُ أقسام: الأوَّل: أن يَترُك الأكلَ مع خوفِ الهلاك إذا لم يأكُلْ، فهنا تركُ الأكْلِ حرامٌ؛ لأنَّه يجبُ على الإنسانِ أن يُنقِذَ نفْسَه. الثاني: إذا كان ليس به ضرورةٌ للأكْلِ لكن يحتاجُ إلى الأكْلِ لتقويةِ البَدنِ، فهنا الأكلُ مُستحَبٌّ؛ لأنَّه لو ترَكَه لم يَهلِك، لكنَّه في حاجةٍ، نقول له: لا تمنعْ نفْسَك. الثالث: أن يَترُكَ الأكلَ تنزُّهًا، فهذا يُنهَى عنه، ويُقال: كُلْ ممَّا أباحَ اللهُ لك(٢).

٧- سَعةُ حِلم اللهِ وعَفْوِه؛ لِقَوْلِه: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ حيث نفَى المؤاخَذةَ عن اللَّغْو في الأيمانِ؛ وذلك لكثرةِ تكرارِها، ومَشقَّةِ التحرُّزِ منها، وهذا بناءً على أنَّ المرادَ بها: الأيمانُ التي لا تُقصَد، والتي تكونُ في عَرَضِ الحديثِ(٣).

٨- قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ...﴾ احتجَّ الشافعيُّ رضِي اللهُ عنه بآيةِ سورة البقرةِ: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٥] مع هذه الآيةِ على وجوبِ الكَفَّارةِ في اليمينِ الغَموسِ، قال: إنَّه تعالى ذكَر في آية البقرة: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ وقال في آية المائدة: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٠٣).
(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٣٠٥).
(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٣١٣).

وعقْدُ اليمين محتمِلٌ لأنْ يكونَ المرادُ منه عقدَ القلبِ به، ولِأنْ يكونَ المرادُ به العَقدَ الذي يُضادُّ الحَلَّ، فلمَّا ذكر في آيَةِ البقرة قولَه: ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ علِمْنا أنَّ المرادَ من ذلك العَقْدِ هو عقدُ القَلْبِ، وأيضًا ذَكَر المؤاخذةَ في آية البقرة، ولم يُبيِّن أنَّ تلك المؤاخذةَ ما هي، وبَيَّنَها هنا في آيَةِ المائدة بقوله: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ...﴾؛ فبيَّن أنَّ المؤاخذةَ هي الكفَّارة، فكلُّ واحدةٍ من هاتين الآيتينِ مُجمَلةٌ من وجهٍ، مُبيَّنة من وجهٍ آخَر، فصارتْ كلُّ واحدةٍ منهما مُفسِّرةً للأخرى مِن وَجْهٍ، وحصَل من كلِّ واحدةٍ منهما أنَّ كلَّ يمينٍ ذُكِر على سبيلِ الجِدِّ وربْط القَلْبِ، فالكفَّارةُ واجبةٌ فيه، واليمينُ الغموسُ كذلِك؛ فكانتِ الكفَّارةُ واجبةً فيها(١).

٩- أنَّه لا يَنبغي الحِنثُ إلَّا إذا كان خيرًا؛ لقوله تعالى: ﴿فَكَفَّارَتُهُ﴾ والكفَّارةُ لا تكون إلَّا في مقابلةِ ذَنبٍ أو ما يُشبِهه؛ ولهذا قال في آخِرِ الآيةِ: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾(٢).

١٠- قُدِّمَ الإطعامُ على العِتْقِ في قولِه تعالى: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ مع أنَّ العِتقَ أفضلُ لا محالةَ؛ وذلك لأمور:

منها: أنَّ المقصودَ منه التنبيهُ على أنَّ هذه الكفَّارةَ وجبتْ على التخييرِ لا على الترتيب؛ لأنَّها لو وجبتْ على الترتيب لوَجبتِ البَداءةُ بالأَغْلَظِ.

ومنها: قُدِّمَ الإطعامُ لأنَّه أسهلُ، ولِكَوْن الطعامِ أعمَّ وُجودًا، والمقصودُ منه

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (٦/ ٤٢٨)، (١٢/ ٤١٩).
وذهَب أكثرُ أهلِ العلمِ إلى أنَّ اليمينَ الغموسَ لا كفَّارة فيها. ينظر: ((المغني)) لابن قدامة (٩/ ٤٩٦).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣١٨).

التنبيهُ على أنَّه تعالى يُراعي التخفيفَ والتسهيلَ في التكاليف(١).

١١- في قوله تعالى: ﴿فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ﴾ رقِي مِن الأدْنى إلى الأعلى، فالإطعامُ أيسرُ من الكسوة، كما أنَّ الكسوة أيسرُ مِن العِتْق(٢).

١٢- أنَّ الإطعامَ مُطلَقٌ لا يُشترَطُ فيه التمليكُ؛ لأنَّ اللهَ تعالى لم يقُلْ: (فللمساكين)، لو قال: (فللمساكين) لكان يُشترَطُ فيه التمليكُ، كما قال في الزكاة: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ﴾ [التوبة: ٦٠]، وإنَّما قال: ﴿إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾؛ وذلك لأنَّ الطعامَ يُنتفعُ به مرَّةً واحدةً، فلا يُشترط فيه التمليكُ، أمَّا الكسوة فيُشترط فيها التمليكُ، وإلَّا لكان تُعِيرُه الثوبَ ثم تأخُذُه منه(٣).

١٣- أنَّه لو أطعمَ مَن يأكلُ الطَّعامَ - ولو كان صغيرًا - كفَى؛ لِقَوْلِه: ﴿إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾(٤).

١٤- في قوله تعالى: ﴿فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ﴾ لو قارنتَ بين إطعامِ عَشَرةِ مساكين وكِسوتهم وعِتق الرَّقبة، لوجدتَ الفَرْقَ كبيرًا، لكنْ للهِ الحِكمة فيما يَشْرَع؛ فلا يُمكن أن يَعترِض مُعترِضٌ على حُكْمِه(٥).

١٥- تمامُ عدلِ الله عزَّ وجلَّ في إيجابِ الأوسَطِ؛ لِقَوْلِه: ﴿مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ﴾ فالواجب على الإنسانِ هو الوَسَط؛ فالزكاةُ مثلًا على صاحِب

---

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٢١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٧٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣١٩).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٣٢٠).

الغَنَم الواجبُ الوَسَط، والزكاة في الثِّمار الواجبُ الوَسَطُ، فإنَّه لو أوْجَب الأكملَ والأعلى، لكان في هذا ضرَرٌ على المعطِي، ولو أوجَبَ الأدْنى لكان فيه ضررٌ على الـمُعطَى، أي: المدفوع إليه، فالوسطُ ليس فيه حَيفٌ لا على مَن يجِبُ عليه، ولا عَلى مَن يجبُ له، وهذا لا شكَّ أنَّه من العدالةِ(١).

١٦- وجوبُ الإنفاقِ على الأهلِ؛ لِقَوْلِه: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ يعني: كأنَّ هذا أمرٌ مُقرَّر؛ أنَّ الرجل يُطعِم أهلَه، وهذا لا شكَّ فيه؛ أنَّه يجب على الرجلِ أن يُنفِقَ على أهلِه؛ قال الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾(٢) [النساء: ٣٤].

١٧- يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ أنَّ الكِسْوةَ مُطلقةٌ، فما سُمِّي كِسْوةً حصَل به الإجزاءُ، وهذا يختلفُ باختلافِ الأحوالِ والأزمانِ والأماكنِ والأُمم(٣).

١٨- قولُه تعالى: ﴿إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ فيه دقيقةٌ، وهي التنبيهُ على أنَّ تقديمَ الكفَّارةِ قبلَ اليمينِ لا يجوزُ، وأمَّا بعدَ اليمينِ وقبل الحِنث فإنَّه يجوزُ(٤).

١٩- أنَّ تقديرَ العباداتِ كمِّيةً ونوعًا وكيفيَّةً موكولٌ إلى الشَّرْعِ؛ لِقَوْلِه: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾؛ ولذلك لا يَتقابَلُ أو لا يَتساوى إطعامُ عَشَرةِ مَساكينَ مع صِيام ثلاثةِ أيَّام، فكفَّارة الظِّهارِ الواجبُ فيها صيامُ شَهرينِ متتابعينِ، فإنْ لم يجد فإطعامُ سِتِّينَ مِسكينًا، فجاءَ إطعامُ كلِّ فقيرٍ يُقابل صيامَ يوم، لكن هنا يختلفُ الوضع، ولعلَّ السببَ- والله أعلمُ - أنَّه في كَفَّارة الظِّهار الإطعامُ بدلٌ عن الصيامِ،

(١) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٣٢١، ٣٢٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٢١).

(٣) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/ ٣٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٢١).

(٤) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٢٣).

فمن لم يستطعِ الصيامَ أطعَمَ، وإذا كان بدلًا عن الصِّيام، فالحُكم أنَّ صومَ كلِّ يوم يُطعِمُ عنه مِسكينًا، كما في العاجِزِ عن الصِّيام عجزًا لا يُرجَى زَوالُه، فإنَّه يُطعِمُ عن كلِّ يومٍ مسكينًا، أمَّا في كفَّارةِ اليمينِ وفِديةِ الأذى، فليس الأمرُ كذلك؛ لأنَّ الأمرَ فيهما على التخييرِ، فكلٌّ من خِصال الكفَّارة نوعٌ مستقلٌّ بنفْسِه(١).

٢٠- أنَّ الله سبحانه وتعالى بَيَّنَ لعبادِه من آياته كلَّ ما يحتاجون إليه؛ لِقَوْلِه: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾(٢).

٢١- ممَّا يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ محبَّةُ الله تعالى للشُّكرِ؛ حيث بَيَّنَ الآياتِ لعِبادِه من أجْل أنْ يَشكُروه(٣).

٢٢- تعليلُ أحكامِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وأنَّها مقرونةٌ بالحِكمة؛ لأنَّ قَوْلَه: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ للتعليلِ، والتعليلُ يُفيد الحِكمةَ؛ فجميعُ أفعالِ اللهِ وأحكامِ اللهِ كلُّها لحِكمةٍ، لكنْ منها ما يُعلَم، ومنها ما لا يُعلَم(٤).

بَلاغةُ الآياتِ:

١- قَوْلُه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾:

- قَوْلُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ الجملةُ تعليلٌ لِمَا قَبْلَها مِنْ قَوْلِه: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾(٥)، وهي أيضًا جملةٌ تذييليَّة للتي قَبْلَها؛ للتحذيرِ مِن كلِّ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٢٣).
(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٢٩٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٢٦).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٢٦).
(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).
(٥) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤١٦).

اعتداءٍ[١].

٢- قَوْلُه: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فيه: تأكيدٌ للتَّوصيةِ بما أمَرَ به، وزادَه تأكيدًا بقوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾؛ لأنَّ الإيمانَ به يُوجِبُ التقوى في الانتهاءِ إلى ما أمَر، وعمَّا نهى عنه[٢].

٣- قَوْلُه: ﴿فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾:

- قَوْلُه: ﴿تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾، أي: فتحريرُ الإنسانِ كلِّه؛ ففيه تَسميةُ الكُلِّ (الإنسان) بالجُزءِ (الرَّقبة)؛ وخُصَّتِ الرَّقبةُ مِن الإنسان؛ إذ هو العُضوُ الذي فيه يكونُ الغُلُّ والتُّوثُّقُ غالبًا من الحيوانِ؛ فهو موضعُ الـمِلكِ فأُضيفَ التحريرُ إليها[٣].

٤- قَوْلُه: ﴿ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾ الكفَّارة مبالَغَةٌ في (كفر)، بمعنى ستَر وأزال، وقد جاءتْ فيها دَلالتانِ على المبالغةِ، هما التضعيفُ والتاء الزائدة، كتاء (نسَّابة) و(علَّامة)، والعربُ تجمعُ بينهما غالبًا[٤].



(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ١٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٧٠)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٥٠)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٧٤)، ((تفسير الشربيني)) (١/ ٣٩٤)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٤٩٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (٢/ ٢٣١)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٥٤).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ١٩).

الآيات (٩٠ - ٩٢)

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٩٢ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٣﴾.

غريبُ الكَلِمات:

﴿وَٱلۡمَيۡسِرُ﴾: القِمار؛ مِن قولهم: يَسَرَ، إذا ضَرَب بالقِداحِ، وأصلُ (يسر): يَدُلُّ على انْفِتاحِ شَيءٍ وخِفَّتِه(١).

﴿وَٱلۡأَنصَابُ﴾: جمْع نُصُب، وهو: حَجرٌ أو صَنمٌ يَذبحون عندَه، أو يُنصَبُ للعبادةِ، وأصل (نصب): يدلُّ على إقامةِ شيءٍ، وإهدافٍ في استواءٍ(٢).

﴿وَٱلۡأَزۡلَٰمُ﴾: أي: القِداحُ التي كانوا يَضربون بها، ثم يعملون بما يخرجُ فيها مِن أمرٍ أو نهيٍ، أو التي يَضربون بها على الميسرِ، أو هي سِهامُ العَرَب، مفردها: زلَم(٣).

---

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٥)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (١/ ٤١٠)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦/ ١٥٦).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٠، ٤٨٦)، ((تهذيب اللغة)) للأزهري (١٣/ ٤٣)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٤٣٤)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٨)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٧).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤١)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٥٥)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ١٨)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٩)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٨)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٨٢).

﴿رِجْسٌ﴾: أي: قذَرٌ مُنْتِن، وأصل (رجس): يدلُّ على اختلاطٍ[(١)].

﴿الشَّيْطَانِ﴾: إبليسَ؛ وكلُّ عاتٍ مُتمرِّدٍ مِن الجنِّ والإنسِ والدوابِّ: شيطانٌ، وأصلُه من (شطَن) إذا تباعَد؛ وذلك لبُعدِه عن الخيرِ أو رَحمةِ اللهِ تعالى. وقيل: أصله مِن (شَيَط) إذا احترَق[(٢)].

﴿وَيَصُدَّكُمْ﴾: أي: يَصرِفكم ويَمنعَكم، والصدُّ: الإعراضُ والعدولُ، ويُطلَق أيضًا على الانصرافِ عن الشيءِ والامتناعِ عنه، وأصل (صدد): صرَف ومنَع[(٣)].

﴿جُنَاحٌ﴾: إثمٌ؛ سُمِّي الإثمُ بذلك لِمَيلِه عن طريقِ الحقِّ؛ فأصل (جنح): مال وتَعدَّى[(٤)].

المَعنَى الإجماليُّ:

يُبيِّنُ اللهُ تعالى لعبادِه المؤمنين أنَّ الخَمْرَ والقِمار، وما يُنصَب لعبادةِ غيرِ الله، والقِدَاحَ التي يُضرَب بها؛ ليُعملَ بما يخرجُ فيها مِن أمرٍ أو نهْيٍ، ويُعرف عن طريقِها ما قُسِم للإنسانِ مِن خيرٍ أو شرٍّ؛ هذه الأربعةُ أمورٌ مستقذَرةٌ ينأى عنها العُقلاءُ، وتَعافُها النُّفوس؛ فهي مِن تزيينِ الشيطان، فيجبُ عليهم الابتعادُ عنها واجتنابُها؛ حتى يُفلحوا؛ فالشيطانُ الرجيمُ يُريد بتَزْيينِه هذه المُنكَراتِ أن يُوقِعَ بينهم العداءَ والتباغُضَ، ويثيرَ في نفوسِهم الأحقادَ؛ بسببِ تعاطي الخمرِ والقِمار، فإنَّ مَن سَكِر، اختلَّ عقلُه، فربَّما تسلَّط على أذَى النَّاس في أنفسِهم

---

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٥)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٤٩٠)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٣٤٢)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٩٩).

(٢) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ١٨٤، ٢٣٤)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٥٤)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٥١).

(٣) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٢٨٢)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٧٧).

(٤) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٦٦)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٤٨٤)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٩٨).

وأموالِهم، وربَّما بلَغ به ذلك إلى القتلِ، ومَن قامَرَ فربَّما خَسِر مالَه، فلم يبقَ له شيءٌ، فيشتد حِقْدُه على مَن أخَذ مالَه. كما يريدُ الشيطانُ أيضًا أن يَصدَّهم عن ذِكْرِ الله وعن الصَّلاة، إذا تبيَّن لهم هذا فهلَّا انتَهَوْا عن تلك الأمورِ المستقبَحةِ.

ثم يأمرُ اللهُ عِبادَه المؤمنين أن يُطيعوه جلَّ وعلا، ويُطيعوا رسولَه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وأن يَحذَروا مِن المخالَفةِ لأمْرِ اللهِ ورسولِه عليه الصَّلاةُ والسَّلام، فإنْ أعْرَضوا عن الطَّاعةِ فليَعلموا أنَّما على الرسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ البلاغُ عن الله تعالى، وأمَّا عقوبةُ مَن تولَّى وحسابُه فعلى الله عزَّ وجلَّ وَحْدَه.

ثم يُبَيِّنُ تعالى أنَّه ليس على الذين آمنوا وعَمِلوا الصالحاتِ إثمٌ فيما شَرِبوا وأكَلوا ممَّا حرَّم الله تعالى إذا فَعَلوا ذلك قَبل نُزولِ تحريمِه أو قَبْل مَعْرِفَتِهم بتحريمِه، إذا ما اجتنَبوا ما حرَّمَ اللهُ، وآمَنوا به، وعمِلوا الصالحاتِ، ثم استمرُّوا على اجتنابِ ما حرَّم تعالى، وعلى الإيمانِ به، ثم استمرُّوا على اجتنابِ ما حرَّم اللهُ تعالى؛ حتى بَلَغوا مَرتبةَ الإحسانِ، واللهُ تعالى يحبُّ المحسنينَ في عِبادتِه، والذين يُحسِنون إلى عِبادِه.

تَفسيرُ الآياتِ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾.

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا أحلَّ اللهُ عزَّ وجلَّ الطيِّباتِ حرَّم الخبائثَ الْمُفْضيةَ إلى مفاسدَ؛ ولَمَّا كان الخمرُ والميسِرُ مِن جملةِ الأُمورِ المستطابةِ في جاهليَّتِهم؛ بيَّن أنَّهما غيرُ داخِلَينِ في المحلَّلاتِ، والميْسِرُ كان وسيلةً للكسْبِ والأكْلِ؛ فكانتْ هذه الآيةُ كالاحتراسِ عمَّا قد يُساءُ تأويلُه مِن قَوْلِه سبحانه: ﴿لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ

لَكُمۡ﴾[(١)]، فقال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ﴾.

أي: يا أيُّها المؤمنونَ، إنَّ الخمرَ والقِمارَ وما نُصِبَ لعبادةِ غيرِ الله تعالى، والأزلامَ التي يُسْتَقْسَم بها، كما كانتِ العربُ في جاهليَّتِها يَتعاطَون ذلك، وهي عبارةٌ عن قِداحٍ ثلاثةٍ، مكتوبٌ على أحدِها: «افْعَل»، وعلى الآخَر: «لا تفعل»، والثَّالث ليس عليه شيءٌ، وقِيل: كان يُكتَب على الواحدِ منها: «أَمَرني ربِّي»، وعلى الآخَر: «نَهاني ربِّي»، والثالث ليس عليه شيءٌ، فإذا أجالَها فطَلَع السَّهمُ الآمِرُ فَعَلَه، أو النَّاهي ترَكه، وإنْ طلَعَ الفارغُ أعاد الاستقسامَ، حتى يَخرُجَ أحدُ القَدَحينِ الآخَرينِ فيَعملَ به[(٢)].

﴿رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾.

أي: إنَّ تلك الأشياءَ ما هي إلا خُبثٌ ونَتَنٌ وأمورٌ مُستقذَرَة، يَنبغي أن تَعافَها النُّفوسُ، وهي مِن تزيينِ الشيطان، ووحْيِه إليكم؛ ليُرغِّبَكم في إتيانِها وتعاطيها[(٣)].

﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾.

---

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٦٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٢١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٧٢، ٦٥٥-٦٥٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٧٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٢٨-٣٢٩).

واختار ابنُ جرير أنَّ المراد بالأنصاب: الأنصابُ التي يُذبح عندها. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٥٥)،

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٥٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٣)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (١/ ٤٢٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٢٩).

واختلف أهلُ العلمِ في هل الخمر نجسةٌ نجاسةً عينيَّة أو لا. يُنظر: ((أضواء البيان)) للشنقيطي (١/ ٤٢٦-٤٢٨)، ((مختصر فقه الطهارة)) (ص: ١٤٣).

أي: فابْتَعِدوا عن هذا الرِّجْس؛ كيما تَظْفَروا بما تَطلُبون، وتَنجوا ممَّا تَرهَبُون[١].

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾.

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا أمَرَ اللهُ تعالى باجتنابِ الخمرِ والميسرِ، عقَّب بذِكر نوعينِ من المفسدةِ التي تترتَّبُ على تعاطيها وارتكابها: الأول: ما يتعلَّق بالدُّنيا، وهو قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾، والثاني ما يَتعلَّق بالدِّين وهو قولُه تعالى: ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾[٢].

سَببُ النُّزولِ:

عن مُصعَبِ بنِ سَعدٍ، عن أبيه، أنَّه قال: أتيتُ على نفرٍ مِنَ الأنصارِ والمهاجرينَ، فقالوا: تعالَ نُطْعِمْك، ونَسْقِك خمرًا، وذلك قبل أنْ تُحرَّم الخمرُ، قال: فأتيتُهم في حَشٍّ - والحَشُّ البُستانُ - فإذا رأسُ جَزورٍ مشويٌّ عندهم، وزِقٌّ مِن خَمْر، قال: فأكلتُ وشَرِبْتُ معهم، قال: فذكرتُ الأنصارَ والمهاجرينَ عندهم، فقُلْتُ: المهاجرون خيرٌ من الأنصارِ، قال فأخَذَ رجلٌ أحدَ لَحْيَيِ الرَّأْسِ فضَربَني به، فجرَح بأنفي، فأتيتُ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فأخبرتُه، فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ فيَّ - يعني: نفْسَه - شأنَ الخمرِ: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[٣] [المائدة: ٩٠].

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾.

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٥٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٧٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٣٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٢٤).

(٣) رواه مسلم (١٧٤٨).

أي: إنَّما يُريدُ لكم الشيطانُ- عن طَريقِ شُربِ الخمرِ وتَعاطِي القِمار- أن يُعاديَ بعضُكم بعضًا بأفعالِهم، ويُبغِضَ بعضُكم بعضًا بقلوبِهم، فيُشتِّت أمرَكم بعد تأليفِ الله تعالى بين قلوبِكم[١].

﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾.

أي: ويُريدُ الشيطانُ أنْ يَصرِفَكم بغَلَبَةِ هذه الخمرِ على عُقولِكم، وباشتغالِكم بهذا الميسِرِ عن ذِكرِ الله تعالى بألسِنَتِكم وجوارِحِكم وقُلوبِكم، وعن الصَّلاةِ التي بها فلاحُكم[٢].

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾.

مُناسَبتُها لِمَا قَبلَها:

لَمَّا بَيَّن تعالى اشتمالَ شُرْبِ الخمرِ واللَّعِب بالميسرِ على هذه المفاسِدِ العظيمةِ في الدِّين[٣]، قال تعالى:

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾.

أي: فهلْ تَمتنِعون عن تِلك القبائحِ بعدَ هذا البيانِ الجليِّ والموعظةِ البليغة[٤]؟

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾.

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٥٦-٦٥٧)، ((جامع العلوم والحكم)) لابن رجب (٢/ ٤٥٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٣٠-٣٣١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٥٧)، ((جامع العلوم والحكم)) لابن رجب (٢/ ٤٥٧-٤٥٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٣١-٣٣٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٢٥).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٥٧، ٦٦٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٣٣).

مُناسَبةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا كان الخَمْرُ والميسرُ مألوفًا لهم، محبوبًا عندهم، وكان تركُ المألوفِ أمَرَّ مِن ضَرْبِ السُّيوف؛ أكَّد دعوتَهم إلى اجتنابِه، مُحذِّرًا من المخالفةِ بقولِه[١]:

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟﴾.

أي: وأطيعوا اللهَ تعالى، وأطيعوا رسولَه محمَّدًا صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بفِعلِ الأوامرِ، واجتنابِ النَّواهي؛ ومِن ذلك اجتنابُ تلك القَبائحِ، واحذروا من مَعصيةِ اللهِ تعالى، ومَعْصِيةِ رَسولِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ[٢].

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾.

أي: فإنْ أنتم أعرضتُم عن طاعةِ الله تعالى وطاعةِ رسولِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فاعْلَموا إذنْ أنَّه ليس على مَن أرسَلْناه إليكم سِوى إبلاغِكم رسالةَ ربِّكم بجَلاءٍ ووُضُوحٍ، وأمَّا إيقاعُ العقابِ بكم إذا تولَّيْتم عنها، فعلى الله تعالى وحْدَه[٣].

﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

سَببُ النُّزول:

عن أنسٍ رضِيَ اللهُ عنه، قال: ((كنتُ ساقِيَ القومِ في مَنزلِ أبي طَلحةَ، وكان خمرُهم يومئذٍ الفَضيخَ[٤] فأمَر رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مناديًا يُنادي: ألَا

---

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٢٩٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٦٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٥٤-٣٥٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٦٣-٦٦٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٥٥-٣٥٦).

(٤) الفَضِيخ: هو شرابٌ يُتَّخذ من البُسْرِ المَفضوخ- أي: المَشْدوخ- وحْدَه، من غيرِ أن تمسَّه النار.

إنَّ الخمرَ قد حُرِّمت، قال: فقال لي أبو طَلحةَ: اخرُجْ فأهرِقْها. فخرَجْتُ فهَرَقْتُها فجرَتْ في سِكَكِ المدينةِ، فقال بعضُ القَوْمِ: قد قُتِل قومٌ وهي في بُطونِهم؛ فأنزَلَ اللهُ: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ ﴾ الآيَةَ))[1].

﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ ﴾.

أي: ليس على المؤمنِينَ الذين يَعملون الأعمالَ الصالحة؛ إثمٌ فيما شَرِبوا وأكَلوا ممَّا حرَّمَ الله تعالى قبلَ نُزولِ تحريمِه ومعرفتِه، وذلك كالخمرِ التي كانوا يَشربونها، والقِمارِ الذي كانوا يَتعاطَوْنه[2].

﴿إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾.

أي: يُنفَى عنهم الإثمُ بشَرْط أن يَجتنبوا ما حرَّم اللهُ تعالى، ومِن ذلك ما حرَّمَ عليهم من مَطعوماتٍ، ويُؤمنوا باللهِ تعالى إيمانًا صحيحًا، يَدعوهم إلى اكتسابِ الأعمالِ الصَّالحات[3].

﴿ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ﴾.

أي: ثم استمرُّوا على اجتنابِ ما حُرِّم عليهم، وثَبَتوا واستمرُّوا على الإيمانِ به سبحانه، دون أن يُغيِّروا أو يُبدِّلوا[4].

ينظر: ((الصحاح)) للجوهري (١/ ٤٢٩)، ((النهاية)) لابن الأثير (٣/ ٤٥٣).

(١) رواه البخاريُّ (٢٤٦٤) واللفظ له، ومسلم (١٩٨٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٦٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٦٥-٣٦٨).

قال مكي: (فهذه الآيةُ نزلت في قولِ الجميعِ فيمَن مات منهم وهو يشربُها، اعلموا أنه لا جناحَ عليهم) ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) (٣/ ١٨٦٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٦٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٦٩).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٦٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٣)، ((تفسير ابن عثيمين-

﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْ﴾.

أي: ثمَّ داوَمُوا على اجتنابِ المحرَّماتِ، حتى دعاهم ذلك إلى بُلوغِ الإحسانِ في فِعل الطَّاعاتِ[(١)].

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

أي: والله تعالى يحِبُّ المحسنِينَ في عِبادتِه، الذين يَعبُدونه سبحانه كأنَّهم يَرونَه، المحسنِين في نَفْعِ عِبادِه[(٢)].

الفَوائِدُ التَّربويَّة:

١- بَدْؤُه تعالى الكلامَ بهذا الوَصْفِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ يدلُّ على أنَّ العملَ به تَصديقًا أو امتثالًا من مقتضياتِ الإيمانِ، كذلك أيضًا: يدلُّ على أنَّ مخالفتَه، أو الشكَّ فيه، أو تكذيبَه منافٍ للإيمانِ؛ إمَّا لأصلِه أو لكمالِه، وثالثًا: أنَّ في هذا إغراءً للمخاطَب، كأنَّه يقول: إنْ كنتَ مؤمنًا فاستمعْ وامتثِلْ[(٣)].

٢- قَوْلُه تعالى: ﴿رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ فيه بيانُ أنَّه لا مَعصيةَ أعظمُ وأقبحُ من معصيةٍ تُدنِّس صاحبَها، وتجعلُه من أهل الخُبثِ، وتُوقِعُه في أعمالِ الشَّيطانِ وشِباكه، فينقادُ له كما تنقادُ البهيمةُ الذليلةُ لراعيها، وتَحولُ بين العبدِ وبين فلاحِه، وتُوقِعُ العداوةَ والبغضاءَ بين المؤمنين، وتصدُّ عن ذِكر اللهِ وعن الصَّلاة؟ فهل فوقَ هذه المفاسدِ شيءٌ أكبرُ منها[(٤)]؟!

سورة المائدة)) (٢/ ٣٦٩).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٦٤-٦٦٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٦٩-٣٧٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٦٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٧٠-٣٧٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٢٧).

(٤) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٣).

٣- فضيلةُ الصَّلاةِ لتَخصيصِها بالذِّكر مِن بين ذِكرِ اللهِ عزَّ وجلَّ؛ لِقَوْلِه: ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾، وهذا يدلُّ على شَرَفِها وفَضلِها على غيرِها[1].

٤- أنَّ كَلَّ ما صدَّ عن ذِكرِ الله فهو مِن أوامرِ الشَّيطانِ؛ لِقَوْلِه: ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾، وذِكرُ الله تبارك وتعالى يكونُ بالقلبِ واللِّسان والجوارحِ، فكلُّ ما صدَّك عن ذِكرِ اللهِ من هذه الأشياءِ، فهو من أوامِر الشيطانِ وإراداتِه[2].

٥- أنَّ كلَّ ما وقَع في قلبك مِن التثاقُل عن الصَّلاة، فاعلمْ أنَّه من الشَّيطانِ، ومرادِ الشيطان؛ لِقَوْلِه: ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾[3].

٦- في قولِه تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ الحضُّ على ترْكِ هذه الخبائثِ، والإقلاعِ عنها؛ لأنَّ العاقِلَ إذا نظَر إلى بعضِ تِلك المفاسدِ انزجَر عنها وكفَّتْ نفْسُه، ولم يَحتَجْ إلى وعْظٍ كثيرٍ، ولا زجرٍ بليغٍ[4].

٧- في قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ بيانُ أنَّ طاعةَ الله وطاعة رسولِه واحدةٌ، فمَن أطاعَ الله فقدْ أطاعَ الرسولَ، ومَن أطاع الرسولَ فقد أطاع اللهَ، وذلك شاملٌ للقِيامِ بما أمَر اللهُ به ورسولُه من الأعمال والأقوالِ، الظاهرةِ والباطِنة، الواجبةِ والمستحبَّة، المتعلِّقة بحقوقِ اللهِ وحقوقِ خَلْقِه، والانتهاءِ عمَّا نهى الله ورسولُه عنه كذلك[5].

٨- أنَّ تولِّيَ الناسِ عمَّا يدعو إليه النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لا يضرُّه، ولا يُلامُ عليه؛ لِقَوْلِه: ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾؛ لأنَّه إذا كان ليس عليه

---

(١) يُنظر: ((تفسير الشربيني)) (١/ ٣٩٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٥٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٥٣).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٤) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٣).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)).

إلَّا البلاغُ، فإنَّه لن يضرَّه تولِّيهم ولا يُلام عليه، ويتفرَّع على ذلك: أنَّ الداعيةَ إلى الله في وقتِنا وفيما قبْلَه لا يضرُّه ألَّا يَقبلَ الناسُ منه؛ لأنَّه أدَّى الواجبَ، ويَنبغي أن يُفَرِّحَ نفْسَه بأنَّه أدَّى الواجِبَ، وألَّا يحزنَ بعدم قبولِهم دعوتَه؛ لأنَّ الله تعالى قال للرَّسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧]، لكن ربَّما نقول: يحزنُ لعدمِ قَبولِ الشَّريعة، لا لعدمِ قبولِهم منه، والفرقُ بين هذا وهذا واضحٌ[(١)].

٩- وجوبُ الرُّجوعِ إلى قولِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؛ لِقَوْلِه: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾، وأنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ قام بالواجِب، فعلينا- نحن- أن نقومَ بالواجِبِ[(٢)].

١٠- قَوْلُه تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا﴾، فيه ثناءٌ من الله، وحَمْدٌ لأحوال مَن يتَّصِفون بهذه الصِّفات: الإيمانِ والتقوى والإحسان، وهذا مدعاةٌ لتحرِّيها والاتصافِ بها[(٣)].

١١- يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا﴾ القيودُ الشَّديدة في نفْيِ الإثمِ عمَّن أكَل أو شَرِب في مأكولِه ومَشروبِه، والتقوى ذُكرتْ في الآيةِ ثلاثَ مرَّات، والإيمانُ مرَّتين، والإحسانُ مرَّة، قيودٌ شديدة عظيمة؛ فينبغي الحَذَر من أنْ يكون في المطعومِ إثمٌ[(٤)].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٦١).
(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)).
(٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٢٧).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٧١).

١٢- يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا﴾ أنَّ مَن أكَلَ حلالًا بكسْبٍ حرامٍ فعليه الإثمُ؛ لأنَّه لم يتَّقِ اللهَ في كسْبِه، ولا بدَّ أن يتَّقيَ اللهَ عزَّ وجلَّ، وإذا كان الشيءُ المحرَّمُ مُعَيَّنًا فيكون الآكِلُ كالكاسِب، مثل: أنْ أعرفَ أنَّ هذه الشَّاةَ التي ذبَحها إكرامًا لي قد سرقَها من فلانٍ، فهذه حرامٌ عليَّ أنْ آكُلَها(١).

١٣- يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا﴾ فضيلةُ الإحسانِ إلى الخَلْق والإحسانِ في عِبادةِ الخالِق؛ فالإحسانُ إلى الخَلْق أن تبذُلَ جاهَك، تبذل مالَك، تبذل خِدمتك، تبذل منفعتَك البدنيَّة، والإحسانُ في عبادة الخالِق فسَّره أعلمُ الناسِ بمعناه، وهو النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم بقوله: ((أنْ تَعبُدَ اللهَ كأنَّك تراه، فإنْ لم تكُن تراه فإنَّه يَراك))(٢).

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِف:

١- أطْلَقَ اللهُ عزَّ وجلَّ الإيمانَ في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ولم يَذكُر ما يُؤمَن به؛ لأنَّ ذلك معلومٌ، وقد سأل جِبريلُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عنه؛ أي: عن الإيمانِ، فقال: ((أنْ تُؤمِنَ بالله، وملائكتِه، وكُتُبه، ورُسلِه، واليومِ الآخِر، والقَدَرِ خيرِه وشرِّه))(٣).

٢- قَوْلُه: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ...﴾ يُستفادُ منه تحريمُ الخمرِ مِن أيِّ شيءٍ كان، سواءٌ

---

(١) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٣٧٢).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٣٧٣).

والحديث أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (١٠) من حديث أبي هريرة، وأخرجه مسلم (٨) من حديث عمر.

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٢٧).

والحديث أخرجه مسلم (٨) من حديث عمر رضي الله عنه.

من العِنب أو مِن الرُّطَب، أو مِن الشَّعير، أو مِن البُرِّ، أو من أيِّ شيءٍ؛ لعمومِ الآيَةِ[١].

٣- قولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ...﴾ يُستفادُ من الآيَةِ تحريمُ الميسرِ قليلِه وكثيرِه؛ للعموم، حتى لو كانتِ المغالَبةُ بقِرشٍ واحدٍ، ولو يَسيرًا؛ لأنَّنا نقول: قليلُ الميسرِ الذي لا يُجحِف بمالِ الإنسانِ، ولا يُهتمُّ به، كقليلِ الخمرِ الذي إذا كان قليلًا لم يُسْكِر، وإذا كان كثيرًا أسْكَر، ولا شكَّ أنَّ المغالَبَةَ إذا كانتْ في شيءٍ يسيرٍ تجرُّ إلى المغالبةِ في شيءٍ كثيرٍ، ويُستثنَى من ذلك ما مَصلحتُه أعْلَى مِن مفسَدَتِه، وذلك في ثلاثةِ أشياءَ بَيَّنَها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّمَ فقال: ((لا سَبَقَ إلَّا في نصْلٍ أو خُفٍّ أو حافِرٍ))[٢]- السَّبَق بفَتْح الباءِ- هو: العِوَضُ المأخوذِ على السَّبْقِ- بسكون الباء-، والنَّصل: السِّهام، والخُف: البعير، والحافِر: الفرس- وإنَّما استثنى النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ ذلك؛ لأنَّ بها يقومُ الجهادُ في سَبيلِ الله الذي به إعلاءُ كلمةِ الله، وهذه مصلحةٌ عظيمةٌ؛ فإذا رُخِّص للنَّاسِ في أخْذ العِوَضِ عليها، كَثُرَ تسابُقُهم فيها[٣].

٤- قَوْلُه تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ فيه نصٌّ صريحٌ في أنَّ كلَّ مُسْكِرٍ حرامٌ؛

---

(١) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/ ٤٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٣٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٥٧٤)، والترمذيُّ (١٧٠٠)، والنَّسائيُّ (٣٥٨٥)، وأحمد (١٠١٤٢) من حديث أبي هُرَيرَة رضي الله عنه.
حسَّنه التِّرمذي، وقال العُقيليُّ- كما في ((لسان الميزان)) لابن حجر (٦/ ٣٢٧)-: رواه النَّاسُ عن ابن أبي ذِئب، عن أبي هُرَيرة، وهو الصَّحيح. واحتجَّ به ابن حزم في ((المحلى)) (٧/ ٣٥٤)، وصحَّحه ابن العربي في ((عارضة الأحوذي)) (٤/ ١٦٠)، وصحَّح إسنادَه ابنُ القَطَّان في ((الوهم والإيهام)) (٥/ ٣٨٢)، وصحَّحه الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (٢٥٧٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٣٥).

وذلك لأنَّه قال بعده: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ فرتَّب النَّهيَ عن شُرْب الخمرِ على كونِ الخَمْرِ مشتملةً على تلك المفاسِد، ومِن المعلومِ في بَدائِهِ العقولِ أنَّ تلك المفاسدَ إنَّما تَولَّدتْ مِن كونِها مؤثِّرةً في السُّكْر، وهذا يُفيد القطعَ بأنَّ عِلَّة قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ هي كونُ الخمرِ مُؤثِّرةً في الإسكارِ، وإذا ثبَت هذا وجبَ القطعُ بأنَّ كلَّ مُسكِرٍ حرامٌ(١).

٥- للقرآنِ الكريمِ طريقةٌ في بيان العِلل؛ فتارةً يَتقدَّم بيانُ العِلَّة، وتارةً يتأخَّر، يعني: إذا ذَكَر الله حُكمًا، وذَكَر له عِلَّةً، فتارةً يَذكُر العِلة قَبلُ ثم يَبني عليها الحُكمَ، وتارةً يَذكُرُ الحُكمَ ثم يأتي بالعِلَّةِ، حسَبَ ما تَقتضيه الحالُ وقرائنُ السِّياقِ، فهنا ذَكَر العِلَّة قبلَ الحُكم، وهي: ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾(٢).

٦- تحريمُ الأصنامِ؛ لقولِه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ فالأنصابُ: ما يُنصب ليُعبدَ مِن دون الله، وهو يعمُّ كلَّ ما اتُّخِذَ صَنمًا من أيِّ مادةٍ كان؛ لأنَّ الآيةَ مُطلَقةٌ(٣).

٧- في قولِه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ حُذِفَ المتعلَّق لإفادةِ العُموم، فلمْ يَخُصَّ سبحانه وتعالى الاجتنابَ بنَوعٍ من أنواعِ الانتفاع؛ فيُحمَل على العُموم، ويكون المعنى: اجتَنِبوا بَيعَه، وشُرْبَه، وإهداءَه، وتخليلَه، وهِبتَه، وغيرَ ذلك(٤).

٨- رحمةُ اللهِ تبارَك وتعالَى بعِبادِه الَّذين خَلقَهم لعِبادتِه؛ حيثُ حذَّرهم مِن

---

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٢٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٤١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٣٢٨، ٣٣٩).

(٤) يُنظر: ((قواعد التفسير)) للسَّبت (ص: ٥٩٩).

كلِّ ما فيه ضَررٌ؛ لِقَوْلِه: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[(١)].

٩- إثباتُ الإرادةِ للشَّيطانِ؛ لِقَوْلِه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، والله تعالى يقول: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [البقرة: ٣٤]، وقد جادَلَ ربَّه عن إرادةٍ[(٢)].

١٠- في قولِه تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ اقتصرتِ الآيةُ على تبيينِ مفاسِدِ شُرْبِ الخمرِ وتعاطي الميسِر، دون تَبْيينِ ما في عِبادَةِ الأنصابِ والاستقسامِ بالأزلامِ من الفَسادِ؛ وذلك لأنَّ إقلاعَ المسلمينَ عنهما قد تَقرَّر قَبلَ هذه الآيةِ مِن حِين الدُّخولِ في الإسلامِ؛ لأنَّهما من مآثِرِ عَقائدِ الشِّركِ، ولأنَّه ليس في النُّفوسِ ما يُدافِعُ الوازعَ الشرعيَّ عنهما بخِلافِ الخَمْرِ والميسِرِ؛ فإنَّ ما فيهما من اللَّذَّات التي تُزجِي بالنُّفوسِ إلى تَعاطيهما قد يُدافِعُ الوزاعَ الشرعيَّ؛ فلذلك أكَّد النهيَ عنهما أشدَّ ممَّا أكَّد النهيَ عن الأنصابِ والأزلامِ[(٣)].

١١- لَمَّا كانتِ العداوةُ قد تزولُ أسبابُها، ذكَر ما يَنشَأُ عنها ممَّا إذا استحكَم تعسَّر، أو تَعذَّر زوالُه، فقال: ﴿وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ أي: في تعاطيهما؛ لأنَّ الخَمْرَ تُزيل العَقْلَ، فيزول المانعُ من إظهارِ الكامِنِ من الضَّغائن والمحاسَدة، فربَّما أدَّى ذلك إلى حروبٍ طويلةٍ، وأمورٍ مَهولة، والميسِرُ يُذهِبُ المالَ، فيُوجِبُ ذلك الحقدَ على مَن سَلَبه مالَه، ونغَّص عليه أحوالَه[(٤)].

١٢- كراهةُ اللهِ تبارك وتعالى للعداوةِ والبغضاءِ بين المسلمينَ؛ لأنَّ قولَه:

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٤٩).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٣٥٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٣٠).

(٤) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٢٩٣).

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ ﴾ إلى آخِره، فهذا تحذيرٌ ليس بعدَه تحذيرٌ؛ وذلك لأنَّ الله تعالى أمَرَ بالاجتماعِ ونهَى عن التفرُّقِ، فقال جلَّ وعلا: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[1] [آل عمران: ١٠٣].

١٣- في قولِه تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ * وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ ناسَب العطفُ في ﴿ وَأَطِيعُواْ ﴾ على معنى قولِه: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾؛ إذ تضمَّن هذا معنى الأمْر، وهو قوله (فَانْتَهُوا)[2].

١٤- أنَّ طاعةَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مستقلَّة، بمعنى: أنَّه إذا أمَرَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بشيءٍ، لا نقول: هل يوجدُ في القرآن هذا الأمرُ أو لا يوجد، بل طاعتُه مستقلَّةٌ؛ وجْه ذلك: أنَّه أعادَ الفِعلَ فقال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾، وإعادة الفِعل تدلُّ على أنَّ طاعةَ الرَّسول مستقلَّةٌ، بمعنى: أنَّنا لا نحتاجُ إلى شاهدٍ مِن القرآنِ فيما أمَرَ به الرسولُ صلَّى الله عليه وسلَّم[3].

١٥- أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم يمتازُ عن غيرِه بالرِّسالةِ، والرِّسالةُ من أشرفِ الأوصافِ التي يتَّصِفُ بها العبدُ؛ لِقَوْلِه: ﴿ٱلرَّسُولَ ﴾، ولا شكَّ أنَّ الرسولَ يَفضُل ويَشرُف بحسَبِ منزلةِ مُرسِله[4].

١٦- يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم لا يَستطيعُ أنْ يَهدِيَ أحدًا؛ لأنَّه بلَّغَ البلاغَ المبينَ، ومع ذلك حصَلتِ المخالفةُ والتولِّي[5].

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٥٠).
(٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٥٩).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٥٧).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٥٧، ٣٥٨).
(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٣٦١).

بَلاغةُ الآياتِ:

١- قَوْلُه: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ... فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾

أكَّد تحريمَ الخمرِ والمَيْسِر في هذه الآية الكريمة بأنواعٍ مِن المؤكِّداتِ(١):

منها: تصديرُ الجملة بقوله: ﴿إِنَّمَا﴾، والقصرُ المستفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿إِنَّمَا﴾ هو قصرُ مَوصوفٍ على صِفةٍ، أي: إنَّ هذه الأربعةَ المذكوراتِ مقصورةٌ على الاتِّصافِ بالرِّجسِ، لا تتجاوزُه إلى غيرِه، وهو قصرٌ ادِّعائيٌّ؛ للمبالغةِ في عدَمِ الاعتدادِ بما عدَا صِفةَ الرِّجس من صِفات هذه الأربعةِ.

ومنها: أنَّ اللهَ تعالى جَعَل الخمرَ والميسِرَ رجسًا، وكلمةُ الرِّجْس تدلُّ على منتهى القُبح والخبث؛ ولذلك أُطلِقَت على الأوثانِ؛ فهي أسوأُ مفهومًا من كلمةِ الخبيثِ، وقد عُلِم مِن عِدَّة آياتٍ أنَّ اللهَ أحلَّ الطيِّباتِ، وحرَّم الخبائثَ.

ومنها: أنَّه قرَنَهما بالأصنامِ والأزلامِ التي هي مِن أعمالِ الوثنيَّة، وخُرافاتِ الشِّرك، وسمَّاهما رجسًا، وجعَلهما من عملِ الشيطانِ؛ تنبيهًا على أنَّ الاشتغالَ بهما شرٌّ خالصٌ أو غالبٌ، ولِمَا يَنشأُ عنهما من الشُّرور والطُّغيانِ، ولا يكون عَملُ الشيطانِ إلَّا موجِبًا لسَخطِ الرَّحمنِ؛ فالشَّيطان لا يَأتي منه إلَّا الشرُّ البَحْتُ.

ومنها: أنَّه أمَرَ بالاجتِنابِ عن عينِهما، وجَعْلُ الأمْرِ بترَكِهما مِن مادَّة الاجتنابِ أبلغُ مِن التَّرْكِ؛ لأنَّه يُفيدُ الأمرَ بالتَّرْكِ مع البُعدِ عن المتروكِ بأنْ يكونَ التاركُ في جانبٍ بعيدٍ عن جانبِ المتروك؛ وغالِبُ ما جاءَ في القُرآنِ من التَّعبيرِ

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٧٤-٦٧٣)، ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٢٥)، ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١٤١)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٧٥-٧٦)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٢٣)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/ ٥٣).

بالاجتنابِ جاء في الشِّركِ والطَّاغوتِ الذي يَشملُ الشِّركَ والأوثانَ وسائرَ مَصادرِ الطُّغيان، والكبائرِ عامَّةً، وقَولِ الزُّور الذي هُو مِن أكبرِها؛ قال تعالى: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]، وقال: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، كما قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا﴾ [الزمر: ١٧]، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢].

ومنها: أنَّه جعَلَ الاجتنابَ من الفَلاح، وإذا كان الاجتنابُ فلاحًا ومرجاةً له، دَلَّ ذلك على أنَّ ارتِكابَهما مِن الخُسرانِ والخَيبةِ، في الدُّنيا والآخِرة.

ومنها: أنَّه ذكَر ما يَنتج منهما مِن الوَبال، وهو وقوعُ التعادِي والتباغُض من أصحابِ الخمر والميسِر، فجعَلَهما مثارًا للعداوةِ والبغضاء، وهما شرُّ المفاسدِ الدُّنيويَّة المتعدِّيةِ إلى أنواعٍ من المعاصِي في الأموالِ والأعراضِ والأنفُس؛ ولذلك سُمِّيتِ الخمرُ أمَّ الخبائثِ وأمَّ الفواحِش.

ومنها: أنَّه جعَلهما صادَّينِ عن ذِكرِ اللهِ وعن الصَّلاةِ، وهما رُوحُ الدِّينِ وعِمادُه، وزادُ المؤمِنِ وعَتادُه.

ومنها: الأمْر بالانتهاءِ عنهما بصِيغة الاستفهامِ المقرونِ بفاءِ السببيَّة ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾.

ولم يُؤكَّدْ تحريمُ شيءٍ في القرآنِ مِثلَ هذا التأكيدِ ولا قريبًا منه؛ وحِكمتُه: شدَّةُ افتتانِ الناسِ بشُربِ الخمرِ، وكذا الميسِرُ، وتأوُّلُهم كلَّ ما يُمكن تطرُّقُ الاحتمالِ إليه من أحكامِ الأديانِ التي تُخالِفُ أهواءَهم، كما أوَّلت اليهودُ أحكامَ التوراةِ في تَحريمِ أكْلِ أمْوالِ النَّاسِ بالباطِلِ كالرِّبا وغيرِه، وكما استحلَّ بعضُ

فُسَّاقِ المسلمين شُربَ بَعضِ الخمورِ بتَسميتِها بغيرِ اسمِها؛ إذ قالوا: هذا نَبيذٌ لا يُسكِرُ إلَّا الكثيرُ منه، وقد أحلَّ ما دون القدْرِ المُسْكِرِ منه فلان وفلان، يقولون ذلك فيما هو خمرٌ لا حَظَّ لهم مِن شُرْبِه إلَّا السُّكْرُ.

- وفي قولِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ مناسبةٌ حسنةٌ مِن حيثُ تَرتيبُها في الذِّكرِ؛ فإنَّه لَمَّا كانتِ الخَمرُ غايةً في الحَمْلِ على إتلافِ المال، قَرَن بِها ما يَليها في ذلك، وهو القِمار، ولَمَّا كان الميسِرُ مَفسدةَ المالِ، قَرَنَ به مفسدةَ الدِّينِ، وهي الأنصابُ، ولَمَّا كان تَعظيمُ الأنصابِ شِركًا جليًّا إنْ عُبِدت، وخفيًّا إنْ ذُبِحَ عليها دون عِبادةٍ، قَرَن بها نوعًا من الشِّرك الخفيِّ، وهو الاستقسامُ بالأزلامِ، ثم أمَرَ باجتنابِ الكُلِّ إشارةً وعبارةً على أتمِّ وجْهٍ، فقال: ﴿رِجْسٌ﴾، أي: قذَرٌ أهلٌ لأنْ يُبعَدَ عنه بكلِّ اعتبارٍ حتى عن ذِكره، سواء كان عيْنًا أو معنًى، وسواء كانتِ الرجسيَّةُ في الحسِّ أو المعْنَى[1].

٢- قَوْلُه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ خصَّ ﴿ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ بإعادةِ الذِّكر، وشرْحِ ما فيهما مِن الوَبالِ، بعدَما جمَعَ الخمرَ والميسرَ مع الأنصابِ والأزلامِ أولًا، ثم أفردَهما آخِرًا؛ تَنبيهًا على أنَّهما المقصودُ بالبيانِ[2]، ولأنَّ الخِطابَ مع المؤمنين، وإنَّما نهاهم عمَّا كانوا يَتعاطَوْنه مِن شُرْبِ الخَمرِ واللَّعِب بالميسِر، وذَكَر الأنصابَ والأزلامَ لتأكيدِ تحريمِ الخمرِ والميسِر، وإظهارِ أنَّ هذه الأربعةَ متقاربةٌ في القُبح والمفسَدَة، وأَنَّ ذلك جميعًا من أعمالِ الجاهليَّةِ وأهلِ الشِّرك؛ فوجَبَ اجتنابُه بأسْرِه[3].

---

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٢٩١).
(٢) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١٤١)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٧٦).
(٣) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٧٤)، ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٢٤).

٣- **قَوْلُه:** ﴿وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ فيه: تخصيصُ الصَّلاةِ بالإفرادِ مع دُخولها في ﴿ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾؛ للتعظيمِ، والإشعارِ بأنَّ الصادَّ عنها كالصادِّ عن الإيمانِ؛ لأنَّها عمادُه، كأنَّه قيل: وعن الصَّلاةِ خصوصًا[1].

- وكرَّر الجارَّ في قوله: ﴿وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ تأكيدًا للأمرِ، وتغليظًا في التَّحذيرِ[2].

٤- **قَوْلُه:** ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ هذا الاستفهامُ مِن أبلغِ ما يُنهَى عنه، كأنَّه قيل: قد تُلِيَ عليكم ما فيهما من المفاسِدِ الدُّنيويَّة والدِّينيَّة التي تُوجِبُ الانتهاءَ؛ فهل أنتم منتهونَ أم باقون على حَالِكم مع عِلْمِكم بتلك المفاسِدِ؟! وهذا استفهامُ ذمٍّ معناه الأمرُ، أي: انْتَهُوا، ومعناه: اتركوا وانتقِلوا عنه إلى غيرِه[3]، فأكَّد النهيَ عنها بأنْ أوْرَدَه بصِيغةِ الاستفهامِ؛ فهو أبلغُ في الزَّجرِ من صِيغةِ الأمْرِ التي هي «انتهُوا»[4].

- وفي هذا الاستفهامِ كِنايةٌ عن التَّحذيرِ مِن انتفاءِ وقوعِ المستَفْهَمِ عنه، أي: التَّحذيرِ مِن عَدمِ الانتهاءِ[5]؛ فقدْ أعْظَمَ التهديدَ بهذا الاستفهامِ والجملةِ الاسميَّةِ الدالَّة على الثَّباتِ[6].

٥- **قَوْلُه:** ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْ﴾

فيه تكرارُ قوله: ﴿وَأَطِيعُواْ﴾ على سَبيلِ التأكيدِ[7].

---

(١) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٧٤)، ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١٤١)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٧٦).

(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٢٩٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٢٥)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٥٩)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٧٦).

(٤) يُنظر: ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٢/ ٤٠٥).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٢٢-٢٨).

(٦) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٢٩٤).

(٧) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٥٩).

- حُذِفَ المفعولُ مِن كلمةِ ﴿وَٱحۡذَرُواْ﴾؛ للتحذيرِ من مَعصيةِ اللهِ ورسولِه، وهو أشدُّ وقعًا من ذِكر مَفعولِها؛ لأنَّه أبلغُ في التَّخويفِ؛ لأنَّ المتكلِّمَ مقتصِرٌ عليها دونَ مُتعلِّقاتها[1].

٦- قَوْلُه: ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ خبرٌ فيه من الوعيدِ البالغِ ما لا خفاءَ به؛ إذ تضمَّنَ أنَّ العقابَ إنَّما يتولَّاه المرسِلُ لا الرَّسولُ؛ فما كُلِّفَ الرسولُ من الأمْرِ غيرَ التبليغِ[2].

- وقوله: ﴿عَلَىٰ رَسُولِنَا﴾ في إضافةِ الرسول إلى ضميرِ الجلالة إشارةٌ إلى تعظيمِ جانبِ هذه الرِّسالة، وإقامة لمعذرتِه في التبليغِ بأنَّه رسولٌ من القادِرِ على كلِّ شيءٍ، فلو شاءَ مُرسِلُه لهدَى المُرسَلَ إليهم، فإذا لم يَهتدوا فليس ذلك لتقصيرٍ من الرسولِ[3].

٧- قَوْلُه: ﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾

﴿فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾، أي: في طعمِ الَّذي طَعِموه، ومِن فصاحةِ القُرآن: إيرادُ فِعل ﴿طَعِمُوٓاْ﴾ هنا؛ لأنَّ المرادَ نفيُ التَّبِعَةِ عمَّن شَرِبوا الخمرَ وأكلوا لحمَ الميسرِ قبلَ نزولِ آيةِ تَحريمهما؛ فإنَّ أصْلَ معنى طعموا أنَّه بمعنى أَكَلوا، و(طَعِم) يأتي بمعنى (ذاق)، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، أي: ومَن لم يَذُقْه، بقرينةِ قوله: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ﴾ [البقرة: ٢٤٩] ويُقال: وجدتُ في الماءِ طَعْمَ التراب، ويقال: تَغيَّر طعمُ الماء، أي: أَسِنَ، فاسْتُعْمِلَ اللَّفظُ في معنييه، أو هو مِنْ أُسلوبِ التَّغليبِ[4].

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٥٨).
(٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٥٩).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٣١).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٣٣).

٨- **قَوْلُه:** ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ﴾ **فيه:** تَكرارُ هذه الجُمل على سبيلِ المبالغةِ والتوكيدِ في هذه الصِّفات، والتأكيدِ والمبالغةِ في الحثِّ على الإيمانِ والتَّقوى، ولا ينافي التأكيدَ العطفُ بـ﴿ثُمَّ﴾[(١)]؛ فإنَّ حَرْفَ ﴿ثُمَّ﴾ الدالَّ على التَّراخي الرُّتبي فيه إيماءٌ إلى الازديادِ في التقوى وآثارِ الإيمان[(٢)]، ويحتمل أنْ يكون هذا التكريرُ باعتبارِ الأوقاتِ الثلاثة، أو باعتبارِ الحالات الثَّلاث: استعمالُ الإنسانِ التقوى والإيمانَ بينه وبين نفْسِه، وبَينَه وبينَ الناس، وبَيْنه وبينَ الله تعالى؛ ولذلك بدَّل بالإيمانِ الإحسانَ في الكرَّة الثالثة؛ إشارةً إلى ما قاله عليه الصَّلاة والسَّلام في تفسيره، أو باعتبارِ المراتبِ الثلاثِ: المبدأ، والوسط، والمنتهَى، أو باعتبار ما يَتَّقي؛ فإنَّه ينبغي أن يترُكَ المحرَّماتِ توقِّيًا من العقاب، والشُّبهاتِ تحرُّزًا عن الوقوعِ في الحرام، وبعضَ المباحات تَحفُّظًا للنَّفْس عن الخِسَّة، وتهذيبًا لها عن دَنسِ الطَّبيعة[(٣)].

- قَوْلُه: ﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ﴾ فيه تقديمُ الاتِّقاءِ على الإيمان؛ إمَّا للاعتناء به، أو لأنَّه الذي يدلُّ على التحريمِ الحادثِ الذي هو المؤمَنُ بِه، وللإشارةِ إلى أنَّ الإيمانَ هو أصلُ التقوى[(٤)].

قال محمد رشيد رضا: (لا يمكنُ أن يكونَ (طعم) في القرآنِ بمعنى الشُّربِ مطلقًا، ولا يجوزُ أن يفيدَ هذا المعنَى إلا بالتبعِ لمعنى الأكلِ تغليبًا له، فيُجعل ﴿طَعِمُوٓاْ﴾ هنا بمعنَى أكلوا الميسرَ، وشربوا الخمرَ، كتغليبِ الأكلِ في كلِّ استعمالٍ في مثلِ النَّهي عن أكلِ أموالِ اليتامَى، وأكلِ أموالِ النَّاس بالباطل). ((تفسير المنار))(٧/ ٦٠).

(١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٦٠)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٥١١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٧٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٣٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١٤٢)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٧٧).

(٤) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٧٧)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٣٥).

الآيات (٩٤ - ٩٦)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ
ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٤) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا
تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ
ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا
لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ
(٩٥) أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا
دُمْتُمْ حُرُمًا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩٦) ﴾.

غريبُ الكَلِماتِ:

﴿ٱلنَّعَمِ﴾: أي: الإبل والبَقر والغَنَم، وأصلُ (نعم): يدلُّ على ترفُّه وطِيب عَيشٍ وصلاحٍ[١].

﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾: أي: عَدلانِ بيِّنَا العدالةِ، والعدالةُ هي الاستقامةُ على طريقِ الحقِّ بالاجتنابِ عمَّا هو محظورٌ دِينًا، وأصل (عدل): يدلُّ على استواءٍ[٢].

﴿هَدْيًا﴾: جمْع هَدْيَةٍ، وهو هنا مختصٌّ بما يُهدَى إلى البيتِ مِن الأنعامِ، وأصلُ (هدي): يدلُّ على مَا أُهدِيَ مِن هَديَّةٍ إلى ذي مودَّةٍ، ويدلُّ على التَّقدُّمِ للإرشادِ[٣].

﴿عَدْلُ ذَٰلِكَ﴾: أي: مِثلُه، أو مَا يُعادلُه، وأصلُ (عدل): يدلُّ على استواءٍ[٤].

---

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٥)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٤٦١)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٤٤٦)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨٨).

(٢) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٢٤٦) ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢١٦)، ((التعريفات)) للجرجاني (ص: ١٩١).

(٣) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦/ ٤٢- ٤٣)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٣٩)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٠٤).

(٤) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٧)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٢٤٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٥٥١)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨٨).

﴿وَبَالَ أَمۡرِهِۦ﴾: أي: جزاءَ ذَنبِه، أو ثِقْلَ فِعلِه، أو عاقبةَ أمْره مِن الشرِّ، والوَبَال: الوخامةُ، وسوءُ العاقبة، وأصل (وبل): يدلُّ على شِدَّةٍ في شيءٍ، وتجمُّع[1].

﴿عَمَّا سَلَفَ﴾: أي: عن الذي مضَى وتَقدَّم، والسَّلفُ: المتقدِّم، وأصل (سلف): يدلُّ على تقدُّم وسَبْق[2].

﴿صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ﴾: أي: ما صِيدَ من السَّمكِ، والصيدُ هنا يُرادُ به المَصيدُ، أو: ما يُصطادُ منه طريًّا[3].

﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾: أي: المسافِرين، وأصلُ (سير): يدلُّ على مُضيٍّ وجريانٍ[4].

﴿تُحۡشَرُونَ﴾: تُجمَعون وتُساقون، والحشرُ: الجمْعُ مع سَوْقٍ، أو الجمعُ بكثرةٍ، وكلُّ جمْعٍ حشْرٌ، والحشر أيضًا: البعثُ والانبعاثُ[5].

مُشكِلُ الإعرابِ:

قوله: ﴿فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾.

﴿فَجَزَآءٞ﴾: مرفوعٌ مُنوَّن، على أنَّه مبتدأٌ لخبرٍ محذوفٍ، والتقدير: فعليه جزاءٌ، ويجوز أنْ يكونَ ﴿جَزَاءٌ﴾ خبرًا لمبتدأٍ محذوفٍ، والتقديرُ: فالواجبُ جزاءٌ، ويجوز أنْ يكون فاعلًا بِفعلٍ محذوف، أي: فيلزمه أو يجبُ عليه جزاءٌ.

---

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٤٧٩)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦/ ٨٢)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨٩)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٩٤٩).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٥٠٤)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٤٨٣)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١١٦).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٧)، ((تفسير القرطبي)) (٦/ ٣١٨)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٩٧).

(٤) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٧)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ١٢٠)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨٩).

(٥) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١٨٨)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٦٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٢٣٧)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٦١).

و﴿مِّثْلُ﴾: بمعنى (مماثِل)، وهي مرفوعةٌ صفةٌ لـ﴿جَزَاءٌ﴾، ويجوزُ أن تكون بدلًا منه. و﴿مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ متعلِّقٌ بمحذوفٍ، حالٌ من ضمير المفعول المحذوف؛ أي: ما قتَلَهُ من النَّعَم. أو في محلِّ رفْع صِفة ثانية لـ﴿جَزَاءٌ﴾.

وقُرِئ ﴿جَزَاءُ﴾ بالرَّفْعِ من غيرِ تنوينٍ على إضافتِه إلى ﴿مِثْلِ﴾، وإعراب (جَزَاءُ) على هذه القِراءة كما سبَق، لكن: ﴿مِثْلِ﴾ مجرورةٌ على أنَّها مضاف إليها، وهي في حُكم الزَّائدة؛ لأنَّ الذي يجِبُ به الجزاءُ هو المقتولُ لا مِثلُه، وهذا كقولِه تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ [البقرة: ١٣٧] أي: بما آمنتُم به، وكقولهم: مِثلي لا يقولُ ذلك، أي: أنا لا أقولُ ذلِك. و﴿مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ جارٌّ ومجرور في محلِّ نصْبٍ، حالٌ من الضمير في ﴿قَتَلَ﴾؛ لأنَّ المقتولَ يكون من النَّعَم، أو يكونُ الجارُّ والمجرور متعلقًا بنَفْسِ الجزاء.

و﴿مَا قَتَلَ﴾: ﴿مَا﴾ يجوزُ أنْ تكون موصولةً اسميَّة، أو نكرةً موصوفةً، والعائد محذوف -على كِلا التَّقديرَينِ- أي: مِثل الذي قتَله مِن النَّعم، أو مِثل شيءٍ قتَلَه من النَّعَم[(١)].

قوله: ﴿يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا﴾.

﴿هَدۡيَۢا﴾: منصوبٌ على أنَّه حالٌ من الهاء في ﴿بِهِۦ﴾، فيكون بمعنى مَهْدِيٍّ، أو منصوبٌ على المصدر- أي: إنَّه مفعولٌ مُطلَق لفِعل محذوفٍ-، أي: يُهديه هَدْيًا، وقيل غير ذلك.

﴿أَوۡ كَفَّٰرَةٞ﴾: بالرَّفْع والتنوينِ، على أنَّه معطوفٌ على ﴿فَجَزَآءٞ﴾، أي: أو عليه

(١) يُنظَر: ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (١/ ٢٣٦- ٢٣٨)، ((التبيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/ ٤٦٠- ٤٦١)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٤١٨- ٤٢٠).

كفَّارةٌ. و﴿طَعَامُ﴾: مرفوعٌ على البَدل مِن ﴿كَفَّرَةٌ﴾. و﴿صِيَامًا﴾ منصوبٌ على التمييز(١).

قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾.

﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ﴾: ﴿مَتَٰعًا﴾ منصوبٌ على المصدر- مفعول مُطلَق- لأنَّ قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ بمعنى: أَمْتَعْتُكم به إمتاعًا، أو منصوبٌ على أنَّه مفعولٌ من أجْلِه، أي: أُحِلَّ لكم تمتيعًا لكم. و﴿لَكُمْ﴾ صِفة لـ﴿مَتَٰعًا﴾- على القول بأنَّ ﴿مَتَٰعًا﴾ مصدرٌ. وعلى القول بأنَّ ﴿مَتَٰعًا﴾ مفعولٌ لأجْله، فيكون ﴿لَكُمْ﴾ مُتعلِّقًا بفعلٍ محذوف، أي: أَعْني لكم(٢).

المَعنَى الإجماليُّ:

يُخبِرُ الله تعالى عِبادَه المؤمنينَ أنَّه سيختبرُهم في حالِ إحرامِهم ببعضٍ مِن الصيدِ المحرَّم، الذي يستطيعون أخْذَه بأيديهم أو رِماحِهم؛ وذلك حتَّى يَعلمَ اللهُ مَن يَخافُه حالَ كَوْنِه لا يَرى اللهَ عَزَّ وجَلَّ، ومَن يَخشاهُ في حالِ غِيابِه عن النَّاسِ، ثم توعَّد مَن اعتدَى متجاوزًا ما حدَّه اللهُ بعدَ حُكمِ تحريم الصَّيدِ عند التلبُّسِ بالإحرامِ، فخالَف شرْعَ اللهِ في ذلك؛ توعَّدَه بأنَّ له عذابًا مؤلِمًا مُوجِعًا.

ثمَّ نهى اللهُ تعالى عِبادَه المؤمنينَ عن قَتْلِ الصَّيدِ وهُم مُحْرِمون، أو كانوا داخِلَ الحرمِ، وبيَّن أنَّ مَن قتَلَ الصيدَ قاصدًا ذلك، فيجبُ عليه أنْ يذبَحَ مِثلَه مِن بهيمةِ الأنعامِ، يُقدِّر ذلك المِثْلَ الواجبَ اثنانِ عَدْلانِ من المؤمنينَ، ويَنبغي أن يَصِلَ هذا الهديُ الواجبُ على قاتلِ الصَّيدِ إلى الحَرمِ؛ ليُذبحَ هناك، ويُوزَّع

(١) يُنظَر: ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (١/ ٢٣٨)، ((التبيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/ ٤٦١)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٤٢٣- ٤٢٤).

(٢) يُنظَر: ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (١/ ٢٣٨)، ((التبيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/ ٤٦٢)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٤٢٩- ٤٣٠).

لحْمُه على مساكينِه. أو يكفِّر قاتلُ الصيدِ عمَّا اقترَفه من ذنبٍ بإطعامِ مساكينَ. أو يصوم ما يُعادلُ الإطعامَ، بأنْ يكون مقابلَ إطعامِ كلِّ مِسكينٍ صِيامُ يومٍ؛ ليذوقَ مَن قتَل الصيدَ- وهو مُحرِمٌ بعدَ تحريمِه- عقوبةَ ما اقترفَه مِن ذنبٍ. ثم ذكَر اللهُ مَظْهرًا مِن مظاهرِ رحمتِه بعبادِه؛ وهو أنَّه عفا الله عمَّا مضى مِن قبلِ التَّحريم، فلم يؤاخِذْهم عليه، أمَّا مَن عاود فِعلَ ذلك بعد أنْ بَلَغه التحريمُ؛ فإنَّ اللهَ تعالى ينتقمُ منه، ويعاقِبُه عقابًا شديدًا، فهو سبحانه عزيزٌ ذو انتقامٍ.

وبعدَ أنْ ذَكَر اللهُ حُكمَ صَيدِ البَرِّ بيَّن أنَّ صيدَ البحرِ وطعامَه حلالٌ حتى للمُحرِمِ- وصيدُ البَحر ما أُخِذ حيًّا، وطعامُه ما لَفَظَه البحرُ ميتًا، أو طفَا عليه أو انْحسَر عنه- أحلَّ الله تعالى ذلك؛ منفعةً لعبادِه في حالِ إقامَتِهم وحالِ سَفَرِهم، وأوضَحَ اللهُ سبحانه أنَّ صيدَ البَرِّ حرامٌ على عِبادِه حالَ إحرامِهم، فلْيتَّقوا اللهَ في كُلِّ أحوالِهم؛ فهو الذي إليه يُحشَرونَ وإليه مَرْجِعُهم فيجازيهم على أعمالِهم.

تَفسيرُ الآياتِ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٩٤ ﴾.

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا أمَرَهم اللهُ تعالى ألَّا يُحرِّموا الطيِّباتِ، أخرج منها ما حرَّمَه في حالٍ دون حال، وهو حال الصيد[1]، فقال:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ ﴾.

أي: يا أيُّها المؤمنون، لَيَختبرنَّكم اللهُ تعالى، ويَمتحِنَنَّ إيمانَكم ببعضِ الصَّيد المحرَّمِ الذي تَقدِرونَ على أخْذِه بأيديكم ورِماحِكم، وذلك حالَ إحرامِكم بحَجٍّ أو عُمرةٍ[2].

(١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٦١)، ويُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٢٨).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٧٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٩٠)، ((تفسير السعدي))

﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾.

أي: أقامَ اللهُ تعالى هذا الابتلاءَ؛ ليَعلَمَ عِلمًا ظاهرًا للخَلْقِ، يَترتَّبُ عليه الثوابُ والعِقابُ، مَن يخافُ اللهَ تعالى ولم يَرَهُ، ومَن يَخافُ اللهَ تعالى في حالِ غِيابِه عن النَّاسِ، فيُطيع ربَّه عزَّ وجلَّ، ويَجتنب معصيتَه سرًّا وجهرًا، وهو لا يَراه ولا يُعايِنُه(١).

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢].

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

أي: فمَن تجاوَزَ حدَّ اللهِ عزَّ وجلَّ بعدَ حُكمِ تحريمِ الصَّيدِ عليه حالَ إحرامِه، فخالَفَ شرْعَ اللهِ تعالى في ذلك؛ فله عذابٌ مؤلِمٌ مُوجِع(٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ (٩٥)﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾.

أي: يا أيُّها المؤمنون، إيَّاكم أن تَقْتُلوا صيدَ البَرِّ(٣) وأنتم مُحْرِمون بحجٍّ أو

(ص: ٢٤٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٧٨).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٧٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٩٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٧٨-٣٧٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٧٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٩٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٧٩).

(٣) المقصودُ بالصَّيد: الحيوانُ البريُّ المأكولُ المتوحِّش طبعًا. يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٨٥).

عمرةٍ[١]، أو كنتم داخِلَ منطقةِ الحَرَم[٢].

﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾.

أي: وكلُّ مَن قتَلَ منكم صَيدًا، مُتعمِّدًا قتْلَه، فيجبُ عليه أنْ يَذبحَ مِثلَه من بهيمةِ الأنعام: الإبلِ، والبقر، والغَنم[٣]، ويَتصدَّقَ به عِوضًا عمَّا قَتَله[٤].

﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾.

أي: يُقدِّرُ ذلك الجزاءَ الواجبَ، اثنانِ عدلانِ منكم- أيُّها المؤمنون- من ذوي الاستقامةِ والمروءةِ[٥]، ....

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٧٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٩٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٨٤-٣٨٥).

قال ابنُ عثيمين: (والحُرُم: جمعُ حرامٍ، والمرادُ به: الحُرُم في المكانِ، والحُرُم في الحالِ: الحُرُم في المكانِ: بأن يكونوا في حَرمٍ مكَّةَ، والحُرُم في الحالِ: بأن يكونوا مُحرِمين بحجٍّ أو عمرةٍ، وعلى هذا لو أحرَم الإنسانُ مِن ذي الحُليفةِ فمِن حينِ إحرامِه مِن ذي الحليفةِ يدخلُ في الآيةِ، ولو كان محلًّا ووصَل إلى مكَّة إلى حدودِ الحَرَم، فإذا دخل هذه الحدودَ فقد صار حرامًا أي: يدخل في الآية أيضًا).

(٣) قال ابنُ عُثيمين: (المرادُ بالمماثلة هنا: المقاربةُ في الخِلْقة؛ لأنَّ التماثُلَ بيْن الصَّيدِ وبَين النَّعَم مستحيلٌ، أعْني: التماثُلَ من كلِّ وجه؛ لكن المراد بذلك التقارُب في الخِلقة) ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٨٧).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٧٨-٦٧٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٩٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٤)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (١/ ٤٢٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٨٦-٣٨٧).

(٥) قال ابنُ عُثيمين عن المروءة: (العدالةُ: هي الاستقامةُ في الدِّين والمروءة، فمعنى ﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾ أي: ذوا استقامةٍ في الدِّين والمروءة. أمَّا في الدِّين: ففسَّرها الفقهاءُ رحمهم الله بأنْ يأتي بالفرائض، وأنْ لا يفعلَ كبيرةً، ولا يُصرَّ على صغيرةٍ، هذه الاستقامةُ في الدِّين، الاستقامةُ في المروءة: أنْ لا يفعل ما يَشينُه عندَ الناسِ، وأنْ يفعل ما يُجمِّله عندهم، يعني: يفعل الجميلَ ويَدَع الـمُشين، وهذا الأخيرُ يختلف باختلافِ الأحوالِ والبلدان والأزمان، قد يكون فعلُ شيءٍ في بلد لا يَخرم المروءةَ، وقد يكون في بلد آخَر يَخرم المروءةَ، والعبرةُ بأعرافِ الناس المستقيمة، لا عِبرةَ للهَمجِ) ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٨٧).

يَعرِفان الحُكمَ، ووجهَ الشَّبَهِ[(١)].

﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾.

أي: هذا الهدْيُ يَنبغي أنْ يكونَ واصلًا إلى الحرَمِ، فيُذبحَ فيه، ويُوزَّعَ لحْمُه على مساكينِه[(٢)].

﴿أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾.

أي: وله- عوضًا عن ذَبْحِ الهَدْيِ المماثِلِ- أنْ يكفِّرَ عن ذَنْبِه بإطعامِ مساكينَ[(٣)].

﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾.

أي: وله أيضًا أنْ يَختارَ للجزاءِ صِيامَ ما يُعادِلُ إطعامَ المساكينِ، فيصومَ عن إطعامِ كلِّ مِسكينٍ يومًا[(٤)].

﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾.

أي: أوْجَبْنا الجزاءَ المذكور على قاتِلِ الصَّيدِ المنهيِّ عن قتلِه؛ ليذوقَ عقوبةَ

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٨٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٩٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٨٧-٣٨٨).

قال السعديُّ: (كما فعَل الصحابةُ رضي الله عنهم، حيث قضَوْا بالحمامة شاةً، وفي النعامة بدنةً، وفي بقَر الوحش- على اختلاف أنواعِه- بقرةً، وهكذا كلُّ ما يُشبه شيئًا من النَّعم، ففيه مِثلُه، فإنْ لم يُشبه شيئًا ففيه قِيمتُه، كما هو القاعدةُ في المُتْلَفات) ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٩٥، ٧٠٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٩٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٨٨).

قال القرطبيُّ: (ولم يُرِدِ الكعبةَ بعينِها؛ فإنَّ الهديَ لا يبلغُها؛ إذ هي في المسجدِ، وإنَّما أراد الحرمَ، ولا خلافَ في هذا) ((تفسير القرطبي)) (٦/ ٣١٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٦٩٦، ٧٠٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٩٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٨٨-٣٨٩).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٧٠٨-٧٠٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٨٩).

ذَنبِه الذي ارتكبَه بإلزامِه بما يُتعِبُه، ويشقُّ عليه(١).

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾.

أي: تجاوزَ اللهُ تعالى عن قتْلِكم الصيدَ، وأنتم حُرُمٌ، قبلَ تحريمِ ذلك عليكم، فلا يُؤاخِذكم به(٢).

﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾.

أي: ومَن فعل ذلك بعد تحريمِه، وبُلوغِ الحُكم الشرعيِّ إليه، فإنَّ الله تعالى يَأخُذُه بعقوبةٍ(٣).

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾.

أي: واللهُ تعالى مَنيعٌ في سُلطانه، غالبٌ على أمْرِه، لا يَقهرُه قاهرٌ، ولا يَمنعُه من الانتقامِ مانعٌ، ذو معاقبةٍ لِمَن عصاه سبحانه(٤).

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٩٦﴾.

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا كانَ الصيدُ يشملُ الصيدَ البَرِّيَّ والبَحريَّ، استَثْنى تعالى الصيدَ البحريَّ،

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٧١٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٩٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٨٩-٣٩٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٧١٢-٧١٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٩٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٩٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٧٢٠-٧٢٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٩٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٩٠).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٧٢٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٩٠).

فذَكَر في الآياتِ الماضيةِ حُكمَ صيدِ البَرِّ للمُحرِم، وذكر هنا حُكمَ صيدِ البَحرِ[١]، فقال:

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ﴾.

أي: أباحَ الله تعالى لكم مُطلقًا في حالِ حِلِّكم وحَرَمِكم- أيُّها المؤمنون- أكْلَ صيدِ البحرِ، وهو ما أخذتُموه من حيواناتِه حيًّا، وطعام البحرِ، وهو ميتتُه التي لفَظَها أو طفَتْ عليه، أو انحسر عنها[٢].

﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾.

أي: منفعةً لكم -أيُّها المخاطَبون- فتنتفعون به أكْلًا وبَيعًا، ومنفعةً أيضًا للمسافرينَ يَتزوَّدونَ به في سَفرِهم، ويَجلِبونه بضاعةً إلى الأمصارِ في تَرحالِهم[٣].

---

(١) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤١٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٧٢٢، ٧٢٦، ٧٣٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤١٠-٤١٢).

وممَّن قال مِن السَّلف في معنى صيد البحرِ وطعامِه بنحو ما قُلنا: أبو بكر الصِّدِّيق، وعمر بن الخطَّاب، وابن عباس، وزيد بن ثابت، وأبو هُرَيرة، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وسعيد بن جُبَير، والسُّدِّي، وقَتادة، وسعيد بن المسيَّب، ومجاهد. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٧٢٢)، ((تفسير ابن أبي حاتم)) (٤/ ١٢١٠).

وقال مكي: (وكلُّ نهرٍ تسمِّيه العربُ بحرًا، فالأنهارُ صيدُها داخلٌ في هذا، حلالٌ بإجماعٍ) ((الهداية الى بلوغ النهاية)) (٣/ ١٨٨٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٧٣٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٩٨)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٥٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤١٠).

وقد ذهَب إلى أنَّ المراد بـ ﴿لَكُمْ﴾ أي: أنتم- أيُّها المقيمون- في بلادِكم. وهو اختيارُ ابن جرير في ((تفسيره)) (٨/ ٧٣٥)، والواحديِّ في ((الوجيز)) (ص: ٣٦)، وابن عطية في ((تفسيره)) (٢/ ٢٤١)، وابن عثيمين في ((تفسير سورة المائدة)) (٢/ ٤١٠).

وممَّن قال بنحو ذلك من السَّلف: مقاتل. يُنظر: ((زاد المسير)) لابن الجوزي (١/ ٥٨٨).

وقال ابن عاشور: (والخطابُ في قولِه: ﴿مَتَاعًا لَكُمْ﴾ للمُخاطبين بقولِه: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ باعتبارِ كونِهم مُتناولين الصَّيد، أي: متاعًا للصَّائدين وللسَّيَّارة) ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٥٢).

﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾.

أي: وحرَّم اللهُ تعالى عليكم- أيُّها المؤمنون- أخْذَ الحيوانِ البريِّ في حالِ إحرامِكم(١).

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

أي: واتَّقوه سبحانه بفِعلِ ما أمَر، وترْكِ ما نَهى، واستَعِينوا على تقواه بعِلمِكم أنَّكم إليه راجعونَ، فيُجازِيكم في آخرتِكم ثوابًا أو عقابًا على ما قدَّمتُم في دُنياكم(٢).

الفَوائِدُ التَّربويَّة:

١- في قوله تعالى: ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ بيانُ امتحانِ اللهِ تبارَك وتعالى لعبادِه بتيسيرِ أسبابِ المعصية لهم؛ ليعلمَ مَن يخافه بالغيبِ ومَن لا يخافُه إلَّا في العلانِيَة، ووجهُه من الآية ظاهِر(٣).

٢- قَوْلُه تعالى: ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ فيه الحذرُ مِن الوقوعِ في المعصيةِ، وإن تيسَّرتْ أسبابُها، ومعرفةُ أنَّ ذلك امتحانٌ مِن الله(٤)، فقد يكونُ التيسيرُ هو عينَ الابتلاءِ؛ ليعلمَ اللهُ مَن يخافُه في السرِّ، حيثُ لا يراه أحدٌ من النَّاس؛ إذ إنَّ هذا الصيدَ في مُكنتِهم

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٧٣٧-٧٣٨، ٧٤٦-٧٤٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٠٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤١١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٨/ ٧٥٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤١١-٤١٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير الشربيني)) (١/ ٣٩٦)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/ ٨٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٧٩)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٥١٣).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٨٠).

وسهْلُ الأخْذ؛ فالخائفُ لا يَصيدُ، وغيرُ الخائفِ يَصيدُ[(١)].

٣- قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞ﴾ فيه أنَّ اجتنابَ قتْلِ الصيدِ مِن مقتَضَياتِ الإيمانِ؛ وجهُ ذلك: أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ وجَّه الخطابَ بهذا النهيِ إلى المؤمنين، ودلَّ على أنَّ قتْلَ الصَّيدِ مُنافٍ لكمالِ الإيمانِ[(٢)].

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِف:

١- قَوْلُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ ...﴾ فيه فضلٌ عظيمٌ لهذه الأمَّة، وأنَّها تَفضُل سائرَ الأُمَمِ، وعلى رأسهم الأمَّةُ اليهوديَّة، وفيه أيضًا فضيلةُ الصَّحابة رضي الله عنهم، الذين هم مُقَدَّمُ هذه الأمَّةِ، فقد امتحن اللهُ تعالى أصحابَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في عُمرةِ الحُديبيَةِ بالصيدِ وهم مُحرِمون، فهيَّأ لهم جميعَ أنواعِ الصيدِ من الوُحوش والطَّير، مِن كِبارِها وصِغارِها، ولم يَعتَدِ رجلٌ منهم، ولم يَصِدْ في الإحرام، كما بيَّنه الله تعالى بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ ...﴾ فخافوا اللهَ عزَّ وجلَّ وعظَّموا محارمَه، فلم ينتهكوها أو يتحيَّلوا عليها، أمَّا بنو إسرائيلَ فقد ابتلاهم اللهُ بصيدٍ، وهو صيدُ السَّمكِ، كما قال تعالى: ﴿وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ﴾[الأعراف: ١٦٣] فحَدَاهم الطَّمَعُ في أكْلِ الحُوتِ إلى أنِ اعْتَدَوْا في السَّبتِ، فكانوا يجعلون شِباكًا في يومِ الجُمعة، ثم يأخذون السَّمكَ أو الحيتانَ يومَ الأحَدِ، فمَسَخَهم اللهُ قِرَدةً[(٣)].

٢- قَوْلُه: ﴿لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ﴾ ابتلاءُ تكليفٍ ونهْيٍ، كما دلَّ عليه تعلُّقُه بأمْرٍ ممَّا يُفعَل؛ فهو ليس كالابتلاءِ في قوله: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ

(١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٦٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٣٨).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٩٠-٣٩١).
(٣) يُنظر: ((العذب النمير)) للشنقيطي (١/ ٥٩). ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٨٠).

﴿وَٱلۡجُوعِ ...﴾ [البقرة: ١٥٥]، وإنَّما أخبَرَهم بهذا على وجْهِ التَّحذير؛ فالابتلاءُ مُستقبَلٌ؛ لأنَّه لا يَتحقَّقُ معنى الابتلاءِ إلَّا مِن بعدِ النهي والتَّحذير، ووجودُ نونِ التوكيدِ يُعيِّن المضارعَ للاستقبالِ؛ فالمستقبل هو الابتلاءُ، وأمَّا الصَّيدُ ونوالُ الأيدي والرِّماحِ فهو حاضِرٌ[١].

٣- جاءتْ (مِن) في قولِه: ﴿مِّنَ ٱلصَّيۡدِ﴾ للتبعيضِ؛ وذلك مِن وجهينِ: الأوَّل: أنَّ المرادَ صيدُ البَرِّ دون البَحر، والثاني: صيدُ الإحرامِ دون صيدِ الإحلالِ[٢].

٤- خصَّ اللهُ الأيديَ بالذِّكرِ في قولِه تعالى: ﴿تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ﴾؛ لأنَّها أعظمُ تصرُّفًا في الاصطيادِ، وفيها تدخُلُ الجوارحُ والحِبالاتُ وما عُمِل باليدِ مِن فِخاخٍ وشِباكٍ، وخصَّ الرِّماح بالذِّكْرِ، فقال: ﴿وَرِمَاحُكُمۡ﴾؛ لأنَّها أعظمُ ما يُجرحُ به الصَّيدُ، وفيها يدخلُ السَّهمُ ونحوه[٣]. وقيل: عَبَّر بالأيدي والرِّماح؛ ليشملَ الصَّيدَ القريبَ والبعيدَ؛ فبَعضٌ من الصَّيدِ يُتناوَلُ بالأيدي لقُرب غِشيانِه حتَّى تَتمكَّن منه اليدُ، وبعضٌ منه يُنال بالرِّماح لبُعده وتَفرُّقه؛ فلا يُوصَل إليه إلَّا بالرُّمح[٤]. وقيل: عَبَّر بقوله: ﴿تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ﴾؛ للدَّلالةِ على غايةِ قُرْبِ الصَّيدِ، حتى لو شَاؤوا لتناوَلوه بأَيديهم؛ فنَهاهم اللهُ أنْ يَقرَبوه، وهذا لتَحقيقِ وقوعِ الابتلاءِ بالصَّيْدِ؛ إذ ابتلاهَم بما يَغشاهُم في رِحالهم، ويَتمكَّنون مِن أخْذِه بالأيدي والرِّماح سرًّا وجهرًا؛ لتظهرَ طاعةُ مَن يُطيع منهم في سِرِّه وجَهْرِه[٥].

٥- يُؤخَذُ من لفظ ﴿ٱلصَّيۡدِ﴾ أنَّه لا بدَّ أن يكون وحشيًّا؛ لأنَّ الإنسيَّ ليس

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٣٨- ٣٩).
(٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٢٨).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (٢/ ٢٣٦)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٦٢).
(٤) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٦٢).
(٥) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٩٠)، ((تفسير الألوسي)) (٢/ ٤٣٨).

بِصَيْدٍ، وأن يكون مأكولًا؛ فإنَّ غيرَ المأكولِ لا يُصادُ، ولا يُطلَق عليه اسمُ الصَّيد[١].

٦- في سِياق قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ إشكالٌ، وهو أنَّه قد نرى في ظاهرِ الآية أنَّها تدلُّ على تجدُّدِ العِلم للهِ عزَّ وجلَّ؛ لأنَّه قال: ﴿لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ﴾، ثم قال: ﴿لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِ﴾، وهو جلَّ وعلا عالمٌ بذلك قبلَ أنْ يخلُقَ هذا، وقد قدَّر مقاديرَ الخلائقِ قبلَ خلْق السَّمواتِ والأرضِ بخمسينَ ألفَ سَنةٍ، والجوابُ عن هذا الإشكال: أنَّ عِلمَ الله تعالى بالشيءِ قبلَ وقوعِه علمٌ بأنَّه سيقَعُ، وعِلمه بعدَ وقوعه عِلمٌ بأنَّه واقعٌ، وفرْقٌ بين كونِ الشيءِ معلومًا قبلَ أن يقعَ، ومعلومًا بعدَ أن يقَعَ؛ فالعلمُ الأوَّلُ لا يترتَّبُ عليه جزاءٌ بالنِّسبةِ للعبدِ، والعِلم الثاني: يترتَّبُ عليه جزاءٌ[٢]، فمعنى ﴿لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ﴾ أنْ يعلمَ عِلمًا ظاهرًا للخَلْقِ يترتَّب عليه الثوابُ والعقابُ[٣].

٧- مِن مِنَنِ اللهِ تعالى على عبادِه: أنْ أخبرَهم ببعضِ ما سيَبْتَليهم به؛ ليُطيعوه ويُقدِموا على بصيرةٍ، ويَهلِكَ من هلَك عن بيِّنةٍ، ويحيا من حيَّ عن بيِّنةٍ، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾[٤].

٨- أفاد قولُه: ﴿تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ﴾ أنهم يتمكَّنون من صيدِه؛ ليتمَّ بذلك الابتلاءُ، وإلَّا فلو كان غيرَ مقدورٍ عليه بيدٍ ولا رُمحٍ، لم يبقَ للابتلاءِ فائدةٌ[٥].

٩- قَوْلُه تعالى: ﴿لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ ثناءٌ على الذين يَخافون اللهَ؛ فقدْ أثنى عليهم بصِدق الإيمانِ وتنوُّرِ البصيرة؛ فإنَّهم خافوه ولم يَرَوْا عظمته

---

(١) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٨١).

(٣) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٤).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)).

وجلالَه، ونعيمَه وثوابَه، ولكنَّهم أيقَنوا بذلك عن صِدْقِ استدلالٍ[١].

١٠- يُستفادُ من مجموعِ الآيتين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ ...﴾ و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ النهيُ عن الاصطيادِ، والنهيُ عن قتْلِ الصيدِ، والظَّاهِرُ عمومُ الصَّيدِ، وقد خُصَّ هذا العمومُ بصيدِ البَرِّ؛ لِقَوْلِه: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾[٢].

١١- حرَّم اللهُ تعالى الصيدَ في حالينِ: حال كَوْن الصائِد مُحرِمًا، وحال كون الصيدِ مِن صيدِ الحرَم ولو كان الصائدُ حلالًا، والحكمةُ في ذلك أنَّ الله تعالى عظَّمَ شأنَ الكعبةِ من عَهدِ إبراهيمَ عليه السَّلام، وأمَرَه بأنْ يتَّخذَ لها حرَمًا كما كان الملوكُ يتَّخذونَ الحِمَى، فكان بيتُ اللهِ وحِماه- وهو حَرَمُ البَيْتِ- مُحترَمًا بأقْصى ما يُعدُّ حُرمةً وتعظيمًا؛ فلذلك شرَع اللهُ حَرَمًا للبيتِ واسعًا، وجعَل الله البيتَ أمْنًا للنَّاس، ووسَّع ذلك الأمنَ حتى شَمِلَ الحيوانَ العائِشَ في حَرمِه، بحيث لا يرَى الناسُ للبيتِ إلَّا أمنًا للعائذِ به وبحَرَمِه[٣].

١٢- يُستفادُ من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ التصريحُ بالنَّهي عن قتْلِ الصيدِ في حالِ الإحرامِ، والنَّهيُ عن قتْلِه يشملُ النهيَ عن مُقدِّمات القتْلِ، وعن المشاركةِ في القَتْلِ، والدَّلالةِ عليه، والإعانةِ على قتْله؛ حتى إنَّ مِن تمام ذلك أنَّه يُنهَى الْمُحْرِمَ عن أكْلِ ما قُتِل أو صِيدَ لأجْلِه؛ وهذا كلُّه تعظيمٌ لهذا النُّسُكِ العظيمِ[٤].

١٣- ممَّا يُستفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٤٠).
(٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٦٣).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٤٢).
(٤) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٤).

تعظيمُ الإحرام وتعظيمُ الحَرَم؛ أما تعظيمُ الإحرامِ: فإنَّ منْعَ الْمُحْرِم من الصَّيد يعني احترامَ النُّسُك وعدَمَ اللَّهو وعدَم التَّرف؛ لأنَّه لو أُبيح للمُحْرِم أن يَصطادَ لتلهَّى عن النُّسُك؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، كلُّ هذا لأجْلِ أنْ يَتفرَّغَ الإنسانُ قلبًا وقالَبًا لِما هو مُتلبِّسٌ به من النُّسُك. وأمَّا حَرَمُ مكَّة فظاهرٌ أيضًا أنَّ في الآيةِ دليلًا على تعظيمِه وحُرمتِه؛ لأنَّ الحرمَ آمنٌ كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: ٣]، هذا البلدُ آمِنٌ فيه الآدميُّون والحيوانُ والأشجارُ؛ ولذلك يَحرُمُ صيدُه، ويحرُمُ قَطْعُ شجرِه إلَّا الميِّت، ويَحرُم القتالُ فيه، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1] [البقرة: ١٩١].

١٤- حرَّمَ الله تعالى الصَّيدَ على الْمُحْرِم بقولِه: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١]، وقوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟﴾ [المائدة: ٢]، وبقولِه هنا: ﴿لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ وكرَّر ذلك تغليظًا لحُكمِه[2].

١٥- أنَّ ما صادَه المحرِمُ مَيتةٌ؛ لا يحلُّ أكْلُه لا له ولا لغَيْره، سواءٌ قتَلَه بالسَّهم، أو أمْسَكه وذبَحه؛ فإنَّه مَيْتة؛ لِقَوْلِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ وجه الدَّلالةِ: أنَّ الله عبَّر عن صَيدِه بقَتْله، ومعلومٌ أنَّ القتْل ليس ذَكاةً؛ فيدلُّ هذا على أنَّ ما قَتلَه المُحْرِمُ من الصيودِ فهو مَيتةٌ[3].

١٦- تقييدُ القتْلِ بالعَمدِ في قولِه تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٩٥).
(٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٧٠).
(٣) يُنظر: ((تفسير الشربيني)) (١/ ٣٩٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٩٢).

﴿مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾. خَرَجَ به المخطِئُ، فمَن لم يتعمَّدْ فقتَل خطأً، بأنْ كان ناسيًا لإحرامِه، أو رَماه ظانًّا أنَّه ليس بصيدٍ، فإذا هو صيدٌ، أو عدَل سهمُه الذي رماه لغيرِ صيدٍ فأصابَ صيدًا، فلا جزاءَ عليه ولا إثمَ(١)، فالجزاءُ إنَّما يلزم المتعمِّدَ، والقاعدةُ: أنَّه لا مؤاخذةَ مع الجهلِ والنِّسيانِ، وكذلك الإكراهُ، وهي قاعدةٌ عظيمةٌ في الشَّريعة الإسلاميَّة، ولا يجوزُ أن نُخْرِجَ منها أيَّ شيءٍ إلَّا بدليلٍ(٢).

١٧- قال سبحانه وتعالى: ﴿فَجَزَآءٌ﴾ سمَّى اللهُ الكفَّارةَ هنا جزاءً؛ لأنَّ فيها تأديبًا وعقوبةً، وقد دلَّنا على أنَّ مَقْصِدَ التَّشريع في ذلك هو العقوبةُ؛ قولُه عقِبَه: ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾(٣).

١٨- يُؤخذُ من قولِه تعالى: ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ أنَّه لو اجتَمَع مُحرِمونَ في صَيدٍ لم يجبْ عليهم إلَّا جزاءٌ واحِدٌ(٤).

١٩- ﴿أَوْ﴾ في قوله: ﴿أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾ وقولِه: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ﴾ تَقتضي تخييرَ قاتِلِ الصيدِ في أحدِ الثلاثةِ المذكورةِ، وكذلك كلُّ أمرٍ وقَعَ بـ(أو) في القرآنِ، فهو من الواجبِ المخيَّر، والقولُ بالتَّخييرِ هو قولُ الجمهورِ(٥).

٢٠- يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه تعالى: ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ أنَّ العَدْلينِ ذَكَرانِ، فلا يَحكُم فيه امرأتانِ، وإن اتَّصَفَتا بالعدالةِ(٦).

٢١- وصف ﴿ذَوَا عَدْلٍ﴾ بقولِه: ﴿مِّنكُمْ﴾ أي: من المسلمينَ؛ للتحذير من

---

(١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٦٤)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٤٤).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٩٤).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٤٥).
(٤) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٦٥).
(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٤٨).
(٦) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٦٦).

متابعةِ ما كان لأهلِ الجاهليَّةِ مِن عَمَلٍ في صيدِ الحَرَمِ؛ فلعلَّهم يدَّعُونَ معرفةً خاصَّةً بالجزاءِ(١).

٢٢- استُدِلَّ بقوله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ على إثباتِ القياسِ؛ لأنَّه تعالى فرَضَ تعيينَ المِثل إلى اجتهادِ النَّاسِ(٢).

٢٣- أنَّ جزاءَ الصَّيد لا بدَّ أن يصِلَ إلى الحَرَمِ، ويُذبَحَ هناك؛ لِقَوْلِه: ﴿هَدْيَۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾، فلو قُدِّرَ أنَّ إنسانًا أَحْرَمَ مِن ذي الحُليفَةِ وقتَل صيدًا في بَدْرٍ، فإنَّه يجبُ عليه أن يَجزي هذا الصيدَ في مكَّةَ ولا بدَّ(٣).

٢٤- ممَّا يُستفادُ من التَّصريحِ بالكعبة في قوله: ﴿بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ الزِّيادةُ في التعظيمِ، والإعلامُ بأنَّها هي المقصودَةُ بالذاتِ بالزِّيارة والعمارةِ(٤).

٢٥- أنَّ هؤلاءِ المساكينَ لا يُحْصَرونَ بعددٍ معيَّنٍ، بل له أن يُطْعِمَ ثلاثةً أو عشَرةً أو عشرينَ أو ثلاثينَ؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى أطلَقَ، فقال: ﴿أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾ وأقلُّهم ثلاثةٌ(٥).

٢٦- اسْتُدِلَّ بقَوْلِه تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيَۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾ على جوازِ التعزيرِ بالمالِ؛ لأنَّ هذا القاتِلَ أُلزِمَ بهذه

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٤٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٦٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/ ٩٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٠٤).

(٤) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٣٠٢).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٠٥).

الفِدْيةِ؛ ليذوقَ وبالَ أمْرِه، فهو نوعٌ من التَّعزيرِ[(١)].

٢٧- قَوْلُه: ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾ فيه رحمة الله عزَّ وجلَّ بهذه الأمَّة؛ حيث خيَّرها بين قوله: ﴿فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ وبين ما بَعدَه، فقال: ﴿أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ و(أو) للتَّخييرِ[(٢)].

٢٨- إنَّما سمَّى الله تعالى ما أوْجَبه على مَن قتَل صيدَ البرِّ وهو مُحْرِمٌ وَبالًا في قولِه: ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾؛ لأنَّه خيَّره بينَ ثلاثةِ أشياءَ؛ اثنانِ منها يوجِبَان تنقيصَ المالِ، وهو ثقيلٌ على الطَّبْعِ، وهما الجزاءُ بالمِثل والإطعامُ، والثَّالثُ يُوجِبُ إيلامَ البَدَنِ، وهو الصَّومُ، وذلك أيضًا يَثقُل على الطَّبعِ؛ وذلك حتى يُحترزَ عن قتْلِ الصَّيدِ في الحرمِ، وفي حالِ الإحرامِ[(٣)].

٢٩- لا يُوصَفُ الله تعالى بالانتقامِ وصفًا مُطلقًا، ولا يُسمَّى بالمنتقِم، وقولُه: ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ لا يدلُّ على أنَّه وصفٌ مُطلَقٌ لله؛ لأنَّ الله تعالى قيَّدَ الانتقامَ بالمجرمين، فقال تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]، فنُقيِّد ما قيَّده اللهُ عزَّ وجلَّ[(٤)] وأيضًا فقوله: ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ وصف لـ ﴿عَزِيزٌ﴾ وهو الذي لا يحتاج إلى ناصرٍ، فوُصِف بذلك؛ لأنَّ من صِفاته الحِكمةَ، وهي تَقتضي الانتقامَ من المُفْسِد؛ لتكونَ نتائجُ الأعمالِ على وَفْقِها[(٥)].

(١) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٤٠٦). ومسألةُ التعزيرِ بالمال فيها خلافٌ بين أهلِ العلم. يُنظر: ((الموسوعة الفقهية الكويتية)) (١٢/ ٢٧٠).
(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٣٠٣).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٥٢٨).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤١٠).
(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٥١).

٣٠- أنَّ جميعَ حيوانِ البحرِ حلالٌ؛ لِقَوْلِه: ﴿صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ والإضافةُ تقتضي العمومَ، فيشملُ كلَّ ما في البحرِ مِن سَمَكٍ وحيتانٍ، صغيرٍ وكبيرٍ مشابهٍ للإنسانِ، أو مشابهٍ للذِّئابِ، أو مشابهٍ للخنزيرِ، أو غير ذلك(١).

٣١- استدلَّ جمهورُ العلماءِ على حِلِّ مَيتةِ البحرِ بقولِه تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ﴾ وطعامُه يشملُ ما مات فيه(٢).

٣٢- حِلُّ صيدِ البحرِ للمُحِلِّين والمحرِمينَ؛ لِقَوْلِه: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾(٣).

٣٣- أنَّه لو وُجِد ماءٌ فيه سمكٌ داخلَ حدودِ الحرَمِ فإنَّ الظاهِرَ أنَّه يكونُ حلالًا؛ لعمومِ قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ﴾، ثم قال: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾(٤).

٣٤- من حِكمةِ الله عزَّ وجلَّ في حِلِّ صيدِ البحرِ دون صيدِ البرِّ؛ لأنَّ الأوَّل تناوُلُه سَهْلٌ، ولا يلهو به الإنسانُ، كما يلهو به في صيدِ البرِّ، بخلافِ صيدِ البرِّ الذي يتلهَّى الإنسانُ به وينسابُ وراءَه، ثم إنَّ صيدَ البحرِ صيدٌ خفيٌّ في باطنِ المياه؛ فلا يكونُ كالصَّيْدِ الظَّاهِرِ على سطحِ الأَرْضِ(٥).

٣٥- الإشارةُ إلى جوازِ ادِّخارِ لحمِ البَحْرِ؛ لِقَوْلِه: ﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ يعني: السَّائرينَ في السَّفر، ومِثل ذلك لحمُ صيد البرِّ في غيرِ الإحرامِ، لكن يُشترَطُ في ذلك ألَّا يصلَ إلى حدِّ الضَّررِ، فإنْ وصَلَ إلى حدِّ الضَّرَر بأنْ أنتنَ، وقَبُحتْ

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٤١٢، ٤١٣).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٩٨).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤١٢).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤١٢).
(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٤١٣).

رائحتُه، وخِيفَ على الإنسانِ منه، صار إمَّا مَكروهًا وإمَّا حرامًا؛ لقولِ الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، وقوله: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[١] [البقرة: ١٩٥].

٣٦- لَمَّا كان الاصطيادُ بحَشْرِ المصيدِ إلى حيثُ يَعجِز عن الخلاصِ منه، وكانتْ حالةُ الإحرامِ أشبهَ شيءٍ بحالةِ الحَشرِ في التجرُّدِ عن المخيطِ، والإعراضِ عن الدنيا وتمتُّعاتِها، ختَم الآيةَ بقولِه عطفًا على ما تقديرُه: فلا تأكلوا شيئًا منه في حالِ إحرامكم، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، أي: الذي له الأمرُ كلُّه في ذلك وفي غيرِه من الاصطياد وغيرِه؛ ﴿ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾؛ ليكونَ العَرْضُ عليه نُصْبَ أَعْيُنِكم، فتكونوا مواظِبينَ على طاعتِه مُحترِزينَ عن مَعصيتِه[٢].

بَلاغةُ الآياتِ:

١- **قَوْلُه:** ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ﴾ **فيه**: التأكيدُ باللَّامِ، ونونِ التَّوكيدِ، في قوله: ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ﴾ التي تُعيِّن المضارعَ للاستقبالِ[٣].

- وقوله: ﴿بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ﴾ تَنكيرُ ﴿بِشَىْءٍ﴾؛ للتَّقليلِ والتَّصْغيرِ[٤]، وعبَّر

---

(١) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/ ٩٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤١٤).

(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٣٠٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٣٩).

(٤) وقد اختُلِفَ في توجيهِ هذِه الصِّيغةِ التي تُشعِرُ بالتَّقليلِ والتَّصغيرِ هنا؛ فقِيل: المرادُ بما يُشعِرُ به اللفظُ من التَّقليلِ والتَّصغيرِ هو أنْ يُعلمَ أنَّ هذا المذكورَ ليسَ بفِتنةٍ مِن الفِتَنِ العِظامِ التي يكونُ التكليفُ فيها صَعبًا شاقًّا، كالابتلاءِ ببَذْلِ الأرواحِ والأموالِ في الجِهادِ، وإنَّما هو ابتلاءٌ سَهلٌ؛ فتكونُ مِحنةً يَسيرةً؛ تَخفيفًا من اللهِ تعالى ولُطفًا. يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٧٦)، ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٢٨)، ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١٤٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٤).

وقيل: المرادُ هو التَّنبيهُ على أنَّ جميعَ ما يقعُ الابتلاءُ به مِن هذه البلايا بَعضٌ مِن كلٍّ بالنِّسبةِ إلى مَقدورِ اللهِ تعالى؛ فإنَّ جميعَ المحنِ والأرزاء والبلاء والفِتن ليستْ بالنسبةِ إلى مَقدورِ

بـ﴿ مِّنَ ﴾ التي للتَّبعيض، أي: بشَيءٍ غيرِ كثيرٍ. وقيل: تَنكيرُ ﴿بِشَيۡءٖ﴾ هنا للتنويعِ لا للتَّحقيرِ(١).

٢- قَوْلُه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞ﴾ استئنافٌ بيانيٌّ؛ لبيانِ الإجمالِ الواقِعِ في قولِه تعالى: ﴿لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ ...﴾(٢).

٣- قولُه: ﴿وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُ﴾ فيه: إيجازٌ بديع؛ لأنَّ شأنَ جواب الشَّرطِ إذا كان فِعلًا ألَّا تدخلَ عليه الفاءُ الرابطة؛ لاستغنائِه عن الرَّبط بمجرَّدِ الاتِّصالِ الفِعلي، ودخولُ الفاءِ على الفعلِ يقعُ في كلامِهم على خلافِ الغالِبِ؛ لقصدِ الدَّلالةِ على الاختصاصِ، أو التَّقوِّي، والتقدير: (فَهو ينتقمُ الله منه)؛ لقصدِ الاختصاصِ للمبالغةِ في شِدَّةِ ما يناله، حتى كأنه لا يَنالُ غيرَه، أو لقصدِ التقوِّي، أي: تأكيدِ حصولِ هذا الانتقامِ(٣).

٤- **قَوْلُه:** ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ تذييلٌ، وفي هذه الجملة تَذكارٌ بنِقَمِ الله وتخويفٌ(٤).

الله تعالى سِوى جزءٍ يَسيرٍ، خَليقٌ به أن يُحقَّر ويُصغَّر، وهذِه الصِّيغةُ- التي تُشعِرُ بالتَّقليل والتَّصغيرِ- بعَينِها قدْ وردتْ في الفِتَنِ العَظيمةِ في قولِه تعالى: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ﴾، ولا خَفاءَ في عِظَمِ هذه البلايا والمِحن التي يَستحقُّ الصَّابرُ عليها أنْ يُبشَّر؛ لأنَّه صَبَر على عَظيمٍ؛ وإنَّما خاطَب سُبحانَه المؤمنين بهذه الصِّيغةِ تَخفيفًا لهم، وبَعثًا لهم على الصَّبر، وحفزًا لهم على الاحتِمالِ؛ تَلطُّفًا بهم، وترَفُّقًا بما يُكابدونه منه؛ لأنَّ سَبْقَ التوعُّدِ بذلك لم يكُن إلَّا ليكونوا مُتوطِّنين على ذلك عندَ وقوعِه، فيكون أيضًا باعثًا على تَحمُّلِه؛ لأنَّ مُفاجأةَ المكروهِ بَغتةً أصعبُ، والإنذارَ به قبل وقوعِه ممَّا يُسهِّلُ موقعَه. يُنظر: ((تفسير الزمخشري- حاشية ابن المنير)) (١/ ٦٧٧)، ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحيي الدين درويش (٣/ ١٧-١٨).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٣٩).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٤٢)، ويُنظر أيضًا: ((البرهان)) للزركشي (٢/ ١٩٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٥٠).

(٤) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٦٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٥١).

- ولَمَّا كان قاتلُ صيدِ البرِّ مُنتهكًا لحُرمةِ الإحرامِ والحَرَم، وكان التَّقديرُ: فاللهُ قادرٌ عليه، عَطَفَ على ذلك ما اقتَضاه المقامُ مِن الإتيانِ بالاسمِ العَظيم (اللَّه) ووصْفِ العزَّةِ، فقال: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾[١].

٥- قَوْلُه: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ...﴾ استئنافٌ بيانيٌّ نشأَ عن قولِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾؛ فإنَّه اقتَضى تحريمَ قتْلِ الصَّيدِ على المحْرِم، وجَعَلَ جزاءَ فِعْلِه هدْيَ مِثلِ ما قتَل مِن النَّعَم، فكان السامعُ بحيث يسألُ عن صيدِ البَحرِ؛ فبيَّن اللهُ للناس حُكمَ صيدِ البحرِ وأبقاه على الإباحةِ[٢].

٦- قَوْلُه: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ فيه: زيادةُ تأكيدٍ لتحريمِ الصَّيدِ؛ تصريحًا بمفهومِ قولِه: ﴿لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾، ولبيانِ أنَّ مُدَّةَ التحريمِ مُدَّةُ كونِهم حُرُمًا[٣].

٧- قَوْلُه: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيه: تنبيهٌ وتهديدٌ جاءَ عقيبَ تحليلٍ وتحريمٍ، وناسَب ذِكرُ الحشْر؛ إذ فيه يَظهَرُ مَن أطاع وعصَى[٤]؛ ففي إجراءِ الوَصفِ بالموصولِ ﴿ٱلَّذِىٓ﴾ وتِلك الصِّلة ﴿إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تذكيرٌ بأنَّ المرجِعَ إلى الله؛ ليُعِدَّ الناسُ ما استطاعوا من الطاعةِ لذلك اللِّقاء[٥].

- وقوله: ﴿ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ قدَّم الجارَّ والمجرورِ في قوله: ﴿إِلَيْهِ﴾ على عاملِه، وهو قولُه: ﴿تُحْشَرُونَ﴾؛ لفائدتين: فائدة معنويَّة، وفائدة لفظيَّة؛ فالفائدةُ المعنويَّة: الحصرُ، وهذه قاعدةٌ معروفة عند البلاغيِّين

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٣٠٤).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٥١).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٥٣).
(٤) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٧١).
(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٥٣).

والأصوليِّين: أنَّه إذا قُدِّمَ ما حقُّه التأخيرُ، فإنَّه يُفيد الحصرَ. والفائدةُ اللفظيَّة: مناسبةُ رُؤوسِ الآياتِ[1].



(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤١٧).

الآيات (٩٧ - ١٠٠)

﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ
وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ
شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾
مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِى
ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾.

غريبُ الكَلِماتِ:

﴿قِيَـٰمًا﴾: أي: قِوامًا لهم، يقومُ به معاشُهم ومعادُهم، ودِينهم ودُنياهم وأمْنُهم، وأصلُ (قوم): مراعاةُ الشيءِ والحفظُ له، والانتصابُ والعزمُ(١).

﴿وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ﴾: أي: ما قُلِّد من الهَدْيِ، وكانوا يُقلِّدون البعيرَ مِن لِحاءِ شَجرِ الحرَمِ، فيأمَن بذلك حيثُ سلك، والقَلْد الفَتْل، وأصل (قلد): يدلُّ على تعليقِ شيءٍ على شيءٍ وليِّه به، وعلى حَظٍّ وَنَصِيبٍ(٢).

﴿يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾: أي: يا أصحابَ العُقولِ السَّليمة، ومفرد ألباب: لُبٌّ، وأصل اللُّبِّ: الخُلوصُ والجودةُ، والشَّيءُ المنتقى(٣).

---

(١) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٤٣)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٦٩١)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٨٩).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٣٩)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٢٨٦)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ١٩)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٧٨)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٤٧).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٥١)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ١٩٩)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٠٢).

مُشكِلُ الإعرابِ:

قوله: ﴿ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسمُ إشارةٍ مبنيٌّ في محلِّ رفْعٍ، على أنه خبرٌ لمبتدأٍ محذوف، والتقدير: الأمرُ ذلك، أو الحُكمُ الذي حَكَمْناه ذلِك لا غيرُه، أو يكون مبتدأً وخبرُه محذوفٌ، والتقدير: ذلك الحُكمُ هو الحقُّ لا غيرُه. ويجوز أنْ يكون في محلِّ نصْب على أنَّه مفعولٌ به لِفعل مُقدَّر يدلُّ عليه السِّياقُ، وبه تتعَلَّقُ اللَّامُ في﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ﴾، والتقدير: شَرَعْنا ذلِك لتعلموا. وقيل: ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارةٌ إلى الجَعْلِ المأخوذِ مِن قَوْلِه:﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ﴾ ولامُ التَّعليل في ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ﴾ متعَلِّقَةٌ بـ﴿جَعَلَ﴾، وتوسُّطُ اسمِ الإشارةِ بينهما هنا شَبيهٌ بتوسُّطِ ضَميرِ الفَصْلِ؛ فلذلك كان الكلامُ شَبيهًا بالمستأنَفِ، وليس هو بمُستأنَفٍ، فلم يكُن في هذا الكَلامِ شيءٌ جَديدٌ غيرُ التَّعليلِ، والمعنى: جَعَلَ اللهُ الكعبةَ قيامًا للنَّاسِ؛ لتَعْلَموا أنَّ اللهَ يَعْلَمُ... إلخ(١).

المَعنَى الإجْماليُّ:

يُخبِرُ تعالى أنَّه جعَل الكعبةَ البيتَ الحرامَ قِوامًا للنَّاس، تقومُ به مَصالحُهم الدِّينيَّة والدُّنيويَّة، وكذلك الشهرُ الحرامُ، والهَديُ الذي يُساقُ إلى الحرمِ من بهيمةِ الأنعامِ؛ وخصوصًا ما يُقلَّد منه، كلُّ ذلك جعَلَه الله ممَّا تقومُ به مصالحُ النَّاسِ؛ ذلك من أجْلِ أنْ يَعلمَ النَّاسُ أنَّه تعالى يَعلمُ ما في السَّموات والأرض، ومِن ذلك عِلمُه بما يَصلُح لعبادِه في دِينهم ودُنياهم، وأنَّ الله بكلِّ شيءٍ عليمٌ.

ثم خوَّف الله تعالى مِن عقابِه، ورغَّب في ثوابِه، فأمَرَ النَّاسَ أنْ يَعلموا أنَّه

(١) يُنظَر: ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (١/ ٢٣٨)، ((التبيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/ ٤٦٣)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٤٣٣) ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٥٩).

عزَّ وجلَّ شديدٌ عِقابُه إذا أَنْزلَه بمَن عصاه، وأنَّه غفورٌ يَستُرُ ذنوبَ مَن تاب إليه، ويَتجاوز عن المؤاخذةِ عليها، رحيمٌ سبحانه بعبادِه.

ثمَّ أخْبَر تعالى أنَّه ما على رسولِه محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إلَّا أداءُ الرِّسالة التي أُرْسِلَ بها، وأنَّه ما قصَّر في أدائِها، وأنَّ الله تعالى يَعلمُ ما يُعْلِنُ الخَلقُ وما يُسرُّونه، وسيُجازيهم على أعمالِهم.

ثم أمَر الله نبيَّه محمَّدًا صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنْ يقولَ للنَّاس: إنَّه لا يَستوي الخبيثُ والطيِّب، ولو أُعْجبَ المرءُ بكثرةِ الخبيث، فاتَّقوا اللهَ يا أصحابَ العقولِ السَّليمة؛ لعلَّكم تَظْفَرون بما تَطلبونُه وتَرجُونه، وتنجونَ ممَّا تَحذرونه في دُنياكم وآخِرتِكم.

تَفسيرُ الآياتِ:

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْيَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾.

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا حرَّم اللهُ تعالى في الآيةِ المتقدِّمةِ الاصطيادَ على المُحرِم، وبيَّن أنَّ الحرمَ كما أنَّه سببٌ لأَمْنِ الوحشِ والطير، فكذلك هو سببٌ لأمْنِ النَّاسِ عن الآفاتِ والمخافاتِ، وسببٌ لحصولِ الخيراتِ والسَّعادات في الدُّنيا والآخِرة[١]، فقال سبحانه:

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾.

أي: صيَّر اللهُ تعالى حرَمَه قِوامًا للنَّاس، تقومُ به مصالحُ دِينهم، من صلاةٍ وحجٍّ وعمرةٍ، وغير ذلك، وتقومُ به أيضًا مصالحُ دُنياهم؛ بما يُجبَى إليها من ثمراتِ كلِّ شيءٍ رزقًا من عند اللهِ تبارَك وتعالى، وبما يَحصُل فيه مِن الأمْنِ،

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٣٩).

وبما يَحصُل فيه مِن اجتماعٍ للمسلمينَ، فيتعارَفون، ويتعاونون، ويتشاورونَ في مصالحِهم الدِّينيَّة والدُّنيويَّة[(١)].

﴿وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾.

مُناسَبتُها لِمَا قَبلَها:

لَمَّا ذَكَر اللهُ تعالى ما به القوامُ من المكان، أَتْبعَه ذلِك مِن الزمانِ[(٢)]، فقال:

﴿وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾.

أي: وصَيَّرَ اللهُ تعالى الأشهُرَ الحُرمَ قِوامًا للناسِ، تقومُ فيها مصالحُهم بما جَعَل الله تعالى فيها من الأمْنِ بتحريمِ القِتال والظُّلمِ فيها[(٣)].

﴿وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَ﴾.

أي: صيَّرَ اللهُ تعالى الهدْيَ الذي يُهدَى إلى الحرمِ مِن إبلٍ أو بقرٍ أو غنمٍ تقرُّبًا إلى اللهِ تعالى، والقلائدَ- وهي الهَدْيُ الذي تُجعَلُ له قلائدُ في عُنقه؛ إظهارًا لشعائرِ الله تعالى، ولغيرِ ذلِك من أسباب[(٤)] - صيَّرها الله سبحانه قِوامًا للنَّاس في دِينِهم بالثوابِ الذي يَنالونه مِن الله تعالى، وفي دُنياهم بالبيعِ والشِّراءِ والأكْل

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ٥-٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٥)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (٦/ ١٦٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤١٧).

(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٣٠٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ٧، ٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤١٧-٤١٨، ٤٢١-٤٢٢).

قال ابن عطية: (والشَّهْر هنا اسمُ جنسٍ، والمرادُ الأشهرُ الثلاثةُ بإجماعٍ مِن العربِ، وشهرُ مُضَر وهو رجبٌ) ((تفسير ابن عطية)) (٢/ ٢٤٣).

(٤) يُنظر: ((زاد المسير)) لابن الجوزي (١/ ٥٠٨)، ((تفسير القرطبي)) (٦/ ٤٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤١٨).

والانتفاعِ بالجلودِ، وغير ذلك[(١)].

﴿ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾.

أي: إنَّ تصييرَه سبحانه الكعبةَ البيتَ الحرامَ والشَّهرَ الحرامَ والهديَ والقلائدَ قيامًا لكم- أيُّها الناس- كي تَعلموا أنَّ الله سبحانه يَعلمُ جميعَ ما في السَّموات وجميعَ ما في الأرض، ومِن ذلك عِلمُه بما يَصلُحُ لكم مِن مصالحَ دِينيَّةٍ ودُنيويَّة[(٢)].

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾.

أي: ولِتَعلموا أيضًا أنَّه لا يَخفى عليه شيءٌ، ومِن ذلك أعمالُكم، فيُجازيكم بها[(٣)].

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨﴾.

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا ذَكَر اللهُ تعالى أنواعَ رَحمتِه بعِبادِه، ذكَر بعدَه أنَّه شديدُ العِقاب؛ لأنَّ الإيمانَ لا يتمُّ إلَّا بالرَّجاء والخوف، ثم ذكَر عَقيبَه ما يدلُّ على الرحمةِ، وهو كونُه غفورًا رحيمًا، وذلك يدلُّ على أنَّ جانبَ الرَّحمة أغلبُ؛ لأنَّه تعالى ذَكَر فيما قَبلُ أنواعَ رحمتِه وكرمِه، ثم ذكَرَ أنَّه شديدُ العقابِ، ثم ذكَرَ عقيبه وصْفَينِ من أوصافِ الرَّحمةِ، وهو كونه غفورًا رحيمًا[(٤)]، قال تعالى:

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٠)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤١٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤١٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٢٠).

(٤) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٤١).

﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾.

أي: اعْلموا- أيُّها الناس- أنَّ ربَّكم شديدُ الأخْذِ بالذنبِ إذا عاقَب مَن عصاه[(١)].

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾.

أي: واعْلَموا أيضًا أنَّه يَستُر ذُنوبَ مَن تاب إليه مِن عِبادِه، ويتجاوزُ عن مؤاخذتِه بها، رحيمٌ سبحانه، ومِن رحمتِه بعبادِه أنَّه لا يُكلِّفهم ما يشقُّ عليهم، وأنَّه يقبلُ توبتَهم إذا تابوا إليه[(٢)].

﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ٩٩ ﴾.

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لمَّا تقدَّم الترغيبُ والترهيبُ أخبَرَ تعالى أنَّه كلَّف رسولَه بالتبليغِ، وهو توصيلُ الأحكامِ إلى أُمَّته، وهذا فيه تشديدٌ على إيجابِ القيامِ بما أمَر به تعالى، وأنَّ الرَّسولَ قد فرَغ ممَّا وجَب عليه مِن التبليغِ، وقامتْ عليه الحجَّةُ، ولزِمتْكم الطاعةُ، فلا عذرَ لكم في التفريطِ[(٣)].

﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ﴾.

ليسَ على محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ الذي أرْسلناه إليكم- أيُّها الناسُ- سوى أداءِ رِسالتِنا إليكم، وأمَّا ما عدَا ذلك فليس له مِن الأمرِ شيءٌ[(٤)].

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٢٦).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٢٦).
(٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٧٤).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١١-١٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٢٨).

﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴾.

أي: إنَّ أعمالَكم ليستْ مُوكَلةً إلى الرَّسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وإنَّما الذي يُجازيكم بها هو اللهُ تعالى وحْدَه، الذي يَعلمُ جميعَ ما تُظْهِرونَه، وجميعَ ما تُخفونه[1].

﴿ قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠٠ ﴾.

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا زجَر عن المعصيةِ ورغَّب في الطَّاعة بقولِه: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾، ثم أتْبعَه بالتكليفِ بقولِه: ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ﴾، ثمَّ أتْبعَه بالتَّرغيبِ في الطاعةِ والتنفيرِ عن المعصيةِ بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴾، أتْبعَه بنوعٍ آخَرَ من الترغيبِ في الطاعةِ والتنفيرِ عن المعصيةِ[2]، فقال ﴿ قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ ... ﴾.

وأيضًا لَمَّا بيَّن اللهُ تعالى أنَّ عقابَه شديدٌ لِمَن عصَى، وأنَّه غفورٌ رحيمٌ لِمَن أطاع؛ بيَّن أنَّه لا يستوي المطيعُ والعاصي، وإنْ كان من العُصاةِ والكفَّار كثرةٌ؛ فلا تَمنعُه كثرتُهم من عقابِهم[3]، فقال تعالى:

﴿ قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ ﴾.

أي: قلْ- يا محمَّد- للنَّاس: لا يَستوي الخبيثُ والطيِّب من كلِّ شيءٍ؛ من

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٢٩-٤٣٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٤٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٧٥).

أشخاصٍ وأعمالٍ وغيرِ ذلك، فلا يَستوي المؤمنُ والكافرُ، ولا تَستوي الطاعةُ والمعصيةُ، ولا يَستوي الحلالُ والحرام[١].

﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾.

أي: فلا تَعجبنَّ- أيُّها الإنسانُ- مِن كثرةِ الخبيث مِن أيِّ شيءٍ كان، فلا تُعجبْك كثرةُ مَن يَعصي الله؛ فإنَّ الفلاحَ لأهلِ الطاعةِ وإنْ قلُّوا، والقليلُ الحلالُ النافع خيرٌ من الكثيرِ الحرام الضارِّ[٢].

قال تعالى: ﴿وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ ﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١].

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

أي: يا أصحابَ العقولِ الصَّحيحةِ الرَّاشدة، اتَّقوا اللهَ سبحانه بامتثالِ ما أمرَكم به، واجتنابِ ما نهاكم عنه؛ كي تَظفَروا بما تَأمُلون، وتَنجُوا ممَّا تَحذرون في الدُّنيا والآخِرة[٣].

الفَوائِدُ التَّربويَّة:

١- إثباتُ الحِكمةِ في أحكامِ الله عزَّ وجلَّ؛ لِقَوْلِه: ﴿ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا﴾، واللامُ هنا للتعليلِ، ومِن أسماءِ الله تبارك وتعالى: الحكيم، وهو الذي يَضعُ الأشياءَ في مواضعِها، ويتفرَّع على هذه الفائدةِ العظيمة: أنْ نُؤمِن بأنَّ كلَّ ما شرَعه الله

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٠٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٣٣-٤٣٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٢-١٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٠٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٣٤-٤٣٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٠٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٣٥-٤٣٦).

أو فَعَلَه الله فهو لحِكمةٍ، وحينئذٍ لا يَلْزَمُنا أن نَبحثَ عن الحِكمةِ، أو نتمحَّلَ حِكمةً بَعيدةً قد تكون غيرَ مرادةٍ لله عزَّ وجلَّ، إنْ تَبيَّنَتْ لنا الحكمةُ بسُهولة، فلا شكَّ أنَّ هذا مِن نِعمةِ الله، ويَزيد الإنسانَ طُمأنينةً، وإنْ لم تَتبيَّن فإنَّنا نعلمُ أنَّها لحكمةٍ، لكنَّ عُقولَنا قاصرةٌ عن إدراك حِكمةِ الله عزَّ وجلَّ في كلِّ ما شرَع[١].

٢- الحثُّ على معرفةِ صِفاتِ اللهِ عزَّ وجلَّ؛ لِقَوْلِه: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ﴾، فينبغي البحثُ عن صِفاتِ اللهِ تبارَك وتعالى، سواءٌ الصِّفاتُ التي ليس لها أسماءٌ، أو الصِّفات التي تَتضمَّنها الأسماءُ؛ لأنَّه كلَّما ازدادتْ المعرفةُ بأسماءِ الله وصِفاته ازداد اليقين[٢].

٣- التَّحذيرُ مِن مخالفةِ اللهِ عزَّ وجلَّ وتَرْكِ مراقَبَتِه سبحانه؛ وَجْهُه: إثباتُ العِلم في قولِه: ﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ لأنَّ كلَّ إنسانٍ يَهمُّ بمعصية، سواء كانتْ ترْكَ واجبٍ، أو فِعلَ مُحرَّمٍ إذا أَيقنَ أنَّ اللهَ عالمٌ به، فإنَّه يَخافُ ويُمسِك[٣].

٤- في قولِه تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾، يأمُر الله عِبادَه أنْ يكونَ هذان العِلمانِ موجودَينِ في قُلوبهم على وجهِ الجزم واليقين، فيَعلموا أنَّه شديدُ العقابِ العاجِلِ والآجِل على مَن عصاه، وأنَّه غفورٌ رحيمٌ لِمَن تاب إليه وأطاعَه، فيُثمِرَ لهم هذا العلمُ الخوفَ من عِقابِه، والرَّجاءَ لمغفرتِه وثوابِه، فيَعملوا على ما يَقتضيه الخوفُ والرَّجاء[٤].

٥- ممَّا يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ﴾ أنَّ أهل العِلم الذين

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٢٣).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٢٤).
(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).
(٤) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٥).

هم وَرَثةُ الأنبياء إذا بَلَّغوا بَرِئتْ ذِمَّتُهم[(١)].

٦- أنَّه لا يَنبغي للإنسانِ أن يَعتبرَ أو يغترَّ بالكثرةِ، وإنَّما يَعتبر بالكيفِ لا بالكمِّ؛ لِقَوْلِه: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾[(٢)].

٧- تفريعُ قَوْلِه: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ على ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ مُؤذِنٌ بأنَّ اللهَ يُريد منَّا إعمالَ النَّظَرِ في تمييزِ الخبيثِ مِن الطيِّب، والبحثَ عن الحقائِقِ، وعدمَ الاغترارِ بالمظاهرِ الخلَّابة الكاذِبة؛ فإنَّ الأمرَ بالتقوى يستلزمُ الأمرَ بالنظر في تمييزِ الأفعالِ؛ حتى يُعرفَ ما هو تقوى دون غيره[(٣)].

٨- خَصَّ أُولي الألبابِ بالذِّكر في آخِرِ الآية في قولِه: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ بعدَ مخاطبةِ كلِّ مُكلَّفٍ في صدرِها؛ لأنَّ أهلَ البصيرةِ والرَّويَّةِ من العقلاءِ هم الذين يَعتبِرون بعواقبِ الأمورِ التي تدلُّ عليها أوائلُها ومُقدِّماتُها، بعد التأمُّلِ في حقيقتِها وصِفاتها، فلا يُصرُّون على الغرورِ بكثرةِ الخبيثِ بعدَ التنبيهِ والتَّذكيرِ، وأمَّا الأغرارُ والغافلون الذين لم يُمرِّنوا عقولَهم على الاستقلالِ في النَّظر، والاعتبارِ بالتجارِب، فلا يُفيدُهم وعظُ واعظٍ، ولا تذكيرُ مُذكِّر، بل لا يَعتبِرون بما يَرون بأعينِهم، ويَسمعون بآذانِهم من حوادثِ الأغنياءِ الذين ذهبَتْ أموالُهم الكثيرةُ المجموعةُ من الحرامِ، ولا مِن عواقبِ الأُممِ والدُّول التي اضمحلَّتْ كثرتُها العاطلةُ مِن فضيلتَي العلمِ والنِّظامِ، وكيف ورِثَ هؤلاء وأولئك مَن كانوا أقلَّ مالًا ورجالًا؛ إذ كانوا أفضلَ

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٣٢).
(٢) يُنظر: ((تفسير الشربيني)) (١/ ٣٩٩)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/ ١٠٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٣٦).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٦٤).

أخلاقًا وأعمالًا؛ ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1] [الأعراف: ١٢٨].

٩- أنَّ الذين يُخاطَبون بالتَّقوى وبمِثل هذه الأحكامِ العظيمةِ هم أصحابُ العقولِ؛ لِقَوْلِه: ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، والمرادُ بالعقولِ هنا: عقولُ الرُّشْد لا عقولُ الإدراك[2].

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِف:

١- يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ ...﴾ تعظيمُ شأنِ الكعبة، حيث جعَلها قيامًا للنَّاسِ، تقوم بها أمورُ دِينهم ودُنياهم، هذه الكعبةُ التي حُرِّمت أرضُ الحَرَمِ لأجْل تعظيمِها، ويُستفادُ أيضًا التذكيرُ بنعمة الله على سُكَّانه بما جعَل لهم من الأمْنِ في عَلائقِها وشعائرِها[3].

٢- كانتِ الكعبةُ قِيامًا للناسِ وهم العربُ؛ إذ كانتْ سببَ اهتدائِهم إلى التوحيدِ واتِّباع الحَنيفيَّة، واستبْقَتْ لهم بقيَّةً من تلك الحنيفيَّة في مُدَّة جاهليَّتِهم كلِّها، لم يَعْدَموا عوائدَ نفْعِها، فلمَّا جاء الإسلامُ كان الحجُّ إليها من أفضلِ الأعمال، وبه تُكفَّرُ الذنوبُ، فكانتِ الكعبةُ من هذا قيامًا للنَّاس في أمورِ أُخراهم بمقدارِ ما يَتمسَّكون به ممَّا جُعِلَتِ الكعبةُ له قيامًا؛ قال تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾[4].

٣- في قولِه تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْيَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ ناسَب ذِكرُ اللهِ تعالى أنَّه جعَلَ الكعبةَ البيتَ الحرامَ قِيامًا للناس ذِكْرَ الشَّهرِ الحرامِ والهَدْيِ والقلائِد؛ لأنَّ هذه الثلاثةَ إنَّما صارتْ سببًا لِقِوامِ

(١) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/ ١٠٣).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٣٧).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٥٤) ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٢٠).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٥٨).

المعيشة؛ لانتسابِها إلى البيتِ الحرام، فكانَ ذلك دليلًا على عَظمةِ هذا البيتِ وغايةِ شَرفِه[١].

٤- في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ خصَّ اللهُ القلائدَ بالذِّكر هنا، ووجْهُ تخصيصِها- وإنْ كانتْ هي مِن أقلِّ آثارِ الحجِّ- التنبيهُ على أنَّ جميعَ علائقِ الكعبةِ فيها قيامٌ للنَّاس، حتى أدْنَى العلائقِ، وهي القلائدُ، فكيف بما عَداها؛ ولأنَّ القلائدَ أيضًا لا يخلو عنها هديٌ مِن الهدايا[٢].

٥- تعظيمُ الأشهرِ الحُرم؛ لِقَوْلِه: ﴿وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ وأنَّها قيامٌ للناس، وتعظيمُها جاءَ في القرآن والسُّنة؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [التوبة: ٣٦]، وكذلك جاءَ في السُّنة، كما قال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم مُقرِّرًا ذلك: ((إنَّ دِماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم عليكم حَرامٌ كحُرْمةِ، يَومِكم هذا في، شَهرِكم هذا، في بلدِكم هذا))[٣].

٦- تعظيمُ الهدْي والترغيبُ فيه؛ لِقَوْلِه: ﴿وَٱلْهَدْىَ﴾ يعني: أنَّ الله جعَلَه قيامًا للناس، والهَدْيُ غيرُ مرتبطٍ بالنُّسُك؛ إذ يجوزُ للإنسان أن يَبعثَ الهديَ إلى مكَّة وإنْ كان في بلدِه، كما كان النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم يَفعلُ[٤].

٧- مشروعيَّة القلائِد؛ لِقَوْلِه: ﴿وَٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ وجه ذلك: أنَّ فيها إظهارًا لشعائرِ الله عزَّ وجلَّ؛ لأنَّ كلَّ مَن رأى هذه النَّعَمَ المقلَّدةَ، عرَف أنَّها هديٌ، فعظَّمها

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٤٠، ٤٤١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٥٨، ٥٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٢١).

والحديث أخرجه البخاري (٧٠٧٨) ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٢٣).

واحترَمَها[(١)].

٨- تَكرارُ الثَّناء على اللهِ عزَّ وجلَّ؛ لأنَّ الله كرَّر عمومَ عِلمه بقولِه: ﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، ثم أكَّد العمومَ بما هو أعمُّ بقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾؛ لأنَّ هذا يعمُّ ما في السَّموات وما في الأرض ممَّا يكون بعدَ فَناءِ السَّماء والأرض[(٢)].

٩- قال تعالى هنا: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾، وقال في موضعٍ آخَر: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾[الحِجْر: ٤٩-٥٠]؛ فجعَل الرحمةَ صِفةً له مذكورةً في أسمائِه الحُسنى، وأمَّا العذابُ والعقابُ، فجَعَلَهما من مَفعولاتِه غيرَ مَذكورَينِ في أسمائِه[(٣)].

١٠- لَمَّا ذَكَر تعالى أنواعَ رحمتِه لعبادِه، ذكَر بعدَه شِدَّة العقابِ فقال: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾؛ لأنَّ الإيمانَ لا يتمُّ إلَّا بالرَّجاءِ والخوفِ[(٤)].

١١- أنَّه ليس على النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أن يُجبرَ الناسَ على أنْ يَهتدوا؛ لِقَوْله: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ﴾، ويُؤيِّد هذا آياتٌ كثيرةٌ؛ منها: قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾[(٥)] [يونس: ٩٩].

١٢- قَوْلُه: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ﴾ بيانٌ لوظيفةِ الرَّسول في إثرِ بيانِ كونِ الجزاءِ بيدِ اللهِ العليم بكلِّ شيء، فالرسولُ من

(١) يُنظر: ((المصدر السابق)).
(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٤٢٤).
(٣) يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (١٥/ ٢٩٥).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٥٤٠).
(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٣٠).

حيثُ هو رسولُ الله، ليس عليه إلَّا تبليغُ رسالةِ مَن أرسله؛ فهو لا يعلمُ جميعَ ما يُبديه المكلَّفون من الأعمالِ والأقوالِ، وما يَكتُمونه منها، فيكون أهلًا لحِسابِهم وجزائِهم على أعمالِهم، وإنَّما يعلم ذلك اللهُ وحْدَه(١).

١٣- الردُّ على الجبريَّة الذين يقولون: إنَّ الإنسانَ ليس له إرادةٌ، وهذا مأخوذٌ مِنْ قَوْلِه: ﴿تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾؛ فالإنسانُ يُريد أن يُبْديَ، ويُريد أن يَكتُم، وهذا هو إثباتُ الإرادةِ للعَبدِ(٢).

١٤- يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ أنَّه لا يستوي الخبيثُ والطيِّبُ عند اللهِ عزَّ وجلَّ ولا عندَ أصحابِ العُقول، وهذا في مراتبِهم عندَ الله، وعند ذوي العُقول، أمَّا فيما يَعملون من أمورِ الدُّنيا، فإنَّه قد يكونُ الخبيثُ أكثرَ من الطَّيِّب عملًا، كما هو مُشاهَدٌ الآن؛ فإنَّ الدولَ الكافرةَ أقدمُ مِن الدُّوَلِ المسلِمة فيما يتعلَّق بأمورِ الدنيا(٣).

بَلاغةُ الآياتِ:

١- قَوْلُه: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ استئنافٌ بيانيٌّ؛ لأنَّه يَحصُل به جوابٌ عمَّا يَخطُر في نفْس السَّامعِ مِن البحثِ عن حِكمةِ تحريم الصَّيدِ في الحرم، وفي حالِ الإحرام، بأنَّ ذلك من تعظيمِ شأنِ الكعبةِ التي حُرِّمتْ أرضُ الحَرَمِ لأجْلِ تَعظيمِها، وتذكيرٌ بنعمة الله على سُكَّانه بما جعَلَ لهم من الأمْنِ في علائقِها وشعائرِها(٤).

- وقوله: ﴿ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ بيانٌ للكعبة؛ قُصِد من هذا البيان التنويهُ والتعظيمُ؛

(١) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/ ١٠٢).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٣١).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٣٦).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٥٤-٥٥).

إذ شأنُ البيانِ أن يكونَ مُوضِّحًا للمبيَّن بأنْ يكون أشهرَ مِن المبيَّن، ولَمَّا كان اسمُ الكعبةِ مساويًا للبيت الحرامِ في الدَّلالةِ على هذا البيت، فقد عبَّر به عن الكعبةِ في قوله: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢]، فتعيَّن أنَّ ذِكرَ البيانِ للتَّعظيم[١].

٢- قَوْلُه: ﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾

- قوله: ﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ...﴾ مرتبطٌ بالكلامِ الذي قبْلَه بواسطة لام التَّعليل في قوله: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ﴾، وتوسُّط اسمِ الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾ بين الكلامَين؛ لزيادةِ الرَّبطِ، مع التنبيهِ على تعظيمِ المشارِ إليه، وهو الجَعْلُ المأخوذ مِنْ قَوْلِه: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ﴾[٢].

- وقَوْلُه: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ فيه تعميمٌ إثْرَ التَّخصيصِ الذي في قولِه: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ للتأكيدِ[٣]، مع مَا فيه مِن تأكيدِ الخبرِ بـ(أنَّ) واسميَّة الجُملة.

٣- قَوْلُه: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ استئنافٌ ابتدائيٌّ، وتذييلٌ لِمَا سبَق من حظْر الصَّيد للمُحرِم وإباحةِ صيدِ البحرِ، والامتنانِ بما جَعَل للكعبةِ مِن النِّعم عليهم، وافتتاح الجُملة بـ﴿ٱعْلَمُوٓاْ﴾ للاهتمامِ بمضمونها[٤].

- وفيه: وعيدٌ لِمَن انتهك محارِمَه أو أصرَّ عليها، ووعدٌ لِمَن أقْلَعَ عنه[٥].

---

(١) يُنظر: ((المصدر السابق)).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٥٩).
(٣) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١٤٤)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٨٣).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٦١).
(٥) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٧٤)، ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١٤٤).

- وفيه مناسبةٌ حسنةٌ؛ حيث قال هنا: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾، وقال في موضعٍ آخر: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠]، وبَينهما فرقٌ؛ فهذه الآية هنا ذُكرتْ عقيبَ أحكامٍ عظيمة قد يُخلُّ بها المرءُ؛ فقُدِّم فيها جانبُ التَّهديدِ، وأمَّا في آية الحِجر؛ فقولُه: ﴿نَبِّئۡ﴾ أمرٌ من الله إلى الرسولِ بأنْ يُنبِّئَ الخلقَ، وقدَّم الوصفَ بالمغفرةِ والرَّحمةِ على العذابِ الأليم؛ لأنَّ المقصودَ الإخبارُ عن صفةِ الله عزَّ وجلَّ، فقدَّم الجانبَ الذي فيه اللُّطفُ والإحسان[١].

٤- قَوْلُه: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ﴾

جملةٌ معترِضة ذُيِّل بها التعريضُ بالوعيدِ والوعْد، والقَصرُ المستفاد هنا من (ما) و(إلَّا) ليس بحقيقيٍّ؛ لأنَّ على الرسولِ أمورًا أُخَرَ غير البَلاغ مثل التعبُّد لله تعالى، والخروجِ إلى الجهاد، والتكاليفِ التي كلَّفه الله بها، مِثْل قيامِ اللَّيل؛ فتعيَّن أنَّ معنى القصر: ما عليه إلَّا البلاغ، أي: دون إلجائِكم إلى الإيمانِ؛ فالقصرُ إضافيٌّ، فلا يُنافي أنَّ على الرسولِ أشياءَ كثيرةً[٢].

٥- قَوْلُه: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ﴾ فيه: تعريضٌ بالوعيدِ والوعد؛ تذكيرًا بأنَّه لا يَخفَى عليه شيءٌ من أعمالِهم؛ ظاهرِها وباطِنها؛ ففيه تهديدٌ بأنَّه تعالى مُطَّلِع على حالِ العبدِ ظاهرًا وباطنًا؛ فهو مُجازيه على ذلِك ثوابًا أو عقابًا، والمقصودُ مِنْ قَوْلِه: ﴿مَا تُبۡدُونَ﴾ التَّعميمُ والشُّمول[٣]، وهو تحذيرٌ للمُبلَّغِين من المخالفةِ؛ فإنَّ إخبارَه بعِلمه بعدَ أنْ قال: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ﴾ فيه

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٢٦).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٦١-٦٢).
(٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٧٥)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٦١-٦٢).

التهديدُ والوعيدُ على مَن خالَفَ[١].

٦- قَوْلُه: ﴿قُل لَّا يَسۡتَوِى ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾: تصديرُ الحُكم بـ ﴿قُل﴾ يدلُّ على العنايةِ به؛ وذلك لأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان مأمورًا أن يقولَ جميعَ القرآنِ للنَّاس ويُبلِّغه، لكن إذا نُصَّ على شيءٍ معيَّنٍ، دلَّ هذا على أخصِّيَّتِه؛ فهو كالتَّخصيصِ بعدَ التَّعميم[٢].

- ولعلَّ نكتةَ تقديمِ الخبيثِ في الذِّكْرِ هي كونُ السِّياقِ للاهتمامِ بإزالةِ شُبهة المغترِّينَ بكثرتِه؛ ولذلك قال: ﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِ﴾[٣].



(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٣١).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٤٣٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/ ١٠٣).

الآيات (١٠١ - ١٠٥)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا
عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٠١) قَدْ سَأَلَهَا
قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ (١٠٢) مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ
وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
(١٠٣) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا
عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٠٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥) ﴾.

غريبُ الكَلِمات:

﴿تَسُؤْكُمْ﴾: أي: تَحْزُنْكم وتَغُمَّكم، والسوءُ مصدرُ ساء، وهو اسمٌ جامعٌ للآفات، ويُستعملُ في كلِّ ما يُستقبَحُ، وهو أيضًا كلُّ ما يغمُّ الإنسانَ[١].

﴿بَحِيرَةٍ﴾: هي النَّاقةُ التي إذا نُتِجت خَمسةَ أَبطُنٍ شقُّوا أُذُنَها، وحُرِّمتْ على النِّساءِ، ويُمنَح دَرُّها للطواغيتِ؛ فلا يَحْلُبها أحدٌ مِن النَّاس، والبَحيرة الفَعيلةِ، مِن قول القائل: بحرتُ أُذن هذه النَّاقةِ إذا شَقَّها، وأصل (بحر): يدلُّ على الانبساطِ والسَّعَة[٢].

﴿سَائِبَةٍ﴾: السَّائبةُ هي الأُنثَى من النَّعَم الَّتي كان يُسيِّبُها الكُفَّارُ لطَواغيتِهم؛

(١) يُنظر: ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٤١)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ١١٣)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٧٣).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٧)، ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ٢٩)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١١٩)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٢٠١)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٩٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٠٨).

فلا يُحمَل عليها شيءٌ، أو التي تُسيَّب في المرعَى؛ فلا تُردُّ عن حَوضٍ ولا عَلفٍ، وكان الواحدُ مِنهم يُسيِّبها بنَذْرٍ؛ إنْ سُلِّم مِن مَرضٍ، أو بُلِّغ مَنزلَه أنْ يَفعَلَ ذلك، وأصل (سيب): يدلُّ على استِمرارِ شيءٍ وذَهابِه(١).

﴿وَصِيلَةٍ﴾: الوَصيلةُ هي: الأُنثى من النَّعَمِ إذا ولَدَتْ سَبعةَ أَبطُنٍ، نظَروا؛ فإنْ كان السَّابعُ ذَكَرًا ذُبِح، فأكَل مِنه الرِّجالُ والنِّساءُ، وإنْ كان أُنثى تُرِكتْ، وإنْ كان ذَكرًا وأُنثى قالوا: قد وَصَلَتْ أخاها، فلم تُذبَح بَدَفْعِها عنه الذَّبحَ، وكانتْ لحومُها حَرامًا على النِّساءِ، ولبَنُ الأُنثى حَرامًا على النِّساءِ إلَّا أنْ يَموتَ منهما شيءٌ فيأكلَه الرِّجالُ والنِّساءُ(٢).

﴿حَامٍ﴾: الحامِي هو: الفَحلُ من النَّعَمِ إذا نُتِجَ مِن صُلبه عَشرة أبطُنٍ، كان يُقال: حمَى ظَهرَه؛ فيَتركونَه للطَّواغيتِ، ويُحمَى مِن الحَمْلِ والرُّكوبِ عليه والانتفاعِ به؛ بسَببِ تتابُعِ الأولاد مِن ضِرابِه، وأصل (حمي) يدلُّ على الدَّفْعِ والمَنْعِ(٣).

المَعنَى الإجماليُّ:

يَنهَى اللهُ عِبادَه المؤمنين عن السُّؤالِ عن أشياءَ لو بانَ لهم جوابُها لساءَهم ذلك، وشقَّ عليهم، ولكنَّهم إنْ سألوا عن أشياءَ بعدَ نُزولِ القرآنِ عليهم بها، فهنا قدْ وافَق سؤالُهم مَحلَّه، فيُبيَّن لهم ما سَألوا عنه، والله تعالى قد عفا عمَّا كان مِن

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٧)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١٢٠)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ١١٩)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٣١)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٩٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٠٨).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٧)، ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ٣٠)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١٢٠)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٩٠)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٨٧)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٩٤٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ٣٠)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٢٥٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٠٨).

مسألتِهم قبلَ النَّهي؛ فهو سبحانه غفورٌ حليمٌ.

ثم أَخبر تعالى أنَّه قد كان أناسٌ ممَّن سَبَقوا سألوا هذه المسائلَ المنهيَّ عنها، فأُجيبوا عنها، لكنَّهم أصْبَحوا بسببِ الخوضِ فيها، والتفتيشِ عنها كافرينَ.

ثم نفَى اللهُ أن يكونَ أَذِنَ في شيءٍ ممَّا يفعله الكفَّارُ بالأنعامِ ممَّا ابتدعوه، فهو سبحانه لم يَشْرَع لهم البحيرةَ ولا السَّائبةَ ولا الوصيلةَ ولا الحامِيَ، وهي حيواناتٌ حرَّم أهلُ الجاهليةِ أكلَها والانتفاعَ بها مِن عندِ أنفسِهم بدونِ علمٍ أو برهانٍ، فهؤلاء الكفَّار يَفْترون على الله الكذبَ، وأكثرُهم لا يعقلون.

وإذا ما قيل لهؤلاء الكفَّارِ: تعالَوا إلى كتابِ اللهِ وإلى رسولِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؛ ليتَّضحَ لكم دِينُ الله ويتبيَّن لكم شَرْعُه، كان جوابُهم أنَّهم يَكفيهم ما وَجدوا عليه آباءَهم من قبلُ، وكيف يكون ذلك مع أنَّ آباءَهم جَهَلةٌ لا يَعلمون شيئًا، وضُلَّالٌ لا يهتدونَ؟!

ثم يُبيِّن الله لعبادِه المؤمنين أنَّهم إنِ استقاموا كما أُمِروا، فإنَّه لا يَضرُّهم مَن سَلَك سبيلَ الضلالةِ؛ فإليه سبحانه وتعالى مرجعُهم، فيُخبرهم بما كانوا يَفعلون.

تَفسيرُ الآياتِ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٠١ ﴾.

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا قال تعالى: ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ﴾ صارَ التقديرُ كأنَّه قال: ما بلَّغه الرسولُ إليكم فخُذوه، وكونوا مُنقادِين له، وما لم يُبلِّغْه الرسولُ إليكم فلا تَسْألوا عنه، ولا تَخوضوا فيه؛ فإنَّكم إنْ خُضْتُم فيما لا تكليفَ فيه عليكم فربَّما جاءَكم

بسببِ ذلك الخوضِ الفاسدِ من التكاليفِ ما يَثقُل عليكم ويشُقُّ عليكم[١].

سَببُ النُّزولِ:

عن أنسِ بنِ مالكٍ رضِيَ اللهُ عنه، قال: ((بلَغ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عن أصحابِه شيءٌ، فخَطَب فقال: عُرِضَتْ عليَّ الجَنَّةُ والنار، فلمْ أرَ كاليومِ في الخيرِ والشرِّ، ولو تَعلمونَ ما أعلمُ لضَحِكتُم قليلًا ولبَكَيتُم كثيرًا! قال: فما أتَى على أصحابِ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يومٌ أشدُّ منه، قال: غطَّوْا رُؤوسَهم ولهم خَنينٌ[٢]، قال: فقام عُمَرُ فقال: رَضِينا باللهِ ربًّا، وبالإسلامِ دينًا، وبمحمَّدٍ نبيًّا. قال: فقام ذاك الرجلُ، فقال: من أبي؟ قال: أبوك فلان. فنَزَلَت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾ [المائدة: ١٠١]))[٣].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾.

أي: لا تَسألوا -أيُّها المؤمنون- عن أشياءَ لو أُظْهِر جوابُها لكم لساءَكم وشقَّ عليكم[٤].

عن أبي هُرَيرَة رضي الله عنه، أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال:

---

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٤٣).

(٢) الخَنين: نوعٌ مِن البكاء دون الانتحابِ، وأصلُ الخَنين خروجُ الصوتِ من الأنف، كالحنين مِن الفمِ. يُنظر: ((الصحاح)) للجوهري (٥/ ٢١٠٩)، ((النهاية)) لابن الأثير (٢/ ٨٥).

(٣) رواه البخاري (٧٢٩٥)، ومسلم (٢٣٥٩) واللفظ له.

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٠٣، ٢٠٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٣٧-٤٣٨).

وهذه الأشياء التي نُهي المسلمون عن سؤالها تَشملُ أمورًا عديدة؛ منها: سؤال بعض المسلمين لرسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عن آبائِهم، وعن حالهم أفي الجنَّة هم أم في النار؟ وكالسؤال عمَّا لا يَعني وكالسؤال عمَّا سكَتَ عنه الشرع، وما يُخشَى أن يكون السؤالُ عنه سببًا لنزول التَّشديد فيه، إلى غير ذلك. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٣، ٢٣)، ((جامع العلوم والحكم)) لابن رجب (١/ ٢٤٠-٢٤١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٣٧-٤٣٨).

((أيُّها النَّاسُ، قد فَرَض اللهُ عليكم الحجَّ فحُجُّوا، فقال رجلٌ: أكُلَّ عامٍ يا رسولَ اللهِ؟ فسكَت، حتى قالها ثلاثًا، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: لو قلتُ: نعمْ، لوجبَت، ولَمَا استطعتُم، ثم قال: ذَروني ما تركتُكم؛ فإنَّما هلَك مَن كان قبلكم بكثرةِ سؤالِهم واختلافِهم على أنبيائِهم، فإذا أمرتُكم بِشَيءٍ فَأْتُوا منهُ ما استطعتُم، وإذا نهيتُكم عن شيءٍ فدَعوهُ))[١].

وعن سَعدِ بن أبي وقَّاصٍ رضِي الله عنه، أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال: ((إنَّ أعظمَ المسلِمين في المسلِمين جُرمًا: مَن سألَ عن شيءٍ لم يُحرَّم على المسلمينَ، فحُرِّم عليهم مِن أجْلِ مسألَتِه))[٢].

﴿وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾.

مُناسَبتُها لِمَا قَبلَها:

لَمَّا منَع اللهُ تعالى من السُّؤال في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾، أوْهَم اللفظُ أنَّ جميعَ أنواعِ السؤالِ ممنوعٌ منه، فأتْبعَه بما ليس داخلًا في النهي[٣]، فقال تعالى:

﴿وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾.

أي: ولكنَّكم إنْ سألتُم عن أشياءَ بعدَ نُزولِ القرآنِ عليكم بها، كالسُّؤالِ عن آيةٍ أَشكلتْ، أو حُكمٍ خَفِيَ وجهُهُ عليكم وغير ذلك، فهنا قدْ وافَق سؤالُكم مَحلَّه، فيُبيَّن لكم ما سَألتم عنه[٤].

(١) رواه مسلم (١٣٣٧).

(٢) رواه البخاري (٧٢٨٩)، ومسلم (٢٣٥٨) واللفظ له.

(٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٤٤- ٤٤٥)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٥٥٠).

(٤) وهذا اختيارُ ابنِ جريرٍ، والواحديِّ، والقرطبيِّ، وابنِ رجبٍ، والسعدي. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ٢٤)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: ٣٣٧)، ((تفسير القرطبي)) (٦/ ٣٣٣-

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَا﴾.

قيل: المعنى: عفا الله عمَّا كان منكم مِن سؤالٍ عن تلك الأشياءِ التي نهاكم اللهُ تعالى عن السُّؤال عنها، فلا يُعاقِبُكم عليها(١).

وقيل: المرادُ أنَّ اللهَ تعالى وإنْ نهاكم عن المسألةِ إلَّا أنَّه عفا عنكم السؤالَ حين يَنزِلُ القرآنُ، فأذِنَ لكم بذلك(٢).

وقيل: المرادُ أنَّ ما لم يَذكُرْه الله تعالى في كتابِه فهو ممَّا عفا عنه، وأباحه لكم؛ فاسكُتوا أنتم عنه كما سكَتَ عنه سبحانه(٣).

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

أي: واللهُ تعالى غفورٌ يستُر ذُنوبَ عِبادِه، ويتجاوَزُ عن مؤاخذتِهم بها، وهو الحليمُ سبحانه فلا يُعاجِلُ عِبادَه بالعقوبةِ، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا﴾ [فاطر: ٤٥](٤).

﴿قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ١٠٢﴾.

أي: قد سألَ هذه المسائلَ المنهيَّ عنها أناسٌ سَبقوكم، فأُجيبوا عنها لكنَّهم لم يُؤمنوا بها، ولم يَعمَلوا بها؛ لأنَّهم لم يَسألوا عنها على وجهِ الاسترشادِ، بل

---

٣٣٤)، ((جامع العلوم والحكم)) (١/ ٢٤٠-٢٤٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٥).
وممَّن قال مِن السَّلف بنحو هذا: ابن عبَّاس رضي الله عنهما. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ٢٥).

(١) وهذا اختيارُ ابن جريرٍ في ((تفسيره)) (٩/ ٢٥)، والواحدي في ((الوجيز)) (ص: ٣٣٧).

(٢) وهذا اختيارُ ابنِ عاشور في ((تفسيره)) (٧/ ٦٨).

(٣) وهذا اختيارُ ابن كثيرٍ في ((تفسيره)) (٣/ ٢٠٧)، والسعديِّ في ((تفسيره)) (ص: ٢٤٦)، وابنِ عُثيمين في ((تفسير سورة المائدة)) (٢/ ٤٣٩).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ٢٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٣٩).

على وجهِ التعنُّتِ والعِناد، فصاروا بسببِها كفَّارًا[(١)].

عن أبي هُرَيرَةَ رضِي اللهُ عنه أنَّ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال: ((ذَروني ما تركتُكم؛ فإنَّما هلَك مَن كان قَبلَكم بكثرةِ سؤالِهم واختلافِهم على أنبيائِهم، فإذا أمرتُكم بشيءٍ فأتُوا منهُ ما استطعْتُم، وإذا نهيتُكم عن شيءٍ فدَعُوه))[(٢)].

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٣﴾.

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا منَع اللهُ تعالى الناسَ مِن البَحثِ عن أمورٍ لم يُكلَّفوا بالبحْثِ عنها، كذلك منَعَهم من التزامِ أُمورٍ لم يُكلَّفوا بالتزامِها، ولَمَّا كان الكفَّارُ يُحرِّمونَ على أنفسهم الانتفاعَ بهذه الحيوانات، وإنْ كانوا في غايةِ الحاجةِ إلى الانتفاعِ بها؛ بَيَّن الله تعالى أنَّ ذلك باطلٌ[(٣)]، فقال تعالى:

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ﴾.

أي: لم يأذنِ اللهُ تعالى مطلقًا بأنْ يُفعَل بالأنعامِ شيءٌ ممَّا ابتدَعَه الكفَّار، فلم يَشرَعْ لهم البحيرةَ: وهي ناقةٌ يشقُّون أُذُنها، ثم يُحرِّمون رُكوبَها ويَرَونَها محترَمَةً. ولا السَّائبَةَ: وهي ناقةٌ، أو بقرةٌ، أو شاة، تُسيَّب وتُخلَّى؛ فلا تُركَبُ ولا يُحمَل عليها، ولا تُؤكَل ولا يُنتفَع منها بشيءٍ. ولا الوصيلةَ: وهي التي تُحرَّم أو تُجعل لآلهتهم. ولا الحاميَ: وهو جملٌ يُحمَى ظهرُه عن الركوب والحَمْل[(٤)].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٠٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٦).

(٢) رواه مسلم (١٣٣٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٥٥٢).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ٢٩-٣٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٥٠-٤٥١).

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾.

أي: لم يَشرعِ اللهُ هذه الأشياءَ، وليستْ هي عندَه بقُربةٍ، ولكن الكُفَّار هم الذين يَفعلون ذلك بغيرِ دليلٍ، ويَفتُرون على اللهِ تعالى الكَذِبَ[١].

﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

أي: وأكثرُ هؤلاءِ الكفَّار لا يَملِكون عَقْلًا صحيحًا راشدًا، وإنَّما يَنساقونَ إلى تلك الشرائعِ الباطلةِ بجهلِهم، متَّبعين في ذلك أكابرَهم[٢].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ١٠٤﴾.

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا حرَّموا هذه الأشياءَ مِنْ قَوْلِه: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ اضطُرُّوا إلى تحليلِ المَيتةِ، فحرَّموا الطيِّبَ، وأحلُّوا الخبيثَ! ولَمَّا اتَّخذوه دِينًا، واعتَقدُوه شَرعًا، ومضَى عليه أسلافُهم، دَعَتْهم الحظوظُ والأَنَفَةُ من نِسبةِ آبائهم إلى الضَّلالِ، والشهادةِ عليهم بالسَّفهِ إلى الإصرارِ عليه، وعَدَمِ الرجوعِ عنه بعدَ انكشافِ قبحِه، وبيانِ شناعتِه، فقال تعالى دالًّا على خِتام الآية التي قَبْلها مِن عَدَمِ عَقْلِهم[٣]:

وفي تفصيل معنى البَحِيرَة والسائِبَة والوَصِيلَة والحَامي، ومتى تسمَّى كلُّ واحدة بذلك يُنظر: ((زاد المسير)) لابن الجوزي (١/ ٥٩٢-٥٩٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٠٨-٢١١).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ٢٦، ٤٠)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢١١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٥١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ٤١)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٧٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٥١-٤٥٢).

(٣) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٣٢٢).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾.

أي: وإذا قِيل لهؤلاءِ الذين وقَعوا في تحريمِ ما أحلَّ الله تعالى: هلَمُّوا وأقبِلُوا إلى كتابِ الله عزَّ وجلَّ وإلى رسولِه عليه الصَّلاة والسَّلام؛ ليتبيَّنَ لكم شَرعُ اللهِ سبحانه، وما أوجبَه وما حرَّمه، وبُطلانُ ما ابتدَعتُم[1].

﴿قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾.

أي: قالوا جوابًا على مَن دَعاهم إلى ذلك: يَكفينا ما وجَدْنا عليه مَن قَبْلَنا مِن الآباءِ والأجدادِ مِن طرائقَ ساروا عليها، ونحن لهم تبَعٌ في ذلك[2].

﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.

أي: أيتَّبِعون آباءَهم حتى لو كانوا على هذه الحالِ التي لا يَستحقُّون أنْ يُتَّبعوا فيها؛ إذ لا يَحمِلون عِلمًا بشريعةِ الله تعالى، ولا يَعمَلون على وَفْقِها عمَلًا

وقال محمَّد رشيد رضا في بيانِ مناسبةِ هذه الآية والتي قبلَها للآياتِ التي قبلَهما: (وجهُ اتِّصال هاتين الآيتين بما قبلَهما أنَّه سبحانه وتعالى نهَى في السِّياق الذي قبلَهما عن تحريمِ ما أحلَّه الله، وعن الاعتداءِ فيه، وإن كان التحريمُ تركًا لمباحٍ يُلتزمُ بالنَّذر أو بالحلفِ باسمِ الله تنسكًا وتعبدًا، مع اعتقادِ إباحتِه في نفسِه، لا شرعًا يدعى إليه ويعتقدُ وجوبَه، وبيَّن فيه كفارةَ الأيمانِ، وحرَّم الخمرَ والميسرَ والأنصابَ والأزلامَ، وصيدَ البرِّ على المُحْرم بحجٍّ أو عمرةٍ، وبعد أن نهَى عن تحريمِ ما أحلَّه، نهَى أن يكونَ المؤمنُ سببًا لتحريمِ الله تعالى شيئًا لم يكنْ حرَّمه، أو شرعِ حكمٍ لم يكنْ شرَعه، بأن يسألَ الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم عن شيءٍ مما سكَت الله عنه عفوًا وفضلًا، فيكونَ الجوابُ عنه أن أورد تكليفًا جديدًا، فناسبَ بعدَ هذا أن يبيِّن ضلالَ أهلِ الجاهليَّة فيما حرَّموه على أنفسِهم وما شرعوه لها بغيرِ إذنٍ مِن ربِّهم، وما قلَّد به بعضُهم بعضًا على جهلِهم، مع بيانِ بطلانِ التقليد وكونِه ينافي العلمَ والدِّينَ) ((تفسير المنار)) (٧/ ١٦٩).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ٤٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢١١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٥٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ٤٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢١١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٥٢).

صالحًا؛ فكيفَ يتَّبعونَهم ومِثْلُهم لا يصلُحُ أنْ يُقتدَى بهم[(١)]؟!

كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [لقمان: ٢٠-٢١].

وقال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْاْ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ * فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ [الصافات: ٦٩-٧٠].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٠٥﴾.

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

أنَّه لَمَّا كان المانِعُ لهم من قَبولِ الهُدى كونَ ذلك تسفيهًا لآبائهم؛ فيعود ضررًا عليهم يُسبُّون به على زَعْمهم، أعلَمَ اللهُ المؤمنينَ أنَّ مخالفةَ الغيرِ في قَبول الهُدى لا تضرُّهم أصلًا، بأنْ عقَّبَ آيةَ الإنكارِ عليهم في التقيُّد بآبائهم لمتابعتِهم لهم في الكُفرِ بهذه الآيةِ[(٢)].

أيضًا لَمَّا ذكَرَ اللهُ تعالى مكابرةَ المشركينَ وإعراضَهم عن دعوةِ الخير بقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ أعْقَبه بتعليمِ المسلمين حدودَ انتهاءِ المناظَرةِ والمجادلةِ إذا ظهرتِ المكابرةُ، وعُذْرِ المسلمين بكِفايةِ قِيامِهم بما افترَض اللهُ عليهم من الدَّعوة

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ٤٢-٤٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢١١-٢١٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٥٢).

(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٣٢٣).

إلى الخيرِ، فأعْلَمَهم أنَّ على الدَّاعي بذْلَ جُهدِه، وأنَّه ليس مسؤولًا إذا لم يُصغِ المدعوُّ إلى الدَّعوة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[1] [القصص: ٥٦].

وأيضًا لَمَّا بيَّن اللهُ تعالى أنواعَ التَّكاليفِ والشرائعِ والأحكامِ، ثم قال: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾، إلى قولِه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾، فكأنَّه تعالى قال: إنَّ هؤلاء الجُهَّالَ مع ما تقدَّم مِن أنواعِ المبالغةِ في الإعذارِ والإنذارِ والترغيبِ والترهيبِ لم يَنتفعوا بشيءٍ منه، بل بقُوا مُصرِّين على جَهلِهم، مُجدِّين على جَهالاتِهم وضلالتِهم؛ فلا تُبالوا - أيُّها المؤمنون - بجهالتِهم وضلالتِهم، بل كونوا مُنقادِينَ لتكاليفِ اللهِ، مُطيعينَ لأوامرِه ونواهيه، فلا يضرُّكم ضلالتُهم وجهالتُهم؛ فلهذا قال[2]:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾.

أي: يا أيُّها المؤمنون ألْزِموا أنفسَكم العملَ بطاعةِ الله تعالى، وترْكَ معصيتِه؛ فإنَّه لا يَضرُّكم مَن سلَك غيرَ سبيلِ الحقِّ، إذا أنتم استقمتُم على صراطِ الله تعالى فآمنتُم بربِّكم وأطعْتُموه، ومِن ذلك: قِيامُكم بواجبِ أمْرِ الناسِ بالمعروفِ، ونهيِهم عن المنكرِ، ولا ضيرَ عليكم بعدَ ذلك إنْ تمادَوْا في غيِّهم وضلالِهم، ما دُمتُم قد أدَّيْتُم حقَّ الله تعالى فيهم[3].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٧٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٤٨).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ٥٤-٥٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢١٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٦)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (١/ ٤٥٩-٤٦٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٥٩).

وممَّن رُوي عنه من السَّلف نحوٌ من هذا: أبو بكر الصِّدِّيق، وابن عبَّاس، وسعيد بن المسيِّب، وحُذيفة، والسُّدِّي. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ٤٩).

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

أي: إنَّ مآلَكم في الآخرةِ إلى الله تعالى وحْدَه، وسوف يُخبرُكم بما قدَّمتموه في الدُّنيا من خيرٍ أو شرٍّ؛ فإنَّه لا يَخفَى عليه شيءٌ من أعمالِكم، ويُجازيكم عليها ثوابًا أو عقابًا(١).

الفَوائِدُ التَّربويَّة:

١- أنَّ ممَّا يُنافي كمالَ الإيمان أنْ يسألَ الإنسانُ عن شيءٍ لم يُكلَّفْ به؛ لِقَوْلِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟...﴾(٢).

٢- ممَّا يُستفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ أنَّ الإنسانَ قد يَسُوؤه ما شرَعه الله عزَّ وجلَّ من إيجابٍ أو تحريمٍ، ولكنَّ المؤمِنَ وإنْ كرِه ذلك بطبيعتِه، لا يَكرهُه من حيثُ كونُه شرعًا لله عزَّ وجلَّ(٣).

٣- يُستفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ﴾ ضربُ الأمثالِ بالأممِ السَّابقين؛ حتى نقتنِعَ بأنَّه لا يَنبغي لنا أن نَسْألَ؛ لأنَّ غيرَنا سأَلَ وكفَرَ(٤).

٤- يُستفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ﴾ أنَّ الإنسانَ لا يَنبغي أن يتعرَّض لِمَا قد يكونُ مِحنةً عليه(٥).

٥- قَوْلُه: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ...﴾ فيه دلالةٌ

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ٥٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٦٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٣٩).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٥٤٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٤٠).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٤٨).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٤٤٨).

على أنَّ الإنسانَ قد يقعُ في شَرْعِه لنفْسِه على الخبيثِ دون الطيِّبِ؛ وذلك لأنَّ الكفَّارَ شَرَعوا لأنفسِهم هذا، وظنُّوا أنَّه من محاسنِ الأعمال، فإذا هو ممَّا لا يَعبأُ الله به، بل ممَّا يُعذِّب عليه؛ لكونه أوقعَهم فيما كانوا مُعترِفينَ بأنَّه أقبحُ القبائِحِ وهو الكَذِب، بل في أقبحِ أنواعِه، وهو الكذبُ على مَلِك الملوك، ثم صارَ لهم دِينًا، وصاروا أرسخَ الناسِ فيه، وهو عينُ الكُفْر[١].

٦- يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ خطرُ الإفتاء، وأنَّ الإنسانَ قد يُفتي بالشيءِ فيكون ممَّن افترى على الله كذبًا[٢].

٧- ذمُّ أولئك الذين يقولونَ بلا عِلمٍ، وأنَّهم قد فَقَدوا عُقولَهم؛ لِقَوْلِه: ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ وصدَق اللهُ عزَّ وجلَّ؛ كلُّ إنسانٍ يُقدِم على الفتوى بالتَّحليلِ أو التَّحريم أو الإيجاب بدون عِلمٍ فهو غيرُ عاقلٍ، وإنْ ظنَّ أنه صارَ إمامًا فإنَّه غيرُ عاقلٍ، وسيَفْضَحه اللهُ عزَّ وجلَّ إمَّا في الدُّنيا وإمَّا في الآخِرةِ، يعني: قد يُمهِل اللهُ له، ويكون إمامًا في وقتٍ ما؛ لغفلةِ الناسِ وعدمِ العلماء، ولكنَّ النَّتيجة أنَّه سوف يكون مخذولًا، والعياذُ بالله[٣].

٨- يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ أنَّ التحرِّيَ في الإفتاءِ مِنَ العَقْلِ، ولقد كان السلفُ الصَّالح يَتدافعون الإفتاءَ، ويُؤجِّلونَ المُستفتيَ[٤].

٩- يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ أنَّ كلَّ مَن أتى بشريعةٍ ليستْ مِن عندِ الله فإنَّه يَصدُقُ أن نقول: إنَّه افترَى على اللهِ الكذِبَ،

---

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٣١٨).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٥٣).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٥٤).
(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

لكنْ مَن اجتهدَ وبذَل الوُسْعَ للوصولِ إلى الحقِّ، وحَكَمَ بغير الصَّواب، فإنَّه لا يُقال: إنَّه افترى على الله كذبًا، بل يُقال: إنَّه اجتهَدَ وأخطَأَ، وله أجرٌ واحدٌ، وهذا -والحمدُ لله- مِن سَعةِ رحمةِ الله عزَّ وجلَّ[(١)].

١٠- أنَّ العوامَّ يُوجَّهون ويُرشَدونَ ويُدْعَون إلى الكتابِ والسُّنَّة؛ لِقَوْلِه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾ وأبهم القائلَ إمَّا لكثرةِ القائلينَ، وإمَّا لاختلافِ مراتِبِهم؛ لأنَّ كثرةَ القائلين تُوجِبُ أنَّ الإنسانَ ينصاعُ، والمرتبة العُليا تُوجِبُ أيضًا أنَّ الإنسانَ ينصاعُ ويأتي[(٢)].

١١- يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ أنَّ مَن تعصَّب لقولِ إمامٍ والْتزمَه، وأصرَّ عليه مع عِلْمِه بمخالفةِ قولِه للكتابِ والسُّنَّة، ففيه شَبَهٌ من هؤلاء الكفَّار؛ لأنَّه إذا قيل له: تعالَ إلى ما أنزَلَ اللهُ وإلى الرسولِ قال: حسبي إمامي؛ فيكون فيه شَبهٌ من هؤلاء الكفَّارِ[(٣)].

١٢- وجوبُ الرُّجوعِ إلى ما جاءَ في الكِتاب والسُّنة؛ لأنَّ الله أنكَرَ على هؤلاءِ الذين قالوا: ﴿حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾[(٤)].

١٣- لا يجوزُ تركُ اتِّباعِ ما أنزل الله، واتباعِ رسلِه، وتقليدُ مَن لا علمَ عنده صحيحٌ، ولا عقلٌ رجيحٌ، وإنَّما يجوزُ الاقتداءُ بالعالمِ المهتدي، الذي يبني قولَه على الحجَّة والدليلِ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا

---

(١) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٤٥٣).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٤٥٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٥٧).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

يَهْتَدُونَ ﴾[(١)].

١٤- أنَّ إصلاحَ النَّفْسِ والعنايةَ بها مِن مُقتضياتِ الإيمانِ؛ لِقَوْلِه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ ﴾[(٢)].

١٥- المقصودُ مِنْ قَوْلِه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ... ﴾ بعدَ قولِه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ بيانُ أنَّه لا ينبغي للمؤمنينَ أن يتشبَّهوا بهم في هذه الطريقةِ الفاسِدةِ، بل ينبغي أن يكونوا مُصِرِّين على دِينهم، وأنْ يَعلَموا أنَّه لا يضرُّهم جهلُ أولئك الجاهِلين إذا كانوا راسِخينَ في دِينهم، ثابِتينَ فيه[(٣)].

١٦- أنَّ الإنسانَ لا يُحاسَب على حديثِ النَّفْسِ؛ لِقَوْلِه: ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾، وحديثُ النَّفْسِ ليس عملًا؛ ودليلُ ذلك قولُ النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ((إنَّ اللهَ تجاوزَ عن أمَّتي ما حدَّثت به أنفُسَها ما لم تعمَلْ أو تتكلَّم))[(٤)]، ولكن إذا ركَن الإنسانُ إلى حديثِ النَّفْس واطمأنَّ إليه واعتقدَه، فحينئذٍ يكونُ قد عمِل عملًا قلبيًّا لا جوارحيًّا[(٥)].

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِف:

١- دفْعُ التَّعارُضِ بين قوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾، وقولِه: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٧] حيث ذكَر كراهةَ السؤالِ والنهيَ عنه في الموضِع الأوَّل، وأمَر بالسُّؤالِ في

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٤٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٦).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٦١).
(٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٤٩).
(٤) أخرجه البخاريُّ (٥٢٦٩) واللفظ له، ومسلمٌ (١٢٧) من حديث أبي هُرَيرَة رضي الله عنه.
(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٦٣).

الموضِع الثاني، فالجوابُ عن ذلك:

أنَّ الأوَّل المنهيَّ عنه هو سؤالُ الأشياءِ التي إذا بُيِّنَتْ لهم ساءتْهم وأحزنَتْهم بخلافِ سُؤال الاسترشادِ والتَّعلُّم مما تدعو الحاجةُ إليه في أمورِ الدِّين والدُّنيا، فهو محمودٌ قد أمرَ الله به، وأَذِن بالسُّؤالِ عنه[1].

٢- قدَّم قولَه: ﴿لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ﴾ على قولِه: ﴿وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾؛ لفائدة الزَّجرِ عن السُّؤالِ؛ فإنَّه قدَّم لهم أنَّ سؤالَهم عن أشياءَ متى ظهرتْ أساءتْهم؛ قبلَ أنْ يُخبِرَهم بأنَّهم إنْ سألوا عنها، بدَتْ لهم لينزجِروا[2].

٣- أنَّ ما سكَت اللهُ عنه فهو عَفْوٌ؛ لِقَوْلِه: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[3].

٤- البِناءُ على الأصلِ في بَراءة الذِّمَّةِ؛ لِقَوْلِه: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾، فالأصلُ عدمُ شَغلِ الذِّمَّة بإيجابٍ أو تحريمٍ[4].

٥- يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ﴾ أنَّ مَن قَبْلَنا كانوا يَسألون، ولكن يَهلِكون بالسُّؤال، ويُؤيِّدُ هذا قولُ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم في الحديثِ الصحيح عمَّن سبقَنا: ((إنَّما أَهْلَكَ الذين مِن قبلكم كثرةُ مَسائِلِهم واختلافُهم على أنبيائِهم))[5]؛ يسألون ثم يختلِفونَ عليهم، ولا يُوافِقونَهم[6].

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٥٥٠)، ((فتح القدير)) للشوكاني (٢/ ٩٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٦٢).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٥٤٧).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٤١).
(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٤٤٥).
(٥) أخرجه البخاريُّ (٧٢٨٨)، ومسلمٌ (١٣٣٧) واللفظ له من حديث أبي هُرَيرَة رضي الله عنه.
(٦) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٤٨).

٦- إنْ قيل: كيف قال: ﴿لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ﴾ ثم قال: ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ ولم يقُلْ: (قد سأَل عنها)؟ فالجوابُ: أنَّ الضميرَ في: ﴿سَأَلَهَا﴾ ليس براجعٍ إلى ﴿أَشْيَآءَ﴾ حتَّى تجبَ تعديتُه بـ(عن)، وإنَّما هو راجعٌ إلى المسألةِ التي دلَّ عليها ﴿لَا تَسْـَٔلُواْ﴾ يعني: قد سأَل قومٌ هذه المسألةَ مِن الأوَّلين، ﴿ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا﴾ أي: بمرجوعِها أو بسببِها ﴿كَٰفِرِينَ﴾ وذلك أنَّ بني إسرائيلَ كانوا يستفتون أنبياءَهم عن أشياءَ، فإذا أُمِروا بها تركوها فهلكوا[1]، وقيل غير ذلك[2].

٧- إطلاقُ الجَعْل على التَّشريع؛ لِقَوْلِه: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾[3].

٨- حُسنُ الجدال في القرآنِ الكريم؛ حيث أقام الحُجَّة على هؤلاء الذين: ﴿قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ بأنَّ آباءَهم ﴿لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ فهم ضالُّونَ في عِلمهم وفي عَمَلِهم[4].

٩- يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ أنَّ ضَلالَ مَن يضِلُّ لا يترتَّبُ عليه ضررُ المهتدي، يعني: الضَّررَ المعيَّن الشَّخصي، وأمَّا الضررُ العامُّ، وهي العقوبةُ العامَّة فهذه قد تكونُ، وقد لا تكونُ أيضًا إن كانوا ينهَوْنَ عن السُّوءِ؛ فاللهُ تعالى لَمَّا أخذَ مَن أخذَ من الأممِ السابقةِ نجَّى أنبياءَه ومَن معهم[5].

بَلاغةُ الآياتِ:

١- قَوْلُه: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ اعتراضٌ تذييليٌّ مُقرِّر لعفوِه تعالى، ومجيءُ الوصفَيْنِ ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ على صيغة المبالغَةِ؛ للمبالغة في وصْفِه بمغفرةِ الذُّنوبِ،

(١) ينظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٨٤).
(٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٤٥، ٤٤٦).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٥٣).
(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٤٥٨).
(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٤٦١).

والإغضاءِ عن المعاصي؛ ولذلك عفا عنكم، ولم يُؤاخِذْكم بعقوبةٍ ما فرَط منكم(١).

٢- قَوْلُه: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ﴾ استئنافٌ بيانيٌّ، جوابُ سؤالٍ يُثيرُه النهيُ عن السؤال ثمَّ الإذنُ فيه في حِين يُنزَّل القرآنُ؛ أنْ يقول سائلٌ: إنْ كان السؤالُ في وقتِ نزولِ القرآنِ، وإنَّ بعضَ الأسئلةِ يسوءُ جوابُه قومًا؛ فهل الأَوْلى تركُ السؤال أو إلقاؤه؟ فأُجيب بتفصيلِ أمْرِها بأنَّ أمثالَها قد كانتْ سببًا في كُفر قومٍ قبلَ المسلمين(٢).

- وقوله: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ﴾، أي: سألوا هذه المسألةَ لكنْ لا عينَها، بل مثلَها في كونها محظورةً ومستتْبِعةً للوبال، وعدمُ التصريح بالمِثل- حيث لم يقُلْ: سأل مِثلَها قومٌ- للمبالغةِ في التَّحذيرِ(٣).

- (ثُمَّ) في قوله: ﴿ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ﴾ للترتيبِ الرُّتبي، كشأنها في عطْفِ الجُمَل؛ فإنَّها لا تُفيد فيه تراخِي الزَّمانِ، وإنَّما تُفيد تراخي مَضمونِ الجملة المعطوفة في تصوُّر المتكلِّم عن تصوُّر مضمونِ الجملةِ المعطوفِ عليها؛ فتدلُّ على أنَّ الجملة المعطوفة لم يكُن يُترقَّبُ حُصولُ مضمونِها حتَّى فاجأَ المتكلِّمَ(٤).

- وفِعْلُ ﴿أَصْبَحُواْ﴾ مستعمَلٌ بمعنى صاروا، وهو في هذا الاستعمالِ مُشْعِرٌ بمصيرٍ عاجلٍ لا تريُّثَ فيه؛ لأنَّ الصَّباحَ أَوَّلُ أوقاتِ الانتشارِ للأعمالِ(٥).

٣- قَوْلُه: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ فيه: الإغراقُ في النَّفي بقوله: ﴿مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾، ثم تأكيد النَّفي بإعادةِ حَرْفِ النَّفي (لا)، فقال:

(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٨٥).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٦٩).
(٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٨٦).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٦٩).
(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٧/ ٧٠).

﴿وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾[١].

٤- **قَوْلُه:** ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ الواو في (أَوَلَوْ) للعطفِ على شرطيَّةٍ أُخرى مقدَّرة قبلها، والتقدير: أَحَسْبُهم ذلك، أو أيقولون هذا القولَ لو لم يكُن آبَاؤُهم لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا من الدِّين، ولا يَهتُدون للصَّوابِ ولَوْ كانوا لا يعلمون... إلخ[٢]، وما في (لو) مِن معنى الامتناعِ والاستبعادِ إنَّما هو بالنَّظَرِ إلى زَعْمهم لا إلى نفْسِ الأمْرِ، وفائدتُه: المبالغةُ في الإنكارِ والتعجُّب ببيانِ أنَّ ما قالوه موجِبٌ للإنكارِ والتعجُّب، إذا كان كونُ آبائِهم جَهلةً ضالِّين في حيِّز الاحتمالِ البعيد؛ فكيف إذا كانَ ذلك واقعًا لا ريبَ فيه[٣]؟!

٥- **قَوْلُه:** ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ خبرٌ فيه: وعدٌ ووعيدٌ للفريقين، وتنبيهٌ على أنَّ أحدًا لا يُؤاخَذُ بذنبِ غيرِه[٤].



(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٣١٨).

(٢) وقيل: إنَّ الواو في قوله: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ واو الحال قد دخلتْ عليها همزة الإنكار، وتقديره: أحسْبُهم ذلك ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئًا ولا يهتدون. وقيل: إنَّ مؤدَّى القولين واحد. يُنظر: ((تفسير الزمخشري))، (١/ ٦٨٥)، ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٤٨)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٨٥- ٣٨٦)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٨٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٨٧).

(٤) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١٤٦)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٨٨).

الآيات (١٠٦ - ١٠٨)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ
اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ
مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا
نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ (١٠٦)
فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ
عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا
لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٧) ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ
بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (١٠٨)﴾.

غريبُ الكَلِماتِ:

﴿شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾: الشَّهادةُ قولٌ صادرٌ عن عِلمٍ حَصَل بمشاهدةِ بصيرةٍ أو بَصرٍ، وأَصْلُ (شهد): يَدُلُّ على حُضورٍ وعِلْمٍ وإعلامٍ[١].

﴿الْوَصِيَّةِ﴾: الوصيةُ هي: التقدُّمُ إلى الغيرِ بما يَعملُ به مُقترنًا بوعظٍ؛ من قولهم: أرضٌ واصِيَة: مُتَّصلِةُ النباتِ قد امتلأتْ منه، ووصيتُ الشيءَ: وصلتُه، وأصل (وصي) يدلُّ على وصلِ شيءٍ بشيءٍ[٢].

﴿ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: أي: ذهبتُم فيها؛ للتجارةِ وغيرِها من السَّفَر، وأصلُ الضَّربِ معروفٌ، وتُستعارُ منه مَعانٍ كثيرةٌ[٣].

---

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٦٥)، ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ٥٨)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٢٢١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٤٦٥).

(٢) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦/ ١١٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٧٣).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (١/ ٣١٢)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/ ٣٩٨)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٥٠٥)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (١/ ٥٢).

﴿تَحۡبِسُونَهُمَا﴾: تُوقفونهما، وأصلُ الحبس: المنعُ مِن الانبعاثِ(١).

﴿عُثِرَ﴾: أي: ظَهَر، واطَّلِع منهما، وأصل (عثر): الوقوعُ على الشيءِ والسُّقوط عليه، ثم يُستعمَلُ ذلك في كلِّ واقعٍ على شَيءٍ كان عنه خَفيًّا، ويُتجوَّز به فيمَن يَطَّلِع على أمْرٍ مِن غيرِ طَلَبه، وإنَّما قِيل (عُثِرَ) مِن الاطِّلاعِ على الشَّيءِ؛ لأنَّ كلَّ عاثرٍ فلا بدَّ أن يَنظُرَ إلى موضِعِ عَثْرته(٢).

﴿ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا﴾ أي: استوجبَا جنايةً باليمينِ الكاذبةِ التي أقدَمَا عليها وحَلفَا بها؛ يُقال: استحقَّ فلانٌ الأمرَ: استوْجَبَه، وحقَّ الشيءُ إذا وجَب وثبَت(٣).

﴿أَدۡنَىٰٓ﴾: أي: أقربُ، والدُّنُو: القُربُ بالذَّات أو بالحُكم، ويُستعمَلُ في المكانِ والزَّمان والمنزِلة(٤).

مُشكِلُ الإعراب:

١- قوْلُه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ﴾(٥).

(١) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ١٢٨)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٢١٦).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٨)، ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ٨١)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ٣٤٢)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ٢٢٨)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٥٤٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ٨٢)، ((تهذيب اللغة)) للأزهري (٣/ ٢٤٤)، ((المصباح المنير)) للفيومي (١/ ١٤٤).

(٤) يُنظر: ((المفردات)) للراغب (ص: ٣١٨)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (١/ ٤٠)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٧٧).

(٥) قيل عن هذه الآية وما بَعدَها: إنَّها- في إعرابِها ومعناها وتفسيرِها وأحكامِها- مِن أَشكلِ آياتِ القرآن وأصعبِها. وقدْ صَنَّف فيها مكيُّ بن أبي طالب مُصنَّفًا مفردًا. يُنظر: ((مشكل إعراب

﴿شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ﴾.

﴿شَهَٰدَةُ﴾ مرفوعةٌ على الابتِداءِ. وخَبَرُها ﴿ٱثۡنَانِ﴾ على نِيَّةِ حَذفِ مُضافٍ، والتَّقديرُ: شهادةُ اثنينِ؛ لأنَّ الشَّهادةَ لا تكونُ هي الـ﴿ٱثۡنَانِ﴾. وقيل: ﴿شَهَٰدَةُ﴾ مبتدأٌ أيضًا، ولَكِنْ خبرَها مَحذوفٌ يَدُلُّ عليه سياقُ الكَلامِ، والتَّقديرُ: فيما فُرِضَ عليكم أن يَشهَدَ اثنانِ، و﴿ٱثۡنَانِ﴾ على هذا فاعِلُ المَصدَرِ الذي هو ﴿شَهَٰدَةُ﴾. و﴿بَيۡنِكُمۡ﴾ مضافٌ إليه مجرور مِن بابِ الاتِّساعِ في الظُّروفِ.

و﴿إِذَا﴾ على هَذَينِ الوَجهينِ ظرفٌ لـ﴿شَهَٰدَةُ﴾ أي: ليَشْهَدْ وقتَ حُضورِ أماراتِ الموتِ. و﴿حِينَ﴾ بدلٌ من ﴿إِذَا﴾، أو ظَرْفٌ لـ﴿حَضَرَ﴾، أي: حينَ حضَر أماراتُ الموتِ. و﴿ذَوَا﴾ صفةٌ لـ﴿ٱثۡنَانِ﴾، أي: صاحِبَا عَدلٍ، وكذلك ﴿مِّنكُمۡ﴾ صِفةٌ ثانيةٌ. ﴿ءَاخَرَانِ﴾ مرفوعٌ عطفًا على ﴿ٱثۡنَانِ﴾ على تقديرِ حذْفِ مضافٍ أيضًا، تقديرُه: أو شهادةُ آخَرينِ، و﴿مِنۡ غَيۡرِكُمۡ﴾ صِفةٌ لـ﴿ءَاخَرَانِ﴾.

﴿إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ﴾: ﴿إِنۡ﴾ شرطيَّةٌ. ﴿أَنتُمۡ﴾: فاعلٌ لفِعلٍ محذوفٍ يُفَسِّرُه المذكورُ. و﴿ضَرَبۡتُمۡ﴾ تفسيرٌ للفِعلِ المحذوفِ؛ فلا محلَّ له مِنَ الإعرابِ، وجوابُ الشَّرطِ محذوفٌ يدلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾، والتَّقديرُ: إنْ ضَرَبْتُم في الأرْضِ فلْيَشهَدِ اثنانِ منكم أو مِنْ غيركم، أو التَّقديرُ: فأَشْهِدُوا آخَرينِ مِن غيركم. ﴿تَحۡبِسُونَهُمَا﴾: جملةٌ استئنافيَّةٌ لا محلَّ لها مِنَ الإعرابِ، وهو أَوْلى مِنَ القَولِ بكَونِها صِفَةً لـ﴿ءَاخَرَانِ﴾؛ لِمَا يترَتَّبُ عليه

القرآن)) لمكي (١/ ٢٤٣)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٤٥٣).

مِنَ الفَصلِ بكلامٍ طَويلٍ بينَ الصِّفةِ ومَوصوفِها. ﴿فَيُقۡسِمَانِ﴾: الفاءُ عاطِفةٌ، والجملةُ معطوفةٌ على ﴿تَحۡبِسُونَهُمَا﴾، فلا محلَّ لها مِنَ الإعرابِ.

﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنًا﴾: شرطٌ، وجوابُه محذوفٌ تقديرُه: إنِ ارْتَبْتُم فيهما فحَلِّفوهما، وهذا الشَّرطُ وجوابُه المقدَّرُ مُعترِضٌ بين القَسَمِ ﴿فَيُقۡسِمَانِ﴾ لأنَّه يقومُ مقامَ اليَمينِ، وجوابِه: ﴿لَا نَشۡتَرِي﴾، وليسَتْ هذه الآيةُ مِمَّا اجتمَعَ فيه شَرْطٌ وقَسَمٌ فأُجيبَ سابقُهما. والهاء في ﴿بِهِۦ﴾ تعودُ على تَحريفِ الشَّهادةِ، أو القَسَم. و﴿ثَمَنًا﴾ مفعولُ ﴿نَشۡتَرِي﴾، ولا حَذْفَ فيه؛ لأنَّ الثَّمنَ يُشترَى كما يُشترَى به، وقيل: التَّقديرُ: ذا ثمنٍ، فحُذِفَ المُضافُ وأُقيمَ المُضافُ إليه مَقامَه.

﴿وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ﴾ جملةٌ امتناعِيَّةٌ في محلِّ نصبٍ على الحالِ، واسمُ ﴿كَانَ﴾ مُضمرٌ فيها يعودُ على المَشهودِ له: أي: لا نَشْتري به ثمنًا في كُلِّ حالٍ، ولو كانَ الحالُ كونَ المشهودِ له ذا قرابةٍ. ﴿وَلَا نَكۡتُمُ﴾ معطوفٌ على جوابِ القَسَمِ ﴿لَا نَشۡتَرِي﴾؛ فلا مَحَلَّ له مِنَ الإعرابِ. ﴿إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ﴾ جملةٌ استئنافيةٌ لا محلَّ لها من الإعراب. وقيل غيرُ ذلك في توجيهِ هذه الآيةِ[1].

٢- قَوْلُه تعالى: ﴿فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا﴾: ﴿عُثِرَ﴾: فِعلٌ مبنيٌّ لِمَا لم يُسمَّ فاعلُه. و﴿عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا﴾: في محلِّ رفعِ نائِبُ الفاعِلِ، أي: فإنِ اطُّلِعَ على استحقاقِهما الإِثمَ.

(١) يُنظر: ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (١/ ٢٤١- ٢٤٣)، ((التبيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/ ٤٦٦- ٤٦٨)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٤٥٣-٤٧٠).

﴿فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾: ﴿فَـَٔاخَرَانِ﴾ مرفوعٌ على أنَّه خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٌ، أي: فالشَّاهِدانِ آخرانِ، والفاءُ رابطةٌ في جوابِ الشَّرطِ، دخلَتْ على الجُملةِ الاسميَّة، و﴿يَقُومَانِ﴾ و ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ﴾ كِلاهما في محلِّ رفعٍ صفةٌ لـ ﴿آخَرانِ﴾.﴿ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾ فاعِلُ ﴿ٱسْتَحَقَّ﴾ مرفوعٌ، والمفعولُ محذوفٌ، أي: وصيَّتهما. وقيلَ غيرُ ذلك[1].

- وقُرِئ (اسْتُحِقَّ) بالبناءِ للمفعولِ، و﴿ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾ نائب فاعِلٍ على تقديرِ حذْفِ مضافٍ، تقديرُه: مِن الَّذين استُحِقَّ عليهم إثْمُ الأَوْلَيين، أو انتدابُ الأَوْلَيين. وقيل: مرفوع (استُحِقَّ) ضميرُ الإيصاءِ أو المالِ أو الإثمِ، و﴿ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾ بدلٌ مِنَ الضَّميرِ في ﴿يَقُومَانِ﴾ والتَّقديرُ: فيقومُ الأَوْلَيانِ، أو خَبَرُ مبتدأٍ محذوفٍ، أي: (هما الأوليان)؛ لأنَّه لَمَّا قال: ﴿فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ فكأنَّه قيل: ومَنْ هُما؟ فقيل: الأَوْلَيَانِ.

وقُرِئَ: (اسْتُحِقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلِينَ)، ومرفوعُ (استُحِقَّ) ضميرُ الإيصاءِ أو المالِ أو الإثمِ، كما تقدَّمَ في القِراءةِ السَّابقةِ، و (الْأَوَّلِينَ) مجرورٌ نعتٌ لـ (الَّذين استُحِقَّ عَلَيهم) أو بدلٌ مِنَ الضَّميرِ في ﴿عَلَيْهِمُ﴾، أو منصوبٌ على المَدحِ[2].

٣- ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟﴾: ﴿أَن يَأْتُوا۟﴾ مَصدرٌ مُؤوَّلٌ في محلِّ نصبٍ على نَزْعِ

---

(١) يُنظر: ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (١/ ٢٤٣)، ((التبيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/ ٤٦٨-٤٧٠)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٤٧٠- ٤٨٢).

(٢) يُنظر: ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٤٧٣-٤٨١)، ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٨٨-٦٨٩)، ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٥٥).

الخافِضِ، أي: إلى أنْ يأتوا[١].

المَعنى الإجماليُّ:

يُخاطِبُ اللهُ تعالى المؤمنين أنَّه إذا حضرتْ مُقدِّماتُ الموتِ أحدًا منهم، فليكتُبْ وصيَّتَه ولْيَشهَدْ عليها اثنانِ من المؤمنينَ العدولِ، وفي حالِ كان على سَفرٍ وحضَرَه أجَلُه، فلْيَشهدْ آخرانِ مِن غيرِ مِلَّة الإسلامِ إذا لم يُوجدِ العَدْلانِ من المؤمنينَ، فيُوقِفُ المسلمون الشاهدَينِ اللَّذينِ من غيرِ مِلَّتهم بعدَ صلاةِ العَصْرِ، ويَجعلانِهما يَحلِفان باللهِ- إنْ شكُّوا في شَهادتِهما، وظهرتْ لهم منهما رِيبةٌ- أنَّهما لا يَبغيانِ بحَلِفهما عرَضًا من الدُّنيا حتى يَكذِبَا فيها، وأنَّهما لا يُحابيانِ أحدًا ولو كان مِن قَرابتِهما، وأنَّهما لا يَكتُمانِ شهادةَ الله عندهما، وأنَّهما إنْ فَعَلَا شيئًا من ذلك فإنَّهما يكونان بذلك مِن المذنِبين العاصِين.

فإنْ ظهَر أنَّهما كاذبانِ بأنْ خانَا في أداءِ أمانةِ الميِّت، أو بدَّلَا في وصيَّته، فاستوجَبَا بأيمانِهما الكاذبةِ الإثمَ، فعندها يقومُ مَقامَهما اثنانِ من أولياءِ الميِّت المستحقِّينَ للتَّركة، ويكونانِ من أَوْلى مَن يَرِثُ الميِّتَ، فيحلفانِ بالله أنَّ شهادتهما أحقُّ مِن الشَّهادة التي شهِدها اللذَّانِ من غيرِ المسلمين، التي كذَبَا فيها وخانَا، وأنَّها أصحُّ منها وأثبتُ، وأنَّهما ما تَعَدَّيَا الحقَّ في الشهادةِ والإخبارِ عن خِيانةِ هذينِ الشاهدَينِ، وأنَّهما إنْ كذَبا عليهما فإنَّهما إذَنْ من الظَّالمينَ.

ثم يُخبرُ تعالى أنَّ ذلك التحليفَ للشَّاهدَينِ إذا استُرِيب في أمرِهما، أقربُ لإتيانهما بالشهادةِ على وجهِها الصَّحيحِ بلا كَذِبٍ ولا خيانةٍ، وأمَر اللهُ سبحانه العبادَ بأنْ يتَّقوه، ويَسمعوا ما يُؤمَرون به، فيَعمَلوا على وَفْقِه، وأخبَرَ أنَّه تعالى لا يُوفِّق الفاسقين للحقِّ.

---

(١) يُنظر: ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (١/ ٢٤٣)، ((التبيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/ ٤٧٠)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٤٨٢)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٩٢).

تَفسيرُ الآياتِ:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ١٠٦ ﴾.

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا قال الله تعالى في آخِرِ الآية السابقةِ: ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ فذكَر أنَّ مرجِعَنا إليه بعدَ الموتِ، وأنَّه يُحاسِبُنا ويُجازينا، ناسَب أنْ يُرشِدَنا في أثَرِ ذلك إلى الوصيَّةِ قبلَ الموت، وإلى العنايةِ بالإشهادِ عليها؛ لئلَّا تضيعَ[(١)].

وأيضًا لَمَّا قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ كان في ذلك تنفيرٌ عن الضُّلَّالِ، واستبعادٌ عن أنْ يُنتفعَ بهم في شيءٍ من أمور المؤمنينَ من شهادةٍ أو غيرِها، فأخبَرَ تعالى بمشروعيَّة شهادتِهم أو الإيصاءِ إليهم في السَّفَرِ[(٢)].

سَببُ النُّزول:

عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما، قال: ((خرَج رجلٌ من بَني سَهْمٍ مع تَميمٍ الدَّاريِّ وعَدِيِّ بنِ بَدَّاءٍ، فماتَ السَّهْميُّ بأرضٍ ليس بها مسلمٌ، فلمَّا قدِمَا بتَرِكتِه فقَدُوا جامًا مِن فِضَّةٍ مُخَوَّصًا من ذَهبٍ[(٣)]، فأَحْلَفهما رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه

---

(١) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/ ١٨٣).
(٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٩٠).
(٣) الجامُ: إناءٌ من فِضَّةٍ، عربيٌّ صحيحٌ، ومُخوَّصًا: أي عليه صفائحُ الذَّهبِ مِثْل خُوصِ النَّخل.

وسلَّمَ، ثم وُجِد الجامُ بمكَّةَ، فقالوا: ابْتعْناهُ من تميمٍ وعديٍّ، فقام رجلانِ من أوليائه، فحلَفَا: لَشهادتُنا أحقُّ من شهادتِهما، وإنَّ الجامَ لِصَاحبِهم، قال: وفيهم نزلتْ هذه الآيةُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ﴾))(١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾.

أي: يا أيُّها المؤمنونَ، إذا حضَر أحدَكم مُقدِّماتُ الموتِ وعلاماتُه، فكتَب وصيَّتَه، فلْيَشهدْ عليها اثنانِ من المؤمنين، مِن ذَوي الاستقامةِ والمروءة(٢).

﴿أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾.

أي: أو ليَشهدْ على الوصيةِ آخَرانِ من غيرِ أهل مِلَّتكم- أيُّها المؤمنون- سواءٌ من اليهود أو النَّصارى أو غيرِهم، إنْ لم يوجدْ ذَوَا عدلٍ منكم، وفي حالِ سَفَرِكم، وإيقانِكم بحضورِ أجلِكم(٣).

﴿تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ﴾.

أي: فتُوقفونَ الشاهدَينِ اللَّذيْنِ من غيرِكم بعدَ صلاةِ العَصْرِ، وتَجْعلونَهما يحلفانِ بالله تعالى، إنْ شككتُم في شهادتِهما، وظهرتْ لكم منهما رِيبةٌ في

يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (٢/ ٨٧)، ((تاج العروس)) للزبيدي (٣١/ ٤٢٩).

(١) رواه البخاري (٢٧٨٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ٥٥-٦٠)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: ٣٣٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢١٥-٢١٦)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٦-٢٤٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٦٤).

ويُنظر في معنى العَدَالة ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٣٨٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ٦١، ٧٠-٧٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٦٥).

أنهَّما قد خانَا، فيحلفانِ حينئذٍ باللهِ تعالى أنَّا لا نَبغِي بحَلِفنا هذا عَرَضًا من الدُّنيا فنكذِبَ في شَهادتِنا، ولا نُحابي أحدًا، ولو كان المشهودُ عليه من أقربائِنا[١].

عن الشَّعبيِّ: ((أنَّ رجلًا حضرتْه الوفاةُ بدَقُوقَاءَ[٢]، فلم يجِدْ أحدًا من المسلمين يُشْهِدُهُ على وصيَّته، فأَشْهَد رجُلينِ من أهل الكِتاب، فقدِما بتركتِهِ إلى أبي موسى الأشعريِّ، فأخبراه، فقال الأشعريُّ: هذا أمرٌ لم يكُنْ بعد الذي كان في عهدِ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فأحْلَفهما بعدَ صلاةِ العَصْرِ باللهِ ما خانَا، ولا كَذَبَا، ولا بدَّلَا، وإنَّها لتَرِكَتُه، ثم أجاز شهادتَهما))[٣].

﴿وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ﴾.

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ٧٤-٧٩)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢١٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٦٥).

قال ابنُ عثيمين: (إذا أراد الشاهدانِ مِن غيرِ المسلمين أداءَ الشَّهادة فإنَّهما يُحبسان مِن بعدِ الصَّلاة....، ولكن هل هذا مشروطٌ بالارتيابِ في شهادتِهما، أو نقول: إنَّهما يُحبَسان على كلِّ حالٍ؛ ليظهرَ الفرقُ بين أداء الشَّهادة للمسلمِ وأداءِ الشَّهادة من غير المسلم؟ الآية فيها احتمالٌ؛ لأنَّ قوله: ﴿فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ يحتملُ أنْ يكون قوله: ﴿فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ قيدًا في قوله: ﴿تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ ويحتمل أن يكون قيدًا لقوله: ﴿فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ فعلى الاحتمالِ الأوَّل يكون حبسُهما واجبًا، وعلى الثاني: لا يكون حبسُهما واجبًا إلَّا إذا ارْتَبْنا منهما) ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٨٦).

(٢) دَقُوقَاء: مدينةٌ بين إربل وبغداد، لها ذِكرٌ في الأخبارِ والفُتوح، كان بها وقعةٌ للخوارج. ((معجم البلدان)) لياقوت (٢/ ٤٥٩).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٦٠٥)، وعبد الرزَّاق في ((المصنف)) (١٥٥٣٩)، والدارقطني في ((السنن)) (٤٣٤١)، والحاكم في ((المستدرك)) (٣٢٢٤).

قال الحاكمُ (٣٢٢٤): صحيحٌ على شرْط الشَّيخينِ. وصحَّح إسنادَه ابن كثير في ((التفسير)) (٣/ ٢١٥)، والزيلعيُّ في ((تخريج الكشاف)) (١/ ٤٢٨)، وقال ابن حجر في ((فتح الباري)) (٥/ ٤٨٣): إسنادُ رجالُه ثقاتٌ. وقال الشوكاني في ((نيل الأوطار)) (٩/ ٢٠٤): صالحٌ للاحتجاج. وقال الألباني في ((صحيح أبي داود)) (٣٦٠٥): إسنادُه صحيحٌ إنْ كان الشعبيُّ سمِعَه من أبي موسى.

أي: ولا نُخفي عنكم الشَّهادةَ التي حمَّلَنا اللهُ تعالى إيَّاها على الوصيَّة، بتحريفِها أو تبديلِها، أو كِتمانِها بالكلِّيةِ؛ فإنَّا إنْ فعلْنا شيئًا من ذلك وقَعْنا في الإثمِ مع الواقعينَ فيه(١).

﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾.

﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا ﴾.

أي: فإنْ ظهَر أنَّهما كاذبانِ، فوُجِدَ أنَّهما قد خانَا مِن مالِ الميِّت شيئًا، أو بدَّلَا وصيَّتَه، فاستوجبَا بأيمانِهما الكاذبةِ إثمًا(٢).

﴿فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ ﴾.

القِراءاتُ ذاتُ الأثرِ في التَّفسير:

في قوله تعالى: ﴿ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ ﴾ ثلاثُ قِراءات:

١- ﴿اسْتَحَقَّ﴾ بِفَتْح التَّاء والحاء، و﴿الْأَوْلَيَانِ﴾ مُثنَّى (أَوْلى)، رُفع بـ﴿اسْتَحَقَّ﴾ على أنَّه فاعِلٌ(٣).

٢- ﴿اسْتُحِقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلِينَ﴾، ومرفوع ﴿اسْتُحِقَّ﴾ ضميرُ الإيصاءِ أو الوَصيَّةِ

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ٨١)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢١٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٦٥-٤٦٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ٨١-٨٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢١٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٦٦).

(٣) قرأ بها حفص. يُنظر: ((العشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٧).

ويُنظر في معنى هذه القراءة: ((الكشف)) لمكي (١/ ٤٢٠)، ((البحر المحيط)) لأبي حيان (٤/ ٣٩٧).

أو المالِ، أو الإثْمِ. و﴿الْأَوَّلِينَ﴾ جمْع (أوَّل)، أي: المتقدِّم ذِكرُهم، أي: مِن الأوَّلِين الذين استُحِقَّ عليهم الإيصاءُ أو الإثمُ[(١)].

٣- ﴿اسْتُحِقَّ﴾ بِضَمِّ التَّاء وكَسْرِ الحاءِ على البِناءِ للمَفعولِ، و﴿الْأَوْلَيَانِ﴾ مرفوعٌ بـ﴿استُحِقَّ﴾ على أنَّه نائِبٌ عَنِ الفاعِلِ[(٢)].

﴿فَءَاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ﴾.

أي: فحينئذٍ يقومُ مقامَهما اثنانِ مِن أولياءِ الميِّتِ المستحقِّينَ للتركةِ، ولْيَكونا مِن أَوْلى مَن يَرِثُ هذا الميِّتَ الذي شُهِدَ على وصيَّتِه[(٣)].

﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

أي: فيَحلفانِ بأنَّ شهادتَنا أحقُّ مِن شهادتهما التي كذَبَا فيها وخانَا، وهي أصحُّ وأثبَتُ، وما تجاوَزْنا الحقَّ في شهادتِنا، وإخبارِنا عن خيانتِهما؛ فإنَّا إنْ كذَبْنا عليهما نكونُ في عدادِ الظَّالمين، ونقتطعُ بذلك أموالَ النَّاس بغيرِ حقٍّ[(٤)].

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾.

---

(١) قرأ بها حمزةُ وخلفٌ ويعقوب وأبو بكر. يُنظر: ((العشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٧).
ويُنظر في معنى هذه القراءة: ((الكشف)) لمكي (١/ ٤٢٠)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٤٨٠).

(٢) قرأ بها الباقون. يُنظر: ((العشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٧).
ويُنظر في معنى هذه القراءة: ((الكشف)) لمكي (١/ ٤٢٠)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٤٧٥-٤٧٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ٨٢-١٠٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢١٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٦٦).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٠٣-١٠٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢١٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٦٦-٤٦٧).

﴿ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ ﴾.

أي: هذا الفِعلُ - مِن تحليفِ الشاهدَينِ إذا استُريب بهما - أقربُ لأن يَصْدُقوا في شهادتِهم، ويُقيموها على الوجهِ الصَّحيح، فلا يَكذِبوا ولا يَخونوا[1].

﴿ أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ ﴾.

أي: أو يَخافَ هؤلاءِ الشهودُ ألَّا تُقبلَ أيمانُهم إنْ ظهَرَ كذِبُهم وخيانتُهم، فترُدَّ الأيمانُ إلى الورثةِ، فيَحلِفونَ ويستحقُّون ما يَدَّعون، ويُفتضَح أمرُ شهودِ الوصيةِ بين النَّاس[2].

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْۗ ﴾.

أي: واتَّقوا اللهَ تعالى في جميعِ أُمورِكم، ومن ذلك: ترْكُ الحلِفِ بالله تعالى كذبًا، واجتنابُ خيانةِ الأمانةِ وغير ذلك، واسمَعوا ما يُقال لكم فاعْمَلوا به[3].

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾.

أي: واللهُ تعالى لا يُوفِّق للحقِّ الخارِجينَ عن طاعتِه، واتِّباعِ شريعتِه[4].

الفَوائِدُ التَّربويَّة:

١- في قوله تعالى: ﴿ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ ﴾ تعظيمُ أمْرِ الشَّهادةِ؛ حيث أضافها

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٠٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٢١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٤٦٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٠٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٢١)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٤٦٧).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٠٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٢٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٤٦٧).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٠٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٢٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٤٦٧).

تعالى إلى نفْسِه، وأنَّه يجبُ الاعتناءُ بها، والقيامُ بها بالقِسطِ[١].

٢- أنَّ الأصلَ في النَّاس أنْ يكونوا أُمَناءَ، وفي المُؤتمَنِ أن يكون أمينًا، وأنْ يكونَ ما يقولُه في أمْرِ الأمانةِ مقبولًا؛ ولذلك قال: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾ فأفادتْ أداةُ الشرط (إِنْ) أنَّ الأصل في هذا ألَّا يقع، وأنَّه إنْ وقَع كان شاذًّا، وأفاد فِعلُ ﴿عُثِرَ﴾ المبنيُّ للمفعولِ أنَّ هذا الشذوذَ إنْ وقَع فشأنُه أنْ يُطَّلَعَ عليه بالمصادفةِ والاتِّفاقِ، لا بالبحثِ وتتبُّع العَثَراتِ[٢].

٣- أنَّ المدَّعَى عليه لا يجزمُ ببطلانِ شهادةِ الشاهدِ التي تَبيَّن أنَّ فيها شيئًا من الخَلَلِ؛ لِقَوْلِه: ﴿لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا﴾ بهذا اللَّفظِ، ولم يقل: (باطلةٌ)، لكنَّ قوله: ﴿أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا﴾ يستلزمُ أن تكونَ مردودةً، وأنَّ القولَ قولُ المدَّعَى عليه[٣].

٤- الختمُ بقولِه تعالى: ﴿وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فيه دلالةٌ على استقباحِ الظُّلْم والتبرُّؤِ منه[٤].

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِف:

١- يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ﴾ مشروعيَّةُ الوصيَّة والحثُّ عليها، وتأكيدُ أَمْرِها، وعدمُ التَّهاوُن فيها بشواغلِ السَّفَرِ وإن قُصِرَت فيه الصلاةُ، وأُبيحَ فيه الإفطارُ في رمضانَ، وأنَّه يَنبغي لِمَن حضَرَه الموتُ وعندهُ ما يُوصِي به أنْ يُوصِيَ[٥].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ٨٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/ ١٩١).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٩٠).

(٤) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٤٠٠).

(٥) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/ ١٨٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٧).

٢- أنَّ الوصيَّة مُعتبَرةٌ، ولو كان الإنسانُ قد وصَل إلى مُقدِّماتِ الموتِ وعلاماتِه، ما دامَ عَقْلُه ثابتًا؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ﴾(١).

٣- أنَّه يَنبغي الإشهادُ على الوصيَّة؛ لِقَوْلِه: ﴿شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ﴾، وظاهرُ الآية الكريمة: أنَّه لا بدَّ من رجُلينِ؛ لِقَوْلِه: ﴿ٱثۡنَانِ﴾ واثنان عددٌ للمُذكَّر، لكن هذه الآية تُقيَّدُ بآية البقرة، وهي قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾(٢) [البقرة: ٢٨٢].

٤- أنَّه يُشترطُ في الإشهادِ أنْ يكونَ الشاهدانِ ذَوَيْ عدْلٍ؛ لِقَوْلِه: ﴿ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٍ﴾، ولكن إذا لم يُوجد عدلٌ ووُجِد فاسقٌ مأمونٌ؛ فهل يقوم مقامَ العَدْلِ؟ اختار بعضُ أهل العِلمِ أنَّه يقوم مقامَ العَدْلِ، وأنَّ اشتراط العدالةِ إنَّما هو عند التحمُّلِ، بمعنى: أنَّك إذا أردتَ أن تُشهِدَ فلا تُشهِد إلَّا عدلينِ، أمَّا عند أداءِ الشَّهادَةِ فالضروراتُ لها أحكامٌ، فإذا لم نجِدْ مَن يَشهد إلَّا هذينِ الفاسقَينِ، لكنَّهما في الأمانة موثوقانِ، فإنَّنا نَقبل شهادتَهما، وهذا هو الصَّواب؛ أنَّ العدالةَ شَرْطٌ مع الإمكانِ، وأمَّا إذا لم يُمكن فإنَّه تُقْبَل شهادةُ الفاسقِ بشَرْط أن يكون ثقةً، وكم مِن إنسانٍ يكونُ فاسقًا في عِبادتِه لكنَّه أمينٌ في شهادته! ونعلم أنَّنا لو اتَّبَعْنا اشتراطَ العدالة في أداء الشَّهادة، مُعتبرِينَ الشُّروط التي ذَكَرَها الفقهاءُ في العدالة، أنَّ كثيرًا من الحقوق سوف تضيعُ؛ لأنَّ كثيرًا من الناس ليسُوا على الاستقامةِ التي ذَكَرها الفقهاءُ رحِمَهم الله(٣).

(١) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٧).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٨١).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٥٧٢)، ((تفسير الشربيني)) (١/ ٤٠٢)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/ ١٨٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٨٣).

٥- جوازُ شهادةِ الكافر إذا عُدِمَ المسلمُ، سواء كان يهوديًّا أو نصرانيًّا أو بوذيًّا أو شيوعيًّا، أيًّا كان؛ لِقَوْلِه: ﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾[١]، والضروراتُ قد تُبيح المحظوراتِ؛ لأنَّ المسلمَ إذا قَرُب أجلُه في الغُربة، ولم يجدْ مسلمًا يُشهِده على نفْسِه، ولم تكن شهادةُ الكفَّار مقبولةً، فإنَّه يَضيع أكثرُ مهمَّاته؛ فإنَّه ربَّما وجبتْ عليه زَكَواتٌ وكفَّارات، وما أدَّاها[٢].

٦- في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ بيانُ أنَّ جوازَ الاستشهاد بآخَرينَ من غيرِ المسلِمين مشروطٌ بما إذا كان المستشهِدُ مسافرًا ضاربًا في الأَرْض، وحضرتْ علاماتُ نُزولِ الموتِ به[٣].

٧- جوازُ سفرِ المسلمِ مع الكافرِ إذا لم يكُن محذورٌ؛ لقوله تعالى: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾[٤].

٨- قَوْلُه تعالى: ﴿مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ إشارةٌ إلى تحليفِ الشَّاهدينِ في جمْعٍ من النَّاسِ[٥].

٩- شرعيَّة اختيارِ الأوقاتِ التي تُؤثِّر في قلوبِ الشُّهود ومُقْسِمي الأيمانِ، ويُرجى أن يَصدُقوا ويَبَرُّوا فيها؛ لِقَوْلِه: ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾[٦].

١٠- الغرضُ من التحليفِ بعدَ إقامة الصَّلاةِ في قوله تعالى: ﴿مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ هو أن الصَّلاة مُعظَّمة، والإنسانُ يخاف أنْ يَشهدَ بباطلٍ بعد هذه

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٥٧١)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/ ١٨٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٨٤).
(٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٥٢).
(٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٥٢)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٩٤).
(٤) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٧).
(٥) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٤٠١).
(٦) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/ ١٨٩).

الصَّلاةِ التي ذَكَرها اللهُ عزَّ وجلَّ، إضافة إلى أنَّ الصلاةَ تَنهى عن الفحشاءِ والمنكَر؛ فكان احترازُ الحالفِ عن الكذبِ في ذلك الوقت أتمَّ وأكملَ، والله أعلم(١).

١١- التغليظُ على الحالِفِ بصيغةِ اليمينِ، بأنْ يقول فيه ما يُرجَى أنْ يكون رادعًا للحالفِ عن الكَذِبِ كالألفاظِ التي وردَتْ في قَوْلِه: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ﴾، وأشدُّ منها ما ورَدَ في شهادةِ اللِّعانِ(٢).

١٢- أنَّه لا يُحلَف بغيرِ الله؛ لِقَوْلِه: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾، فلو أُقسِم بغيرِ الله حتى بمَن يُعَظَّم عندَهم كالمسيح مثلًا، فإنَّها لا تُقبَل ولا يُعتدُّ بها(٣).

١٣- أنَّ إقسامَ الشاهدَينِ لا يلزم إلَّا عند الارتيابِ في شهادتِهما؛ لِقَوْلِه: ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾. وأنَّ للقاضي أن يُحلِّفَ الشاهدَينِ عند الارتياب في شهادتِهما؛ فالحُكم يدور مع عِلَّته؛ لأنَّنا لم نُحَلِّفْهما بالله إلَّا عند الارتياب، لا لكونهما من الكفَّارِ(٤).

١٤- أن يكونَ صفةُ الإقسامِ على هذا: ﴿لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ﴾، والصواب أنَّه يَكفي المعنى؛ لأنَّ هذا اللفظ لا يُتعبَّد به؛ حتى نقولَ: لا يمكن أن يُغيَّر، بل عبَّر الله عزَّ وجلَّ عن المعنى بهذا اللَّفْظِ، إذنْ: فالمرجعُ إلى المعنى(٥).

١٥- الإشارةُ إلى أنَّ للقرابةِ تأثيرًا في المَيلِ والعاطفة؛ لقولهما: ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٥٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٨٦).
(٢) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/ ١٩٠).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٨٧).
(٤) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/ ١٩١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٨٧).
(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٨٨).

قُرْبَىٰ﴾ وهذا شيءٌ فِطْريٌّ معروف، وقد أشارَ الله تبارك وتعالى إلى هذا في قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ﴾ [التوبة: ١١٣]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾[1] [النساء: ١٣٥].

١٦- إضافةُ الشَّهادة إلى (الله) في قوله: ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾؛ لأنَّه هو الآمرُ بها وبحِفظها، وألَّا تُكتَم، ولا تُضيَّع، كذلك أضافَها إلى الله تشريفًا لها، وتعظيمًا لأمرِها[2].

١٧- الإشارةُ إلى أنَّ الإرْثَ يكون للأَوْلى فالأَوْلى؛ لِقَوْلِه: ﴿الْأَوْلَيَانِ﴾ وقد جاء الحديثُ مقرِّرًا ذلك؛ فعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم: ((أَلْحِقوا الفرائضَ بأهلِها، فما بقِيَ فلِأَوْلى رجُلٍ ذَكرٍ))[3].

١٨- أنَّه إذا احتِيجَ في الشَّهادةِ أو في القَسَم إلى إثباتٍ ونفيٍ، فلا بدَّ مِن ذِكرِ الإثبات والنَّفي، فقولهما- يعني الأوليَين-: ﴿لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا﴾ هذا إثباتٌ، ﴿وَمَا اعْتَدَيْنَا﴾ هذا نفيٌ، فإذا احتِيجَ إلى ذلك فلا بدَّ مِن ذِكر النفيِ والإثبات؛ حتى تكونَ الشهادةُ خالصةً[4].

١٩- أنَّ ردَّ الأَوْليَينِ لشهادَةِ الشَّاهدَينِ على سبيلِ الاعتداء أعظمُ اعتداءً مِن تغييرِ الشهادة من الشاهدَينِ؛ وجهُ ذلك أنَّه في تغييرِ الشَّهادةِ من الشَّاهدَينِ، قال: ﴿إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ﴾، وهنا قال: ﴿إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾[5].

(١) يُنظر: ((المصدر السابق)).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢١٧)، ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٥٧٦).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٩٠).
والحديث أخرجه البخاريُّ (٦٧٣٧) ومسلمٌ (١٦١٥).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٩٠).
(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)).

٢٠- أنَّه كلَّما كان الشيءُ أقربَ إلى استنتاجِ الصوابِ والحقِّ في الشهادة فهو أَوْلى أن يُتَّبَع، لِقَوْلِه: ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ ﴾؛ لأنَّ الإنسانَ إذا فَهِم أنَّ مِن ورائِه أناسًا سيقومون بردِّ شهادتِه والإقسامِ على بُطلانها، فلا بدَّ أن يتحرَّى الصدقَ فيما يشهدُ به[1].

٢١- أنَّ اللهَ سبحانه أخْبَر بأنَّه لا يَهدي القومَ الفاسقينَ، أي: الخارجينَ عن طاعتِه، وخَبَر الله صِدقٌ، لكنْ يُشكِل على هذا أنَّ الواقِعَ أنَّ الله قد يَهدي الفاسقينَ، وقد يَهدي الكافرينَ؛ فكيف نجمع بين الواقِعِ وهذا الخبرِ الصادِقِ؟ الجَمْع أن نقول: إنَّ قولَه: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾، أي: الذين كتَب اللهُ عليهم الفِسقَ، وأمَّا مَن كتَب عليه أن يؤمِنَ فيُؤمن ولا بدَّ، ولكنَّ الفائدة مِن هذا- أي: مِن إطلاقِ قولِه: ﴿لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾- الإشارةُ إلى أنَّ عدمَ هِدايةِ الله للقَوْمِ الفاسقين؛ لأنَّهم اختاروا الفِسقَ، كما قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[2] [الصف: ٥].

بَلاغةُ الآياتِ:

١- قَوْلُه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ استئنافٌ مسوقٌ لبيانِ الأحكامِ المتعلِّقة بأمورِ دُنياهم إثرَ بيانِ الأحوالِ المتعلِّقة بأمورِ دِينهم، وتصديرُه بحرفَيِ النِّداءِ والتنبيهِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ﴾؛ لإظهارِ كمالِ العنايةِ بمضمونِه[3].

٢- قَوْلُه: ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فيه: التفاتٌ من الغَيبة إلى الخِطاب، ولو جرَى على لفظ: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ لكان التركيب: (إنْ هو ضرَبَ

(١) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٤٩١).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٩١).
(٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٨٨).

في الأرض فأصابتْه مصيبةُ الموت)، وإنما جاءَ الالتفات جمعًا؛ لأنَّ قوله: ﴿أَحَدَكُمُ﴾ معناه: إذا حضرَ كلَّ واحد منكم الموتُ[١]، وقيل: بل ليس فيه التفاتٌ؛ لأنَّ الخطابَ جارٍ على أسلوبِ الخِطاب الأوَّل مِنْ قَوْلِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ ...﴾ إلى آخِره[٢].

٣- قَوْلُه: ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾

- قوله: ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ اعتراضٌ يفيد اختصاص القَسَم بحال الارتياب[٣].

- وقَوْلُه: ﴿لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا﴾ فيه كنايةٌ عن استبدال عَرَضٍ من الدُّنيا، وهو على حَذْف مضاف، أي: لا نَشْتَري ذا ثَمَن؛ لأنَّ الثَّمنَ لا يُشترى، ولا يَصِحُّ أن يكونَ ﴿لَا نَشْتَرِى﴾ هنا بمعنى لا نبيع، وإنْ كان ذلك صحيحًا في اللُّغة[٤].

- وقَوْلُه: ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ فيه حذْفُ جوابِ ﴿لَوْ﴾؛ ثقةً بدَلالةِ ما سبَق عليه، أي: ولو كانَ ذا قربى لا نَشتري به ثمنًا[٥].

- وخصَّ اللهُ (ذا القُربى) بالذِّكر؛ لأنَّ الميلَ إليهم أتمُّ، والمداهنةَ بسببهم أعظمُ[٦].

- وأيضًا في قولِه: ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ تأكيدُ تبرُّئهما من الحَلِف كذبًا، ومبالغةٌ في التنزُّه عنه، كأنَّهما قالا: لا نأخُذُ لأنفسِنا بدلًا مِن حُرمةِ اسمِه تعالى مالًا،

---

(١) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٩٤).

(٢) يُنظر: ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٤٦٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١٤٦).

(٤) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٣٩٦).

(٥) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٩٠).

(٦) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٥٣).

ولو انضمَّ إليه رعايةُ جانب الأقرباء؛ فكيف إذا لم يكُنْ كذلك[١]؟!

٤- في قوله تعالى: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ ... إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْأَٰثِمِينَ﴾ ناسبَ ختْمُ ما أقْسم عليه شاهدَا الزُّورِ بقولِه: ﴿لَّمِنَ ٱلْأَٰثِمِينَ﴾؛ لأنَّ عدَمَ مطابقة يمينهما للواقِع وكَتْمَهما الشهادةَ يجرَّانِ إليهما الإثمَ، وفي قوله: ﴿وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ناسَب ذِكْرُ الظلمِ هنا قولَهما: ﴿وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ﴾؛ لأنَّ الاعتداءَ والظُّلم متقارِبان[٢].

٥- ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: إنَّما جمَع الضَّمائرَ هنا في ﴿يَأْتُوا۟﴾ وما بعدَه، وإن كان السابق مثنًّى، فلم يُثنِّها كما سَبَق؛ لأنَّه حُكمٌ يعمُّ الشُّهودَ كلَّهم؛ فإنَّه لا يعودُ إلى الشَّاهِدَينِ بخُصوصيَّتهما، بل إلى النَّاسِ الشُّهودِ، والتقدير: ذلك أدْنَى أنْ يحذرَ الناسُ الخيانةَ فيَشْهَدوا بالحقِّ خوفَ الفضيحةِ في ردِّ اليمينِ على المدَّعِي. وقيل: هو عائدٌ على الشَّاهِدَينِ باعتبارِ الصِّنفِ والنَّوعِ[٣].



(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٩٠)، ((تفسير الألوسي)) (٢/ ٤٥٦).
(٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٤٠٠).
(٣) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١٤٨)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٤٠١).

الآيتان (١٠٩ - ١١٠)

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْۖ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًاۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِيۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِيۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِيۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ ﴾.

غريبُ الكَلِماتِ:

﴿ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾: أي: جبريلَ عليه السَّلام، سُمِّيَ بذلك؛ لأنَّه يأتي بما فيه حياةُ القلوبِ، وأصل القُدس الطَّهارةُ[١].

﴿ ٱلْمَهْدِ ﴾: أي: مَضْجَعِ الصَّبيِّ فِي رَضاعِه، وما يُهيَّأ له، وأصلُه: التَّوطئةُ للشَّيءِ، وتَسهيلُه[٢].

﴿ وَكَهْلًا ﴾: أي: ابن ثلاثين سَنةً، والكَهْل: الذي انتهَى شبابُه، ومَن وَخَطَه الشيبُ، والكهولةُ فوقَ الغلومة، ودونَ الشَّيخوخةِ، وأصل (كهل): القوَّة في الشَّيءِ، أو اجتماع الجِبلَّة[٣].

---

(١) يُنظر: ((المفردات)) للراغب (ص: ٣٦٩)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ١٩)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٨٥)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٤٨٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٥/ ٤١٢)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ٢٨٠)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٧٨٠).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٨)، ((تفسير ابن جرير)) (٥/ ٤١٢)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٢٤)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (١/ ٥٣٠)، ((المفردات)) للراغب (ص:

﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: أي: الفِقه، وتُطلَق الحِكمةُ على إصابةِ الحقِّ بالعِلم والعَمَل، وأصل (حكم): المنْع، والإحكامُ هو الفصلُ والتمييزُ، والفَرْقُ والتَّحديد الذي به يتحقَّقُ الشيءُ ويحصُل إتقانُه؛ ولهذا دخَل فيه معنى المنْع كما دخَل في الحدِّ، فالمنعُ جزءُ معناه لا جميعُ معناه، والحِكمة اسمٌ للعَقل، وإنَّما سُمِّي حِكمة؛ لأنَّه يمنع صاحبَه من الجَهل[1].

﴿وَتُبْرِئُ﴾: وتَشْفِي، أصلُه من البُرء والبَراء والتبرِّي: وهو التفصِّي ممَّا يُكرَه مجاورتُه، والتباعُدُ من الشَّيءِ ومُزايلتُه، والمقصودُ هنا: السَّلامة من السُّقم[2].

﴿الْأَكْمَهَ﴾: الذي يُولَد أعْمَى، أو هو الذي يُولَد مَطموسَ العين، وقيل: هو الأعْمَى مطلقًا[3].

﴿وَالْأَبْرَصَ﴾: الذي به مرضُ البَرَصِ، وهو مرضٌ معروفٌ يُصيب الجِلدَ، وهو لمعةٌ تُخالِفُ سائرَ لونِ الجلد[4].

﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: جمْع بيِّنة، وهي: الدَّلالة الواضحة؛ يُقال: بانَ الشَّيء وأبان،

---

٧٢٧)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ١٤٤)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (١/ ٤٥).

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٨)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٩١)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٢٤٩)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٣٦،٣٤٧)، ((الإكليل في المتشابه والتأويل)) لابن تيمية (ص: ١١)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ٩٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١١٥)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٢٣٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٢١).

(٣) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٠٥)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (١/ ٥٢)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٥/ ١٣٦)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٧٢٦)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (١/ ٤٥)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٢٤).

(٤) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٢١٩)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٢٤).

إذا اتَّضح وانْكشَف[١].

المَعنَى الإجماليُّ:

يُخبِرُ اللهُ تعالى عن بعضِ ما سيَجري يومَ القيامةِ؛ إذ يجمع سبحانه الرُّسلَ، فيسألُهم عن الذي أجابتْهم به أُممُهم حينَ بلَّغوهم دعوةَ الحقِّ، فيجيبُ الرُّسلُ بأنَّهم لا عِلْمَ لهم، وأنَّ اللهَ سبحانَه هو علَّامُ الغُيوبِ.

ويخبِرُ اللهُ تعالى أيضًا عن قولِه لعيسَى عليه السلامُ: يا عيسى ابنَ مريمَ، اذكُرْ نِعَمِي عليك وعلى والدتِك؛ إذ أعنْتُك وقوَّيتُك بجبريلَ عليه السَّلام، تُكلِّمُ الناسَ في صِغَرك وفي كِبَرك، وإذ علَّمتُك الكِتابةَ، والفَهمَ ومعرفةَ أسرارِ الشَّرعِ، وعلَّمتُك التوراةَ والإنجيلَ، وإذ تَصنَعُ من الطِّين كهيئةِ طائرٍ بإذني، فتنفخُ فيما صنعتَه من الطِّين، فيكونُ طيرًا ذا رُوحٍ بإذني، وتَشفِي مَن يُولَد أعْمَى، وتَشفِي مَن به داءُ البَرَصِ بإذني، وتُخرِجُ الموتى من قُبورِهم أحياءً بإذني، وإذ صددْتُ بني إسرائيلَ عنك وقد أرادوا قتْلَك لَمَّا جِئتَهم بالبيِّناتِ؛ فقال الكافرونَ منهم: ما هذا الذي أتيتَ به إلَّا سحرٌ واضحٌ ظاهرٌ.

تَفسيرُ الآيتين:

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾.

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا أخْبَرَ تعالى بالحُكم في شاهِدَيِ الوصيَّة، وأمَر بتَقْوى اللهِ، والسَّمعِ والطَّاعة، ذكَّر بهذا اليومِ المَهُولِ المخوفِ، وهو يومُ القيامةِ فجَمَع بذلك بين فَضيحةِ الدُّنيا، وعقوبةِ الآخِرة لِمَن حرَّف الشهادةَ، ولِمَن لم يتَّقِ اللهَ ولم يَسمعْ[٢].

---

(١) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١/ ٣٢٨)، ((المفردات)) للراغب (ص: ١٥٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٤٠٢).

وأيضًا لَمَّا كان من عادةِ القُرآنِ الكريمِ أنَّه إذا ذَكَر أنواعًا كثيرةً من الشَّرائع والتَّكاليف والأحكامِ، أتْبَعَها إمَّا بالإلهيَّات، وإمَّا بشَرْحِ أحوالِ الأنبياء، أو بشَرْحِ أحوال القيامة؛ ليصير ذلك مؤكِّدًا لِمَا تقدَّم ذِكرُه من التكاليف والشَّرائع، فلا جرمَ لَمَّا ذكَر فيما تَقدَّم أنواعًا كثيرة من الشَّرائعِ أتْبَعَها بوصْفِ أحوالِ القيامةِ أولًا، ثمَّ ذِكْرِ أحوالِ عيسى عليه السَّلامُ[(١)]، فقال تعالى:

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾.

أي: اذكرْ يومَ يَجمَعُ الله تعالى جميعَ رُسُلِه عليهم الصَّلاةُ والسَّلام يومَ القيامة، فيسألُهم: ما الذي أجابتْكم به أُممُكم حين دَعوتُموهم إلى الحقِّ[(٢)]؟

كما قالَ تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[الأعراف: ٦].

﴿قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾.

أي: قال الرُّسُلُ الكِرامُ عليهم الصَّلاةُ والسَّلام: لا عِلْمَ لنا، ولا يَخفَى عليك يا ربَّنا ما عِندنا من عِلمِ ذلك وغيرِه؛ فأنت العَليمُ ببواطن الخَلْق، والمطَّلِعُ على كلِّ شيءٍ[(٣)].

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٥٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٠٩-١١٠)، ((تفسير ابن عطية)) (٢/ ٢٥٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٢٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٩٢-٤٩٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١١٢)، ((تفسير ابن عطية)) (٢/ ٢٥٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٢٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٨).

﴿وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١١٠﴾.

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا كان الغَرَضُ من قولِه تعالى للرُّسلِ: ﴿مَاذَآ أُجِبۡتُمۡ﴾ توبيخَ مَن تمرَّدَ مِن أُمَمِهم، وكان أشدَّ الأممِ افتقارًا إلى التوبيخِ والملامةِ النَّصارى الذين يَزعُمون أنَّهم أتْباعُ عيسى عليه السَّلام؛ لأنَّ طَعْنَ سائرِ الأُمَمِ كان مقصورًا على الأنبياءِ، وطَعْنَ هؤلاء المَلاعِين تعدَّى إلى جلالِ الله وكِبريائِه؛ حيث وصَفُوه بما لا يَليقُ بعاقلٍ أن يصفَ الإلهَ به، وهو اتِّخاذُ الزوجةِ والولدِ؛ فلا جرَمَ ذَكَر اللهُ تعالى أنَّه يُعدِّد أنواعَ نِعَمه على عيسى بحضرةِ الرُّسُلِ واحدةً فواحدةً، والمقصودُ منه توبيخُ النصارى وتقريعُهم على سوءِ مَقالتِهم؛ فإنَّ كلَّ واحدةٍ مِن تلك النِّعَم المعدودة على عيسى تدلُّ على أنَّه عبدٌ وليس بإلهٍ[(١)]، فقال تعالى:

﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾.

أي: اذْكُرْ حين نادَى الله تعالى عيسى عليه السَّلام[(٢)] قائلاً له: اذكُرْ ما أَجريتُه عليكَ وعلى والدتِك مِنَ النِّعَم[(٣)].

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٥٨).

(٢) ذهَب إلى وقوعِ ذلك يومَ القيامة: ابنُ عطية في ((تفسيره)) (٢/ ٢٥٧)، والقرطبيُّ في ((تفسيره)) (٦/ ٣٦٢)، وابنُ عاشور في ((تفسيره)) (٧/ ١٠٠). وجعلَه ابنُ كثير احتمالًا. يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٢٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٢٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٩٩).

ثمَّ شرَع اللهُ تعالى يُفصِّل تِلك النِّعمَ، فقال[١]:

﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾.

أي: حيثُ قوَّيتُك بجبريلَ عليه السَّلامُ، وأعنْتُك به[٢].

﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾.

أي: تدْعُو النَّاسَ إلى اللهِ تعالى في حالِ صِغَرِك وكِبَرِك[٣].

﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾.

أي: واذكُرْ- يا عيسى- أيضًا نِعمَتي عليك إذْ علَّمتُك الخطَّ والكتابةَ[٤]، والفَهمَ ومعرفةَ أسرارِ الشَّرع، وعلَّمتُك التوراةَ والإنجيل[٥].

﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى﴾.

القِراءاتُ ذاتُ الأثرِ في التَّفسير:

في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى﴾ ثلاث قراءات:

١- ﴿... كَهَيْئَةِ الطَّائِرِ... فَتَكُونُ طَائِرًا﴾، أي: إنَّه كان يَخْلق واحدًا ثمَّ واحدًا[٦].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٩٩-٥٠٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١١٣-١١٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٢٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٠٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١١٤)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٢٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٨).

(٤) وقيل المرادُ بالكتاب هنا: جِنسُ الكتُب السَّابقة. وهو اختيارُ السعدي في ((تفسيره)) (ص: ٢٤٨).

(٥) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١١٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٢٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٠٢-٥٠٣).

(٦) قرأ بها أبو جعفر. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: ١٨٧).

٢- ﴿... كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ... فَتكُونُ طَائرًا﴾ أي: تُقدِّر هيئةً كهيئةِ الطَّير، فتكونُ الهيئةُ طائرًا، أي: كلُّ هَيئةٍ تُقدِّرها تكونُ واحدًا مِن الطَّير[1].

٣- ﴿... كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ... فَتكُونُ طَيْرًا﴾، أي: إنَّ الله تعالى أذِنَ له أن يَخلُقَ طيرًا كثيرةً، ولم يكن يَخلُقُ واحدًا فقط[2].

﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾.

أي: تُصوِّر الطِّينَ، وتَصنَعُ منه هيئةَ طائرٍ بإذني، فتنفخُ في تِلك الصُّورةِ التي شكَّلتَها، فتكونُ طائرًا ذا رُوحٍ بإذني[3].

﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾.

أي: وتَشْفِي مَن يُولَد أعْمى، ومَن به داءُ البَرَص الذي يُصيب الجِلدَ بإذنِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وتُخرجُ الموتَى من قُبورِهم أحياءً بإذنِ الله تبارَك وتعالى[4].

﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾.

مُناسَبَتُها لِمَا قَبْلَها:

ويُنظر لمعنى القراءتين: ((معاني القراءات)) للأزهري (١/ ٢٥٧)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: ١٦٤).

(١) قرأ بها نافع ويعقوب. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: ١٨٧).
ويُنظر لمعنى القراءتين: ((تفسير ابن عطية)) (٢/ ٢٥٨)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ١٠٢).

(٢) قرأ بها الباقون. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: ١٨٧).
ويُنظر لمعنى القراءتين: ((معاني القراءات)) للأزهري (١/ ٢٥٧)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: ١٦٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١١٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٢٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٠٣).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١١٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٢٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٠٣-٥٠٤).

بعدَ أن ذكَر اللهُ سبحانَه بعضَ ما أعطاه لعيسَى عليه السَّلام مِن معجزاتٍ فيها مِن المنافعِ، أتْبَعها بذكرِ ما دفَع عنه مِن مضارَّ[١]، فقال:

﴿وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾.

أي: واذكُرْ- يا عيسى- أيضًا نِعمتي عليك، في صدِّي بني إسرائيلَ عنك، وقدْ همُّوا بقتْلِك حين جِئتَهم بالحُججِ والبَراهينِ على رِسالتِك، فحَفِظتُك منهم وعصَمتُك[٢].

﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾.

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

في قوله تعالى: ﴿سِحۡرٞ﴾ قِراءتان[٣]:

١- قِراءة ﴿سَاحِرٌ﴾- بالألِف على أنَّه اسمُ فاعلٍ- إشارةً إلى عِيسى عليه السَّلام[٤].

٢- قِراءة ﴿سِحۡرٞ﴾ -مِن غيرِ ألِفٍ على أنَّه مصدرٌ- إشارةً إلى ما جاءَ به عيسى عليه السَّلام من البيِّنات، أي: ما هذا الَّذي جاءَ به من الآياتِ الخَوارقِ

---

(١) يُنظر: ((تفسير القاسمي)) (٤/ ٢٩٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١١٥-١١٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٢٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٠٥).

(٣) قال ابنُ جرير: (والصوابُ من القول في ذلك: أنَّهما قِراءتانِ معروفتانِ صحيحتَا المعنى، متَّفقتانِ غير مُختلفتَينِ؛ وذلك أنَّ كلَّ مَن كان موصوفًا بفِعل السحر فهو موصوفٌ بأنَّه ساحر، ومَن كان موصوفًا بأنَّه ساحر فإنَّه موصوفٌ بفِعل السحر، فالفعل دالٌّ على فاعله، والصِّفة تدلُّ على موصوفها، والموصوف يدلُّ على صِفته، والفاعل يدلُّ على فعله، فبأيِّ ذلك قرأ القارئ فمصيب) ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١١٦).

(٤) قرأ بها حمزة والكسائي وخلف. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٧-٢٢٨). ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٤٩٨).

إلَّا سِحرٌ[١].

﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾

أي: فقال كفَّارُ بني إسرائيلَ: ما هذا إلَّا ساحرٌ ظاهرٌ ذُو سِحرٍ جليٍّ[٢].

الفَوائِدُ التَّربويَّة:

١- يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ أنَّه يجبُ على الإنسانِ أنْ يَتذكَّرَ هذا اليومَ العظيمَ؛ لينظرَ ماذا أجابتْ به الرُّسُلُ، وهو يومُ القِيامة حين يُجمَعُ الرُّسُل ويُسألُون[٣].

٢- التَّنصيصُ على النِّعمة بالعِلم والشَّرعِ والحِكمة، وأنَّها أخصُّ من مطلَق النِّعمة؛ لأنَّ مُطلَق النِّعمة سبَقَ في قَوْلِه تعالى: ﴿اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ﴾ أما العِلمُ فخصَّه بقوله: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾، وعلى هذا فيجبُ على طالبِ العِلم أنْ يَشكُرَ اللهَ تعالى على نِعمتِه عليه؛ حيث خصَّه بالعِلم الذي حَرَمَهُ كثيرًا من النَّاسِ، وإذا منَّ اللهُ عليه بالعِبادةِ والدَّعوة إلى الله صارَ نِعمةً فوقَ نِعمةٍ؛ مِمَّا يدعوه إلى المُثابرةِ والصبرِ على ما هو عليه مِن طلبِ العِلم، وازديادِ العبادةِ، وقوَّة الدَّعوة إلى الله عزَّ وجلَّ[٤].

٣- في قَوْلِه: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ﴾ تذكيرُ الله سبحانه وتعالى عِبادَه بنِعَمِه عليهم، وهذا جاءَ في القرآنِ في غيرِ

---

(١) قرأ بها الباقون. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٧-٢٢٨).
ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: ٢٤٠)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٤٩٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٢٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٠٥).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٩٧).

(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٥١٠).

ما موضعٍ، مِثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ [فاطر: ٣]، أحيانًا يكون عامًّا كهذه الآية، وأحيانًا يكون خاصًّا؛ مثل قوله: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡ﴾ [الأعراف: ٨٦]، وما أشبه ذلك؛ وإنَّما يُذكِّر اللهُ العبادَ بالنِّعمة من أجْلِ وجوبِ شُكرها؛ لأنَّ وجوبَ شُكر المنعِم ثابتٌ سَمْعًا وعقلًا، أمَّا السَّمع فمملوءٌ به القرآنُ؛ كقولِه تعالى: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقوله: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٢]، وأمَّا عَقْلًا: فلأنَّه ليس من المروءةِ أن تُقابَل النِّعمةُ بالإساءةِ والكُفر؛ فشُكْرُ المنعِم إذنْ واجبٌ سمعًا وعقلًا(١).

٤- أنَّ اللهَ يُدافِعُ عن المؤمنينَ، وأنَّ كَفَّ الأذَى عن الإنسانِ مِن نِعمةِ اللهِ عليه؛ لقولِه تعالى: ﴿وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾؛ ولهذا امتنَّ اللهُ به على المؤمنينَ، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨]، فكلَّما كان الإنسانُ أشدَّ إيمانًا بالله عزَّ وجلَّ دفَعَ اللهُ عنه، وتسليطُ بعضِ الناس عليه بالإيذاءِ ما هو إلَّا كتسليطِ المَرَضِ على الرُّسُلِ والأنبياءِ من باب رِفعةِ الدَّرجاتِ، وإلَّا فلا شكَّ أنَّ هناك أئمَّةً مِن هذه الأمَّة أُوذُوا أشدَّ الإيذاء، بل الرُّسُلُ عليهم الصَّلاةُ والسَّلام يُؤذَوْنَ؛ كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ﴾ [الأنعام: ٣٤]، لكنْ هذا من باب رِفعةِ الدَّرجاتِ(٢).

٥- تشجيعُ الدَّاعي إلى اللهِ عزَّ وجل الذي يأتي بالآياتِ البيِّناتِ؛ فإنَّه عُرضةٌ للإيذاءِ لِقَوْلِه: ﴿وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾، فكلُّ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٠٧).
(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٥١٥).

إنسانٍ يَدْعو إلى اللهِ، ويأتي بالبراهينِ والأدلَّة، لا بدَّ أنْ يُسلَّطَ عليه مَن يُسلِّطُ، ولكنَّ اللهَ تعالى بقُوَّتِه وقُدرتِه يَصرِفُ عنه[(١)].

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِف:

١- يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ معرفةُ تمامِ قُدرة اللهِ تبارَك وتعالى؛ وذلك بجَمْعِه الرُّسُلَ في ذلك الموقِف العظيمِ، الذي يَختلطُ فيه الآدميُّون والوُحوشُ والسِّباعُ والإبلُ وغيرها، فيَجمَعُ اللهُ سبحانه وتعالى الرُّسلَ بقُدرتِه وإذْنِه[(٢)].

٢- يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ فضيلةُ الرُّسُلِ عليهم الصلاة والسلام؛ حيث إنَّ اللهَ سبحانه وتعالى يَعتني بهم هذا الاعتناءَ، حتى إنَّه يسألُهم يومَ القيامَةِ في هذا المشهَدِ العظيمِ: ماذا أُجِيبوا؟ تكريمًا لهم، وإظهارًا لإبلاغِهم الرِّسالةَ[(٣)].

٣- لَمَّا كان ممَّا لا يَخفى أصلًا أنَّهم أُجيبوا، ولا يقعُ فيه نزاعٌ، ولا يتعلَّقُ بالسُّؤال عنه غرضٌ، تجاوزَ السُّؤالَ إلى الاستفهامِ مِن نوعِ الإجابةِ، فقال: ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ أي: أيَّ إجابةٍ أجابَكم مَن أُرْسِلْتم إليهم؟ إجابةَ طاعةٍ، أو إجابةَ معصيةٍ[(٤)].

٤- في قَوْلِه تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ دليلٌ على جوازِ إطلاق لفْظ العلَّام على الله سبحانه، كما جاز إطلاقُ لفظِ الخلَّاقِ عليه، أما العلَّامة؛ فإنَّهم أجمعوا على أنَّه لا يجوزُ إطلاقها في حقِّه تعالى[(٥)].

---

(١) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٥١٦).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٤٩٧).
(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).
(٤) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٣٣٧).
(٥) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٥٨).

٥- قدْ يُتوهَّمُ التعارُضُ بين ظاهِرِ قَوْلِه تعالى: ﴿قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾، وهو يدلُّ على أنَّ الأنبياءَ لا يَشهدون لأُممهم، وبَيْنَ قَوْلِه تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، وفيه أنَّ الأنبياءَ يشهدون على أُممهم. والجَمْعُ بينهما من وجوهٍ:

الوجه الأوَّل: أنَّهم إنَّما قالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾؛ لأنَّك تعلَمُ ما أَظهروا وما أضمروا، ونحن لا نعلم إلَّا ما أَظهروا؛ فعِلمُك فيهم أنْفَذُ مِن عِلْمِنا؛ فلهذا المعنى نَفَوُا العِلْمَ عن أنفُسِهم؛ لأنَّ عِلمَهم عندَ الله كَلَا علمٍ.

الوجه الثَّاني: أنَّهم قالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ إلَّا أنْ عَلِمْنا جوابَهم لنا وقتَ حياتِنا، ولا نعلمُ ما كان منهم بعدَ وفاتِنا، والجزاءُ والثوابُ إنَّما يحصُلانِ على الخاتمةِ، وذلك غيرُ معلومٍ لنا.

الوجه الثَّالث: أنَّ الحاصِلَ عندَ كلِّ أحدٍ مِن حالِ الغيرِ إنَّما هو الظنُّ لا العِلْم؛ فالأنبياءُ قالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ البتةَ بأحوالِهم، إنَّما الحاصلُ عندنا مِن أحوالهم هو الظنُّ، والظنُّ كان مُعتَبرًا في الدُّنيا؛ لأنَّ الأحكامَ في الدُّنيا كانت مبنيَّةً على الظنِّ، وأمَّا الآخرَة فلا التفاتَ فيها إلى الظنِّ؛ لأنَّ الأحكامَ في الآخرة مبنيَّةٌ على حقائِقِ الأشياء، وبواطنِ الأمورِ؛ فلهذا السببِ قالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ ولم يذكروا البتةَ ما معهم من الظنِّ؛ لأنَّ الظنَّ لا عِبرةَ به في القيامَةِ.

الوجه الرابع: أنَّهم لَمَّا عِلموا أنَّه سبحانه وتعالى عالمٌ لا يَجهل، حكيمٌ لا يَسْفَه، عادلٌ لا يَظلِم، عِلموا أنَّ قولَهم لا يُفيد خيرًا، ولا يدفعُ شرًّا، فرأوا أنَّ الأدبَ في السُّكوتِ، وفي تفويضِ الأَمْرِ إلى عدلِ الحيِّ القيومِ الذي لا يموتُ[1].

٦- جوازُ نسبةِ الإنسان إلى أمِّه إذا لم يكُن له أبٌ؛ لِقَوْلِه: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٥٦، ٤٥٧)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٤٩٤، ٤٩٥).

﴿مَرۡيَمَ﴾(١).

٧- شرع الله في قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ... إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ في تعديدِ نِعَمه على عيسى عليه السلام، لكن قولُ الكفَّارِ في حقِّه: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ ليس من النِّعَمِ؛ فكيف ذكَره هاهنا؟

والجواب: أنَّ مِن الأمثال المشهورة: أنَّ كلَّ ذي نِعمة محسودٌ؛ وطَعْنُ الكفَّارِ في عيسى عليه السلام بهذا الكلام يَدلُّ على أنَّ نِعَم اللهِ في حقِّه كانتْ عظيمةً، فحَسُنَ ذِكرُه عند تعديدِ النِّعَم(٢).

٨- قَوْلُه تعالى: ﴿ٱذۡكُرۡ﴾ فائدةُ هذا الذِّكر إسماعُ الأممِ ما خَصَّه به تعالى من الكرامةِ، وتأكيدُ حُجَّته على جاحدِه(٣).

٩- يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾ أنَّ الأنبياءَ عليهم الصَّلاةُ والسَّلام يجب عليهم الشُّكرُ، كما يجب على مَن أُرسِلَ إليهم؛ لأنَّ اللهَ أمَر عيسى أنْ يذكُرَ نِعمتَه عليه وعلى أُمِّه، والأنبياءُ أشدُّ الناسِ قِيامًا بشُكرِ النِّعمة(٤).

١٠- فضيلةُ جبريلَ عليه السَّلامُ؛ لقوله تعالى: ﴿إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ﴾ وأنَّه يُؤيِّد الأنبياءَ والرُّسل(٥).

١١- يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿بِإِذۡنِي﴾ أنَّ المسيحَ لم يُعطَ هذه القوَّةَ دائمًا، بل

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٠٧).
(٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٦٠، ٤٦١).
(٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٤٠٥).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٠٨).
(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٥٠٩).

كانتْ هذه الآيةُ كغيرها لا تقَعُ إلَّا بإذنٍ من الله، وتأييدٍ مِن لَدُنْه(١).

١٢- يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ إطلاقُ لفظ الخَلْق على ما صنَعَه المخلوق، فلو صنعْتَ بابًا، تقول: خلقتُ بابًا، ويدلُّ لهذا قولُ الله تبارَك وتعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، والفرق بين خَلْق الخالِقِ، وخَلْق المخلوقِ: أنَّ خَلْقَ الخالق إيجادٌ مِن عدَمٍ على ما يُريد اللهُ عزَّ وجلَّ؛ قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٦]، أمَّا خَلْق المخلوقِ: فهو تحويلُ مخلوقِ الله إلى صِفةٍ أخرى، وإلَّا فالأصلُ من الله عزَّ وجلَ؛ وذلك كأن يجعلَ مِن الذَّهب حُليًّا، أما أن يجعلَ من الحجرِ ذهبًا فلا يستطيعُ ذلك أحدٌ(٢).

١٣- يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ أنَّه سبحانه وتعالى يَختارُ مِن الآيات أشدَّها إعجازًا؛ فإنَّه لم يَمُنَّ على عيسى بأنْ يخلُقَ أرنبًا أو قِطًّا أو ما أشبَهَ ذلك، بل طائرًا؛ لأنَّ الطيرانَ في الجوِّ أبلغُ من المشي على الأرض، فاختارَ اللهُ له أن يَخلُق طائرًا، يعني: على صورةِ الطَّير(٣).

١٤- ممَّا يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى﴾ أنَّ النَّفْخَ له تأثيرٌ في الأجسادِ إذا أراد الله عزَّ وجلَّ أن يُؤثِّرَ؛ لأنَّه نَفَخَ في الطيرِ الذي صنَعَه فصارَ طائرًا كما في القِراءة الأخرى، لَمَّا نفخَ فيه صارَ حيوانًا من الطيور، ثمَّ طار لتحقُّقِ أنَّه دخلَتْه الرُّوحُ، ومِن ثَمَّ جاءتِ القراءةُ على المريض عن طريقِ النَّفْثِ، والنَّفْث يتضمَّن نفخًا وريقًا، وهذا مؤثِّرٌ

(١) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/ ٢٠٥).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥١١).
(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٥١٣).

بإذنِ الله عزَّ وجلَّ[١].

١٥- ممَّا يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى﴾ أنَّه لا يُمكن لأيِّ بشرٍ مهما أُوتيَ أن يحصُلَ له مرادُه إلَّا بإذنِ الله عزَّ وجلَّ؛ لأنَّ كلَّ جملةٍ أو كلَّ كلمةٍ قيَّدها الله تعالى بإذنه؛ لئلَّا يدَّعِيَ مُدَّعٍ أنَّ الخَلْقَ لهم استقلالٌ في أفعالِهم، فيكون لهذه الفائدةِ فرعٌ، وهو الردُّ على القَدَريَّة، والقَدَرِيَّة هم الذين يقولون: إنَّ الإنسانَ مستقِلٌّ بعملِه، أي يخلُقُ فعلَه بنفسِه، فيأكُلُ ويَشرَبُ، ويَدخُل ويَخرُج، ويتحرَّك ويَسكُن، بإرادةٍ تامَّة ليس لله تعالى فيها تعلُّقٌ، وهذا يعني: إثباتَ خالقٍ مع الله عزَّ وجلَّ، أو إثباتَ مُوجِدٍ للحوادثِ مع الله عزَّ وجلَّ[٢].

١٦- قَوْلُه: ﴿بِإِذْنِى﴾ فيه إثباتُ إذنِ الله، والإذنُ المضافُ إلى الله عزَّ وجلَّ ينقسِمُ إلى قِسمين: إذنٍ كونيٍّ قدريٍّ، وإذنٍ شرعيٍّ تعبُّديٍّ؛ مثالُ الإذنِ الكونيِّ: هذه الآيةُ: ﴿تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى﴾، ومثالُ الإِذْن الشرعيِّ: قولُ الله تبارك وتعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]؛ إذ إنَّه مكَّنَ لهؤلاء مِن أنْ يَشْرَعوا لأقوامِهم ما لم يأذنْ به اللهُ، ومكَّن لأقوامٍ أن يَتعبَّدوا بهذه الشريعةِ البِدعيَّة، لكنْ شرعًا لا، والفائدةُ مِن معرفة القِسْمينِ: أنْ نؤمِنَ بأنَّ ما أذِنَ اللهُ فيه قَدَرًا فلا بدَّ من وقوعِه، وما لم يأذنْ به فلا يمكن وقوعُه، أمَّا شرعًا: فما أذِنَ اللهُ فيه شرعًا فقدْ يقَعُ وقدْ لا يقَعُ، وما لم يأذنْ فيه فقد يقَعُ وقد لا يقعُ، هذا هو الفرقُ[٣].

(١) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥١٤).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٥١٥).

١٧- في قوله: ﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾ عطَفَ التذكيرَ بإبراءِ الأَكْمَهِ والأبرَصِ على ما قَبْلَه مباشرةً فلم يبدأْ بـ﴿إذ﴾، وبُدِئ بـ﴿إذ﴾ للتذكيرِ بإخراجِ الموتى، فكان عطفًا على قوله: ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾، ولعلَّ نكتةَ ذلك أنَّ إبراءَ الأكْمَهِ والأَبْرَصِ مِن جِنس شفاءِ المرضِ الذي قد يقعُ بعضُ أفرادِه على أيدي غيرِ الأنبياءِ المرسَلين، ولا سيَّما مَن يظنُّ المرضى فيهم الصَّلاحَ والولايةَ، فلمَّا كان كذلك ذُكِرَ بالتَّبع لإحياءِ الصُّورة من الطَّيرِ، ولَمَّا كان إحياءُ الموتى أعظمَ منه جُعِل نعمةً مستقلَّةً فقُرِنَ بـ﴿إِذْ﴾، والمرادُ بالأكمهِ والأبرصِ والموتَى الجِنسُ[1].

بَلاغةُ الآيتين:

١- قَوْلُه: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾

- فيه إظهارُ الاسمِ الجليلِ ﴿ٱللَّهُ﴾ في موضِع الإضمارِ؛ لتربيةِ المهابة، وتشديدِ التهويلِ[2].

- وتخصيصُ الرُّسلِ بالذِّكر ليس لاختصاصِ الجَمْعِ بهم دون الأُمَمِ، كيف لا و﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣]، وقد قال اللهُ تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١]؟! بل لإبانةِ شرَفِهم وأصالتِهم، والإيذانِ بعدمِ الحاجةِ إلى التَّصريحِ بجَمْعِ غيرِهم بناءً على ظهورِ كونِهم أتباعًا لهم، ولإظهارِ سُقوطِ منزلتِهم، وعدمِ لياقتِهم بالانتظامِ في سِلْكِ جمْعِ الرُّسُل، كيف لا وَهُم عليهم السلامُ يُجمَعون على وجهِ الإجلالِ، وأولئك يُسحَبون على وجوهِهم بالأغلالِ[3]؟!

---

(١) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/ ٢٠٥).
(٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٩٣).
(٣) يُنظر: ((المصدر السابق))، وينظر: أيضًا: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٤٠٢).

٢- قَوْلُه: ﴿مَاذَآ أُجِبۡتُمۡ﴾ هذا السُّؤالُ لتوبيخِ قَومِهم وأُمَمِهم؛ لتقومَ الحُجَّةُ عليهم، ويَبتدِئ حسابُهم، كما أنَّ سؤالَ الموءودةِ لتَوبيخِ الوائِدِ[(١)].

٣- قَوْلُه: ﴿قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآ﴾ استئنافٌ مَبنيٌّ على سؤالٍ نشأ مِن سَوْقِ الكلام؛ كأنَّه قيل: فماذا يقولُ الرُّسُلُ عليهم السَّلام هنالك؟ فقيل: يقولون: ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ﴾[(٢)].

- والتعبيرُ بصيغَةِ الماضي ﴿قَالُواْ﴾ عن المستقبلِ؛ للدَّلالة على التقرُّر والتحقُّق، كما في قوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٤٤]، ونظائرها؛ فعبَّر بالماضي عن المستقبلِ؛ لتحقُّقِ وقوعِه حتى كأنَّه وقَع[(٣)].

٤- قَوْلُه: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ فيه: تعليل لذلك، أي فتَعْلَم ما أجابوا وأظهروا لنا، وما لم نَعْلَمْه مما أضمروه في قلوبهم، وفيه إظهارٌ للشَّكَاة، وردٌّ للأمر إلى عِلمه تعالى بما لَقُوا مِن قِبَلِهم من الخطوب، وكابَدُوا من الكروب[(٤)].

٥- قَوْلُه: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ...﴾

- فيه تفصيلٌ بعد إجمال؛ حيث شرَع في بيان ما جرَى بَيْنَه تعالى وبين واحدٍ مِن الرُّسُل المجموعِينَ من المفاوضةِ على التفصيلِ، إثرَ بيانِ ما جرَى بينه تعالى وبين الكلِّ على وجهِ الإجمالِ، وتَخصيصُ شأنِ عيسى عليه السَّلام بالبيانِ تفصيلًا مِن بين شؤونِ سائرِ الرُّسُلِ عليهم السَّلام- مع دَلالتِها على كمالِ هوْلِ ذلك اليومِ، ونهاية سوءِ حال المكذِّبين بالرُّسُل-؛ لأنَّ شأنَه عليه السَّلامُ متعلِّقٌ بكِلَا الفَريقينِ مِن أهلِ الكِتابِ الذين نُعِيَتْ عليهم في السُّورةِ

(١) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١٤٧)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٤٠٢).
(٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٩٣).
(٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٩٣)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/ ٢٠٣).
(٤) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٩٣- ٩٤).

الكريمةِ جِناياتُهم؛ فتفصيلُه أعظمُ عليهم، وأجْلَبُ لحَسرتِهم وندامتِهم، وأَفَتُّ في أعضادِهم، وأدْخَلُ في صَرْفِهم عن غيِّهم وعنادِهم(١)، فقد وقع الاختلافُ بين طائفتَيِ اليهودِ والنَّصارى فيه إفراطًا وتفريطًا؛ هذه تجعله إلهًا، وهذه تجعله كاذبًا(٢).

- والتعبيرُ بصِيغة الماضي دُون المستقبَل في قوله: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ ...﴾؛ للدَّلالة على تحقُّقِ الوقوعِ، وعلى قُربِ القيامةِ حتى كأنَّها قد قامتْ ووقَعَتْ؛ وكلُّ آتٍ قريبٌ؛ قال الله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾(٣) [النحل: ١]، وقيل: لأنَّه ورَدَ على حِكاية الحالِ؛ كقولِه تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ﴾ [سبأ: ٥١] وغيره من الآيات، كلُّها خرَج على سبيلِ الحكايةِ عن الحالِ(٤).

- وإظهارُ الاسمِ الجَليل ﴿ٱللَّهُ﴾ في مقامِ الإضمارِ؛ للمبالغة في التهويلِ(٥).

٦- في قوله تعالى: ﴿نِعْمَتِي﴾ أضاف اللهُ النِّعمةَ إليه؛ تنبيهًا على عِظَمِها(٦).

٧- قَوْلُه: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ خُصَّ التوراةُ والإنجيلُ بالذِّكر ممَّا تناوله الكتابُ والحِكمة- على القولِ بأنَّ المرادَ بالكِتابِ والحِكمةِ جِنسُ الكِتاب والحِكمة، فيدخل فيهما التوراةُ والإنجيل- إظهارًا لشَرفِهما(٧).

---

(١) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٣/ ٩٤).
(٢) يُنظر: ((تفسير الشوكاني)) (٢/ ١٠٣).
(٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٥٨)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٩٤).
(٤) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٥٨).
(٥) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٩٤).
(٦) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٤٠٥).
(٧) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٩٠)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٩٥).
وعلى القول بأنَّ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ هو الخطُّ، و﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ هي الكلامُ المحكَم الصَّواب؛ فليس فيه هذا الوجه.

٨- قَوْلُه: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾

- فيه التعبيرُ بالمضارعِ عن أفعالٍ مضَتْ (تَخْلُقُ - فَتَنْفُخُ - فَتَكُونُ - وَتُبْرِئُ - تُخْرِجُ)؛ لتصويرِ ذلك الماضِي، وتمثيلِه حاضرًا في الذِّهْن، كأنَّه حاضرٌ في الخارِجِ، لا لإفادةِ الاستمرارِ؛ فإنَّه فِعْلٌ مضَى، والكلامُ تذكيرٌ به كما وقَع إذ وقَع[(١)].

وفي هذه الآيةِ مناسبةٌ حَسنةٌ؛ حيثُ قال هنا في سورةِ المائدة: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى﴾، وقال تعالى في سورةِ آل عمرانَ: ﴿كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩]، فخُصَّتْ آيةُ المائدةِ بتأنيثِ الضميرِ والفِعل ﴿فِيهَا فَتَكُونُ﴾، وخُصَّتْ آيةُ آل عِمران بتذكيرِ الضميرِ والفِعل ﴿فِيهِ فَيَكُونُ﴾، مع أنَّ المذكورَ في الموضعين ﴿كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾، وهو صالحٌ لأنْ يَعودَ الضميرُ إليه مُذكَّرًا أو مُؤنَّثًا، فيُرادُ (مِثلَ هيئةِ الطَّير)، وهو مُذكَّر، أو يُرادُ (هيئةً كهيئةِ الطَّيرِ)، وهي مُؤنَّثة؛ وذلك أنَّ الآيةَ في سورةِ المائدةِ المخصوصةِ بتأنيثِ الضَّميرِ العائدِ إلى ما يَخلُقه، هي في ذِكر ما عَدَّد اللهُ مِنَ النِّعمِ على عِيسى عليه السَّلام، وما أَصْحَبَه إيَّاه من المُعجِزات، وأَظهرَ على يدِه مِنَ الآيات، وابْتداؤُها: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ ...﴾ إلى قولِه تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى﴾، والإشارةُ في هذه الآيةِ ليستْ إلى أوَّلِ ما يُبدِيه لبَنِي إسرائيلَ مِن ذلك مُحتجًّا به عليهم، وإنَّما هي إلى جميعِ ما أَذِنَ اللهُ تعالى في كونِه دَلالةً على صِدقِه، مِن قَبيلِ الصُّوَرِ التي يُصوِّرها

(١) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/ ٢٠٥).

من الطِّينِ على هيئةِ الطَّيرِ، وذلك جمعُ التأنيث أَوْلَى به.

وذُكِّرَ الضَّميرُ في ﴿فِيهِ﴾ مِن آلِ عِمرانَ؛ لأنَّه في سِياقِ إخبارٍ مِنَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ عن عيسى- على نبيِّنا وعليه السَّلامُ- وقولِه عليه السَّلامُ لبَني إسرائيلَ: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: آخُذُ مِن الطِّينِ ما أُصوِّرُ منه صورةً على هيئةِ الطيرِ في تَركيبِه، فأنفخُ فيه، فينقلبُ حيوانًا لحمًا، قد رُكِّبَ عظمًا وخالَط دمًا، واكتسَى رِيشًا وجَناحًا كالطَّائرِ الحيِّ، والقصدُ في هذا المكانِ إلى ذِكر ما تقومُ به حُجَّتُه عليهم، وذلك أوَّلَ ما يُصوَّرُ الطِّينُ على هيئةِ الطير، ويكون واحدًا تلزمُ به الحُجَّة، فالتذكيرُ أَوْلَى به[1].

- وقيل: إنَّ قوله: ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ الضَّميرُ فيه للكافِ في قولِه: ﴿كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾؛ لأنَّها صِفةُ الهَيئةِ التي كان يَخلُقها عيسى ويَنفُخُ فيها، ولا يَرجِعُ إلى الهيئةِ المضافِ إليها؛ لأنَّها ليستْ مِن خَلقِه ولا نَفْخِه في شيءٍ، والكافُ تُؤنَّثُ بحَسَبِ المعنى؛ لدَلالتِها على الهيئةِ التي هي مِثلُ هيئةِ الطَّير، وتُذكَّرُ بحَسَبِ الظَّاهرِ، وإذا كان كذلِك جازَ أنْ يقعَ الضَّميرُ عنها تارةً على وجه التذكيرِ، وأخرى على وجهِ التأنيثِ؛ وأمَّا وجهُ تخصيصِ كلٍّ مِن الموضعَينِ بالواردِ فيه؛ فمِن وجهين:

الوَجهُ الأوَّل: أنَّ الترتيبَ الذي استقرَّ عليه القرآنُ في سُوَرِه وآياتِه أصلٌ مُراعًى، وعودَة الضَّميرِ على اللَّفظِ، وما يَرجِعُ إليه أَوْلى، وعَوْدَته على المعنى ثانٍ عن ذلِك، وكِلا التَّعبيرينِ عالٍ فصيحٌ، فعادَ في آيةِ آل عِمران على الكافِ؛ لأنَّها تُعاقِب (مِثل)، وهو مُذكَّر، فهذا لحْظٌ لفظيٌّ، ثم عادَ في آيةِ المائدةِ إلى الكافِ من حيثُ

(١) يُنظر: ((درة التنزيل وغرة التأويل)) للإسكافي (١/ ٣٧٢ - ٣٧٤).

هي في المعنى صِفةٌ؛ لأنَّ المِثل صِفةٌ في التقديرِ المعنويِّ، فحصَلَ مراعاةُ المعنى ثانيًا على ما يجبُ كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٣١] بِعَودةِ الضَّميرِ في ﴿يَقْنُتْ﴾ مُذكَّرًا رَعْيًا لِلَفْظ ﴿مَنْ﴾، ثم قال: ﴿وَتَعْمَلْ﴾ بالتاءِ رَعيًا للمعنى، وهو كثيرٌ، ورَعْيُ اللَّفظِ في ذلك هو الأَوْلَى، فجرَى في آيةِ آل عِمران على ذلِك؛ لأنَّها مُتقدِّمةٌ في الترتيبِ، وجرَى في آيةِ المائدةِ على ما هو ثانٍ؛ إذ هي ثانيةٌ في التَّرتيبِ، وذلك على ما يجبُ.

الوجه الثاني: وهو أنَّه قد ورَدَ قبل ضميرِ آيةِ آل عِمران مِن لَدُنْ قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ ...﴾ إلى قولِه: ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ [آل عمران: ٤٤- ٤٩] نحوٌ مِن عِشرينَ ضَميرًا مِنَ ضمائرِ المذكَّرِ، فورَدَ الضميرُ في قوله: ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ ضميرَ مُذكَّرٍ ليُناسِبَ ما تَقدَّمه، ويُشاكِلَ الأكثرَ الواردَ قَبْلَه. أمَّا آيةُ المائدةِ فمُفْتَتَحَةٌ بقوله تعالى: ﴿ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾ وخَلْقُه الطائرَ ونفخُه فيه مِن أَجلِّ نِعَمِه تعالى عليه؛ لتأييدِه بذلك، فناسَبَ ذلك تأنيثَ الضَّمير، ولم تَكثُرِ الضمائرُ هنا ككثرتِها هناك، فجاءَ كلٌّ مِنَ الآيتَينِ على أتمِّ مُناسبةٍ[(١)]، وقيل غير ذلك[(٢)].

- جاء هنا ﴿بِإِذْنِي﴾ أربعَ مرَّات عقيبَ أربعِ جُمَل؛ لأنَّ هذا موضعُ ذِكر النِّعمة، والامتنانِ بها، فناسَب الإسهاب[(٣)].

- وعبَّر هنا في آية المائدة بقوله: ﴿بِإِذْنِي﴾ مُضافًا إلى ضَميرِه سبحانه في أَربعةِ مواضعَ مع وَجازةِ الكلامِ، وتقارُب ألفاظِ الآية، وقد جرَى هذا الغرضُ في آيةِ آلِ عِمران، فورَد فيها ذلك في موضعينِ خاصَّةً مُضافًا

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٦٠)، ((ملاك التأويل)) لأبي جعفر الغرناطي (١/ ٨٣، ٨٤).
(٢) يُنظر: ((البرهان في توجيه متشابه القرآن)) للكرماني (ص: ٨٩- ٩٠).
(٣) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٤٠٧).

إلى اسمِه سبحانه؛ حيث قال: ﴿فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩]؛ لأنَّ آيةَ آلِ عِمرانَ إخبارٌ وبِشارةٌ لمريمَ بما مَنَح لابنِها عيسى عليه السَّلام، وبمقالِه عليه السَّلامُ لبني إسرائيلَ تعريفًا برِسالتِه، وتحدِّيًا بمعجزاتِه، وتبريئًا مِن دَعوى الاستبدادِ، أو الانفرادِ بِقُدرةٍ في مقاله: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ ...﴾ إلى قَوْلِه تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩] إلى ما بَعْدَه، ولم تتضمَّنْ هذه الآيةُ غيرَ البِشارةِ والإعلامِ.

وأمَّا آيةُ المائدة فقُصِد بها غيرُ هذا، وبُنِيَتْ على تَوبيخِ النصارَى، وتعنيفِهم في مقالِهم في عيسى عليه السَّلامُ؛ فوَرَدتْ متضمِّنةً عَدَّه سبحانه إنعامَه على نبيِّه عيسى عليه السَّلامُ على طريقةٍ تُجارِي العتْبَ، وليس بعَتْبٍ، وذلك كقولِ القائلِ لعبدِه الأحبِّ إليه المتبرِّئِ مِن عصيانِه- ولكلامِ الله سبحانه المثلُ الأعلَى -: ألم أفعَلْ لك كذا؟ ألم أُعْطِكَ كذا؟ ويعدِّد عليه نعمًا ثم يقول: أَفَعَلَ لك ذلك غَيري؟ هل أحسَنْتَ إلى فلانٍ إلَّا بما أعطيتُك؟ فيقصدُ السَّيِّدُ بهذا قطعَ تخيُّلِ مَن ظنَّ أنَّ ما كان مِن هذا العبدِ مِن إحسانٍ إلى أحدٍ أنَّ ذلك مِن قِبَلِ نفسِه، وليس مِن قِبَلِ سيِّده، فإذا قرَّره السيدُ على هذا، واعترف العبدُ بأنَّ ذلك كما قال السيِّدُ، انقطعَتْ حجةُ مَن ظنَّ خلافَه، وتوهَّم استقلالَ العبدِ، فعلى هذا النحوِ- واللهُ أعلم- وردت الآيةُ الكريمةُ؛ لذلك تكرَّر فيها ما تَكرَّر مع الآياتِ قولُه تعالى: ﴿بِإِذۡنِي﴾ وتكرَّر ذلك أربعَ مرَّاتٍ عقبَ أربعِ آياتٍ ممَّا خُصَّ به عليه السَّلامُ مِن خَلْقِ الطيرِ، والنَّفخِ فيه فيَحيَا، وإبراءِ الأكْمَهِ والأبرصِ، وإحياءِ الموتَى.

وهي مِن الآياتِ التي ضلَّ بسببِها مَن ضَلَّ مِن النَّصارَى، وحمَلَتْهم على قولِهم بالتثليثِ، تعالى الله عمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا؛ فأعْلَمَ اللهُ سبحانه وتعالى أنَّ تلك الآياتِ بإذنِه، وأكَّد ذلك تأكيدًا يرفَعُ توهُّمَ حوْلٍ أو قُوَّةٍ لغيرِ اللهِ سبحانه،

أو استبدادٍ ممَّن ظنَّه، ونزَّه نبيَّه عيسى عليه السلامُ عن نِسبةِ شَيءٍ من ذلك لنَفْسِه مُستقلًّا بإيجادِه، أو ادِّعاءِ فِعلِ شيءٍ إلَّا بقُدرةِ ربِّه سبحانه وإذْنِه، وبرَّأه مِن شَنيعِ مقالَتِهم؛ فآيةُ آلِ عمران بشارةٌ وإخبارٌ لمريم، وآيةُ المائدةِ واردةٌ فيما يقولُه سبحانه لعيسى عليه السَّلامُ توبيخًا للنَّصارى، فلمَّا اختلَفَ القصدانِ اختلفتِ العبارتانِ(١).



(١) يُنظر: ((ملاك التأويل)) لأبي جعفر الغرناطي (١/ ٨٤- ٨٥).

الآيات (١١١ - ١١٥)

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ (١١١) إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١١٢) قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (١١٣) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١٤) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (١١٥)﴾.

غريبُ الكَلِماتِ:

﴿أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾: أي: قَذَفتُ في قلوبِهم، ويُطلَقُ الوحيُ والإيحاءُ على إلْقاءِ المعنى إلى صاحبِه، والإلهامِ، والإشارةِ والكِتابة؛ وأصلُ الوَحْي: يدُلُّ على إلْقاءِ عِلمٍ في إخفاءٍ، وكلُّ ما ألْقيتَه إلى غيرِك حتَّى عَلِمَه فهو وَحْيٌ كيف كانَ[1].

و ﴿الْحَوَارِيِّينَ﴾: جمْع حوارِيٍّ، وهمْ أصفياءُ عِيسى عليه السَّلام، وشِيعتُه وناصِرُوه، وخُلاصةُ أصحابِه، وشاعَ استعمالُه في الَّذين خَلَصوا، وَأَخْلَصُوا فِي التَّصْدِيق بالأنبياءِ ونُصرتِهم؛ قيل: سُمُّوا بذلك؛ لأنَّهم كانوا يُحوِّرون الثِّياب، أي: يُبيِّضونَها، واشتقاقُهُ من حُرْتُ الثوبَ، أي: أَخْلَصْتُ بياضَه بالغَسْلِ، ومنه يُقال للدَّقيق الأبيضِ النَّقيِّ: حُوَّارَى. وقيل: اشتقاقُه مِن: حارَ يحورُ: إذا رجَع، فكأنَّهم الرَّاجعونَ إلى اللهِ، وقيل: هو مُشتَقٌّ من نقاءِ القَلْبِ وخُلوصِه وصِدْقه[2].

---

(١) يُنظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦/ ٩٣)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٥٨ - ٨٥٩)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٢٢).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٤٦٤)، ((غريب القرآن)) للسجستاني (ص: ١٨٥)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ١١٦)، ((تذكرة الأريب)) لابن الجوزي (ص: ٤٥)،

﴿عِيدًا﴾: أي: يَومًا نُعظِّمه، ونَعبُد اللهَ ونُصلِّي له فيه، وهو اليومُ الذي نزَلَتْ فيه المائدةُ، والعيد: كلُّ ما يُعاوِدُ الإنسانَ مرَّةً بَعدَ أُخْرَى، وأصل (عود): يدلُّ على تَثنيةٍ في الأمْرِ، ومنه العيدُ؛ لأنَّه يَعودُ كلَّ عامٍ، أو لأنَّه يُعادُ إليه أو لأنَّه اعتِيدَ[1].

المَعنَى الإجماليُّ:

يُذكِّر اللهُ تعالى نبيَّه عيسى عليه السَّلامُ ممتنًّا عليه بما يَسَّر له مِن أتْباعٍ، وأنَّه ألْهمَ سبحانه وتعالى الحواريِّينَ- وهم الخُلَّص من أصحابِ عيسى عليه السَّلامُ- أن يُؤمِنوا به عزَّ وجلَّ وبرسولِه عيسى عليه السلامُ، فأَعْلنوا إيمانَهم، واستشهدوه على أنَّهم مُسلِمونَ.

ثم يُذكِّر اللهُ سبحانه عيسى عليه السَّلام أيضًا حين قال له الحواريُّون: هل يفعل ربُّك إذا سألتَه أن يُنزِّل علينا مائدةَ طعامٍ من السَّماءِ، فأمَرَهم عيسى عليه السَّلام أن يتَّقوا اللهَ ولا يَطلُبوا هذا الأمرَ إنْ كانوا حقًّا مؤمنينَ. فأجابوه أنَّهم يُريدون أنْ يأكُلوا منها؛ لتَطمئِنَّ قلوبُهم، ويعلموا يَقينًا أنَّ عيسى صادقٌ فيما جاءَ به، ويكونوا شهودًا على هذه الآيةِ التي نزلتْ مِن الله، ويُبلِّغوها لِمَن لم يَشهَدْها، حينَها دعَا عيسى ربَّه أنْ يُنَزِّلَ عليهم مائدةً من السَّماء؛ تكونُ عيدًا لهم ولِمَن بعدَهم، وعلامةً وبُرهانًا منه تعالى تدلُّ على وحدانيَّتِه، وعلى صِدق ما جاء به عيسى، وأنْ يَرزُقَهم تعالى وهو خيرُ الرَّازقينَ. فأجابَ اللهُ سبحانه أنَّه مُنزِّلها عليهم، لكنْ مَن كفَرَ بعد إنزالِ هذه الآيةِ فإنَّه تعالى سيُعذِّبُه عذابًا شديدًا،

((التبيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/ ٢٦٥)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٣/ ٢٠٩)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٢٤).

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ١٤٩)، ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٢٤)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٤/ ١٨١- ١٨٣)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٥٩٤).

لا يُعذِّبُه أحدًا من العالَمِين.

تَفْسيرُ الآياتِ:

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾.

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى ﴾.

أي: واذْكر أيضًا- يا عيسى- إذ يسَّرْتُ لك أتْباعًا وأنصارًا، فألهمتُ الخُلَّصَ مِن أصحابِك، وألقيتُ في قلوبِهم الإيمانَ بي وبرسولي[(١)].

﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾.

أي: قال الحواريُّون: آمنَّا بما وجَب علينا اعتقادُه بقلوبِنا، واشهدْ علينا[(٢)] بأنَّنا خاضِعونَ لله تعالى، طائِعون له بأعمالِنا[(٣)].

﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾.

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١١٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٢٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٢٠-٥٢٢).
اختار أنَّ المراد بالوحيِ هنا الإلهامُ: ابنُ جرير في ((تفسيره)) (٩/ ١١٦-١١٧)، وابن كثير في ((تفسيره)) (٣/ ٢٢٤)، والسعدي في ((تفسيره)) (ص: ٢٤٨).
وقيل المراد: أوحيتُ إليهم بواسطتِك يا عيسى، فدعوتَهم إلى الإيمان باللهِ وبرسولِه، وجعلَه ابن كثير احتمالًا في ((تفسيره)) (٣/ ٢٢٤)، والسعدي في ((تفسيره)) (ص: ٢٤٨).
وذهَب ابن عثيمين إلى حمْل الآية على كِلا المعنيين. يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٢٠).

(٢) قيل: الخِطابُ مُوجَّه لله تعالى، وقيل: لعيسى عليه السلام. يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١١٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٢٢-٥٢٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١١٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٢٤)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٢٢-٥٢٣).

القِراءاتُ ذاتُ الأثرِ في التَّفسير:

في قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ قِراءتان:

١- قراءة (تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ) على الخِطاب من الحواريِّين لعيسى عليه السلام، يعني: هل تَقدِر يا عيسى، أنْ تَسألَ ربَّك، وكان الأَصْلُ على هذه القِراءَةِ (هَلْ تستطيعُ سؤالَ رَبِّك)، فحُذِفَ المضافُ (سُؤالَ)، وأُقيمَ المضافُ إليه (رَبِّك) مُقامَه؛ فأخَذَ إعرابَه فنُصِبَ[١].

٢- قِراءة ﴿يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ﴾، أي: هلْ يَفعلُ ربُّك؟ فلَفْظُه لفظُ الاستفهامِ، ومعناه معنى الطَّلبِ والسُّؤالِ[٢].

﴿إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

أي: اذكرْ حين قال الحواريُّون طلبًا لزيادةِ اطمئنانِ قُلوبِهم: يا عيسى ابنَ مريمَ، هل يفعَلُ[٣] ربُّك إذا سألتَه أن يُنزِّلَ علينا مائدةَ طعامٍ من السَّماءِ[٤]؟

﴿قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

---

(١) قرأ بها الكسائي. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٨).
ويُنظر في معنى هذه القِراءة: ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: ٢٤٠-٢٤١)، ((الكشف)) لمكي (١/ ٤٢٠).

(٢) قرأ بها الباقون. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٨).
ويُنظر في معنى هذه القراءة: ((الحجة في القراءات السبع)) لابن خالويه (ص: ١٣٥)، ((معاني القراءات)) للأزهري (١/ ٣٤٣).

(٣) وهذا اختيارُ ابنِ جريرٍ في ((تفسيره)) (٩/ ١١٨)، والواحديِّ في ((الوجيز)) (ص: ٣٤١)، وابنِ عطيةَ في ((تفسيره)) (٢/ ٢٥٩)، واستحسنه القرطبيُّ في ((تفسيره)) (٦/ ٣٦٥)، واختاره السعديُّ في ((تفسيره)) (ص: ٢٤٨)، وابن عاشور في ((تفسيره)) (٧/ ١٠٥).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ٥٨٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ١٥٨)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٢٣-٥٢٤).

أي: قالَ عيسى عليه السَّلامُ للحواريِّين: الْزَموا التَّقوى، ولا تَسألُوا هذا الأمرَ إنْ كنتُم مؤمنينَ حقًّا، وإذا كنتُم كذلك فما حاجتُكم إلى هذه المعجزةِ[1]؟!

﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾.

﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾.

أي: قال الحواريُّون: إنَّما أَرَدْنا مِن سؤالِك ذلك، التشرُّفَ بالأكلِ مِن تلك المائدةِ، فنعلمُ يقينًا قدرةَ الله على كلِّ شيءٍ، وتسكُن بذلك قلوبُنا، ويَستقرُّ إيمانُها[2].

كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

أي: ونعلمَ يقينًا صِدقَك يا عيسى، وصِدقَ ما جئتَ به، ونشهدَ على أنَّ المائدةَ آيةٌ من عند الله عزَّ وجلَّ، وحُجَّةٌ لنا نُبلِّغها مَن لم يَشهَدْها[3].

﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾.

﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾.

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٢٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٨-٢٤٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ١٠٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٢٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٢٢-١٢٣)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ١٠٧)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٢٦).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٢٢-١٢٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٢٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٩)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ١٠٧).

أي: دعَا عيسى عليه السَّلامُ ربَّه سبحانه مستجيبًا لطلبِ الحواريِّين، فقال: اللهمَّ ربَّنا، أنزِلْ علينا مائدةَ طعامٍ من السَّماء، نتَّخِذُ وقتَ نزولها عيدًا نَعبُدك فيه، ونتذكَّرُها نحن ومَن بعدَنا[1].

﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾.

أي: وتكونُ حجَّةً وعلامةً منك، يا ربِّ، على عبادِك، دالَّةً على وحدانيَّتِك وصِفاتِك، وعلى صِدْقِ ما جئتُ به[2].

﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

أي: وأعْطِنا مِن عِندِك؛ فإنَّك يا ربِّ، خيرُ مَن يُعطي؛ فلا أحدَ أكرمُ منك[3].

﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١١٥﴾.

أي: قال اللهُ تبارَك وتعالى: إنِّي مُنزِّلها عليكم فمُطعِمكُموها، ولكن مَن وقَعَ منكم في الكفرِ بعدَ إنزالي هذه الآيَةَ العظيمةَ، فإنِّي أُوقِعُ عليه عذابًا شديدًا، لا أُعذِّبُه أحدًا من عالَمِي زمانِه[4].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٢٣-١٢٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٣١-٥٣٢).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٢٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٢٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٣٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٢٥)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٢٥)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٣٢).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٣١-١٣٢)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٢٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٩).

اختار أنَّ المراد بالعالَمين هنا: عالَمُو زَمانِهم: ابنُ جرير في ((تفسيره)) (٩/ ١٣٢)، والواحدي في ((الوجيز)) (ص: ٣٤٢)، وابن كثير في ((تفسيره)) (٣/ ٢٢٥).

الفَوائِدُ التَّربويَّة:

١- قَوْلُه تعالى: ﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ﴾ يدلُّ على التلطُّف والتأدُّب في السُّؤالِ، كما هو مناسبٌ لأهل الإيمانِ الخالِصِ، ليس شكًّا في قُدرةِ الله تعالى، ولكنَّهم سألوا آيةً لزيادةِ اطمئنانِ قلوبِهم بالإيمانِ، بأن ينتقِلوا من الدَّليل العقليِّ إلى الدَّليلِ المحسوس؛ فإنَّ النفوسَ بالمحسوسِ آنَسُ، كما لم يكن سؤالُ إبراهيمَ بقوله: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠] شكًّا في الحالِ[(١)].

٢- في قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ أمْرٌ بملازمة التَّقوى، وعدمِ تزلزلِ الإيمان؛ ولذلك جاءَ بـ﴿إِن﴾ المفيدة للشكِّ في الإيمانِ؛ ليعلمَ الداعي إلى ذلك السؤالِ خشيةَ أنْ يكونَ نشأَ لهم عن شكٍّ في صِدْقِ رَسولِهم، فسألوا معجزةً يَعلمون بها صِدقَه بعدَ أن آمنوا به، وهو قريبٌ من قوله تعالى لإبراهيمَ المحكيِّ في قوله: ﴿قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِن﴾ [البقرة: ٢٦٠]، أي: ألم تكُن غنيًّا عن طَلَبِ الدَّليل المحسوس؛ فالمرادُ بالتقوى في كلامِ عيسى ما يَشملُ الإيمانَ وفروعَه[(٢)].

٣- أنَّه يَنبغي للإنسانِ في حالِ الدُّعاء أنْ يذكُر هذينِ المعنيَيْنِ: الألوهيَّةَ والربوبيَّةَ؛ لِقَوْلِه: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ﴾؛ لأنَّ هذا نوعٌ من التوسُّل؛ يتوسَّلُ الإنسانُ

وقال ابنُ عُثيمين: (لو قال قائل: قوله تعالى: ﴿فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ألَا يجوزُ أن يكون هذا خاصًّا بعالَمي زمانهم؟

الجواب: إذا دلَّ دليلٌ على هذا فلا بأس، مِثل قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧]، أمَّا إذا لم يدلَّ دليلٌ فالأصل العُموم) ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٣٧).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ١٠٥).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٧/ ١٠٦).

بألوهيَّةِ الله عزَّ وجلَّ وربوبيَّته[١].

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِف:

١- إثباتُ وحيِ الله عزَّ وجلَّ؛ لِقَوْلِه: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ﴾، ووحيُ الله ينقسِمُ إلى قِسمين: وحيُ شرْعٍ، وهو لا يكون إلَّا للأنبياءِ والرُّسُل، ووحيُ إلهامٍ كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧]، وقولِه تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [النحل: ٦٨]، فالأوَّل يتعلَّق بالشَّرعِ، والثاني يتعلَّقُ بالكَوْنِ[٢].

٢- في قوله تعالى: ﴿أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ قدَّم اللهُ تعالى ذِكْرَ الإيمانِ على الإسلامِ؛ لأنَّ الإيمانَ صِفةُ القلْبِ، والإسلامَ عبارةٌ عن الانقيادِ والخُضوعِ في الظَّاهِرِ، يعني: آمِنوا بقلوبِكم، وانقَادُوا بظواهِرِكم[٣].

٣- أنَّ الإيمانَ باللهِ لا يتمُّ إلَّا بالإيمانِ برسولِه؛ لِقَوْلِه: ﴿أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾[٤].

٤- جوازُ حذْفِ المعلوم؛ حيث قالوا: ﴿آمَنَّا﴾ ولم يقولوا: بكَ وبرسولِك؛ لأنَّ هذا معلومٌ، فالمُطلَق يُحمَل على المقيَّدِ إذا كان معلومًا، فإذا عقَد الإنسانُ عَقْدًا، وذكَر عند الإيجابِ شُروطًا، فقال الآخَرُ: قبلتُ البيعَ منك؛ مثال ذلك قال: بعتُك هذا البيتَ على أن أسكُنَ فيه سَنةً، فقال: قبلتُ البيعَ؛ هل يَثْبُت الشَّرطُ؟ نعمْ يَثبُت؛ لأنَّ قبولَه البيعَ، يعني القَبولَ بهذا الشَّرطِ، وإنْ لم يُذْكَر،

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ١٠٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٣٢).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٢٧).
(٣) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٦١).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٢٧).

لكنَّه معلومٌ من السِّياقِ[(١)].

٥- جوازُ استثباتِ الشيءِ بالإشهادِ عليه؛ لِقَوْلِه: ﴿واشْهَدْ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ﴾[(٢)].

٦- قَوْلُه: ﴿ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾، استُدلَّ به على أنَّ الإيمانَ هو الإسلامُ، ولكنَّ هذا القولَ على إطلاقِه فيه نظرٌ، والصوابُ أنَّ الإسلامَ إذا أُفرِدَ دخَل فيه الإيمانُ، وإذا ذُكِرَ مع الإيمانِ صارَ له معنًى آخَرُ، ويدلُّ لهذا التفصيلِ قولُ الله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]، يعني: لم يدخُلْ لكن قريبًا يدخُلُ؛ لأنَّ (لَمَّا) تُفيدُ النَّفيَ مع قُربِ المنفيِّ، وتُخرَّج هذه الآيةُ بناءً على ذلك بأنَّهم جمَعوا بين الإيمانِ والإسلامِ، فيكون الإيمانُ في القلوبِ، والإسلامُ في الجوارحِ، يعني: أنَّهم آمنوا وانقادُوا انقيادًا تامًّا لأوامرِ اللهِ ورسولِه[(٣)].

٧- في قولِه تعالى: ﴿قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ أتتْ هذه المعاطيفُ مُرتَّبةً ترتيبًا لطيفًا؛ وذلك أنَّهم لا يأكلونَ منها إلَّا بعدَ مُعاينةِ نُزولِها، فيجتمع على العِلم بها حاسَّةُ الرؤيةِ وحاسَّةُ الذَّوق؛ قال تعالى: ﴿نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾ فبذلِك يزولُ عن القَلْب قلقُ الاضطراب، ويَسكُنُ إلى ما عاينَه الإنسانُ وذاقَه ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾، وباطمئنانِ القلبِ يَحصُلُ العلمُ الضروريُّ بِصِدقِ مَن كانتِ المعجزةُ على يديه؛ إذ جاءت طِبْقَ ما سألَ ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾[(٤)].

٨- قَوْلُه: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ هذه مُتعلِّقة بقولِه: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾؛ لأنَّ

---

(١) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٥٢٨).

(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٢٨).

(٤) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٤١١).

الإيمانَ يَحمِلُ على التقوى، وهي شرطٌ في قوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾[١].

٩- يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أنَّ وقوعَ الشيءِ يُعطي يقينًا أكثرَ من الخبرِ به[٢].

١٠- في قوله تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ سأل عيسى عليه السَّلام نزولَها وأنْ تكونَ لهاتين المصلحتَينِ: مصلحة الدِّين، بأن تكونَ آيةً، ومصلحة الدنيا، وهي أنْ تكونَ رزقًا[٣].

١١- أنَّ ما جاء على خِلاف المعهودِ وكان خارقًا للعادة فهو آيةٌ؛ لِقَوْلِه: ﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾ وجهُ ذلك أنَّه لم يُعْهَد أنَّ المائدة تَنْزِلُ من السَّماء عِيانًا يُشاهدُها النَّاسُ، فيكونُ نزولُها- ولا سيَّما أنَّه بطَلَبٍ بعد اقتراحٍ- آيةً ودليلًا على صِدْق مَن تَكلَّم بالرِّسالة[٤].

١٢- في قولِه تعالى: ﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ إطلاقُ الرِّزق على غيرِ الله عزَّ وجلَّ؛ بمعنى: أنَّه يَصِحُّ أنْ نَصِفَ غيرَ الله بأنَّه رازقٌ؛ لأنَّ الرِّزْق بمعنى: العطاء، ولكنَّ الرِّزقَ الأكمَل والأَوفى هو رِزقُ الله تبارك وتعالى[٥].

١٣- إثباتُ الكلامِ لله عزَّ وجلَّ؛ لِقَوْلِه: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾، وأنَّ كلامَه تعالى بحرفٍ وصوتٍ؛ لأنَّه تعالى قال قولًا وصَل إليه، ولا يُمكن أنْ يصلَ إليه إلَّا بصوتٍ، وأنَّ كلامَ الله تبارك وتعالى بحرفٍ، بل بحروفٍ متتابعةٍ؛ لأنَّ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥١٩).
(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٥٣٠).
(٣) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٩).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٣٣).
(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)).

اللهَ قال: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ﴾ وهذه حروفٌ متتابعةٌ لا إشكالَ فيها[1].

١٤- قَوْلُه تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ﴾ فيه تحذيرٌ لهم من الوقوعِ في الكُفْر بعد الإيمان؛ إعلامًا بأهميَّةِ الإيمانِ عند الله تعالى، فجعَل جزاءَ إجابتِه إيَّاهم ألَّا يعودُوا إلى الكُفرِ؛ فإنْ عادوا عُذِّبوا عذابًا أشدَّ من عذابِ سائرِ الكفَّار؛ لأنَّهم تَعاضَدَ لديهم دليلُ العقلِ والحِسِّ؛ فلم يَبقَ لهم عُذْرٌ[2].

١٥- إثباتُ أنَّ العذابَ له أَعْلى وله أَدْنى؛ لِقَوْلِه: ﴿فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فهذا دليلٌ على أنَّ العذابَ يتفاوتُ من شخصٍ لآخَر، وتفاوُتُ العذابِ أسبابُه كثيرة؛ منها: قلَّة الدَّاعي إلى الذنبِ؛ فإنَّ قلَّة الدَّاعي إلى الذَّنب تُوجِبُ شِدَّةَ العقوبةِ عليه، وانظرْ إلى قولِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ((ثلاثةٌ لا يُكلِّمهم الله يومَ القيامةِ، ولا يُزكِّيهم- وفي روايةٍ: ولا ينظرُ إليهم- ولهم عذابٌ أليمٌ: شيخٌ زانٍ، وملِكٌ كذَّابٌ، وعائِلٌ مستكبِرٌ))[3].

١٦- يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أنَّ كُفرَ مَن رأوا الآياتِ ليس ككُفرِ مَن لم يَرَوْها؛ فالأوَّل أعظمُ، أي: مَن رأى الآياتِ؛ لأنَّ مَن رأى الآياتِ فقد رآها عينَ اليقينِ، ومَن نُقِلَتْ إليه فقدْ عَلِمَها عِلمَ اليقين، أي: بواسطةٍ[4].

بَلاغةُ الآياتِ:

١- قَوْلُه: ﴿أَنْ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي﴾ في إيرادِ اللهِ تعالى لعِيسى عليه السَّلام

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٣٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ١١١).

(٣) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٣٥٨)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٣٩). والحديث رواه مسلم (١٠٧) من حديث أبي هريرة.

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٤٠).

بعنوانِ الرِّسالة ﴿وَبِرَسُولِي﴾ تَنْبيهٌ على كيفيَّةِ الإيمانِ به عليه السَّلام، كأنَّه قيل: آمِنوا بوحدانيَّتي في الأُلوهيَّة والرُّبوبيَّة، وبرِسالة رسولي، ولا تُزيلوه عن حيِّزه حطًّا ولا رَفعًا[(١)]، مع ما في الإضافةِ مِن التَّشريفِ له.

٢- **قَوْلُه:** ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾

استئنافٌ مبنيٌّ على سؤالٍ نشأ من سَوقِ الكلام، كأنَّه قيل: فماذا قالوا حِينَ أُوحيَ إليهم ذلك؟ فقيل: قالوا: آمنَّا...[(٢)].

- وفيه مناسبة حسَنةٌ، حيث ثبَتَتْ النونُ في آية المائدة هنا في قوله: ﴿بِأَنَّنَا﴾، وحُذفت من ﴿بِأَنَّا﴾ في آية آل عِمران في قوله: ﴿وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢]؛ تخفيفًا، وكِلاهما جائز، والإثباتُ هو الأصل، ووجهُ تخصيصِ كلٍّ من الموضعين بما ورد فيه: أنَّ آية المائدة لَمَّا ورد فيها التفصيلُ فيما يجبُ الإيمانُ به، وذلك قوله: ﴿أَنْ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي﴾ فجاءَ على أتمِّ عبارةٍ في المطلوب وأوفاها، ناسَب ذلك ورود ﴿أَنَّنَا﴾ على أوْفَى الحالين، وهو الورود على الأصل. وقيل: لَمَّا كان الإيمانُ باطنًا فلا بدَّ في إثباتِه من دليلٍ ظاهر، وكان في سِياقِ عدِّ النِّعم، والطواعيةِ لوحيِ الملِك الأعظمِ دلُّوا عليه بتمامِ الانقيادِ، ناسَبَ المقامَ زيادةُ التأكيدِ بإثبات النون الثالثةِ في قولِهم: ﴿وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا﴾ بخِلاف آل عمران.

- وأيضًا قال تعالى في آل عمران: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ ...﴾ [آل عمران: ٥٢]، وقال هنا في المائدة: ﴿ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ ...﴾ [المائدة: ١١١] دون قوله: ﴿بِٱللَّهِ﴾؛ لأنَّه لَمَّالم يقعْ إفصاحٌ بهذا التفصيلِ في آيةِ آل عمران؛ حيث قال:

(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٩٦).
(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)).

﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾، فلم يقع فيها (وَبِرَسُولِهِ)؛ إيجازًا للعِلم به وشهادةِ السِّياق، ولأنَّه تقدَّم ذِكر اللهِ فقطْ في آل عمران، وهنا في المائدة جاء ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ فلم يَتقيَّد بلفظ الجلالةِ؛ إذ قد تقدَّم ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي﴾؛ فناسَب ما في آل عمران الإيجازَ، كما ناسَب الإتمامُ في آيةِ المائدةِ الإتمامَ، وجاء كلٌّ على ما يجب، ولو قُدِّر ورودُ العكسِ لَمَا ناسَب، والله سبحانه أعلمُ بما أراد[١].

٣- قَوْلُه: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى...﴾ كلامٌ مستأنفٌ لبيانِ بعضِ ما جرَى بين عيسى عليه السَّلام وقومِه، وهو منقطِعٌ عمَّا قبله بدليلِ الإظهارِ في موقِع الإضمارِ- حيث قال: ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾، ولم يقل: (قالوا)- و﴿إِذْ﴾ منصوبةٌ بفعل مُضمَر، تقديره: اذْكُر، وخُوطِبَ به النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بِطَريقِ تلوينِ الخطابِ والالتفاتِ[٢].

- وابْتدأَ الحواريُّون خِطابَهم عيسى بندائِه باسمِه؛ للدَّلالة على أنَّ ما سيقولونَه أمرٌ فيه اقتراحٌ وكُلْفةٌ له، وكذلك شأنُ مَن يُخاطِب مَن يَتجشَّم منه كُلْفةً أن يُطيلَ خِطابَه؛ طلبًا لإقبالِ سمْعِه إليه؛ ليكون أوْعَى للمقصودِ[٣].

٤- قَوْلُه: ﴿رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ فيه: تقديمُ الظرفِ ﴿عَلَيْنَا﴾ على المفعولِ: ﴿مَآئِدَةً﴾ للاهتمامِ بالمقدَّمِ، والتَّشويقِ إلى المؤخَّر[٤].

(١) يُنظر: ((ملاك التأويل)) لأبي جعفر الغرناطي (١/ ٨٧)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٤٠٨)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٣٤٢).
(٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٩٦).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ١٠٥).
(٤) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ٩٨).

- وأسندَ ذلك إلى المائدةِ في قَوْله: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ لأنَّ شَرفَ اليومِ مُستعارٌ مِن شرَفِها[١].

٥- **قَوْلُه:** ﴿**وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ**﴾ تذييلٌ جارٍ مجرَى التَّعليل، أي: خيرُ مَن يرزقُ؛ لأنَّه خالقُ الأرزاقِ، ومُعطيها بلا عِوَضٍ[٢].

٦- **قَوْلُه:** ﴿**إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ**﴾ التعبيرُ عن الجوابِ بصِيغة التَّفعيل ﴿**مُنَزِّلُهَا**﴾، المُنْبِئَةِ عن التكثيرِ، مع كونِ الدُّعاءِ منه عليه السَّلام بصيغة الإفعال ﴿أَنْزِلْ﴾؛ لإظهارِ كمال اللُّطفِ والإحسانِ، مع ما فيه مِن مراعاةِ ما وقَع في عِبارة السَّائلين ﴿يُنَزِّل﴾[٣].

- وفي تصديرِ الجُملةِ بكلمة التحقيق (إنَّ) وجعْل خبرها اسمًا (مُنزِّل) تحقيقٌ للوعد، وإيذانٌ بأنَّه تعالى مُنْجِزٌ له لا محالةَ، مِن غير صارفٍ يُثْنيه، ولا مانعٍ يلويه[٤].



(١) يُنظر: ((المصدر السابق)).
(٢) يُنظر: ((المصدر السابق)).
(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).
(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

الآيات (١١٦ - ١٢٠)

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ
ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ
مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي
بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ
ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ
أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْۚ لَهُمْ جَنَّٰتٞ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرُۢ ﴿١٢٠﴾﴾.

غريبُ الكَلِماتِ:

﴿تَوَفَّيْتَنِي﴾: أي: قبَضْتَني إليك؛ يُقال: تَوَفَّيْتُ الشيءَ واستوفيتُه: إذا أخذتَه كلَّه حتى لم تترُكْ منه شيئًا، واستيفاءُ الشيءِ استقصاؤُه كلِّه، ومنه يُقال للميِّت: توفَّاه اللهُ، وأصل (وفي): يدلُّ على إكمالٍ وإتمام(١).

﴿ٱلرَّقِيبَ﴾: أي: الحافظَ، والعالِمَ، والمطَّلِعَ، وأصل (رقب): انتصابٌ لمراعاةِ شيءٍ(٢).

مُشكِلُ الإعرابِ:

قوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾.

---

(١) يُنظر: ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: ٢٤)، ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٣٧)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٦/ ١٢٩)، ((المفردات)) للراغب (ص: ٨٧٨)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٣٢٢).

(٢) يُنظر: ((غريب القرآن)) للسجستاني (١/ ٢٣٦)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢/ ٤٢٧)، ((التبيان)) لابن الهائم (ص: ١٣٥)، ((الكليات)) للكفوي (ص: ٤٨٤).

﴿يَوْمُ﴾: قُرِئَ بالرَّفْعِ والنَّصب، وهو مُعرَبٌ على القَوْلِ المُختارِ؛ لأنَّه مُضافٌ إلى مُعرَب، فبَقِيَ على حَقِّه من الإعرابِ؛ فعلى قِراءة الرَّفع فهو خبرٌ لـ ﴿هَٰذَا﴾. وعلى قِراءة النصبِ فهو منصوبٌ على أنَّه ظرفٌ للخبرِ المحذوفِ، أي: هذا يقَعُ أو يكونُ يومَ يَنفعُ. وقيل: إنَّ «يَوْمَ» مبنيٌّ في مَوضِعِ رفعٍ خَبرُ ﴿هَٰذَا﴾، ولكنَّه بُنِيَ على الفتْحِ؛ لإضافَتِه إلى الفِعلِ، وجُملة ﴿هَٰذَا يَوْمُ ...﴾ مَقولُ القولِ في مَحلِّ نصْبٍ[1].

المَعنَى الإجماليُّ:

يُذكِّرُ اللهُ تعالى بقولِه لِعيسى عليه السَّلام يومَ القيامة بحَضرةِ النَّصارى؛ توبيخًا لهم: يا عيسى ابنَ مريم، هل أنتَ أَمَرْتَ الناسَ أن يَجعلوك وأمَّك معبودَين، تُعْبَدانِ مِن دون اللهِ تعالى؟ فيُجيبُ عيسى عليه السَّلام: أُنزِّهُك يا ربِّ، عن كلِّ ما لا يَليق بك؛ لا يَنبغي لي أنْ أقولَ ما ليس لي بحقٍّ، إنْ كنتُ قلتُه فأنت تعلمُه؛ فإنَّه لا يَخفى عليك شيءٌ، فأنت تَعلمُ ما أُضْمِرُه في نفْسي، ولا أعلمُ ما تُخْفيه في نفْسِك؛ إنَّك أنتَ علَّامُ الغيوب. ما قلتُ لهم إلَّا ما أمَرْتَني به أن يَعبدُوك؛ فإنَّك ربِّي وربُّهم، وكنتُ شاهدًا على أعمالِهم حينَ كنتُ بينهم، فلمَّا قبَضْتَني برَفْعي إلى السَّماء حيًّا، كنتَ أنتَ المطَّلِعَ عليهم، وأنتَ على كلِّ شيءٍ شهيدٌ، إنْ تُعذِّبْهم فإنَّهم عِبادُك تفعلُ بهم ما تشاءُ، وإنْ تغفرْ لهم فإنَّك أنتَ العزيزُ الحكيم. قال الله مجيبًا له: هذا اليوم- الذي هو يومُ القيامة- هو الوقتُ الذي يَنفعُ الصَّادقين صِدقُهم، لهم جنَّاتٌ تَجري الأنهارُ من تحتِ أشجارِها وقصورِها، ماكثِينَ فيها على الدَّوامِ، رضِيَ اللهُ عنهم ورضُوا عنه، ذلك هو الفوزُ العظيم.

ثم أخبَرَ تعالى أنَّ له وحْدَه مُلكَ السَّموات والأرض وما فيهنَّ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

---

(١) يُنظَر: ((مشكل إعراب القرآن)) لمكي (١/ ٢٤٤- ٢٤٥)، ((التبيان في إعراب القرآن)) للعكبري (١/ ٤٧٧).

تَفْسيرُ الآياتِ:

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

أي: واذكُرْ يا محمَّدُ حِينَ يقولُ اللهُ تعالى لعيسى عليه السَّلام يومَ القيامةِ بحَضرةِ النَّصارى توبيخًا لهم: يا عيسى ابنَ مَريمَ، هل قُلتَ بنفسِك للنَّاس: اجْعَلوني أنا وأُمِّيَ مَعبودَينِ مِن دونِ اللهِ سبحانه وتعالى(١)؟

﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾.

أي: قال عيسَى عليه السَّلامُ: أُنزِّهك يا ربِّ، عن هذا الأمرِ الذي لا يَليق بكَ، وما يَنبغي لي أنْ أدَّعِيَ ذلك؛ فما أنا وأمِّي إلَّا عَبْدانِ مِن عِبادِك(٢).

﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾.

أي: إنْ كان قد صدَرَ منِّي هذا فقدْ عَلِمْتَه يا ربِّ؛ فإنَّه لا يَخفَى عليكَ شيءٌ ممَّا قلتُه(٣).

﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾.

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٣٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٣٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٤١-٥٤٢).
واختارَ هذا القولَ أنَّ ذلك يكونُ يومَ القيامةِ: ابنُ كثير في ((تفسيره)) (٣/ ٢٣٢)، والشِّنقيطي في ((العذب النمير)) (٢/ ٣٩٨)، وابن عثيمين في ((تفسير سورة المائدة)) (٢/ ٥٤١).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٣٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٣٢)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٤٢-٥٤٣).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٣٦)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٣٢).

أي: وأنتَ تَعلمُ يا ربِّ، ما أضمرتُه في نفْسي ممَّا لم أنطقْ به؛ فكيفَ بما قد نطقتُ به؟ ولا أعلمُ أنا ما أَخفيتَه عنِّي في نفْسِك، فلمْ تُطْلِعْني عليه؛ لأنِّي لا أعلمُ مِن الأشياءِ إلَّا ما أعلمتَنِيه؛ فأنت الربُّ الخالقُ، وأنا العبدُ المخلوق(١).

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ [ق: ١٦].

﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾.

أي: فأنتَ العالمُ بخَفيَّاتِ الأمورِ التي لا يَعلمُها سِواكَ(٢).

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾.

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾.

أي: ما قلتُ لهم إلَّا الذي كلَّفْتني بإبلاغِه؛ فأنا عبدٌ متَّبِعٌ لأمرك، لا مُتجرِّئٌ على عظمتِك، فمَا أمرتُهم إلَّا بعبادةِ الله تعالى وحْدَه، الذي هو ربِّي وربُّهم، فأنا عبدٌ مربوبٌ مِثلُهم(٣).

﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾.

أي: كنتُ شاهدًا على أعمالِهم حِينَ كنتُ بين أظهُرِهم(٤).

﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾.

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٣٦-١٣٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٣٢)، ((تفسير ابن عثيمين - سورة المائدة)) (٢/ ٥٤٣).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٣٧).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق))، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٣٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٥٠).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٣٧)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٣٣).

أي: فلمَّا قبَضْتَني إليك كنتَ أنتَ المطَّلِعَ عليهم دُوني[(١)].

عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما، قال: ((قامَ فينا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ خطيبًا بموعظةٍ، فقال: يا أيُّها الناسُ، إنَّكم تُحشَرون إلى اللهِ حُفاةً عراةً غُرْلًا؛ ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ألَا وإنَّ أوَّلَ الخَلائقِ يُكسَى يومَ القيامةِ إبراهيمُ عليهِ السلامُ، ألَا وإنَّهُ سيُجاءُ برِجالٍ من أُمَّتي، فيُؤْخَذ بهم ذاتَ الشِّمالِ، فأقولُ: يا ربِّ، أصحابي، فيقال: إنَّك لا تَدري ما أحْدَثوا بعدَك، فأقول، كما قال العبدُ الصالحُ: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧-١١٨]، قال: فيقال لي: إنَّهم لم يزالوا مُرتدِّينَ على أعقابِهم منذُ فارقْتَهم)) وفي رواية: ((فيقال: إنَّك لا تَدْري ما أحْدَثوا بعدَك))[(٢)].

﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾.

أي: وأنتَ الذي تَشهَدُ على كلِّ شيءٍ، ولا يَخفى عليك شيءٌ، ثم تُجازي عبادَك بحسَب ما قدَّموه من خيرٍ وشرٍّ[(٣)].

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾.

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾.

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٣٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٩)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٥٠-٥٥٢).
وقد سبَق في تفسير سُورة آل عمران تفسيرُ قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾، أي: متوفِّيك وفاةَ نوم.
قال الواحديُّ: (﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى﴾ يعني: رفَعْتَني إلى السَّماء). ((الوجيز)) (ص: ٣٤٣).
(٢) رواه البخاري (٣٤٤٧)، ومسلم ((٢٨٦٠) واللفظ له.
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٣٧)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٩).

أي: إنْ تُقدِّرْ لهم فِعلَ ما يَستحقُّون أن يُعذَّبوا عليه؛ لأنَّهم أهلٌ لذلك، فإنَّهم عبادُك، الذين أنتَ أرحمُ بهم من أنفسِهم وأمَّهاتِهم، وأعلمُ بأحوالِهم، فلولا أنَّهم عبادٌ مُتمرِّدون مستحقُّون للعذابِ لم تُعذِّبْهم، وهم عِبادٌ مستسلِمون لك طَوعًا أو كَرهًا؛ فلا يَقدِرون على الامتناعِ ممَّا أردتَ بهم، ولا يَدْفَعون عن أنفُسِهم ضرًّا يَحُلُّ بهم[1].

﴿وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

أي: وإنْ قدَّرتَ لهم أسبابَ المغفرةِ فغَفرتَ لهم، فذلك صادرٌ عن تمامِ عِزَّتك (عزَّة القَدْر والقَهرِ والغَلبةِ والامتناعِ)، لا عنْ عجزٍ وذلٍّ وضَعْف؛ فإنَّك إن أردْتَ الانتقامَ منهم؛ فلا يقدِرُ أحدٌ أن يمنعَ عنك ذلك، لأنَّك العزيز، وصادرٌ أيضًا عن حِكمةٍ؛ فمِن مُقتضَى حِكمتِك أنْ تغفرَ لِمَن أتَى بأسبابِ المغفرةِ، فأنت الحكيمُ، تهدي مَن هدَيتَ مِن خَلقِك إلى التوبةِ، ونَيلِ مغفرتِك[2].

عن عبد اللهِ بنِ عَمرٍو رضي اللهُ عنهما: ((أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ تلا قولَ اللهِ عزَّ وجلَّ في إبراهيمَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ الآية، وقال عيسى عليه السَّلامُ: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾، فرفعَ يديهِ وقال: اللهُمَّ، أُمَّتي أُمَّتي، وبكَى! فقال اللهُ عزَّ وجلَّ: يا جبريلُ، اذهبْ إلى محمَّدٍ- وربُّكَ أعلمُ- فسَلهُ ما يُبكيكَ؟ فأتاهُ جبريلُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ فسَألهُ، فأخبرهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بما قالَ -وهو أعلمُ- فقال اللهُ: يا جبريلُ، اذهبْ إلى محمَّدٍ فقلْ: إنَّا سنُرضِيكَ في أُمَّتكَ ولا نَسُوءُكَ))[3].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٣٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٥٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٥٥).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٣٩)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٥٠)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ١١٧) ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٦٥).

(٣) رواه مسلم (٢٠٢).

وعن أبي ذرٍّ رضِي اللهُ عنه، قال: ((قامَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بآيةٍ حتى أصبحَ يُردِّدُها، والآيةُ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾))[(١)].

﴿قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾.

مُناسَبةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا انقضَى جوابُ عيسى عليه الصَّلاة والسَّلامِ على هذا الوجهِ الجليلِ من تفويضِ الأمْر للهِ في قوله: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، تشوَّف السامعُ إلى جوابِ اللهِ له، فقال تعالى مشيرًا إلى كونِ جوابه حقًّا ومضمونه صِدقًا، منبِّهًا على مَدْحه، حاثًّا على ما بُنِيَت عليه السُّورةُ مِن الوفاءِ بالعُقود[(٢)].

﴿قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾.

القِراءاتُ ذاتُ الأثرِ في التَّفسير:

في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ﴾ قراءتان:

١- قراءة ﴿هَذَا يَوْمَ﴾ بنَصْب ﴿يَوْمَ﴾ وجَعْلِه ظرفًا للفِعل ﴿يَنْفَعُ﴾، وجَعْل ﴿هَذَا﴾ إشارةً إلى ما تقدَّم من الكلام، فقيل: المعنى أنَّ هذا الغُفرانَ والعذابَ يقع في يومِ يَنفعُ الصَّادقين صِدقُهم[(٣)]، وقيل: المعنى أنَّ الله تعالى أجابَ عيسى

(١) أخرجه ابن ماجة (١٣٥٠)، والنسائي (١٠١٠)، وأحمد (٢١٣٨٨)، والحاكم (٨٧٩).
صحَّحه الحاكم في ((المستدرك)) (٨٧٩)، وحسَّنه ابن القطان في ((بيان الوهم والإيهام)) (٥/ ٧٠١)، والألبانيُّ في ((صحيح ابن ماجة)) (١١١٨)، وحسَّن إسناده النوويُّ في ((الخلاصة)) (١ / ٥٩٥)، وصحَّح إسناده العراقي في ((تخريج الإحياء)) (١/ ٣٧٥).

(٢) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٣٦٨)، ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/ ٢٢٨).

(٣) قرأ بها نافع. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٨).

حين قال: ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ إلى قولِه: ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، فقال له عزَّ وجلَّ: هذا القولُ النافعُ، أو هذا الصِّدقُ النافعُ يومَ يَنفعُ الصَّادقين في الدُّنيا صِدقُهم ذلك في الآخِرة عندَ الله؛ فاليومَ وقتُ القولِ والصِّدقِ النَّافع[1].

٢- قِراءة ﴿هَذَا يَوْمُ﴾ برَفْع ﴿يَوْمُ﴾ وجَعْل ﴿هذا﴾ مبتدأً، و﴿يَوْمُ يَنْفَعُ﴾ خبرًا، والمعنى: أنَّ هذا يومُ منفعةِ الصَّادقين[2].

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ﴾.

أي: قال اللهُ تعالى مُجيبًا لعيسى عليه السَّلام: يومُ القيامةِ هذا هو الوقتُ الذي يَجِدُ فيه الصَّادِقون- الذين استَقامتْ أعمالُهم وأقوالُهم على الصِّراطِ المستقيمِ، فأَخْلَصوا للهِ تعالى واتَّبعوا شَرْعَه فيها- ثمرةَ صِدْقِهم[3].

﴿لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا﴾.

مُناسَبَتُها لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا أخبر الله تعالى أنَّ صِدْقَ الصَّادقين في الدُّنيا يَنفَعُهم في القيامة، شرَح كيفيَّةَ ذلك النَّفعِ وهو الثوابُ[4]، فقال تعالى:

﴿لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا﴾.

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((الحجة في القراءات السبع)) لابن خالويه (ص: ١٣٦).

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٤١).

(٢) قرأ بها الباقون. يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (ص: ٢٢٨).
ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((الحجة في القراءات السبع)) لابن خالويه (ص: ١٣٦)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: ٢٤٢).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٣٥)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٥٠)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٦٦).

(٤) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٦٩).

أي: للصَّادقين جنَّاتٌ تَجري من تحتِ أشجارِها وقُصورِها الأنهارُ، ماكثِين فيها على الدَّوام[١].

﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾.

أي: رضِيَ اللهُ عن هؤلاءِ الصَّادقينَ باعتناقِهم الإيمانَ، وبما قاموا به من طاعةِ الرحمنِ، ورَضُوا هم عن اللهِ تعالى في تَوفيقِه لهم إلى الصَّالحات، وفي وفائِه بوَعْدِه لهم بدُخولِ الجَنَّات[٢].

عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه، أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، قال: ((ثمَّ يَتجلَّى لهم ربُّهم تعالى، ثم يقولُ: سَلُوني أُعطِكم، فيَسألونه الرِّضا، فيقولُ: رِضائي أَحَلَّكم دارِي، وأَنالَكُم كرامتي، فسلُوني أُعطِكم، فيسألونَه الرِّضا، فيُشْهِدُهم أنَّه قدْ رَضِيَ عنهم))[٣].

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾.

أي: هذا الثوابُ الذي مَنَحَهم الله تعالى إيَّاه- مِن دُخولِ الجَنَّاتِ التي تَجري مِن تحتِها الأنهارُ، خالدِين فيها أبدًا، مع رِضاه عنهم، ورِضاهم عن ربِّهم- هو الظَّفَرُ الكبيرُ الذي لا أَعْظم منه[٤].

(١) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٤٢)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٦٧-٥٦٨).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٤٢-١٤٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٦٨).

(٣) أخرجه الدارميُّ في ((الرد على الجهمية)) (١٤٤)، وعبد الله بن أحمد في ((السنة)) (١/ ٢٥٠)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٢٠٨٤) والدارقطني في ((رؤية الله)) (٦١).
قال الذهبي في ((العلو)) (٣٠): مشهورٌ وافرُ الطرق. وقال ابن القيِّم في ((حادي الأرواح)) (٢٦٨): (حديثٌ كبيرٌ عظيمُ الشأن، رواه أئمة السنة، وتلقَّوه بالقَبول، وجمَّل به الشافعيُّ مُسندَه). وجوَّد إسنادَه البُوصِيريُّ في ((إتحاف الخيرة المهرة)) (٢/ ٢٥٩)، وقال الهيتميُّ المكي في ((الزواجر)) (٢/ ٢٦٢): إسناده جيِّد قوي. وحسَّنه لغيره الألباني في ((صحيح الترغيب)) (٣٧٦١).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٤٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٣٦)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٦٨-٥٦٩).

﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٢٠﴾.

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا ذَكَر اللهُ عزَّ وجلَّ ما جرَى بَينَه وبينَ عيسى عليه الصَّلاةُ والسَّلام، وأنَّ عيسى تبرَّأ ممَّا يدَّعِي النصارى فيه؛ بَيَّنَ عزَّ وجلَّ أنَّ له مُلكَ السَّمواتِ والأرض، وأنَّ عيسى لا يَصلُح أنْ يكونَ إلهًا لا هو ولا غيرُه؛ لأنَّهم لا يَملِكون شيئًا ممَّا في السَّمواتِ والأرض، فقال سبحانه[(١)]:

﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾.

أي: هو وحْدَه الخالقُ المالكُ للسَّمواتِ والأرضِ وما فيهنَّ، والمدبِّرُ لذلك كلِّه، فالجميعُ مِلكُه، وتحتَ قَهرِه وسُلطانِه وحْدَه سبحانَه، دون عيسى أو غيرِه مِن خَلْقِه[(٢)].

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

أي: وهو سبحانه لا يُعجِزُه شيءٌ أرادَه، وجميعُ الأشياءِ مُنقادةٌ لمشيئتِه[(٣)].

الفَوائِدُ التَّربويَّة:

١- إثباتُ عِلمِ اللهِ بما في نفْس الإنسانِ؛ لِقَوْلِه: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾؛ فالله

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٧٤).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٤٣)، ((تفسير ابن كثير)) (٣/ ٢٣٦).

قال ابن عاشور: (﴿وَمَا فِيهِنَّ﴾ عَطْفٌ على ﴿مُلْكُ﴾، أَي: للَّه ما في السَّمواتِ والأرضِ، كما فِي سُورةِ البقرةِ [٢٨٤] ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فيفيدُ قَصْرَها على كونها للَّه لا لغيره، وليس معطوفًا على السَّمواتِ والأرضِ؛ إذْ لا يحسُنُ أنْ يُقالَ: لِلَّهِ مُلْكُ ما في السَّمواتِ والأرضِ؛ لأنَّ المُلْك يُضافُ إلى الأقْطارِ والآفاقِ والأماكِنِ كما حكَى اللَّهُ تعالى: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ [الزخرف: ٥١]، ويُضافُ إلى صاحِبِ المُلْكِ، كما فِي قولِهِ: ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [البَقَرَة: ١٠٢]). ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ١٢٠).

(٣) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٤٣)، ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٥٠).

عزَّ وجلَّ يعلمُ ما في القلبِ، فينبغي الحذَرُ من أن يكونَ فيه ما يُخالِفُ أمْرَ اللهِ عزَّ وجلَّ[١].

٢- يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أنَّه يجِبُ على العبدِ كمالُ مراقبةِ اللهِ تبارَك وتعالى، بحيثُ لا يَفقِدُه عندَ أمْرِه، ولا يَجِده عندَ نَهيِه؛ لأنَّ الله رقيبٌ عليه[٢].

٣- أنَّ عيسى عليه السَّلام وهو أحدُ أُولي العزمِ من الرُّسل، يُفوِّض الأمرَ إلى الله؛ حيثُ قال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ﴾، ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾، وهكذا يجبُ علينا نحن أنْ نُفوِّضَ الأمرَ إلى الله عزَّ وجلَّ فيما يَفعلُه، ولا نَعترِضَ عليه؛ فالله يقول: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ لكمالِ حِكْمته، ﴿وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾؛ لأنَّهم عابِدونَ للهِ عزَّ وجلَّ[٣].

٤- يُستَفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ الحثُّ على الصِّدقِ، والترغيبُ فيه، وبيانُ الفائدةِ العظيمةِ في الصِّدقِ؛ لكونِه نافعًا للإنسانِ في ذلك الوقتِ الحَرِجِ، الذي يكون الإنسانُ فيه أحوجَ ما يكون إلى ما يَنفَعُه[٤].

٥- أنَّ الفوزَ حقيقةً ليس بربحِ الدِّينارِ والدِّرهم والجاهِ والرِّئاسةِ؛ الرِّبحُ العظيمُ أو الفوزُ العظيمُ هو فوزُ الإنسانِ بجَنَّاتِ النعيم- نسألُ اللهَ أن يَجعلَنا من الفائزين بها- ولهذا قال: ﴿ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٥].

الفَوائِدُ العِلميَّةُ واللَّطائِف:

١- قَوْلُه تعالى: ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ معنى (دون) إمَّا المغايرة أو القُصور؛ فعلى

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٦٢١)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٤٦).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٥٤).

(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٥٦٢)، وينظر أيضًا: ((تفسير ابن عادل)) (٧/ ٦٢٤).

(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٦٩).

(٥) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٥٧٣).

المغايرة يكون فيه تنبيهٌ على أنَّ عِبادة الله سبحانه وتعالى مع عِبادةِ غيرِه كَلَا عبادةٍ، فمَن عبَدَه مع عِبادتِهما كأنَّه عبَدَهما ولم يَعبُدْه، وعلى القصورِ؛ فإنَّهم لم يَعتقِدوا أنَّهما مستقلَّانِ باستحقاقِ العبادةِ، وإنَّما زعَموا أنَّ عبادَتَهما تُوصِلُ إلى عبادةِ الله سبحانه وتعالى، وكأنَّه قيل: اتَّخِذوني وأمِّيَ إلهينِ مُتوصِّلِينَ بنا إلى الله سبحانه وتعالى[١].

٢- إثباتُ القولِ لله؛ لقولِه: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾، ولِقَوْلِه: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾، وفي القرآن إثباتُ الكلام، وإثباتُ النِّداء، وكلُّ هذا يدلُّ على أنَّ اللهَ تعالى يَتكلَّم بكلامٍ حقيقةً بحَرْفٍ وصوتٍ؛ أمَّا كونه بحرفٍ: فلأنَّ الكلماتِ التي جاءتْ بعدَ القول حروفٌ، وأمَّا كونه بصوتٍ؛ فلأنَّ الله تعالى يُخاطِبُ به عيسى، وعيسى يردُّ عليه، وهذا مذهبُ أهل السُّنَّة والجماعة، وهو الواجبُ على كلِّ مؤمنٍ[٢].

٣- في سؤالِ اللهِ عيسى عليه السلامُ بقولِه: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ ...﴾ دون النَّصارى مع كونِه تعالى عالِمًا بأنَّ عيسى عليه السَّلامُ لم يقُلْ ذلك- عِدَّةُ أوجه:

الأوَّل: أنَّ المرادَ به توبيخُ الكَفَرةِ الذين اتَّخذوا عيسى وأمَّه إلهينِ، وتَبكيتُهم[٣].

الثاني: أنه تعريضٌ بالإرهابِ، والوعيدِ بتوجُّه عقوبةِ ذلك إلى مَن قال هذا القولَ إنْ تَنصَّلَ منه عيسى، فيَعلَم أحبارُهم الذين اختَرعوا هذا القولَ أنَّهم المرادُ بذلك، والمعنى: أنَّه إنْ لم يكن هو قائلَ ذلِك، فلا عُذْرَ لِمَن قالَه؛ لأنَّهم زعَموا

(١) يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١٥٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٤٤).

(٣) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (٣/ ٥٢٤)، ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١٥٠)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٣٦٤)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٤٤).

أنَّهم يتَّبِعون أقوالَ عيسى وتعاليمَه[١].

الثالث: تحذيرُ عيسى عن قِيلِ ذلك ونهيُه، كما يقولُ القائلُ لآخر: (أفعلت كذا وكذا؟) ممَّا يعلم المقولُ له ذلك أنَّ القائلَ يستعظمُ فِعْلَ ما قال له: (أفعَلْتَه)، على وَجهِ النَّهي عن فِعلِه، والتَّهديدِ له فيه[٢].

الرابع: أنَّ المرادَ به إعلامُ عيسى أنَّ قومَه الذين فارَقهم قدْ خالفوا عَهدَه، وبدَّلوا دِينَهم بَعدَه[٣].

٤- في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ كانتِ المبادرةُ من عيسى عليه السَّلام بتنزيهِ الله تعالى أهمَّ مِن تبرئتِه نفْسَه بقوله: ﴿مَا يَكُونُ لِيَ ...﴾ على أنَّها مُقدَّمة للتبرِّي؛ لأنَّه إذا كان يُنزِّه اللهَ عن ذلك، فلا جرمَ أنَّه لا يأمُرُ به أحدًا[٤].

٥- في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ... إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ كمالُ أدَبِ المسيحِ عليه الصَّلاة والسَّلام في خِطابه لربِّه؛ فلم يقُلْ عليه السلام: (لم أقلْ شيئًا من ذلك)، وإنَّما أخبر بكلامٍ يَنفي عن نفْسِه أن يقولَ كلَّ مقالةٍ تُنافي منصبَه الشَّريفَ، وأنَّ هذا من الأمورِ المُحالةِ، ونَزَّه ربَّه عن ذلك أتمَّ تنزيهٍ، وردَّ العِلمَ إلى عالمِ الغيبِ والشَّهادة[٥] كذلك قوله: ﴿إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾؛ فهو يُشعِر بأنَّه رسولٌ مأمورٌ، مُكلَّفٌ بالأمْرِ[٦].

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ١١٣).
(٢) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (٩/ ١٣٤).
(٣) يُنظر: ((المصدر السابق)).
(٤) يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ١١٤).
(٥) يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: ٢٤٩).
وقيل: لم يقُلْ بأنِّي ما قلتُ هذا الكلام؛ لأنَّ هذا يَجري مجرى دعْوى الطَّهارة والنَّزاهة، والمقام مقامُ الخُضوعِ والتواضُع. يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٦٦).
(٦) يُنظر: ((تفسير المنار)) لمحمد رشيد رضا (٧/ ٢٢٣)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٥١).

٦- يُستفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ أنَّه لا حقَّ لعيسى في الأُلوهيَّة ولا الربوبيَّة؛ ولذا تبرَّأ عيسى عليه السَّلام من ذلك، وقال: إنَّه ليس بحقٍّ له، ونزَّه اللهَ تعالى أنْ يكونَ له شريكٌ؛ لِقَوْلِه: ﴿رَبِّي﴾ ومَن ليس له رُبوبيَّة ليس له أُلوهيَّة، فالألوهيَّة حقٌّ خاصٌّ لله، وإذا كان الرُّسل - بل خُلاصةُ الرُّسل - ليس لهم حقٌّ في الألوهيَّة، فمَن دُونَهم مِن باب أَوْلى؛ فلا أحدَ يستحقُّ أن يكونَ إلهًا، ولا أحدَ يستحقُّ أنْ نَعبُده مِن دونِ اللهِ عزَّ وجلَّ[١].

٧- قَوْلُه تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ خصَّ النَّفْس؛ لأنَّها مَظِنَّةُ الكتْمِ، والانطواءِ على المعلومات[٢].

٨- في قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ أنَّ مَن ادَّعى عِلمَ الغيبِ فقدِ ادَّعى أنَّه شريكٌ لله؛ وجهُ الدَّلالة: أنه أتَى بضميرِ فَصْل ﴿أَنتَ﴾ بينَ طَرَفَي الجُملةِ، وهذا يَدُلُّ على الحَصْرِ، يعني: أنت لا غيرُك علَّامُ الغيوبِ[٣].

٩- أنَّ الرُّسُلَ عليهم الصَّلاةُ والسَّلام شهداءُ على أمَّتهم ما داموا فيهم؛ لِقَوْلِه: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾، ومع ذلك هم شهداءُ على ما يَرَوْنَ أو يَسمعونَ، وليسوا شهداءَ على غائبٍ بعيدٍ لا يَرونه ولا يَسمعونَه؛ لأنَّ الرُّسُل لا يَعلمونَ الغيبَ[٤].

١٠- يُستفادُ مِنْ قَوْلِه: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ حِكمةُ الله عزَّ وجلَّ في جَعْل الخَلْق يَنقسِمونَ إلى قِسمين: مُعذَّبٍ، ومغفورٍ له؛ كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]، ولولا هذا الانقسامُ ما ظهَر فضلُ الإيمانِ، ولا شُرِعَ الجهادُ،

---

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٤٤، ٥٥١).
(٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٤١٧).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٤٨).
(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ٥٥١).

ولا الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ، ولا أُرْسِلتِ الرُّسُلُ، لكنْ حِكمةُ الله اقتضتْ أنْ يكونَ الناسُ قِسمينِ[(١)].

١١- قال تعالى: ﴿وَمَا فِيهِنَّ﴾، ولم يقُلْ: (وَمَنْ فيهنَّ)، فغلَّب غيرَ العُقلاءِ على العقلاءِ؛ والسَّببُ فيه التنبيهُ على أنَّ كلَّ المخلوقاتِ مُسخَّرونَ في قبضةِ قَهْرِه وقُدرتِه، وقَضائِه وقَدَره، وهم في ذلك التَّسخيرِ كالجَماداتِ التي لا قُدرةَ لها، وكالبَهائِمِ التي لا عَقْلَ لها، فعِلْمُ الكلِّ بالنِّسبة إلى عِلْمه كَلا عِلْمٍ، وقُدرةُ الكلِّ بالنسبة إلى قُدْرَتِه كَلَا قدرةٍ[(٢)].

بَلاغةُ الآياتِ:

١- قَوْلُه: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّ﴾ استئنافٌ مُقرِّر للتنزيهِ، ومُبيِّن للمُنزَّه منه، وإيثارُ ﴿لَيۡسَ﴾ على الفِعل المنفيِّ؛ لظُهورِ دَلالتِه على استمرارِ انتفاءِ الحقِّيَّة، وإفادة التأكيدِ بما في حيِّزه من الباءِ في ﴿بِحَقٍّ﴾[(٣)].

٢- قَوْلُه: ﴿إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥ﴾ استئنافٌ مُقرِّر لعدمِ صُدور القولِ المذكورِ عنه عليه السَّلامُ بالطريقِ البُرهانيِّ؛ فإنَّ صدورَه عنه مستلزِمٌ لعِلمِه تعالى به قطعًا، فحيثُ انتفى عِلمُه تعالى به انتَفَى صدورُه عنه حتمًا؛ ضرورةَ أنَّ عدمَ اللازمِ مُستلزِمٌ لعدمِ الملزومِ[(٤)].

٣- قَوْلُه: ﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ﴾ استئنافٌ مَسُوقٌ لبيانِ ما صدر عنه قد أُدْرِجَ فيه عدمُ صدورِ القولِ المذكورِ عنه على أبلَغِ وَجْهٍ وآكَدِه؛ حيث حَكَمَ بانتفاءِ صُدور جميعِ الأقوال المغايِرَة للمأمورِ به، فدخَل فيه انتفاءُ صدورِ القولِ

(١) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٦٤).
(٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٦٩).
(٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ١٠٠-١٠١).
(٤) يُنظر: ((المصدر السابق)).

المذكور دخولًا أوَّليًّا، أي: ما أمَرْتُهم إلا بما أمَرْتَني به[١].

- وعبَّر بقولِه: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ ﴾، ولم يقُل: (ما أمرتُهم إلَّا ما أمرتَني به)، وهو مِن بابِ وضْعِ القَولِ موضِعَ الأمْرِ؛ نُزولًا على مُوجِبِ الأدبِ الحَسَنِ؛ لئلَّا يَجعَلَ نفْسَه وربَّه آمِرَينِ معًا[٢].

٤- قَوْلُه: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى﴾ استئنافٌ جرَى مجرَى التعليلِ لِمَا قبْلَه، كأنَّه قيل: لأنَّك تعلمُ ما أُخفيه في نفْسي؛ فكيف بما أُعلِنه[٣]؟!

٥- قَوْلُه: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ تعليلٌ لمضمون الجُمَلتين منطوقًا ومفهومًا، وهو تقريرٌ وتأكيدٌ للجُملتَينِ: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ وقوله: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾؛ لأنَّ ما انطوتْ عليه النفوسُ مِن جُملة الغيوبِ، ولأنَّ ما يَعلمُه علَّامُ الغيوبِ، لا يَنتهي إليه عِلمُ أحدٍ[٤].

٦- قَوْلُه: ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ اعتراضٌ تذييليٌّ مُقرِّر لِمَا قَبلَه، وفيه إيذانٌ بأنَّه تعالى كان هو الشَّهيدَ على الكلِّ حِين كونِه عليه السَّلام فيما بينهم وشِبه الجُملة ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ مُتعلِّق بشهيد، وتقديمُه لمراعاةِ الفاصلة[٥].

- والتعبير بصِيغة فَعِيل ﴿شَهِيدٌ﴾؛ للمبالغةِ في وصْفِه بكونه شهيدًا، أي: رقيبًا، كثيرَ الحِفظِ عليهم[٦].

٧- قَوْلُه: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾: في

---

(١) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ١٠١).
(٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٦٦)، ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٤١٧).
(٣) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ١٠٠-١٠١).
(٤) يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (١/ ٦٩٣)، ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٦٦)، ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ١٠٠-١٠١).
(٥) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ١٠٢).
(٦) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٤١٩).

ختامِ هذه الآيةِ بقوله: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾- مع كون المتبادَر أنْ تُختَمَ بقولِه: (فإنَّك أنت الغفور الرحيم)- مناسَبةٌ حسنةٌ لطيفةٌ، وفي هذه المناسبة أوجهٌ؛ منها: أنَّ مقصودَ عيسى عليه السَّلام تفويضُ الأمورِ كلِّها إلى اللهِ تعالى، وترْك الاعتراضِ بالكليَّة؛ ولذلك ختَم الكلام بقوْلِه: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أي: قادرٌ على ما تُريد في كلِّ ما تفعلُ، لا اعتراضَ عليك؛ فإنَّه لو قال: (فإنَّك أنت الغفور الرحيم)، أشْعَرَ ذلك بكونِه شفيعًا لهم، فلمَّا قال: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ دلَّ ذلك على أنَّ غرَضَه تفويضُ الأمرِ بالكليَّةِ إلى اللهِ تعالى، وترْك التعرُّضِ لهذا البابِ من جميعِ الوجوهِ، ففوَّض أمْرَهم إلى اللهِ؛ فهو أعلمُ بما يُجازيهم به؛ لأنَّ المقامَ مقامُ إمساكٍ عن إبداءِ رغبةٍ؛ لشدَّةِ هولِ ذلك اليومِ، وغايةُ ما عَرَّضَ به عيسى أنَّه جوَّزَ المغفرةَ لهم رحمةً منه بهم[(١)].

ومنها: أنَّه لا يَحتمِل إلَّا ما أَنزلَه اللهُ تعالى؛ لأنَّ المعنى مُتعلِّق بالشَّرطينِ جميعًا؛ إذْ لو ختَمها بقولِه: (فإنَّك أنتَ الغفورُ الرحيم) ضَعُف معناه؛ فإنَّه ينفردُ الغفورُ الرحيمُ بالشَّرْط الثاني ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾، ولا يكون له بالشَّرطِ الأوَّل تعلُّقٌ ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ﴾، وأمَّا قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ على ما أَنْزلَه اللهُ تعالى، وأجْمَع على قِراءتِه المسلمون؛ فهو مُتعلِّقٌ بالشَّرطينِ مِن جِهةِ المعنى أولِّهما وآخِرِهما؛ إذ تلخيصُه: إنْ تعذبْهم فأنتَ العزيزُ الحكيمُ، وإنْ تغفرْ لهم فأنتَ العزيزُ الحكيمُ في الأمرينِ كِلَيْهما من التعذيبِ والغفرانِ، فكان ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أليقَ بهذا المكانِ لعمومِه، وأنَّه يَجمَعُ الشَّرْطَيْنِ، ولم يَصْلُحِ (الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) أنْ يَحتمِلَ ما احتملَه ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[(٢)].

ومنها: أنَّ هؤلاءِ قد استحقُّوا العذابَ دون الغُفرانِ؛ فوجَبَ أنْ تكونَ الفاصلةُ:

---

(١) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٦٨)،((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٤٢٠- ٤٢١)، ((تفسير ابن عاشور)) (٧/ ١١٧).

(٢) يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (٤/ ٤٢١)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (٤/ ٥١٩).

﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾؛ ولم تجِئ (الغفور الرحيم) بعدَ ذِكر الغُفران؛ لأنَّه لا يَغْفِرُ لهم، فوجَب أن تكون الفاصلة كما وردتْ ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾؛ لأنَّ الله سبحانه مُمتنِعٌ عن القَهرِ والمعارضة. وهو ما يُسمَّى عند البلاغيين بـ (التخيير)[1].

٨- قوله: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٌ﴾ فيه: التعبيرُ بصيغةِ الماضي ﴿قَالَ ٱللَّهُ﴾ عن المستقبَل الذي سَيكونُ يومَ القِيامةِ؛ للدَّلالةِ على تَحقُّقِ الوقوعِ[2].

- وفيه تقديمُ الخبرِ ﴿لَهُمۡ﴾ على المبتدأِ ﴿جَنَّٰتٌ﴾ وهو يدلُّ على الحَصرِ، بمعنى أنَّ هذا الثوابَ يختصُّ به الصادِقونَ[3].

٩- قَوْلُه: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

- فيه تنبيهٌ على كَذِبِ النصارَى وفسادِ دَعواهم في المسيحِ وأمِّه[4].

- وتقديمُ الخَبرِ﴿لِلَّهِ﴾؛ لبيانِ اختصاصِ مُلكِ السَّموات والأَرْضِ وما فيهنَّ باللهِ عزَّ وجلَّ؛ فتقديمُ ما حقُّه التأخيرُ يُفيد الحصرَ، سواءٌ كان هذا الذي حقُّه التأخيرُ خبرًا أمْ مفعولًا، أو غير ذلك ممَّا حقُّه التأخيرُ[5].

---

(١) يُنظر: ((إعراب القرآن وبيانه)) لمحيي الدين درويش (٣/ ٥٤- ٥٦).
والتخيير: الإتيانُ بكلام يَسوغُ أن يُقفَّى بقوافٍ شتَّى، فيُتخيَّر منها قافيةٌ مُرجَّحة على سائرِها، ويُستدلُّ بإيثارِه إيَّاها على حُسن اختيارِه، وصِدق حسِّه، وقدْ تَقضي البداهةُ الأولى بأنْ تكونَ غيرَ ما اختاره، ولكنَّه عزَفَ عن ذلِك لسرٍّ دقيقٍ، وفي هذه الآية البداهةُ البدائية تَقضي بأنْ تكون الفاصلة: (إنَّك أنت الغفور الرحيم)؛ لملاءمتِها لقوله: ﴿إِنْ تَغْفِرْ﴾، ولمناسبته ما بين الغُفران والغفور، ولكنَّ هذا الوهمَ الناجِمَ عن هذه البداهةِ سَرعانَ ما يَزولُ أثرُه عندما يَذكُر المتوهِّم أنَّهم استحقُّوا العذابَ لا الغُفران. يُنظر: المرجع السَّابق نفْسُه.
(٢) يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (٣/ ١٠٢).
(٣) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٧١).
(٤) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٦٩)، ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١٥١).
(٥) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة المائدة)) (٢/ ٥٧٦).

- وفيه تقديمُ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ على ﴿الْأَرْضِ﴾؛ لأنَّ السَّمواتِ أشرفُ وأكبرُ، وآياتها أدلُّ وأكثرُ من الأرض[١].

- وقال: ﴿وَمَا فِيهِنَّ﴾ لأنَّ (ما) يُطلَق متناوِلًا للأجناسِ كلِّها؛ فهو أَوْلى بإرادةِ العمومِ[٢].



تمَّ بحمدِ الله تعالى المجلدُ الرَّابعُ

ويليه المجلدُ الخامسُ، وأوَّله

تفسيرُ سورةِ الأنعامِ

(١) يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (٦/ ٣٧٠).

(٢) يُنظر: ((تفسير الرازي)) (١٢/ ٤٦٩)، ((تفسير البيضاوي)) (٢/ ١٥١).







الفهرس







الفهرس

تم الصف والإخراج في
مؤسسة الدرر السنية
nashr@dorar.net
هاتف٠١٣٨٦٨٠١٢٣
فاكس٠١٣٨٦٨٢٨٤٨
جوال٠٥٥٦٩٨٠٢٨٠